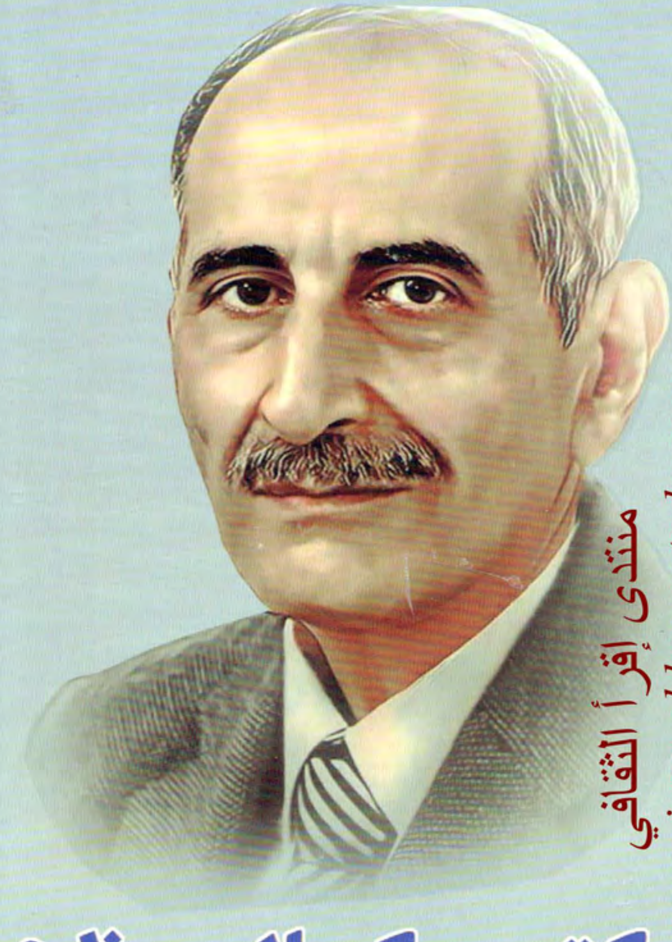
الآثار الكاملة



منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

الدكتور كمال مظهر

المجلد السابع

اعداد

الدكتور جبار قادر | الدكتور دلشاد محمود
الدكتور آزاد عبيد | الدكتور كامران محمد

أربيل
٢٠٢٢

الآثار الكاملة

الدكتور كمال مظهر

المجلد السابع

اعداد

الدكتور جبار قادر　　الدكتور دلشاد محمود

الدكتور آزاد عبيد　　الدكتور كامران محمد

اربيل ٢٠٢٢

* اسم الكتاب: الآثار الكاملة - الدكتور كمال مظهر - المجلد السابع
* اعداد: اللجنة المختصة بجمع ونشر الآثار الكاملة للأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد
* الاعمال الفنية والاشراف على الطبع: عثمان پيرداود كواز
* صورة الغلاف: الفنان نورالدين الجاف
* الطبع: مطبعة دانشفر- أربيل
* عدد النسخ: ١٠٠٠
* رقم الايداع (٩١٨) لسنة ٢٠٢٢
* السعر(٦٠،٠٠٠) دينار

المجلد السابع:

يضم هذا المجلد الكتب التالية:

* كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى.
* كركوك وتوابعها حكم التأريخ والضمير

(دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق).

تقديم

من دواعي الفخر للجنة المختصة بجمع ونشر النتاج العلمي والثقافي للراحل المؤرخ الفذ والمربي الكبير الأستاذ الدكتور كمال مظهر أن تضع بين أيدي قراء اللغتين الكردية والعربية الكرام أعماله الكاملة التي تتوزع على عشرة مجلدات، الستة الأولى منها بالكردية ومايليها حتى العاشر منها بالعربية وهي بمجملها تمثل القسم الأول من مشروع كبير يهدف الى جمع ونشر مجمل منجزه العلمي والثقافي.

يعد الدكتور كمال مظهر أحمد رائدا للدراسات التاريخية الكردية الحديثة، بل ومؤسسا لمدرسة تاريخية كردية متميزة؛ فقد إطلعت أجيال عديدة منذ سبعينات القرن الماضي لأول مرة على دراساته المتعلقة بتاريخ الكرد وكوردستان وفق منهجية علمية لم يألفوها من قبل، إذ كانت هاتيک الأجيال تقرأ حكايا وأساطير تغنت بمناقب أمرائهم وزعمائهم المحليين وتحسبها مصادر ومظانا تاريخية! وبتأثير كتبه المؤلفة ومقالاته التاريخية عشقت الأجيال الجديدة من سواد القراء ومن المثقفين تاريخ الكرد، وراحت تدلو بدلائها في دراسة تاريخ أمتها الكردية المستضعفة إضافة الى دوره الكبير في دفع العديد من الطلبة في أقسام التاريخ في الجامعات لإكمال دراساتهم العليا في مجال التاريخ داخل العراق وخارجه، كما وجدت محاضراته على الطلبة ومعظمهم من غير الكرد دورا مماثلا في التوجه الى الدراسات العليا لدراسة التاريخ بمنهج علمي وظلوا أمناء لمعلمهم الكبير طوال حياتهم ومسيرتهم العلمية. ولم يقتصر عمله هذا على الطلبة الكرد فقط بل وشمل الجميع ممن أشرف عليهم أو إستشاروه في دراساتهم ومشاريعهم البحثية.

لطالما أكد الدكتور كمال على أن مجال التاريخ الكردي كالأرض غير المحروثة والمزروعة؛ وتحتاج هذه المهمة الكبيرة الى أجيال من الباحثين لكي ينجزوا جزءا من هذه المهمة! وكان من أسباب سعادة الدكتور كمال أن يلتفت الى منجزه التربوي فيشهد العديد من الباحثين والمتخصصين في التاريخ الكردي من الذين أسهم مباشرة في إعدادهم تعليما أو إشرافا أو تنويرا من خلال مؤلفاته كتبا ومقالات وبحوث علمية وما ترجمه من أعمال في التاريخ والفكر التاريخي التي كانت تثير إهتمام أوساط واسعة من القراء والمثقفين الكرد والعراقيين عموما.

غني عن القول أن جمع وتحقيق الآثار الكاملة لمؤرخ غزير الإنتاج مثل الراحل كمال مظهر يستوجب تكاتف العديد من الباحثين والمثقفين، بل إنه مهمة مؤسسة متخصصة مع كوادر علمية وإدارية متفرغة لهذه المهمة، وليست مهمة لجنة من

المتطوعين غير المتفرغين يعملون هنا وهناك، ومنهم أساتذة في الجامعات منهمكون بإعداد محاضراتهم وبحوثهم العلمية.

لقد إرتأت اللجنة المتشكلة قبيل وفاة العلامة كمال مظهر بأيام معدودة؛ بهدف جمع تراثه العلمي والثقافي وتصنيفه، ومن ثم طبعه ونشره، إرتأت تقسيمه الى ستة أقسام على النحو الآتي:

القسم الأول والذي يسرنا أن نضعه بين أيدي القراء يضم كل مؤلفاته المنشورة باللغتين الكردية والعربية في عشرة مجلدات، بلغ مجموع صفحاتها سبعة آلاف ومائتين وخمسين صفحة.

القسم الثاني: سيشتمل على بحوثه العلمية ومقالاته المنشورة في الصحف والمجلات الكردية والعربية، وقد قامت اللجنة بتصوير وجمع قسم منها، لكنما مازال هناك الكثير مما ينتظرها في هذا المجال؛ وهو يستوجب بذل جهود شاقة من قبل عدد أكبر من أعضاء اللجنة المشرفة.

القسم الثالث: وسيضم أعماله العلمية والصحفية باللغة الروسية وسيربو عدد صفحات هذا القسم على ألف وخمسمائة صفحة. ومن الضروري ترجمته الى اللغة الكردية وقد خطت اللجنة الخطوات الأولى على هذا الطريق. ولقد تبين لنا عند الإطلاع علّى قائمة مؤلفاته وبحوثه أنه قد ترجم بعض بحوثه ومقالاته في حينها من الروسية الى الكردية أو العربية أو وظفها كنواة لدراساته وبحوثه اللاحقة.

القسم الرابع: وقد خصص لجمع كلمات التقديم التي كتبها لعدد معتبر من الكتب والمؤلفات لباحثين كرد وعرب فضلا عن مذكرات قام بتقديمها وإعدادها للنشر، وتنطوي هذه المقدمات على أفكار ومعلومات مهمة تفرض علينا الإهتمام بجمعها في أكثر من مجلد.

القسم الخامس: تسعى اللجنة الى تخصيصه ليضم لقاءاته الصحفية والحوارات معه، التي عبر من خلالها عن آرائه وتصوراته عن الكثير من المسائل العلمية والقضايا الفكرية والثقافية، وهي تشهد على إطلاعه الواسع وواقعية تصوراته وعمق تحليلاته. وهي تشكل مادة غنية؛ لإجراء البحوث والدراسات عن رؤاه الفكرية وتوجهاته الثقافية.

القسم السادس: من المأمول أن يتضمن كل ما كتب ونشر عن الراحل من دراسات وبحوث ورسائل علمية وما قيل عنه أثناء وفاته أو في الذكرى السنوية الأولى

لرحيله. ووجدنا من الضروري أن ندرج في هذا القسم رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه التي أشرف عليها الأستاذ الدكتور كمال مظهر أحمد وهي بحوث مشتركة بحكم التعليمات. وكان الراحل خلاقا في دعم المنجز العلمي لطلبته في مشاريع رسائلهم وأطاريحهم فكرة وعنوانا وموضوعا وتحليلا وتركيبا؛ ولذا وجدنا من الضروري أن نفهرس في هذا القسم عناوين رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي أشرف عليها الدكتور كمال مظهر وإسم الطالب ومستوى العمل وتاريخه. والجدير بالذكر هنا إسهاماته المشهودة في مناقشة العشرات من رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه. ولئن كانت هاتيك المناقشات مسجلة صورة وصوتا؛ فسنسعى الى الإتصال بذوي العلاقة للحصول على نسخ من هاتيك التسجيلات، وسنقوم بتفرغيها وطبعها ورقيا وإصدارها ضمن الأعمال الكاملة. كما ستعمل اللجنة على الإتصال بتلامذته المتميزين؛ لكتابة مقالات عن أسلوبه في محاضراته.

لقد قامت اللجنة المتخصصة المشكلة من: (الأستاذ الدكتور جبار قادر، الأستاذ الدكتور آزاد عبيد، الأستاذ المساعد الدكتور دلشاد محمود عبدالرحمن والأستاذ المساعد الدكتور كامران محمد حاجي) قامت خلال العام الأول من عمرها بإنجاز بيبليوغرافيا أولية لمجمل الأثار العلمية والثقافية للراحل كمال مظهر فضلا عن إعداد مؤلفاته وترجماته باللغتين الكردية والعربية للطبع، وهو هذا القسم الذي نضعه بين أيدى القراء والباحثين. كما قامت اللجنة بجمع كل ما ظفرت به في مكتبته الشخصية وكل ما وقع تحت أنظار أعضاء اللجنة والعديد من الزملاء والأصدقاء من خارج اللجنة من المقالات والبحوث والكتب المتعلقة بالراحل باحثا أو مترجما أو معلقا على مسألة عامة أو خاصة أو قام به تلامذته وأساتذتهم وأصدقاء الراحل من كتابات عن سيرته وترجمة لحياته الشخصية والعلمية. كما قامت اللجنة بطبع العديد من مقالاته وبحوثه ومراجعتها بصورة دقيقة. وستواصل اللجنة بعد نشر مؤلفاته الكاملة سعيها لإنجاز المراحل الأخرى من هذا المشروع العلمي والثقافي الكبير؛ خدمة للحقيقة والتاريخ وتذكيرا لعطاء هذا الإنسان العالم والمؤرخ والمربي الكبير الذي قلما يجود الزمان بمثله.

ومن هنا تناشد اللجنة المشرفة الباحثين والقراء المهتمين بتراثه العظيم أن تمد يد المساعدة للجنة بتزويدها بما يتوافر لديهم من صحف ومجلات تضم بحوثا ومقالات أو لقاءات صحافية منشورة للراحل. ومن المؤكد أن مؤازرتهم ستساهم

حتما في تأسيس مكتبة خاصة ومتحف خاص يجمع فيهما كل ما يتعلق به.

شكل توزيع مؤلفات الراحل الكبير من حيث المواضيع وعدد الصفحات تحديا أمام اللجنة وجرى نقاش مطول حول الأمر الى أن إستقر الرأي في النهاية على توزيعها على الشكل التالي، ونثبت هنا عناوين الكتب المنشورة في مجلدات القسم الأول:

المجلد الأول: "كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى"، "التاريخ- دراسة علمية موجزة عن التاريخ والكرد والتاريخ" و"كتاب الحركة التحررية للكرد والآذربايجانيين في إيران".

المجلد الثاني: "تێگەیشتنی ڕاستی (أي فهم الحقيقة) – وموقعها في الصحافة الكردية" و"صفحات من تاريخ الشعب الكردي – الجزء الأول".

المجلد الثالث: "صفحات من تاريخ الشعب الكردي – الجزء الثاني".

المجلد الرابع: الترجمات الكردية لكتبه "مكيافيللي والمكيافيلية"، و"النهضة"، و"الطبقة العاملة العراقية: التكون وبدايات التحرک" ومؤلفه "المرأة في التاريخ".

المجلد الخامس: "الكرد وكردستان في الوثائق السرية للحكومة البريطانية".

المجلد السادس: "الكرد وكردستان في الوثائق السرية للحكومة البريطانية". وكما أسلفنا فإن هذه المجلدات الستة تضم مؤلفاته باللغة الكردية أو التي ترجمت إليها من اللغة العربية.

المجلد السابع: الترجمة العربية لكتاب: "كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى" ومؤلفه "كركوك وتوابعها، حكم التاريخ والضمير – دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق ".

المجلد الثامن: "دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر" و"أضواء على قضايا في الشرق الأوسط "و"النهضة".

المجلد التاسع: "صفحات من تاريخ العراق المعاصر"، و"الطبقة العاملة العراقية – التكون وبدايات التحرک"، و"ثورة العشرين في الإستشراق السوفيتي"، و"رأي للمناقشة".

المجلد العاشر: "دور الشعب الكردي في ثورة العشرين"، و"إنتفاضة ١٩٢٥ في كردستان تركيا"، وترجمته لكتاب شاميلوف "حول مسألة الإقطاع بين الكرد"، و"ميكافيللي والمكيافيلية" و"تاريخ الدول الكبرى بين الحربين العالميتين". وكما نوهنا فإن المجلدات الأربعة الأخيرة هي باللغة العربية.

وختاما تشكر اللجنة كل من أبدى إستعداده لدعم المشروع ماديا أو معنويا وهم كثر، وفي مقدمتهم رئيس الأكاديمية الكردية الأستاذ الدكتور عبدالفتاح البوتاني الذي خصص غرفة خاصة للجنة في الأكاديمية. كما تشكر اللجنة الأستاذ الدكتور عماد الجواهري الذي كان لملاحظاته دورا مهما في إضافة محور جديد الى القسم السادس من المشروع، وكل من ساهم ولو بإعلام اللجنة بوجود مقالة أو دراسة للراحل في صحيفة ما أو مجلة. وتعبر اللجنة كذلك عن إمتنانها للأستاذ جلال زنكابادي على جهوده المخلصة لإخراج المشروع بأفضل صورة.

اللجنة المختصة
بجمع ونشر الآثار الكاملة
للدكتور كمال مظهر احمد



دار الثقافة والنشر الكردية

تسلسل (٥٦)

الدكتور كمال مظهر احمد

كردستان

في سنوات الحرب العالمية الاولى

ترجمة

محمد الملا عبد الكريم

بغداد

٢٠٠٤

دار الثقافة والنشر الكردية

الدكتور كمال مظهر أحمد

كردستان

في سنوات الحرب العالمية الأولى

ترجمة

محمد الملا عبد الكريم

الطبعة الثانية - بغداد-٢٠١١

كلمة المترجم

قدر لي قبل سنوات أن ألخص الفصل الأول من هذا البحث مترجما الى لغة العرب لنشره مع أصله الكردي في العدد الأول من المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي الكردي • ومنذ ذلك الحين استحوذت على ذهني فكرة أن أترجم فصول البحث كلها بعد اكمال نشرها ، الى اللغة العربية • ولم تكن فكرة نشر تلك الفصول في كتاب قد ولدت بعد ، أو لم يكن في ذهني أنا شيء بهذا الصدد على الأقل •

واذ ظهرت سائر الفصول ، المنشورة منها وغير المنشورة ، بين دفتي كتاب صـدر من المجمع في السنة ١٩٧٥ وتلقفته أيدي القـراء حتى نفد في الأسواق خلال أيام قلائل ، ازداد شعوري بضـرورة انجاز ما استقر عليه فكري منذ حين • الا أن انشغالي آنئذ لم يتح لي الفرصة لأكثر من أن أقدم عرضاً مفصلا للكتاب نشر في جريدة « التآخي »[1] وأشرت فيه الى ما عقدت العزم عليه بشأن ترجمة الكتاب • وقد نال العرض استحسانا لائقا من لـدن جمهرة القراء •

---

(١) التآخي ، العددان ٢٠٤٤ و ٢٠٤٥ ، ٢٥ و ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٥ .

كان ذلك الى جانب التقييم الكبير الذي ناله الكتاب من لدن العديد من الأساتذة المؤرخين والمعنيين بالدراسات الكردية[٢] ، على أساس ملخصات بعض فصوله التي نشرت من قبل في مجلة المجمع العلمي الكردي ، والاستفسارات الكثيرة التي أخذت ترد تباعا الى المجمع عن ترجمة الكتاب ، والاقتراحات العديدة التي قدمت اليه بهذا الشأن ، ورغبة المؤلف الفاضل نفسه في اعادة نظر شاملة في الكتاب ، لمقتضيات علمية منها أن هناك دوماً بوناً شاسعا بين المادة العلمية التي تعد للنشر كمقال والتي تعد للنشر كفصل من كتاب ـ وهذا ما يتبين جليا لمن يمكنه اجراء مقارنة بين الأصل الكردي والطبعة العربية هذه ـ كان ذلك كله خير حافز لي على أن أنجز ما عقدت العزم عليه ، وذلك ما تفرغت له في أواخر السنة الماضية، ويقدمه المجمع العلمي الكردي اليوم الى جمهرة قراء العربية .

ان الغبطة لتغمرني والسعادة تملأ جوانحي اذ أرى الأمنية التي ولدت واختمرت في ذهني قبل سنين ، وقد تحققت ، فقدمت الى الأشقاء العرب جانبا من التأريخ الحديث لشعب شقيق لهم تربطهم واياه أخوة متعددة الروافد تعود بداياتها الأولى الى أيام حلول الاسلام في ديار الكرد ، ثم عمدها الزمن ، وصقلتها الثقافة المشتركة من أوجه عديدة ، وصهرتها بوتقة الكفاح المشترك على مر العصور ضد الغزاة والمحتلين ومن أجل الغد الزاهي السعيد .

(٢) اشير في هذه المناسبة ، بصورة خاصة ، الى فقرة وردت في رسالة للمؤرخ الفاضل الاستاذ عبدالرزاق الحسني ، وجهها الى الاستاذ مسعود محمد نائب رئيس المجمع العلمي الكردي ، حيث ورد فيها قوله : « .. ولقد اعجبت ـ كمؤرخ ـ كل الاعجاب بمقالات الدكتور كمال مظهر احمد «كوردستان خلال الحرب العالمية الاولى» . وحبذا لو طبعت برسالة مستقلة كما طبع اصلها الكردي ، فان فيها من المعلومات والطراوة مالانجد مثلهما في المظان الاخرى ، عربية كانت أم اجنبية » .

وفي هذه المناسبة أود أن أشير الى نقطة أراها جديرة بالاهتمام ، تلك أنه اذا كان المثقفون الكرد في البلاد الأخرى، يكتبون في الأغلب باللغات السائدة في تلك البلاد ، فيعرّفون أبناء شعوبها من مثقفين وأناس بسطاء بما يريدون أن يقولوه عن شعبهم ، بلغات تلك الشعوب ، طوعاً أو كرها ، فاننا في العراق ، وجدنا ونجد الفرصة لأن نقول ما يمكن قوله ، بلغتنا نحن ، مما يحرم اخوتنا العرب ، بالضرورة ، عن معرفة الكثير مما ينبغي أن يعرفوه عنا وينبغي كذلك أن نريد لهم أن يعرفوه . هذه الحقيقة تضع على عاتقنا نحن المثقفين الكرد العراقيين مهمة لا يصح التغاضي عنها بأي حال ، ألا وهي ترجمة المواد الأصيلة المكتوبة بلغتنا الكردية الى لغة العرب ، فلن نكون في غنى بأي حال ، كما لن يكون العرب كذلك في غنى ، عن أن يعرفوا الكثير من تأريخنا وأدبنا ولغتنا وثقافتنا وتقاليدنا ، مما يعرّف بعضنا ببعض على نحو أفضل ويرسخ دعائم أخوتنا لخير الجميع ، ويمدّ الى أعماق المستقبل جذور ماضينا المشترك ..

ان هذا الكتاب سيكون لبنة أخرى في بناء هذا الصرح الذي بدأ تشييده منذ عشرات السنين ونطمح الى أن يعلو شامخا ويرتفع أكثر فأكثر .. واني لآمل أن يجد فيه القراء العرب وقراء العربية مختصين وغيرهم ، جانبا مهما مما تهمهم معرفته ، وأن يكون أساسا لنوع جديد في الترجمة من الكردية الى العربية ، نوع أغنى وأوفر عطاء وأكثر احتكاكا بحقائق الحياة المعاصرة .

محمد الملا عبدالكريم

مقدمة المؤلف للطبعة العربية

يشغل الشعب الكردي صفحة بارزة في سجل تأريخ شعوب الشرق الحافل قديماً ووسيطاً وحديثاً ، صفحة تحتاج ، مع ذلك ، الى جهود مثابرة خلاقة وأقلام مخلصة نيرة لسبر أغوارها ووضع حقائقها أمام الأنظار ، لما في ذلك من أهمية علمية وعملية .

وبالرغم من أن العديد من المؤرخين بدأوا في الآونة الأخيرة يولون دراسة تأريخ الشعب الكردي في بعض مراحله اهتماماً ملحوظاً ، الا أن مكتبة الدراسات التأريخية ماتزال تفتقر الى بحوث جادة عن معظم جوانب ذلك التأريخ الذي ظلت ، وما تزال ، صفحات كثيرة منه مجهولة لا بالنسبة لأبناء شعب جد قريب من صاحبه ، وأعني بهم العرب ، فحسب ، بل هي ظلت كذلك حتى بالنسبة لأبناء صانعي ذلك التأريخ أنفسهم ، مما يضاعف واجب المؤرخ الكردي ، والذي هو واجب معقد في أساسه . واذا تمكن هذا المؤرخ من تقديم ثمرة مفيدة الى أشقائه ، فانه يكون قد أدى ، حقا ، واجباً يدخل في عداد المقدسات ، وأسدى خدمة تأتي في مقدمة الضرورات في بابها . وهذا بالذات هو الذي دفعني لأعيد النظر في النص الكردي لكتابي هذا وأضيف عليه الكثير مما رأيته ضرورياً ليكون القارىء العربي على بينة من الأمر .

ولذا ، دون أي دافع آخر ، جاءت الطبعة العربية لـ « كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى » أوسع بكثير من نصه الكردي • ومما ساعدني على تحقيق ذلك حصولي على مصادر جديدة ومهمة في اطار الموضوع ، بعضها أصيلة تدخل للمرة الأولى في مجال البحث العلمي من أجل القاء الضوء على جوانب كان يصعب ، من قبل ، تحديد كل أبعادهـا من دون الاطلاع على ما ورد في هذه المصادر من حقائق ومؤشرات نادرة • وهنا أود التأكيد بشكل خاص على أعداد جريـدة « تيگەيشتنى راسـتي » (فهم الحقيقة)[1] التي أصدرها الانگليز باللغـة الكردية في بغداد بعد احتلالهم لهـا ، فهي حافلة بالمعلومات القيمة للغاية مما أتاح للمؤلف امكانية فهم أعمق لأحداث مهمة وقعت في سنوات الحرب العالمية الأولى ، وهو ما يدركه القارىء بسهولة من خلال اطلاعه على المواضيع الواردة في الفصلين الثالث والرابع من الكتاب •

يلاحظ القارىء اهتماماً خاصاً بالأحداث التي وقعت قبل الحرب والتي كرس لها فصلان من الكتاب • وقد جاء ذلك بحكم الضرورة ، نظراً لأهمية تلك الأحداث ووجوب عرضها لتقديم خلفية واضحة لأحداث لاحقة وقعت في سنوات الحرب نفسها ، اذ كان من المتعذر عرض صـورة متكـاملة بدون الخوض في دراسة أهم الجوانب التأريخيـة لفترة ما قبل الحرب كمدخل ضروري الى صلب الموضوع • وللسبب ذاته رأيت من الأنسب توسيع هذا القسم من الترجمة العربية أيضاً والتأكيد فيه على الجوانب التي تهم المؤرخ والمتتبع العربي •

أشرت في نهاية مقدمة الطبعة الكردية الى افتقـار البحث الى المصادر

(١) يعكف المؤلف على اعداد دراسة مفصلة عن هذه الجريدة ، ومن المأمول أن تقدم الى المطبعة عما قريب ــ المترجم .

العثمانية ، الا أنه أصبح بالامكان التعويض عن ذلك في الطبعة العربية الى حد غير قليل ، وذلك بالاستناد الى بعض المصادر السوفيتية التي اعتمدت الوثائق التركية أساساً مهماً للبحث . وينطبق هذا القول بشكل خاص على المستشرقين الآذربيجانيين السوفيت المهتمين بتأريخ تركيا الحديث والذين تتوفر لهم امكانات الاستفادة الواسعة من المصادر التركية الأصيلة(٢). واستفدت كذلك على نطاق أوسع من كتاب الأستاذ شكري محمود نديم عن « الجيش الروسي في حرب العراق » الذي يعتمد مصدرا تركيا ألفه ضابط عثماني كبير أساساً لعرض الأحداث التي رافقت وصول القطعات الروسية الى مناطق رواندوز وخانقين وپينجوين .

من الضروري أن أشير أيضاً الى أنه تم نقل مواضيع قليلة من فصل الى آخر لارتباطها أكثر بالمواضيع الموجودة فيأماكنها الجديدة، مثل البحث المتعلق برد الفعل الذي أثارته مظالم المحتلين بين الأكراد ، فقد وردت أمثلة عنه ضمن الفصل الثالث بينما ارتأينا نقلها الى الفصل الرابع لوجود ربط موضوعي أكثر بينها وبين النضال الذي شهدته المناطق الكردية في سنوات الحرب العالمية الأولى .

وفي الختام فان غاية ما أتوخاه ، أن تتحول الترجمة العربية لكتابي « كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى » الى لبنة متواضعة جديدة في صرح العلائق الأخوية التي تربط الشعبين الشقيقين العربي والكردي ، وقد سبقني الى الغاية النبيلة ذاتها أساتذة آخرون من مفكري الشعبين. وأن تكون

(٢) من المصادر الجديدة المستخدمة في الطبعة العربية كتاب المستشرق الآذربيجاني السوفيتي الدكتور حميد علييف عن تركيا في عهد الاتحاديين والذي كان في الأصل رسالة علمية نال بها المؤلف شهادة دكتوراه علوم .

عند حسن ظن الذين اطلعوا على أصلها الكردي أو على ملخصاته أو عرضه ، فكان لديهم مما يستحق التقدير والتكريم •

الدكتور كمال مظهر احمد

المُقَدِّمَة

مما يؤسف له أن أيا من مراحل تأريخ الشعب الكردي لم يدرس بعد دراسة معمقة ووفق أسلوب علمي منهجي • الا أنـه قد يكون بوسـعنا أن نستثني ، الى حدما ، من هذا الحكم ، تأريخه الحديث (ولاسيما القرن التاسع عشر منـه) وبعض جوانب حركة التحرر القومي الكردية[1] • غـير أن من الواضح أنه بدون دراسة معمقة علمية منهجية لمختلف مراحـل تأريخ الكرد وكردستان ، تظل أحـدى الحلقات المهمة في دراسة تأريخ الشـرق الأوسط ، بمختلف مراحله ، مفقودة • ويبقى كذلك العديد من الأسئلة العلمية المهمة دونما جواب •

تؤلف سـنوات الحرب العالمية الأولى احدى مراحـل تأريخ الشعب الكردي التي لم تزل بحاجة الى دراسة معمقة • وكان قد حـدد موقع خاص

---

(1) درس المستكردون السوفيت ، واخص بالذكر منهم الدكاترة ن. أ. خالفين و م. س. لازاريف و جليلي جليل ، العديد من الجوانب المهمة من تاريخ الكرد في القرن الماضي . ومن العوامل التي ساعدت هؤلاء على القيام بذلك غنى الأرشيفات السوفياتية بالمعلومات الأصيلـة والوثـائق المتعلقة بتلك المرحلة من تأريخ الشـعب الكردي . فقـد كانت روسيا القيصرية تولي آنئذ أهمية بالغة لكردستان . وقد درست بعض جوانب الحركة القومية الكردية في الاتحاد السوفيتي كذلك .

لهذا الموضوع ، ضمن الخطة التي كان المستشرقون السوفيت يبغون انجازها حول تأريخ الكرد . وكانت دراسة هذا الموضوع ، اضافة على مواضيع أخرى ، قد أنيطت بمؤلف هذا الكتاب . وقد صار ذلك باكورة الاعتناء بهذه المرحلة[٢] .

تعتبر الحرب العالمية الأولى [١٩١٤ ــ ١٩١٨] احدى أهم أحداث العالم . فقد عمت مآسي هذه الحرب وعواقبها جميع بلدان المعمورة ، وتسببت في حدوث تبدلات كبيرة في حياة معظم الشعوب . ولكن هذه الأحداث والعواقب شملت بلدان أوروبا والشرقين الأدنى والأوسط أكثر من أي بقعة أخرى في العالم ، كما شملت بدرجة أقل افريقيا الشمالية . وهذه هي المناطق

(٢) بالرغم من هذا التوضيح الذي لالبس فيه ، وبالرغم من الاختلاف الكلي للاطار الزمني بين موضوع هذا الكتاب وموضوع رسالتي العلميتين اللتين قدمتهما في حينه لنيل شهادتي الدكتوراه ودكتوراه العلوم (ناوك) ، وبالرغم من الاختلاف الكلي بين مضمون هذا الكتاب وكل ما كتبت ونشرت باللغة الروسية ــ فقد حاول أحد زملاء الدراسة أن يلقي ظلالا من الشك على الموضوع ، فزعم أن هناك احتمالا بان يكون هذا الكتاب جزءا من رسالتي العلمية [راجع : حول المجمع العلمي الكردي ، مجلة « الثقافة » ، بغداد ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٧٦ ، الص ١٥٢]، مع أن المفترض أن يكون هذا الزميل مطلعا على كل الحقائق الآنفة الذكر، ليس بحكم معرفته للغة الروسية وحسب ، بل وبحكم كونه مثقفا كرديا كذلك ، ولقوة الترابط بين موضوع اختصاصه ــ الأدب الكردي وموضوع اختصاصي ــ التأريخ الكردي ، ولزمالتنا وعملنا العلمي سوية على مدى سنين طوال . وقد كنت ، ومازلت، اود لو أنه أوضح هذا الأمر بنفسه ، فكل مقومات استذكار الحقيقة متوفرة بالنسبة اليه ، ان كان بعض الشبهة قد تسرب الى نفسه عن علاقة هذا الكتاب باطروحة مؤلفه . فمن نافلة القول أن للقضايا العلمية نواميسها المقدسة التي تأتي في مقدمتها الدقة والأمانة حرصا على الموضوعية التي يجب أن لانفتقدها في أي حال ، لئلا نكون مجحفين في أحكامنا التي تؤدي من دونها الى ضرر كبير لقاء « مغنم » صغير .

التي كانت قد باتت ساحة قتال ضارٍ •

جلي أن كردستان ، بوصفها جزءاً مهما من الشرق الأوسط ، كان لها موقع بارز في الحرب الأولى • لقد أثرت أحداث الحرب وعواقبها تأثيرا كبيرا على حياة الشعب الكردي ومستقبله • ومع ذلك فان تأريخ « كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى » لم يدرس بعد دراسة متكاملة ، ولم يعرض للأنظار كتأريخ مرحلة متكاملة في عمل مستقل •

لم يدوّن باللغة الكردية شيء ذو بال حول هذا الموضوع المهم • فالمؤرخون الأكراد الأساتذة محمد أمين زكي ورفيق حلمي وحسين حزني المكرياني[٣] (ولاسيما الأول منهم) ، انما تحدّثوا عن جانب واحد من هذا الموضوع وهو ما يتعلق بالصعاب والمحن الكثيرة التي أصابت الشعب الكردي في سنوات الحرب • وبديهي أن هذا الاهمال هو الذي أدى ليس الى أن لايعرف الشعب الكردي عامة شيئا عن هذه المرحلة المهمة من تأريخه ، وحسب ، بل وكذلك الى أن يكون المثقفون الكرد أيضا في غفلة عن هذا الموضوع • وعلى سبيل المثال ، فنادرا ما يوجد كردي يعرف شيئا مهما عن دور الكرد في مذابح الأرمن • في حين أن عشرات الكتب الأوروبية وغيرها تحدثت عن هذا الموضوع نظرا لأهميته السياسية والعلمية الكبيرة • ان هذا ، بحد ذاته ، فضلا عن عدد من الأسباب العلمية ، يضفي أهمية خاصة على دراسة تأريخ الكرد في سنوات الحرب العالمية الأولى ، هذا التأريخ الحافل بالأحداث والعبر والتبدلات التي تشغل حيزا ملحوظا في تأريخ الشرق الأوسط الحديث •

ان أرشيفات الاتحاد السوفيتي عامرة بالوثائق والمعلومات المهمة عن

(٣) ترد أسماء مؤلفات هؤلاء الكتاب والكتاب الآخرين في متن الكتاب .

أحداث كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ٠ ويعود السبب في ذلك الى أن الجيش الروسي كان قد وصل في تلكم السنوات الى مختلف أنحاء كردستان حيث كان يقاتل الجيش العثماني ٠ وهذا بالذات ما فسح المجال للمستكرد السوفيتي م٠ س٠ لازاريف ليدرس ، بعمق ، كثيرا من جوانب التأريخ الكـردي في سنوات الحرب العالمية الأولى ٠ كما أن الأكاديمي گردليفسكي(٤) الذي طاف قبل الحرب وفي سنوات الحرب كذلك في كثير من مناطق كردستان وأرمينيا ، نشر معلومات قيمة ومهمة ٠ لقد ساعدت نتاجات هذين العالمين وعدد آخر من المستشرقين السوفيت مؤلف هذا الكتاب مساعدة جلّى في دراسة جوانب ذات أهمية من تأريخ كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى ٠

وللمراجع الانكليزية كذلك أهمية بالغة لالقاء الضوء على مسائل مهمة ولاسيما ما يتعلق منها بكردستان العراق ٠ فالانكليز ، كما هو معروف ، قد أولوا هذه المنطقة أهمية أكثر مما أولوها للمناطق الكردية الأخرى ، حتى أن الجيش الانكليزي قد بلغ مشارف هذا القسم من كردستان بل وبعض الأجزاء منه قبيل انتهاء الحرب ٠ لذلك فان معظم المصادر الانكليزية انما تتحدث عن كردستان العراق وحدها ، وقلما يعثر فيها على ما له صلة بالأجزاء الأخرى من كردستان ٠ ومع ذلك يمكن القول أن بالامكان الاستفادة بصورة جيدة من كتابات آرنولد ويلسون وأدموندس وماسون وكتاب انكليز آخرين لتوضيح العديد من المسائل ٠ هذا فضلا عن أن المصادر الانكليزية حافلة بالوثائق

(٤) الاكاديمي ف. ا. گردليفسكي [١٨٧٦ ـ ١٩٥٦] واحد من قمم الاستشراق في الاتحاد السوفياتي والعالم، متخصص ضليع في الدراسات التركية . انجز حوالي ٣٠٠ عمل علمي ، وتتمتع تقييماته كلها باهمية خاصة .

والمعلومات الأصيلة حول اهتمام الدول الكبرى بكردستان سواء في سنوات الحرب أو قبلها .

ولاتخلو المكتبة العربية كذلك من مصادر مفيدة حول موضوعنا هذا . غير أن معظم هذه المصادر أيضا تتحدث عن كردستان العراقية في الأساس . وعلى سبيل المثال فان كتاب شكري محمود نديم(٥) قد كرس أصلا للبحث عن القتال بين الجيشين العثماني والروسي في جبهات السليمانية وخانقين ورواندوز . وقد يعثر في زوايا هـذا الكتاب العربي أو ذاك على بعض المعلومات المفيدة حول تأريخ الكرد قبيل الحرب العالمية وخلالها .

وقبل أن أختتم هذا الاستعراض الموجز للمصادر المتوفرة حول موضوع بحثنا ، أود أن ألفت أنظار المتتبعين بشكل خاص الى امكانية الركون لتنوير قضايا معينة من التأريخ الكردي الحديث والمعاصر ، الى المعلومات الغزيرة والمتنوعة المتوفرة لدى بعض الشخصيات الكردية من الجيلين السابقين ، ممن راقبوا عن كثب الأحداث الساخنة المتلاحقة في العقود الأولى من هذا القرن أو اشتركوا فيها بشكل مباشر . وقد استفاد صاحب هذا الكتاب فعلا من بعض المعلومات التي استقاها خلال اتصالاته الشخصية مع عدد من هؤلاء(٦) لالقاء الضوء على مسائل محددة وردت في متن هذا الكتاب .

وهكذا فان ندرة المصادر الموثوقة الكافية ، هي احـدى أكبر العقبات القائمة في طريق دراسة تأريخ كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى . ان جانبا كبيرا من أحداث تلكم السنوات قلما يمكن العثور على شيء بشأنه

(٥) شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الطبعة الثانية، بغداد ، ١٩٦٧ .

(٦) أخص منهم بالذكر المرحوم الأستاذ اسماعيل حقي شاويس والأستاذ فوآد مستي والمرحوم الأستاذ ممدوح سليم والأستاذ اكرم جميل باشا.

أصلا ، ولاسيما ما يتعلق منها بنضال الشعب الكردي والتحولات الفكرية ـ الاجتماعية التي شهدت المنطقة بدايات مهمة لها في تلك الفترة ، وهو ما دفع العديد من المؤلفين الى الاعتقاد بأن هذا النضال قد توقف بسبب الحرب .

ليس التأريخ الكردي غير مدروس وحسب ، كما أشرنا الى ذلك في بداية هذه المقدمة . بل وان قسما كبيرا من المواد القليلة المدونة عنه قد خصص لتشويهه وليس لدراسته . ومن هنا فانه كثيرا مايجد المؤرخ الموضوعي النزيه نفسه في مجال الدفاع عن الكرد ، دون أن يشعر بنفسه بذلك ، ويبدأ في السعي لاظهار الحقيقة خدمة للتأريخ . ومن المسائل المهمة التي شوه فيها دور الكرد ولطخت سمعتهم ، مذابح الأرمن في عهد السلطان عبدالحميد والمذابح التي جرت في سنوات الحرب العالمية الأولى بصورة خاصة ، فان شخصا مثل البروفيسور پول أميل يقول بكل بساطة ودونما أدنى تمييز انه « اندفع كل انسان في تركيا ، سواء كان من الجنود أو الجندرمة أو الأكراد أو من قطاع الطرق لمهاجمة الأرمن ، فقضوا على من قضوا من الرجال والشبان وأرغموا الباقين على النزوح من البلاد في ظروف رهيبة تقشعر لها الأبدان »[7] . وأسوأ من ذلك ماكتبه لوقا زودو حول المذابح التي حدثت في عهد السلطان عبدالحميد حيث يقول :

« ... وفي عهد السلطان عبدالحميد ، عندما أراد الفتك بالأرمن والآشوريين ، لم يجد غير الأكراد لتنفيذ مآربه بالنظر الى ميلهم الطبيعي للقتال ، فافتعل حربا دينية بينهم تحولت الى مجازر بشرية هائلة ، مازالت أصداؤها حتى الآن في ضمير هذا

(٧) البروفيسور پول أميل ، تأريخ ارمينيا ، ترجمة شكري علاوي ، بيروت ، الص ٥٣ .

الجيل »[8] .

ورد مثل هذه الأحكام عن العلاقات الكردية ــ الأرمنية كحقائق تأريخية منتهية في كتابات العديد من المؤرخين الغربيين . ما من حاجة للعود بعيدا الى الوراء . فالكاتب الانكليزي كيلنگ الذي تجول في تركيا وروسيا في سنوات الحرب والسنوات التي أعقبتها مباشرة، تحدث في كتابه الموسوم «مغامرات في تركيا وروسيا» والذي كرسه للحديث عن مشاهداته في تلك الجولة ونشره في لندن في العام ١٩٢٤ فذكر كيف أنه رأى بأم عينيه الأكراد في العديد من المناطق وهم يؤون المشردين الأرمن وينقذون أطفالهم من الموت . بل وتحدث كذلك عن امكانية التعايش بين الكرد والأرمن ، وكيف أن السلطان عبدالحميد كان يخشى ذلك كثيرا ، وقد أنشأ الفرسان الحميدية للحيلولة دون ذلك[9] . ومع ذلك ، ورغم هذه الحقائق التي ذكرها ، فاننا نقرأ كذلك في كتابه مايلي :

« ان هذا العمل (ويقصد به تشكيل الفرسان الحميدية للقضاء على الأرمن كما يدعي ــ ك. م.) كان في محله تماما ، ذلك لأن الكرد يتمتعون منذ أيام زينفون بسمعة لايضاهيهم فيها أحد كقطاع طرق ولصوص قساة مجردين عن الايمان »[10] .

---

(٨) لوقا زودو ، المسألة الكردية والقوميات العنصرية في العراق ، بيروت ، ١٩٦٩ ، الص ٨٠ . التأكيد منا ، لأن هذا الجانب من الموضوع هو بالذات ما حاولنا عرضه في اطاره الواقعي ضمن بحثنا عن دور الكرد في المذابح الارمنية .

(٩) E. H. Keeling, Adventures in Turkey and Russia, London, 1924, PP. 208 — 209, 229.

(١٠) Ibid, P. 228.

اشار الكاتب والمؤرخ الاغريقي زينفون (Xenephon) [٤٣٠ ــ ٣٥٥ أو ٣٥٤ ق.م.] وهو من تلامذة سقراط ، الى « الكاردوخيين » والمناطق الكردية وذلك في كتابه المعروف « اناباسيس » الذي الفه في العام ٤٠١ ق.م. وهو يقود حملة«العشرة الآف» الاغريقية أثناء انسحابها من ايران.

ولكي يثبت كيلنك قوله هذا بصورة أكثر رسوخا في قلب القارىء وفكره، فقد نقل في هامش الصفحة التي دون فيها الفقرة التي أشرنا اليها آنفا، تلك الأسطورة الفارسية التي تزعم أن سالامون (سليمان) بعث يطلب في حينه أربعمئة من الفتيات الحسناوات من الشرق • وحسبما ورد في الأسطورة ، فان العفاريت والشياطين أسروا له هؤلاء الفتيات في شمالي بلاد مابين النهرين وان الكرد من نسل أولئك •

مثل هذه التقييمات جلبت انتباه مؤلف هذا الكتاب منذ حين ودفعته لأن يولي العلاقات الكردية ـ الأرمنية ودور الكرد في مذابح الأرمن أهمية خاصة• وقد وجد ذلك صداه في الفصل الخامس من هذا الكتاب وهو الفصل الخاص بدور الكرد في مذابح الأرمن • وتشكل هذه المسألة بحد ذاتها واحدا من أهم فصول التاريخ الكردي منذ أواخر القرن التاسع‌عشر ، وقد بلغت احدى ذراها في سنوات الحرب العالمية الأولى بالذات • ولذلك فقد كرس لها مكان بارز من هذا الكتاب •

لقد حصلت الاستفادة من مصادر كثيرة ومتنوعة لدراسة موضوع الكرد ومذابح الأرمن • غير أنه ينبغي أن نشير هنا بصورة خاصة الى مصدر جد مهم ، ألا وهو كتاب « ابادة الأرمن في الأمبراطورية العثمانية » الذي نشر باللغة الروسية في العام ١٩٦٦ تحت اشراف البروفيسور نيرسيسيان • فهو يضم بين دفتيه مئات الوثائق التأريخية المهمة والتي لم يطلع عليها الا القليلون حول مذابح الأرمن • وقد جمعت هذه الوثائق من مختلف المصادر والأرشيفات[١١] • وفي هذا المصدر توجد كذلك بحوث ووثائق مهمة

(١١) مما يجدر ذكره ان المستشرق الانكليزي هربرت ايفانس نشر مقالا في العدد الثاني للعام ١٩٦٨ من مجلة ((Middle Eastern Studies))
=

حول دور الكرد وموقفهم في تلك المذابح •

لقد استهدف المؤلف في الفصل الخامس من هذا الكتاب أهدافا متعددة في مقدمتها تحديد الدور الحقيقي للكرد في مذابح الأرمن • وواضح أنه بذلك وبذلك وحده يمكننا لا الكشف عن الحقيقة وحسب ، بل والاتعاظ بعبر التأريخ كذلك •

لاشك في أن تحليل مختلف جوانب التأريخ الكردي في سنوات الحرب العالمية الأولى يفتقر الى تتاجات أخرى مثل هذا الكتاب • كما يفتقر الى دراسة الوثائق الرسمية للدولة العثمانية وبعض الدول الأوروبية التي اشتركت في الحرب ، وهي مهمة يحتاج تحقيقها الى توفر شروط خارجة عن استطاعة المؤلف وتدخل ضمن مشكلة أكبر يعاني منها مؤرخو البلدان النامية بشكل جدي • الا أن بوسعي أن أسمح لنفسي ، مع ذلك ، باعتبار هذا الجهد الذي أضعه بين أيدي القراء بمثابة مدخل غير مطروق الى هذا الموضوع الحيوي • أما مدى نجاحي فيه فمن شأن القراء والاختصاصيين الأفاضل أن يقدروه • وعلى كل حال فاني آمل أن يكون من شأن هذا الكتاب أن يملأ فراغا متواضعا في حقل الدراسات التأريخية المكرسة للبحث في جوانب مختلفة من أحداث شرقنا الملتهب ، وأن تتلوه كتب أخرى كثيرة •



=

اعتبر فيه هذا الكتاب وكتابا للمؤلف نشره باللغة الروسية حول تأريخ الكرد منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى وحتى العام ١٩٣٢ أهم نتاجين للاستشراق السوفيتي في أواخر العام ١٩٦٦ وأوائل العام ١٩٦٧ (راجع: Hurbert Evans, New Soviet Books, - ((Middle Eastern Studies)), London, Vol. 4, No. 2, January 1968, P. 173).

الفصل الأول

بداية الاطماع

ألحرب العالمية الأولى [١٩١٤ ـ ١٩١٨] واحدة من الأحداث الكبرى الحافلة بالمآسي في تأريخ الانسانية. فقد عمّ لهيب نارها ،كما شملت عواقبها، أرجاء واسعة من المعمورة . لقد اشترك في هذه الحرب خمسة وسبعون مليون جندي وضابط قتل منهم عشرة ملايين وجرح منهم عشرون مليونا أو شوهوا أو أصيبوا بعاهات مستديمة . وفضلاً عن ذلك كله فقد مات جوعا حوالي عشرة ملايين شخص خلال سنوات الحرب وأغرق ما يقارب ستة آلاف سفينة تجارية مع حمولتها في عرض البحار[١] ، مما أثر بشكل جدي على قوى الانتاج والوضع الاقتصادي ـ الاجتماعي لجميع الدول الأوروبية الكبرى . فحسب

---

(١) راجع :

Верхховский Д.В., Первая мировая война 1914-1918,-"Советская Историческая Энциклопедия", т.10, Москва, 1967, стр.1000-1001.

د. ف. فيرژخوفسكي ، الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، ـ « الانسيكلوبيديا التاريخية السوفياتية » ، الجزء العاشر ، موسكو ، ١٩٦٧ ، الص ١٠٠٠ ـ ١٠٠١ .

المعلومات التي يوردها لويد جورج ، وهو واحد من أبرز من أداروا دفة الحرب بوصفه رئيساً للوزارة البريطانية منذ أواخر العام ١٩١٦[٢] ، بلغت ضحايا فرنسا وحدها أكثر من مليون وثلاثمئة ألف قتيل وأكثر من ثلاثة ملايين وسبعمئة ألف جريح ، أي أن ٥٠٪ من الشباب الفرنسي الذين كانوا دون الثلاثين من العمر لم يعودوا من ميادين القتال . أما خسائرها المادية فقد بلغت ثماني مليارات دولار ، ولاسيما وأن أربعة آلاف قرية فرنسية وحوالي عشرين ألف مصنع ومعمل فرنسي قد سوّيت مع الأرض من جراء العمليات الحربية التي امتدت الى مناطق واسعة من البلاد[٣] . وتقدر المصادر السوفياتية خسائر روسيا البشرية فقط بحوالي مليونين وثلاثمئة ألف قتيل[٤] ، مع العلم بأنها انسحبت من الحرب قبل انتهائها بحوالي سنة ، وقد شهدت هذه السنة بالذات معارك ضارية قررت الى حد كبير مصير ميزان القوى وبالتالي كل نتائج الحرب الدائرة .

كان السبب الرئيس لنشوب الحرب العالمية الأولى اختلال توازن القوى

---

(٢) بقي في منصبه كرئيس للوزراء حتى تشرين الأول من العام ١٩٢٢ أي انه عاصر كمسؤول كبير ، اخطر مراحل الحرب واهم نتائجها التي تمخضت عن مؤتمر الصلح في باريس .

(٣) راجع :
David Lloyd George, The Truth About Peace Treaties, Vol. I, London, 1938, PP. 86 — 87.

(٤) راجع :

"Мировая война в цифрах", Москва-Ленинград, 1934, стр.21.

« الحرب العالمية بالارقام » ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٣٤ ، الص ٢١ .

بين الدول الرأسمالية الغربية الكبرى ، وكان ذلك نتيجة أن الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا المتخلفة سابقا باتتا في أواخر القرن التاسع عشر تحتلان الموقعين الأول والثاني في انتاج السلع الصناعية وأخذتا تنافسان بريطانيا وفرنسا في أسواق العالم التي كان معظمها في قبضة الأخيرتين كمستعمرات تابعة لهما . لقد أثار ذلك ألمانيا أكثر من أي دولة أخرى ، ذلك لأن انتاجها الصناعي كان أكثر بكثير من حاجة سوقها الداخلية وأسواق بعض البلدان المجاورة لها . ولذلك فقد أخذت ألمانيا تسعى بحماس للبحث هنا وهناك عن موطيء قدم لها منذ أواخر القرن الماضي ، ولكنها كانت تلقى في كل مكان مقاومة ضارية من لدن بريطانيا وفرنسا وبصورة خاصة من أولاهما التي كانت تخشى فقدان أسواقها الواسعة وباتت في أمس الحاجة الى استغلالها فاستماتت من أجل الحفاظ عليها .

شمل الصراع والتنافس فيمنطقة الشرقين الأدنى والأوسط جميع الدول الكبرى ولاسيما بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا . وكان لكردستان بوصفها جزءاً غنيا ومهما من الناحية الاستراتيجية في هذه المنطقة ، موقع خاص في مخططات الدول الكبرى سواء في سنوات ما قبل الحرب أو خلالها ، وكانت بريطانيا وروسيا وفرنسا وألمانيا تسعى منذ سنوات طويلة ، وبكل الوسائل، لتعزيز مواقعها وتثبيت أقدامها في هذه البلاد بغية الاستحواذ على ثرواتها ولربطها بأسواقها هي ، وكان النفط أحد العوامل الخفية الرئيسة في ذلك .

لم يكن القرن التاسع عشر قد انقضى بعد عندما أخذ بعض العلماء الجيولوجيين الغربيين يتحدثون عن غنى آبار « باباگرگر » النفطية غير المستخرجة . بل ان العلماء الفرنسيين [ولاسيما ج. مورغان] استطاعوا أن يعينوا حدود منخفض كركوك ــ خانقين ــ شاخ كويخا النفطي الواقع خلف

قصرشيرين ويقدروه بحوالي ٣٠٠ كيلومتر[٥] ٠ وفي العام ١٩٠٣ حصل الألمان على امتياز لاستثمار جميع الآبار النفطية الواقعـة في مدى ٢٠ كيلومترا على جانبي سكة حديد بغداد التي وضعت خطة مدها ، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد ، بحيث يمر قسم منها عبر أراضي كردستـان ٠ وبعد ذلك بعـام منحوا امتيازاً آخر لاستثمار النفط في ولاية الموصل ٠ وفي الوقت نفسه كانت شركة دارسي البريطانية تسعى بدورها للاستحواذ على نفط هذه المنطقة ٠ وفي العام ١٩٠٦ بدأ العثمانيون مفاوضات معها بهذا الشأن ٠ وكان الأمريكان يبذلون جهودهم كذلك للغرض نفسه ، بل ان روزفلت بعث الأدميرال چيستر الى استانبول لهذا الغرض في العـام ١٩٠٨ كممثل خاص عنه[٦] ٠ وبعـد مرور

(٥) راجع :

Адамов А., Ирак Арабский. Бассорский вилайэт в его прошлом и настоящем, Петербург, 1912, стр.26.

ا. اداموف ، العراق العربي، ولاية البصرة في امسها ويومها، بطرسبورغ، ١٩١٢ ، الص ٢٦ (في الهوامـش القـادمة ... A. Adamov, Iraq)
(اقتبس اداموف هذه المعلومات من كتاب مورغان :
J. de Morgan, Mission Scientifique en Perse. Etudes Geographiques, T. II, Paris, 1895, P. 86).

(٦) راجع : حكمت سامي سليمان ، النفط في العراق ، دراسـة سـياسية واقتصادية ، بغـداد ، ١٩٥٨ ، الص ٢١ ـ ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٠ ـ ٣١ ٠
وكذلك راجـع :

Данциг Б.М., Ирак в прошлом и настоящем, Москва, 1960, стр.176-177.

ب. م. دانتسيگ ، العراق امس واليـوم ، موسـكو ، ١٩٦٠ ، الص ١١٧ ـ ١٧٦ ٠

حوالي عام على المفاوضات والاتصالات على مختلف الأصعدة توصل هذا المندوب الى عقد اتفاق مع الدولة العثمانية يقضي بمنح الأمريكان امتيازا لبناء ميناء وثلاث خطوط حديدية مع حق التنقيب عن المعادن لمسافة عشرين كيلومترا على جانبي الخطوط الثلاثة . وقد وقع الاتفاق عن الجانب العثماني وزير الأشغال العامة في التاسع من مارس من العام ١٩١٠ . وفي سبيل نقل مضمون الامتياز الى حيز التنفيذ أسس چيستر شركة الانماء العثمانية ــ الأميركية[٧] Ottoman — American Developmenm Company الا أن الحرب التركية ــ الايطالية وحرب البلقان وأخيرا الحرب العالمية الأولى ، الى جانب مقاومة الألمان والفرنسيين،حالت دون تنفيذ المشروع الذي دشن على أي حال بداية اهتمام الأمريكان المباشر بنفط المنطقة . وقد تحول فيما بعد الى سابقة حاول المسؤولون الأمريكان استغلالها في سياستهم النفطية تجاه الشرق الأوسط .

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد . فقد نشبت صراعات بين الدول الغربية في سبيل بترول ولاية الموصل كجزء حساس من الشرق الأوسط،وأخذ البعض منها يحيك المؤآمرات للبعض الآخر . لكن الشركات الانكليزية والألمانية المتنافسة والتي بلغت الخصومة بينها ذروتها وجدت نفسها في دوامة صراعاتها مضطرة في خاتمة المطاف لأن تتحد فيما بينها لتستحوذ على نفط المنطقة . وهكذا فقد أسست بريطانيا وألمانيا في العام ١٩١١ شركة خاصة أطلقتا عليها في السنة التالية اسم شركة النفط التركية . وقد استطاعت هذه الشركة قبل نشوب الحرب بفترة وجيزة أن تحصل على امتياز من الدولة العثمانية

---

(٧) راجع :
Ch. W. Hamilton, Americans and Oil in the Middle East, Houston, 1962, PP. 81 — 82.

لاستخراج النفط في ولاية الموصل . الا أن نشوب الحرب العالمية الأولى أدى الى حدوث تطورات كبيرة في هذا المجال وعادت بريطانيا وألمانيا تسعيان مجددا خلال سنوات الحرب من أجل تحقيق مآربهما كل على حدة . وقد وضع الانكليز يدهم في أول يوم بعد اعلان الحرب على حصة الألمان في شركة النفط التركية ، وبدأ الألمان العمل بصورة منفصلة . ووفق ماتذكره بعض المصادر ، فأنهم أخذوا يحفرون الآبار في منطقة زاخو ويستخرجون النفط منها[٨] .

وهكذا فقد كان دور النفط ، بوصفه قوة محركة كبرى في سياسة الدول الغربية ازاء المنطقة ، في تعاظم مستمر ، وكان يحركها في سنوات الحرب أشد من ذي قبل بغية الاستحواذ على أرض كردستان بأي صورة كان .

كان الموقع الأستراتيجي لكردستان في قلب الشرق الأوسط قوة مؤثرة أخرى ذات أهمية في تحديد سياسة تلكم الدول ازاء مستقبلها . وقد تجلى ذلك بوضوح قبل الحرب وخلالها في مشروع سكة حديد بغداد[٩] الذي يملك

---

(٨) راجع : يوسف ابراهيم يزبك ، النفط مستعبد الشعوب ، الجزء الأول، بيروت ، ١٩٣٤ ، الص ١٦٩ ــ ١٧١ .

(٩) « سكة حديد بغداد » مشروع معروف في التأريخ ، وكان احد الوجوه المهمة لمساعي الدول الغربية لتثبيت سيطرتها السياسية والاقتصادية في الشرقين الأدنى والأوسط . كان من المقرر ان تربط هذه السكة ، بكيلومتراتها البالغة حوالي ٢٤٠٠ كيلومتر ، بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي. ولتحقيق هذا الهدف كان ينبغي للسكة ان تجتاز قسما من تركيا وكردستان وسوريا وبلاد مابين النهرين . ومنذ أواخر القرن التاسع عشر اخذت المساعي الالمانية المتشعبة لاقامة سكة حديد بغداد واستخدامها ، تؤدي بصورة خاصة الى تعميق التنافس بين الدول الكبرى من اجل الاستحواذ على الشرق الأوسط ، ولاسيما وأن الألمان كانوا يبغون من وراء انشاء هذه السكة تهديد النفوذ البريطاني في الهند ومصر والنفوذ الروسي في منطقة القفقاس وأواسط آسيا. ومن هنا فان

هو الآخر تأريخا طويلا تعود بداياته الى النصف الثاني من القرن الماضي ، عندما بدأ وضع العديد من الخطط من أجل ربط البحر الأبيض المتوسط بالخليج العربي عبر خط حديدي . ان مايجب ملاحظته بهذا الصدد هو أن جزءاً من هذه السكة كان ينبغي مده عبر المناطق الكردية بموجب غالبية هذه الخطط . وعلى سبيل المثال فقد كان من المقرر أن تمر السكة الحديد التي وضع مشروعها لوفيت كاميرون في العام ١٨٨٠ بمناطق أورفه وماردين والموصل وتتجه من هناك الى بغداد حيث تمتد الى الخليج(١٠) .

كان الألمان الذين أخذ نفوذهم يتسع يوما بعد يوم في تركيا منذ أواخر القرن التاسع عشر ، يولون أهمية جد كبيرة لمد سكك حديد في البلاد العثمانية ، فقد كان لمد السكك أهمية بالغة بلاريب بالنسبة للمصالح الألمانية في الشرق الأوسط ، ولاسيما وأن برلين واستانبول كانتا مربوطتين ببعضهما منذ زمن بعيد من خلال السكك الحديد . وقد حصلت الشركات الألمانية على امتياز لمد عدد من الخطوط الحديد واستخدامها ، وأخيرا فانها منحت في

=
بعض المؤرخين يعتبرون هذا المشروع واحدا من الأسباب الرئيسة لاندلاع الحرب . (حول « سكة حديد بغداد » ولمعرفة المزيد عنها ، راجع : الدكتور لؤي بحري ، سكة حديد بغداد ، بغداد ، ١٩٦٧ . وراجع كذلك :
Zaki Saleh, Mesopotamia. Iraq 1600 — 1914, Baghdad, 1957.
وراجع ايضا :

Аветян А.С., Германский империализм на Ближнем Востоке, Москва, 1966, стр.24-35.

ا. س. آفيتيان ، الامبرياليزم الالماني في الشرق الأدنى ، موسكو ، ١٩٦٦ ، الص ٢٤ ــ ٣٥ . (في الهوامش القادمة : ... A. S. Avetian)

(١٠) راجع : Zaki Saleh, Op. Cit., PP. 258 — 9)

الخامس من مارس من العام ١٩٠٣ امتيازا لمد سكة حديد بغداد والذي كان قد فكر فيه من قبل عديد من مسؤولي الدول الكبرى • ومن الجدير بالذكر أن خبراء عديدين كانوا قد وضعوا خططا لمد سكة حديد بغداد ، وكان ينبغي لهذه السكة أن تمر ، وفق مختلف هـذه الخطط ، عبر كردستان • وطبقا لواحدة من هذه الخطط ، وكان قد أطلق عليها اسم « الخطة الشمالية » ووضعت في العام ١٨٩٣ ، كان ينبغي لسكة حديد بغداد أن تمر بمدينة سيواس حيث يتفرع منها فرع يتجه الى أرزنجان وأرضروم وبايزيد ، وآخر الى خربوط ودياربكر حيث يمتد جنوبا حتى بغداد • لقد اعترضت هذه الخطة عقبات عدة منها عدم ارتياح روسيا ووعورة جبال أرمينيا وكردستان • ولذلك فان الخبراء أعدوا في العام ذاته خطة أخرى أطلقوا عليها اسم « الخطة الوسطى » • وبموجب هـذه الخطة كان من المقرر للسكة أن تمر بآنقرة وقيصرية لتصل الى ملاطية ودياربكر ثم تتجه جنوبا الى بغداد فالخليج • ولكن مشاكل تكنيكية معينة أدت الى اهمال تنفيذ هذه الخطة ، حيث حلت محلها خطة ثالثة عرفت باسم « الخطة الجنوبية » • وكان ينبغي للسكة المقترحة بموجب هذه الخطة أن تمر عبر مرعش وأورفه ودياربكر وماردين والموصل وكركوك حيث تصل من هناك الى بغداد فالبصرة والكويت[11] •

كان من المقرر وفق الخطة الأخيرة التي وضعت قبل الحرب بفترة وجيزة من قبل الألمان ، أن تمر سكة حديد بغداد بأراضي كردستان أيضا عبر مدينة نصيبين • وقد زارت لجنة ألمانية مختصة برئاسة القنصل الألماني العام في استانبول عدة أماكن في كردستان أكثر من مرة بغية دراسة ظروف هذه المناطق من مختلف الوجوه •

(١١) راجع : A. Adamov, Iraq . . . , PP. 536 — 537

شرع الألمان في مد سكة حديد بغداد بحماس . وفي العام ١٩٠٩ أعلنوا باعتزاز أنه قد أنجز مد ٩٤٦ كيلومترا من هذه السكة ، وأن مد ٤٧٠ كيلومترا آخر منها على وشك الانجاز ، وأن مد القسم المتبقي أسهل من الأقسام الأخرى كلها[١٢] . وبمقدار ما كانت الحرب تقترب ، كانت جهود الألمان لانجاز العمل تتضاعف . كما كانت مخاوف الانكليز والروس[١٣] والفرنسيين تشتد وتزداد هي الأخرى ، بل انهم كثيرا ما كانوا يضطرون للدخول في مباحثات مع الألمان والترك[١٤] . الا أن هذه المحادثات ، بل ان أحداث الحرب العالمية الأولى نفسها لم تثن الألمان عما أقدموا عليه ، أو أنها كانت ، على العكس ، حافزا لهم على مضاعفة الجهود لانجاز العمل في وقت مبكر . ففي بداية الحرب أخذوا يستعدون لمد ذلك القسم من السكة الذي يمر عبر المناطق الكردية وامتداداتها الجنوبية . وقد أنجزوا الجزء الواقع بين بغداد وسامراء وبدأوا العمل من سامراء باتجاه الشمال ومن بغداد باتجاه الجنوب . وقد استخدموا لهذا

(١٢) راجع : Zaki Saleh, Op. Cit., P. 281

(١٣) للتفصيل راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 25 — 33

(١٤) لقد اصاب الهلع الروس الى حد كبير من جراء خطط الالمان لمد سكة حديد بغداد . فقد كانوا يرون فيه عاملا لاضعاف نفوذهم السياسي والاقتصادي ليس في آسيا الصغرى وحسب ، بل وفي غربي ايران كذلك، ولاسيما في آذربايجان وكردستان. وقد اشار أحد الاختصاصيين الروس بوضوح الى هذه النقطة في العام ١٩٠٨ ودعا المسؤولين في بلاده الى تدارك الموضوع قبل فوات الاوان (راجع :

Инженер Лебедев Ю., Багдадская железная дорога и современное состояние её строительства, Петербург, 1908, стр.3.)

المهندس يو. ليبيديف ، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم ، بطرسبورغ ، ١٩٠٨ ، الص ٣) .

الغرض العديد من العمال الأكراد ، فكان عملهم مثار اعجاب الألمان وحسن تقديرهم[١٥] •

وهكذا فان ثروات كردستان الطبيعية وموقعها الأستراتيجي كانت تجلب اليها اهتمام الدول الكبرى يوما بعد يوم أكثر من ذي قبل • وقد أدى ذلك لأن تولي هذه الدول ولاسيما ألمانيا وبريطانيا وروسيا انتبـاهاً كبيرا لتثبيت مواقعها في كردستان • وقد تجلى ذلك في سـنوات ما قبل الحرب وخلالهـا بوضوح •

وبسبب من الصلات الوثيقة التي كانت للألمان بالأوساط العثمانية الحاكمة، فقد كان بوسعهم التغلغل في كردستان بسهولة • والواقع أن اهتمام المسؤولين والرحالة الألمان بالشعب الكردي يعود الى مـا قبـل الحرب العالمية الأولى بفترة طويلة • فهناك مصادر ألمانية عديدة من القرن الثامن عشر فما بعد كتبها الرحالة والمستشرقون الألمان ، تبحث ، من بين ماتبحث ، عن قضايا تتعلق بتأريخ الكرد ولغتهم وعاداتهم وحياتهم السياسية والاجتماعية[١٦] • وقد برز من بين هـؤلاء بعض العلماء الذين خلفوا آثارا قيمة ، منهـم البروفيسور أوسكرمان والبروفيسور هارتمان وهوگو ماكاس وغيرهم •

كان من الطبيعي أن يزداد اهتمام الألمان بالكرد بشكل متواز مع ازدياد نفوذهم في الأمبراطورية العثمانية وبتوافق مع اقتراب الحرب العالمية الأولى

(١٥) راجـع :
Dagobert von Mikusch, Mustapha Kemal Between Europe and Asia, (Translated by John Linton), London, 1931, P. 360.

(١٦) لمزيد من التفـاصيل ، راجع : الدكتور جمـال نبـز ، لمحة عـن تاريخ الدراسات حول الكرد في ألمانيا ، ــ « مجلة المجمع العلمي الكـردي » ، المجلد الثاني ، العدد الأول ١٩٧٤ ، الص ٤١٣ ــ ٤٩٨ (باللغة الكردية وملخصه باللغة العربية) •

وتعمق التناقضات التي أدت الى انفجارها • فمنذ العقود الأولى من القرن الماضي بدأ الاحتكاك المباشر لكبار المسؤولين الألمان الذين كانوا يشرفون على أجهزة الدولة العثمانية الحساسة بالشعب الكردي وبأشكال شتى • وهنا يكفي القول أن العسكري الألماني المعروف الفيلد مارشال هيلموث فون كارل مولتكه [١٨٠٠ ــ ١٨٩١] الذي[١٧] استعان به الباب العالي خلال الفترة من العام ١٨٣٤ حتى العام ١٨٣٩ لتنظيم الجيش العثماني وفق أساليب عصرية ، اضطر للخوض ، كمفتش في جيش حافظ باشا ، في معارك ضد الأكراد المنتفضين بوجه السلطة العثمانية آنذاك ، فانعكس ذلك في انطباعات سجلها ضمن رسائله وكتاباته التي قدم من خلالها صورا واقعية عن الظروف الصعبة التي كان يعيشها الشعب الكردي في ظل حكم سلاطين آل عثمان المتخلفين وعن نضاله الدؤوب مــن أجل الانعتاق ، شــأنه في ذلك شأن ســائر شعوب الأمبراطورية ، رغم أنه ــ أي الفيلد مارشال ــ حاول فيها اعطاء تبريرات معينة لتصرفات السلطات العثمانية في تعاملها مع الثوار الكرد ومع السكان الآمنين[١٨] • ومن الافادة بمكان أن نذكر هنا أن هذا الفيلد مارشال الألمــاني

(١٧) يعتبر الفيلد مارشال مولتكه من ابرز القادة العسكريين الألمــان ، وكان على اتصال وثيق ببسمارك وبشخص الأمبراطور الألماني . ترأس القيادة العامة للجيش في الفترة من العام ١٨٥٧ حتى العام ١٨٨٨ . وتشــكل هذه الأعوام مرحلة جد حساسة في تاريخ المانيا السياسي والعسكري ، حققت خلالها القوات الألمانية انتصارات حاسمة على الدانيمارك والنمسا وفرنسا بشكل اثر في ميزان القوى على صعيد القارة الأوروبيــة كلهــا بحيث ظلت آثارها تحرك الأحداث الدولية حتى الحرب العالمية الأولى .

(١٨) طبعت رسالة مولتكه لأول مرة باللغة الألمانية ثم ترجمت الى العديد من اللغات الأخرى ، وهي تعتبر من المصادر الأصيلة لدراسة قضايا مهمة من التاريخ السياسي والعسكري للأمبراطورية العثمانية خلال العقد الرابع من القرن الماضي . عن اشتراك مولتكه في الحركات العسكرية ضد =

الذي اشترك مع الجيش العثماني في قمع الانتفاضات الكردية ، لعب كذلك دورا ملموسا في العمليات الحربية ضد طموحات الشعب العربي والتي تجسدت آنذاك بشكل أو بآخر في توجهات محمد علي الكبير ضد السيطرة العثمانية.

وقبل أن تبدأ الحرب العالمية الأولى ، جاب عدد من الضباط الألمان في المناطق الكردية ونشروا بحوثا عن وضعها الاستراتيجي والسوقي مولين دراسة طرق المواصلات فيها جانبا من اهتمامهم ، وبشكل خاص تلك التي كانت تؤدي الى مناطق الحدود الروسية ، فقام ولهلم باخمان ، مثلا ، بوضع تقرير عن الطرق الممتدة بين مدينتي الموصل ووان ، أفاد الألمان في سنوات الحرب . وقد استطاع أحد ضباطهم ، وكان يدعى گوربرود ، أن يصل الى انحاء معينة من كردستان لم يصل اليها قبله أي أوروبي ، فالتقط صورا ورسم خرائط لبعض الأماكن كانت الأولى من نوعها[١٩] . وفي الفترة ذاتها كان القنصل الألماني في أرضروم أنديرس يمارس نشاطه ويقوم برحلات في المديد من

=

الاكراد خلال فترة عمله في تركيا ، راجع :

Джалиле Джалил, Курды Османской Империи в первой половине XIX века, Москва, 1973, стр. 108, 115, 119, 121 и др.

الدكتور جليلي جليل ، اكراد الأمبراطورية العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٧٣ ، الص ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢١ وغيرها . (في الهوامش القادمة : J. Jalil, Kurds . . .).

(١٩) راجع :

Лазарев М.С., Курдистан и курдская проблема(90-е годы XIX века-1917), Москва, 1964, стр.274.

=

المناطق القريبة بما فيها بعض المدن الكردية مثل درسيم وخربوط وغيرهما مقيما الصلات عن قرب مع العديد من الرؤساء الأكراد .

لاشك في أن هدف الألمان من مثل هذه الرحلات والجولات لم يكن محصورا في المغانم السياسية . فقد استطاعوا ايجاد مواطىء أقدام لهم في الحياة الأقتصادية للمناطق الكردية كذلك . وعلى سبيل المثال فان مدينة شنو في كردستان الأيرانية باتت قبل الحرب مركزا كبيرا لشراء الصوف من قبل الألمان ، حيث كانوا ينقلونه من هناك الى معملهم الذي أقاموه في تبريز لصناعة السجاد . ومما يجلب الانتباه بهذا الصدد أن الألمان كانوا يزينون مراكزهم التجارية التي أقاموها في مدن كردستان وآذربايجان ومناطق أخرى بأعلام بلادهم[٢٠] وكان للمناطق الكردية الداخلة ضمن الأمبراطورية العثمانية نصيبها من التغلغل الاقتصادي الألماني العارم في البلاد ، فقد ازداد التبادل التجاري مع ألمانيا خلال ثلاثة عقود فقط [من العام ١٨٨٠ حتى العام ١٩١١] بمقدار ٢٢ مرة[٢١] وهي رقم قياسي في مجالها .

=

الدكتور م. س. لازاريف ، كردستان والمشكلة الكردية من تسعينيات القرن التاسع‌عشر حتى العام ١٩١٧ ، موسكو ، ١٩٦٤ ، الص ٢٤٧. (في الهوامش القادمة : M. S. Lazarev, Kurdistan . . .).

(٢٠) Ibid, PP. 249 — 262.

(٢١) راجع :

Новичев А.Д., Очерки экономики Турции до мировой войны, Москва-Ленинград, 1937, стр. 181.

أ. د. نوفيچيف ، دراسة اقتصاد تركيا قبل الحرب العالمية ، موسكو ــ لينينغراد ، ١٩٣٧ ، الص ١٨١ . (في الهوامش القادمة : A. D. Novichev, Ocherki . . .).

كان اهتمـام الألمان بالكرد وبلادهم يشكل قبيل الحـرب جزءا من سياستهم العامة تجاه الأمبراطورية العثمانية ، والتي كانت تستهدف تحويل كل أصقاعها ، بما فيها تركيا نفسها ، الى مستعمرة ألمانية . ومن هذا المنطلق وقف المسؤولون الألمان بحماس ضد خطط الدول الغربية الأخرى التي كانت تستهدف تقسيم ممتلكات « الرجل المريض » بما فيها المناطق الكردية ، وقد أكدوا على ذلك بكل صراحة في العديد من وثائقهم الرسـمية ومن خـلال اتصالاتهم المباشرة بالأوساط الحاكمة في الدول الأوروبية الأخرى[٢٢] .

دخل تغلغل الألمان في كردستان واهتمامهم بها خلال سنوات الحرب العالمية الأولى مرحلة جديدة ارتبطت بعوامل عديدة يأتي في مقدمتها تحول هذه البقعة الى أحد ميادين القتال في الشرق الأوسط وعلى مقربة من حدود أحد أعدى أعدائهم بالذات ونعني به روسيا . ومنها أيضا الانتصارات التي حققتها القوات الروسية في بعض المواقع الحربية في البداية ومن ثم انسحاب روسيا من الحرب اثر انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية فيها ، وارتبطت كذلك باقتراب القوات البريطانية من المناطق الكردية وبتحرك العناصر غير التركية داخل الأمبراطورية العثمانية وبغيرها من العوامل . ومن جملة اجراءاتهم لكسب ود الأكراد أنهم بدأوا يسعون أثناء الحرب لنشر بيانات دعاة الجامعه الاسلامية وسائر مطبوعاتهم في جميع أرجاء كردستان الايرانية ، وكانوا يبغون من وراء ذلك كسب عطف الناس الى جانب الدولة العثمانية وابعادهم عن روسيا . وقد بدأ ينشط في الشرق الأوسط لهذا الغرض عدد من رجالهم النشطين من أمثال شيونمان وليتين وغيرهما . ومما يجدر بالذكر أن جهود الألمان في هذا المجال لم تذهب سدى ، فقد استطاعوا بمساعدة عدد من رؤساء القبائـل الكردية في منطقة كرمنشاه قطع صـلات الجيش الروسي

(٢٢) راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 17 — 19

بالجيش البريطاني في جنوبي العراق حتى العـام ١٩١٦ ، وهو ما نعـود الى تفاصيله فيما بعد .

كان الانكليز كذلك يولون من الأهمية لكردستان ومنذ زمن ماكان يوليه اياها الألمان بل وأكثر . فمنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر أخذ رجال شركة الهند الشرقية[٢٣] يتجولون في كردستان . وفي العام ١٧٥٨ سار طبيب تابع لهذه الشركة حتى ماردين عن طريق كركوك . وبعده بفترة ، تجول عدد آخر من موظفي الشركة ذاتها (وهم د. كامپيل و ت. هاول وغيرهما) في مناطق أخرى من كردستان[٢٤] . وفي العام ١٨٢٠ قام ممثل هذه الشركة

(٢٣) « شركة الهند الشرقية » شركة انكليزية معروفة اسسها عدد من التجار البريطانيين المعروفين في العام ١٦٠٠ بهدف تعزيز روابط اوروبا مع الهند وجنوبي شرقي آسيا والصين وتطويرها . وقد تحولت شيئا فشيئا الى مؤسسـة حكومية يحق لها اعلان الحرب واصـدار العملة وتشكيل المحاكم وماشابه . وبعد أن اقامت عدداً من المعامل في الهند اخذت تتغلغل في اماكن اخرى عديدة من الشرقين الأدنى والأوسط . وقد لعبت هذه الشركة حتى اواسط القرن الماضي دورا بارزا في بث النفوذ السياسي لبريطانيا في عدد كبير من بلدان الشرق مما اثار حفيظة شعوب تلك البلدان ، فاضطر الانكليز الى تصفيتها اثناء انتفاضة الأعوام ١٨٥٧ ــ ١٨٥٩ في الهند .

تمكنت هذه الشركة من ايجاد موطىء قدم لها في العراق في وقت مبكر . وقد ارتبط ذلك الى حد كبير بتحول هذه الشركة الى اداة فعالة للتغلغل البريطاني في مناطق حوض الخليج العربي ، وكان نفوذها يتسع يوما بعد يوم ، بحيث انه لولا مساعدات هذه الشركة لما عيّن سليمان باشا الكبير واليا على بغداد فيالعام ١٧٨٠، ولما أزيح سليمان باشا الصغير عن منصب الولاية في العام ١٨١٠ واكثر من ذلك لم يعلق على أعواد المشانق الا تحقيقا لرغباتها كذلك . وكانت هذه الشركة تسعى في الوقت نفسه للوصول الى كردستان عن طريق بغداد .

(٢٤) انظر بشأن هؤلاء وعدد آخر من الرحالة الأوروبيين :
S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, London, 1925, PP. 334 — 340.

أيضا في بغداد كلوديوس جيمس ريج بجولة واسعة في مناطق مختلفة من كردستان الجنوبية والشرقية[٢٥] ، وكان من نتائج هذه الرحلة أن ألف كتاباً كبيرا حول الكرد وبلادهم[٢٦] . وقد أقام ك. ج. ريج خلال رحلته هذه صلة عن كثب مع بعض الرؤساء الكرد المعروفين لاسيما في منطقة السليمانية وسنندج ، ورسم لأول مرة خرائط لبعض المواقع في كردستان ، كما تحدث في كتابه باسهاب عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أصقاع كردية شتى .

ومما يجدر ذكره أن عددا من الضباط الانكليز أيضا أخذوا في القرن التاسع عشر بالتجوال في أنحاء كردستان . ففي العام ١٨٣٦ زار الضابط البريطاني راولنسن وبعده بمدة الميجر ف. ميللينگن نواحي عديدة وجمعوا حولها مواد قيمة نشروا بعضاً منها[٢٧] .

---

(٢٥) كان ريج قد مر بكردستان قبل رحلته هذه مرات عديدة . وكانت حياة الاقليات الكردستانية قد جلبت انتباهه منذ حين من الزمن خلال سفراته من بغداد الى استانبول .

(٢٦) C. J. Rich, Narrative of a Residence in Kurdistan, Vol. I — II, London, 1836 (808 P.)

ترجم المجلد الأول من هذا الكتاب الى العربية من قبل اللواء بهاءالدين نوري وطبع في العام ١٩٥١ تحت عنوان « رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ » ويقع في ٣٥٩ صفحة . ونشر في العام ١٨٣٦ ، وهو عام صدوره باللغة الانكليزية ، باللغة الفرنسية ايضا :

C. J. Rich, Relation d'une residence dans le Kourdistan l'emplacement de l'antique Ninive etc., London, 1836 (398 P.)

(٢٧) راجع :

H. C. Rawlinson, Notes on a Journey from Tebriz through Persian Kurdistan . . . , — ((The Journal of the Royal Geographical Society)), London, Vol. X, 1840.

تحدث راولنسن قبل هذا أيضا باختصار عن الكرد وكردستان في

=

وفضلا عن هؤلاء فان كثيرين من الرحالة الانكليز الذين دخلوا ايران وتركيا ، زاروا المناطق الكردية كذلك وتحدثوا في كتاباتهم ، قليلا أو كثيرا ، عن الحياة الاجتماعيــة والاقتصادية للأكراد • وعلى ســبيل المثال فان ج• موريير[٢٨] و ج• كينر[٢٩] تحدثا في كتابيهما الذين ترجمــا بعد عــام أو عامين من صدورهما الى الفرنسية والألمانية عن وجوه مهمة عديدة من حياة الشعب الكردي وبلاده •

تضاعف اهتمــام الانكليز بكردستان منذ الســنوات الأولى للقرن العشرين ، وكان ذلك نتيجة لاكتشاف النفط والاهتمام البالغ الذي أولوه لما بين النهرين، حيث كانوا يريدون أن يتخذوا منه ومن كردستان العراق قاعدة

=

مقال آخــر لــه كذلك عــدة مرات . (انظر المجلــة المذكورة ، المجلد التاسع ، السنة ١٨٣٩) ؛

F. Millingen, The Wild Life among the Koords, London, 1870.

(٢٨)

J. Morier, Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople in the Years 1808 and 1809, London, 1812; J. Morier, A Second Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople between the Years 1810 and 1819, London, 1818.

تحدث موريير في الفصلين الســادس عشر والسابع عشر من كتابه الأول عن المناطق التي مر بها من كردستان ، كما نشر في كتابه الآخر معلومات كثيرة حول أثنوكرافيا الكرد وتأريخهم .

(٢٩)

J. M. Kinner, A Geographical Memoir of the Persian Empire, London, 1813; J. M. Kinner, Journey through Asia Minor, Armenia and Koordistan in the Years 1813 and 1814, London, 1818.

مهمة لبث نفوذهم في الشرقين الأدنى والأوسط والحفاظ عليه فيهما . وفي هذه الآونة كان عدد الانكليز الذين يفدون الى كردستان ويتجولون فيها في ازدياد ، وكان يعينهم على دراسة حياة الكرد وتفهم أوضاع بلادهم من كل الوجوه ، الى حد كبير ، أن بعضهم كانوا قد تعلموا اللغة الكردية . ورحلة الميجر سون المعروفة وكتاباته[٣٠] نماذج جلية وصارخة في هذا المضمار .

كان الميجر سون قد قضى سنة في كرمنشاه [١٩٠٦ ــ ١٩٠٧] وتعلم

(٣٠) فيمايلي سرد لأعمال الميجر سون التي تحتل موقعا بارزا في ميدان الدراسات الكردية :

1 — ((To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise)). London, 1912 (Second edition, 1926 - 421 P.) ;

2 — ((A Southern Kurdish Folksong in Kermanshahi Dialect)), JRAS, 1909, PP. 35 - 51;

3 — ((Notes on a Kurdish Dialect, the Shadi Branch of Kermanji)), JRAS, 1909, PP. 895 - 921 ;

4 — ((Notes on a Kurdish Dialect, Sulaimania (Southern Turkish Kurdistan))), JRAS, 1912, PP. 891 - 940 ;

5 — ((Grammar of the Kurmanji or Kurdish Language)), London, 1913, P. 13 + 289 ;

6 — ((Elementary Kurmanji Grammar)), Baghdad, 1919, 197 P.;

7 — ((Kitabi Awalamini Qiraati Kurdi)), Baghdad, 1920 ;

8 — ((A Short Anthology of Guran Poetry)), JRAS, January, 1921, PP. 57 - 81 ;

9 — ((Notes on the Phonology of Southern Kurmanji)), JRAS, April, 1922, PP. 191 - 226.

وللميجر سون بعض الدراسات الأخرى عن العشائر الكردية وله كذلك عدد كبير من التقارير الرسمية المهمة .

اللغة الكردية هناك بصورة جيدة[٣١] بحيث انه تمكن فيما بعد من الاشراف المباشر على اصدار عدد من الصحف الكردية[٣٢] التي تميزت بخصائص جعلتها بمثابة نقطة تحول في تأريخ الصحافة الكردية . باشر الميجر سون بعد ذلك جولته في كردستان الجنوبية ودرس الحياة الكردية والوضع في كردستان عن قرب وأقام صلة جد وثيقة مع بعض من رؤساء الجاف[٣٣] . لقد احتل ذلك كله ، كما احتلت كتاباته فيمابعد ، موقعها المناسب بالنسبة للانكليز[٣٤].

---

(٣١) حول معرفة الميجر سون باللغة الكردية ، كتب المؤرخ الكردي المعروف الأستاذ محمد أمين زكي ، يقول : « هذا الفاضل يعرف اللغة الكردية كاحد ابنائها ، بل انه اعلم بها من كثير من علماء الكرد انفسهم » [محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، الص ٣٢٥ . (في النص الكردي المجلد الاول ، الجزء الثاني ، الص ٢٩١)] . وكمثال على مدى تمكن الميجر سون من اللغة الكردية نذكر انه ترجم الى اللغة الكردية عددا من آيات القرآن الكريم ترجمة واضحة ومفهومة ، وهو أمر يعجز عنه الكثيرون ، وقد نشر ترجمته هذه في جريدة (پيشكەوتنى سليماني ــ تقدم السليمانية) . (راجع جريدة پيشكەوتنى سليماني ، العدد ٢٥ ، ١٤ اكتوبر ١٩٢٠) .

(٣٢) مثل جريدة « تيگەيشتنى راستى » (فهم الحقيقة) التي نعود الى الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد ، والجريدة الأسبوعية « پيشكەوتنى سليماني » (تقدم السليمانية) التي أصدرها مصطفى باشا ياملكي منذ اواخر نيسان من العام ١٩٢٠ بتشجيع مباشر من الميجر سون ، الذي كان حاكما سياسيا في السليمانية آنذاك واشترك شخصيا في تحرير الجريدة وتوجيهها .

(٣٣) مما يجدر ذكره أن الميجر سون كان ، قبل أن يبدأ رحلته عبر كردستان ، موظفا في شركة النفط الانكليزية ــ الفارسية. وبعد أن انهى رحلته، اخذ في البحث عن مكامن النفط في المناطق المحيطة بقصر شيرين وخانقين ، بأمر من الشركة المذكورة .

(٣٤) ليس قصدنا من هذا التقليل من القيمة العلمية الكبيرة جدا لاعمال عدد من الرحالة الأوروبيين ونتاجاتهم ، والتي مايزال الكرد وعلماء الدراسات الكردية يستفيدون منها لحد الآن من نواح عديدة ، فهي غالبا ما تشكل مصادر أصيلة لاغنى للباحث عنها .

وقد أوكل الى سون قبيل انتهاء الحـــرب أمر تنفيذ بعض المهام الخطيرة في المنطقــة • فما ان تم احتـــلال بغـــداد من قبـــل الجيـــش البريطـــاني حتى توجه سون نحو خانقين • وبعد انتهاء الحرب لعب سون ، بوصفه الضابط السياسي البريطاني ، دورا بارزا في تثبيت النفوذ البريطاني في كردستان العراق • لقد كانت أعمال سون ، كما يقول الكاتب الانكليزي ارنست مين ، « بمثابة أعمال لورنس من حيث الأهمية ، وان كانت أقلّ منها شهرة »[٣٥] •

ومع أن الانكليز كانوا يولون أهمية أكثر لكردستان الجنوبية مما كانوا يولونه لأجزاء كردستان الأخرى ، الا أنهم لم يغفلوا تلك الاجزاء أيضـــا ، حيث احتلت هي كذلك مكانا بارزا في خططهم • ولذلك فقد كان عدد كبير من الرحالة والموظفين الانكليز يصلون ســرا أو جهرا وبعد جهد جهيد في سنوات ماقبل الحرب وسنوات الحرب ذاتهـــا الى المناطق الأكثر أهمية في كردستان ، بل كان بعضهم يصلون الى زوايا في تلك المناطق لم تطأها قبلهم قدم أي أجنبي • ففي أثناء رحلة الميجر سون قام الموظف السياسي البريطاني مارك سايكس برحلة طويلة مداها ٧٥٠٠ ميل في كردستان الشـــمالية ودرس عن كثب حياة عدد جد كبير من القبائل الكردية وأمعن النظر في حياة المناطق التي تقطنها تلك القبائل من مختلف الوجوه • ان المعلومات التي جمعها مارك سايكس في رحلته والتي نشر البعض منها[٣٦] كانت مفيدة لكل الأشخاص

(٣٥) E. Main, Iraq from Mandate to Independence, London, 1935, P. 51.

(٣٦) M. Sykes, The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, - ((The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland)) ; Vol. XXXVIII, 1908 (July to December), M. Sykes, The Caliphs Last Heritage. A Short History of the Turkish Empire, London, 1915, PP. 553 - 588.

والجهات التي كانت تولي الاهتمام لكردستان ومستقبلها .

كان تردد الانكليز على كردستان وتحركاتهم فيها تزداد باقتراب الحرب ويتسع مداها ، كما كانت أهدافهم الحقيقية تتضح أكثر فأكثر ، مثلما كان الأمر في معظم أرجاء الشرقين الأدنى والأوسط الأخرى . وقبيل ابتداء الحرب أخذ نائب القنصل البريطاني في وان يقيم صلات قريبة مع الرؤساء المتنفذين في منطقة بدليس . ومن جهة ثانية فان القنصلين البريطانيين في دياربكر والموصل أخذا يبثان الدعاية بهمة ونشاط ضد روسيا التي كانت تتطلع ، كما سنذكر ذلك فيما بعد ، نحو كردستان الشرقية والشمالية . كل هذه العوامل جعلت الناس في مختلف الجهات يعتقدون أن الشرق الأوسط كله سيقع في مستقبل جد قريب تحت السيطرة البريطانية مباشرة[٣٧] . واستطاع الانكليز بهذه الأساليب وبتأثير الأموال التي كانوا ينثرونها ، أن يشتروا ذمم عدد كبير من رؤساء القبائل الكردية المعروفة من أمثال الكلهر ، بل انهم تمكنوا من أن يدفعوهم في العام ١٩١٧ لمقاتلة القبائل الموالية للألمان والعثمانيين .

كان الانكليز يسعون في الوقت ذاته للاستفادة من الأقليات القومية والدينية في كردستان ولتثبيت مواقع أقدامهم بينها ، وقد بذلوا مساعي كبيرة بهذا الهدف مع الآثوريين في سنوات ماقبل الحرب وسنوات الحرب نفسها ووضعوا تحقيق هذه المهمة على عاتق المدرسة الدينية المسيحية التي أنشأوها في قرية « قوجانس » الواقعة في منطقة هكاري (حكاري) ، وكانت هذه المدرسة تدار من قبل القنصل البريطاني في وان مباشرة[٣٨] . وقد ظهرت

(٣٧) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 248.

(٣٨) صديق الدملوجي ، امارة بهدينان الكردية او امارة العمادية ، الموصل ، ١٩٥٢ ، الص ١٢٠ .

نتائج الدعايات الانكليزية بين الآثوريين جلية أثناء الحرب والسنوات التي أعقبتها . ومع أن الانكليز اهتموا بالتقرب الى الأكراد اليزيديين أقل الى حدما ، مما كانوا يبذلون من مساع في صفوف الآثوريين ، فان جهودهم في هذا المضمار لم تكن دونما طائل . وفي سنوات الحرب وبصورة خاصة منذ احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني ، أخذ الضباط السياسيون في هذا الجيش ينشئون الصلات مع اليزيديين ، وقد أرسلوا لهذا الغرض ضابطا الى منطقة سنجار وشيخان بصورة سرية(٣٩) .

وهكذا نرى أنه كان لكردستان موقع مرموق في السياسة البريطانية ازاء الشرق الأوسط ، وكانت هذه الحقيقة تتجلى أكثر فأكثر يوما بعد يوم . وعلى سبيل المثال فان الدبلوماسي البريطاني الذائع الصيت اللورد كيرزن كان يتحدث في التسعينيات من القرن الماضي بحرارة ووضوح عن مابين النهرين فقط مؤكدا على ضرورة جعله منطقة نفوذ بريطاني صرف(٤٠) ، في حين أنه هو بالذات أعلن بعد ذلك بحوالي عشرين عاما ، أي قبيل الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة ، أمام مجلس اللوردات البريطاني ، دونما لف أو دوران ، أن « من الخطأ القول بأن مصالحنا السياسية تنحصر في منطقة الخليج [يقصد الخليج العربي ـ ك. م.] . ان تلك المصالح لا تنحصر في هذه المنطقة ، وأكثر من ذلك انها لاتنحصر في المنطقة الممتدة بين البصرة وبغداد ، بل تمتد بعيداً

(٣٩) راجع : اسماعيل جول ، اليزيدية قديما وحديثا ، بيروت ، ١٩٣٧ ، الص ٥٩ ـ ٦١ .

(٤٠) راجع :
G. N. Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. II, London, 1892, P. 578.

الى الشمال من بغداد »[٤١] . وفي الحقيقة يمكن اعتبار هذا القول بمثابة أول اعتراف صريح لمسؤول بريطاني كبير حددت فيه أطماع الانكليز في ولاية الموصل دونما مواربة كتعبير عن خطط بعيدة المدى ، وهي ما جعلت البريطانيين يولون التغلغل بين الأكراد ، وبشكل خاص في كردستان العراق ، أهمية مضاعفة خلال سنوات الحرب العالمية الأولى . وقد اتخذ الأمر طابعا خاصا مع زوال دور روسيا القيصرية في اللعبة ومع اقتراب موعد تقسيم الأسلاب والغنائم . ولم يكن عبثا قط أن اعترف السير أرنولد ولسن وهو أول حاكم سياسي بريطاني في العراق بعد احتلاله ، بأن عددا من أقدر رجال الانكليز انما « كانوا يعملون في أواسط جزيرة العرب وكردستان وجنوبي غربي ايران وشماليها الغربي وفي الخليج »[٤٢] بالذات .

كان الروس هم الآخرون ، شأنهم شأن الانكليز ، يركزون أنظارهم منذ حين على كردستان ، ولاسيما المناطق الواقعة منها على حدودهم الجنوبية أو مقربة منها . وهو موضوع يستحق منا وقفة خاصة لا لمجرد أهميته العلمية، بل كذلك لقلة المعلومات المتوفرة عنه في دراساتنا .

يرتبط تغلغل نفوذ روسيا القيصرية في كردستان واهتمامها بها ، بتوجهاتها منذ قرون سبقت الحرب العالمية الأولى نحو مناطق القفقاس والمياه الدافئة ، وفيما بعد بأطماعها الواسعة في الشرق الأوسط ، وهي عوامل

(٤١) مقتبس من :
P. W. Ireland, Iraq. A Study in Political Development, London, 1937, PP. 48 - 49.

(٤٢) راجع :
A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 — 1920. A clash of loyalities. A personal and historical record, London, 1931, P. 158.
راجع كذلك : « العالم العربي » ، بغداد ، ٢٢ تشرين الأول ١٩٣١ .

تحولت في مجموعهـا الى أحد العناصر المحركة الفعالة للمسـألة الشرقية المعروفة . هنا أيضا ظهرت مقدمات التغلغل مع رحلات الاستطلاع المبكرة التي قام بها عدد كبير من الرحالة الروس بنشاط ملحوظ . فقبل ارسال أول سفير روسي الى الباب العالي بفترة طويلة جاب عدد من هؤلاء الرحالة في أصقاع مختلفة من الشرق الأوسط بما فيها المناطق الكردية . ففي العامين ١٤٦٥ ـ ١٤٦٦ مثلا قام ڤاسيلي برحلة طويلة عبر خلالها آسيا الصـغرى كلها تقريبا ووصل الى سوريا وفلسطين والقاهرة(٤٣) .

كان من الطبيعي أن يزداد عدد الرحالة الروس المتنوعي الاهتمامات الذين زاروا بلدانا مختلفة من الأمبراطورية العثمانية ، بشـكل متوازٍ مع ازديـاد احتكاك الدولة الروسية بتلك الأمبراطورية . وقد قضى بعض هؤلاء الرحالة سنوات عديدة يجوبون خلالها تلك البلدان ويجابهون الأخطـار والأهوال في سبيل جمع أكثر ما يمكن جمعه من المعلومات التي تحولت فيما بعد الى دليـل عمل مساعد للتغلغل الروسي في المنطقة . فيتحدث مؤلف روسـي مجهول في مخطوطة له عن رحلة طويلة قام بها في منـاطق جد شـاسعة من الأمبراطورية العثمانية في بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر واستغرقت أكثر مـن خمس سنوات وامتدت حتى تونس . ومن بين المدن الكثيرة التي زارها هذا الرحالة يذكر أسماء مدن ديار بكر وماردين والموصـل وكركوك وبغـداد ،

(٤٣) راجع :

Данциг Б.М., Ближний Восток в русской науке и литературе, Москва, 1973, стр.19-21.

ب. م. دانتسيگ ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، موسكو ، ١٩٧٣ ، الص ١٩ ـ ٢١ . (في الهوامش القادمة :

B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . .).

وتوجه من الأخيرة الى دمشق التي زارها مرتين • وكما جاء في تعليق لناشر هذه الرحلة كتبه في العام ١٨٩٠ أنه «لم يقطع أوروبي آخر في ذلك العهد مثل هذه المساحة الواسعة من الأمبراطورية التركيـــة ولم ير كل هذه الزوايـــا منها ولم يلاحظ كل هذه الخصائص فيها كما فعل مؤلفنا»[٤٤] •

تشكل الحروب الروسية ـ العثمانية ذروة التعبير عن توجهات روسيـــا القيصرية نحو المياه الدافئة الجنوبية والشرق الأوسط فيما بعد • فقد شهدت الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الثاني مـــن القرن التاسع عشر سلسلة حروب وقعت بين الدولتـــين من أجل السيطرة على سواحل البحر الأسود والمناطق القريبة منها ـ القفقاس والبلقان مع امتدادات الأولى منهمـــا • ان هذه الحروب التي بلغ عددهـــا عشرة وتجـــاوز مجموع سنواتها ثلاثين سنة[٤٥] ، ازدادت ضراوة وتأثيرا على العلاقات الدولية بشكل متوازٍ مع ازدياد أطماع روسيا وانحلال الأمبراطورية العثمانية وتهافت الدول الأوروبية الكبرى على أصقاع الشرق الأوسط المختلفة وارتبط اسم الكرد بها بأشكال متباينة ، الا أن موقعهم فيها بات أكثر وضوحا مع تقادم الزمن واقتراب ميادينها من مناطق سكنـــاهم التي تحولت في القرن التـــاسع عشر الى احدى ساحات الصدام المباشر بين قوات الفريقين المتحاربين واشترك فيها العديد من العشائر الكردية التي كانت تقف في البداية الى جانب القوات العثمانية ، ولكن الروس تمكنوا فيما بعد من كسب قسم منها الى جانبهم •

---

(٤٤) مقتبس من المصدر السـابق ، الص ٣٤ ـ ٣٥ . قام پ. أ. سيرك بنشر المخطوط .

(٤٥) وقعت الحروب الروسية ـ التركية بالتتابع في الأعوام ١٦٧٦ ـ ١٦٨١ و ١٦٨٦ ـ ١٦٨٩ و ١٧١٠ ـ ١٧١٣ و ١٧٣٥ ـ ١٧٣٩ و ١٧٦٨ ـ ١٧٧٤ و ١٧٨٧ ـ ١٧٩١ و ١٨٠٦ ـ ١٨١٢ و ١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ و ١٨٥٣ ـ ١٨٥٦ و ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ .

لعبت الحربان اللتان وقعتا بين روسيا وايران في النصف الأول من القرن التاسع عشر[٤٦] [وقعت الأولى في الأعوام ١٨٠٤ ـ ١٨١٣ ووقعت الثانية في الأعوام ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨] الدور نفسه تقريبا في لفت انتباه المسؤولين الروس الى الكرد وبلادهم • ويجدر بنا أن نشير هنا الى أنه نتيجة لحرب الأعوام ١٨٠٤ ـ ١٨١٣ الايرانية ـ الروسية التي انتهت بعقد معاهدة (گلستان) بين الطرفين ، أصبح جزء صغير من الشعب الكردي ضمن الأمبراطورية الروسية[٤٧] مما تحول الى عنصر جديد لتحديد الاطار العام للسياسة الروسية تجاه الشعب الكردي •

أدت حروب روسيا مع الدولة العثمانية ثم مع ايران الى ازدياد اهتمام الروس بالكرد كما ذكرنا ، وقد عبر هذا الاهتمام عن نفسه بأشكال مختلفة ولكن دون أن يتغير الهدف منه • فقد بدأت القيادة العامة للجيش الروسي في منطقة القفقاس تولي دراسة المناطق الكردية اهتماما ملحوظا متزايدا[٤٨] وقد

---

(٤٦) تعود بدايات الصدام مع ايران الى عهد بطرس الأول الذي وجه حملة ضدها في العامين ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣ . ولاتختلف هذه الحروب من حيث دوافعها الأساسية عن تلك التي وقعت بين روسيا والدولة العثمانية .

(٤٧) ولاسيما العشائر المتنقلة التي كانت مراعيها تقع في منطقة قرەباخ . وقد التجأ كذلك قسم من اكراد الامبراطورية العثمانية الى الاراضي الروسية هربا من تعسف السلطات المحلية (لمزيد من التفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر احمد ، اي طريق ؟ ، مجلة « بەيان » الكردية ، بغداد ، العدد ٢ ، ١٩٧٢ ، الص ١ ـ ٣) .

(٤٨) بدات القيادةالعامة للجيش الروسي منذ العقود الأولى للقرن التاسععشر، وبالتحديد بعد الدروس التي استنبطها المسؤولون الروس من حملة نابليون المعروفة على بلادهم ،تولي اهتماما كبيرا لدراسة البلدان الاخرى، وبشكل خاص تلك القريبة من امبراطوريتهم المترامية الأطراف . ومن هذا المنطلق احدث هذه القيادة تعير اعداد ضباط اكفاء مطلعين على الاعمال الطوبوغرافية والاحصائية عناية خاصة . وقد برزت قيادة

=

حققت فعلا نتائج ملموسة في هذا المجال منها كسب عدد من رؤساء العشائر الكردية ووضع خرائط تفصيلية دقيقة لأهم المناطق الاستراتيجية التي كانت تهمها بشكل خاص ، كما تمكن عدد من أكفأ ضباطها من وضع دراسات تفصيلية عن نواحي شتى تتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للشعب الكردي ، فان الضابط س. بروسكورياكوف الذي قضى منذ العام ١٨٤٢ سنوات عديدة في مناطق الحدود بين الدولة العثمانية وروسيا والذي وضع خرائط مهمة لمنطقة أرضروم وامتداداتها(٤٩) ، كتب عن الأخيرة يقول : «يمكن اعتبارها نقطة التقاء لتجارة آسيا الصغرى لأن الوضع الجغرافي لكردستان الممتدة على طرق الاتصال المباشرة لتبريز مع طرابزون وأستانبول.. جعل من أرضروم مركز تجميع للبضائع بين هذه المدن »(٥٠) .

=

منطقة القفقاس في هذا المجال، فاستطاعت وضع دراسات استراتيجية ـ سوقية وسياسية ـ تأريخية مع خرائط تفصيلية عن مناطق مختلفة من الدولتين المجاورتين العثمانية والايرانية ، وهذه القيادة هي التي أولت الشعب الكردي الاهتمام الكبير الذي يبدو واضحا من سياق الموضوع نفسه .

(٤٩) جمع كل ذلك في ملاحظات طبعت في العام ١٩٠٥ في تبليس على شكل كتاب يحمل عنوان « ملاحظات عن تركيا » . وقد أصبح بروسكورياكوف فيما بعد عضوا في اللجنة الدولية التي شكلت خصيصا للنظر في مسألة تخطيط الحدود بين ايران والدولة العثمانية ، فقضى فترة أخرى بين اكراد تلك المنطقة .

(٥٠) مقتبس من :

Данциг Б.М., Русские путешественники на Ближнем Востоке, Москва, 1965, стр.169.

ب. م. دانتسيك ، الرحالة الروس في الشرق الأدنى ، موسكو ، ١٩٦٥ ، الص ١٦٩ . (في الهوامش القادمة : ... B. M. Dantsig, Russkey).

وفي العام ١٨٩٦ نشرت قيادة منطقة القفقاس كتابا خاصا عن الأكراد ألفه العقيد ف. أ. كارتسيف[٥١] .ويبحث هذا الكتاب بشكل مركز عادات الكرد وتقاليدهم ومناطق سكناهم والوضع القائم آنئذ في كردستان والفرسان الحميدية ، مع ملخص عن تأريخ اتصال السلطات الروسية بعشائر الحدود الكردية . وقد ألحق المؤلف بكتابه هذا خارطة مهمة لمناطق سكنى العشائر الكردية كانت الأولى من نوعها . وفي الفترة نفسها تقريبا انتهى العسكريون والاختصاصيون الروس من وضع كتاب يقع في ثمانية مجلدات تحت عنوان صريح يدل بوضوح على محتواه وهو « معلومات لبحث عسكري ــ احصائي عن تركيا الآسيوية » وهذا الكتاب دراسة اقتصادية ــ جغرافية ضافية شملت مناطق كردية كثيرة أيضا . وكان من بين مؤلفي هذا الكتاب الضخم أ. م. كاليوباكين الذي كان قد زار المنطقة في العام ١٨٨٥ فاكتسب اطلاعا واسعا عليها وحصل على خبرات كثيرة بشأنها[٥٢] .

ان خير مثال نورده في هذا المجال لاعطاء صورة واضحة لاهتمام

(٥١)
Карцев В.А., Заметки о Курдах, Тифлис, 1896.
ف. أ. كارتسيف ، ملاحظات عن الاكراد ، تفليس ، ١٨٩٦ . وقعت المستشرقة ژ. س. موسيليان في خطأ عندما اعتبرت هذا الكتاب من مؤلفات القنصل يو. س. كارتسيف الذي نتطرق الى نشاطاته فيما بعد . راجع :
"Библиография по Курдоведению", составитель Ж.С.Мусаэлян, Москва, 1963, стр.42, 161.
« ببليوغرافيا عن الدراسات الكردية » ، وضع ژ. س. موسيليان ، موسكو ، ١٩٦٣ ، الص ٤٢ و ١٦١ .

(٥٢) راجع : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 321 - 325

الأوساط العسكرية الروسية بكردستان وعلاقة هذا الاهتمام بالحروب السابقة والتوجهات اللاحقة التي كانت من ضمن العوامل التي أفضت الى الحرب العالمية الأولى ـ هو البحث المفصل الذي وضعه الكابتن ل• ي• أڤيريانوف بتكليف خاص من القيادة العامة للجيش الروسي في منطقه القفقاس • يحمل البحث العنوان المعبر التالي : « ألكرد في حروب روسيا مع تركيا وايران خلال القرن التاسع عشر • ألوضع السياسي المعاصر لأكراد تركيا وايران وروسيا » • وقد طبع في تبليس في العام ١٩٠٠ على شكل كتاب مستقل[٥٣]

---

(٥٣)

Аверьянов П.И., Курды в войнах России с Персией и Турцией в течение XIX столетия. Современное политическое положение турецких, персидских и русских курдов, Тифлис, 1900.

پ. ي. اڤيريانوف ، الكرد في حروب روسيا مع ايران وتركيا خلال القرن التاسععشر . الوضع السياسي المعاصر لأكراد تركيا وايران وروسيا ، تفليس ، مطبعة قيادة منطقة القفقاس العسكرية ، ١٩٠٠ .
(في الهوامش القادمة : ... ,P. Averianov) .

نشر پ. ي. اڤيريانوف عددا من الدراسات الاخرى عن الكرد مثل :

Аверьянов П.И., Некоторые сведения о турецких курдах-кизилбашах (из путевых заметок французского вице-консула в г. Эрзруме Гренара),- "Известия штаба Кавказского военного округа", №. 19, 1907, стр.47-55.

پ. ي. اڤيريانوف بعض المعلومات عن الكرد ـ القزلباش في تركيا (من ملاحظات رحلة وكيل القنصل الفرنسي في مدينة ارضروم گرينار Grinard ، في : « اخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية » ، العدد ١٩ ، ١٩٠٧ ، الص ٤٧ ـ ٥٥ . وكان قد ترجم كذلك المقال =

يبلغ عدد صفحاته حوالي الخمسمئة صفحة ، ٣٣٨ منها تشكل متن الكتاب وكرست البقية للمقدمة مع ملحق مهم للغاية يحتوي على عشرات الوثائق التأريخية الأصيلة بضمنها الرسائل التي بعثها المسؤولون الروس الى عدد من رؤساء العشائر الكردية والزعماء الروحانيين والسياسيين الكرد أمثال الشيخ عبيدالله النهري وغيره • وقد ضمن المؤلف كتابه خرائط تفصيلية دقيقة عن نقاط مرابطة الفرسان الحميدية وعن توزع العشائر الكردية ومناطق الحدود العثمانية المجاورة للقفقاس •

يحتوي الكتاب على معلومات مهمة مدروسة بامعان عن الوضع السياسي لكردستان خلال القرن التاسع عشر وموقع الأكراد في الحروب الروسية ــ العثمانية والحروب الروسية ــ الايرانية ، وعن عدد من الانتفاضات الكردية التي وقعت في أوقات مختلفة ضد السيطرة العثمانية مثل انتفاضة يزدان شير وانتفاضات البدرخانيين وانتفاضة الشيخ عبيدالله وغيرها • ويدرس أقيريانوف ، بتفصيل ، القوات التي باشر السلطان عبدالحميد الثاني بتشكيلها من مسلحي العشائر الكردية والتي كان من أهم واجباتها الاشتراك في الحرب المقبلة ضد روسيا والتصدي الموجه بأسلوب متخلف لمخططاتها التوسعية ، كما نعود الى تفصيل ذلك فيما بعد •

=

التالي لوكيل القنصل الفرنسي نفسه :

M. F. Grenard, Une secte religieuse d'Asie Mineure. Les Kysylbachs, - ((Journal Asiatique)), 1904, 10 eér T. III, PP. 511 - 522.

ونشره تحت العنوان نفسه (طائفة القزلباش الدينية في آسيا الصغرى) في العدد ٦ ــ ٨ للعام ١٩٠٥ من المجلة نفسها التي كانت تصدرها قيادة منطقة القفقاس العسكرية .

يعترف المؤلف صراحة بأن الهدف من وضع كتابه سياسي بحت . ولندعه يضع بنفسه النقاط على الحروف ، ففي كلامه توضيح كبير لسياسة روسيا القيصرية نحو الكرد وبلادهم قبيل الحرب العالمية الأولى . افتتح ضابط القيادة الروسي الكاپتن أڤيريانوف كتابه الضخم بهذه الأسطر ذات الدلالة العميقة الواضحة :

« اضطرت روسيا الى أن تخوض ، خلال القرن التاسع‌عشر ، حربين مع ايران وأربعة حروب مع تركيا ، واشترك الأكراد دوما في ميادين القفقاس القتالية لهذه الحروب. جاء اشتراكهم في البداية كأعداء لنا فقط ، وفيما بعد كحلفاء أيضا . ما من مجال للشك في أنه خلال حروبنا المقبلة في آسيا الصغرى نضطر للاحتكاك مرارا بهذا الشعب الكبير التواق للحرية والذي لايعترف حاليا بتقاليد الاستقرار المدني»(٥٤) .

يعود أڤيريانوف ، بعد ذلك بقليل ، ليؤكد من جديد اهتمام الروس في تلك الفترة (فترة ما قبل الحرب) بالمناطق الكردية الايرانية منها والعثمانية ، بشكل خاص ، للتأثير في الوضع السياسي هناك ، ألذي من شأنه « تحديد موقفهم (موقف الكرد ــ ك. م.) تجاه روسيا أثناء الصدامات المقبلة مع ايران ومع تركيا خاصة »(٥٥) .

اذاً ، كانت خطط الروس بالنسبة للأكراد تتركز أساساً على الحرب المقبلة وآفاقها التي كانت تدور حول تحقيق قفزة جديدة باتجاه الجنوب كان من

(٥٤) P. Averianov, Op. Cit., P. I.

(٥٥) Ibid, P. II.

المتوقع لها أن تشمل هذه المرة جزءاً حساسا من كردستان[٥٦] . وهذا مايفسر لنا سر اهتمام الروس بالمنطقة مع اقتراب الحرب العالميـة الأولى ، فارتفع عدد الذين زاروها وتجولوا في أصقاعها النائية ، وتحمس المسؤولون أكثر لاقامـة علاقات ودية مع رؤساء العشـائر الكرديـة المتنفذين من أمثـال سـمكو وعبدالرزاق بدرخان وآخرين ، كما ازداد عدد البحوث والدراسات والخرائط المتعلقة بالكرد ومناطق سكناهم بشكل ملحوظ . ولم تقتصر مثل هذه الجهود على العسكريين وحسب بل جلبت كذلك اهتمام الدبلوماسيين وغيرهم كما سنأتي على تفاصيله .

الا أنه يجدر بنا أن نشير هنا الى أن اهتمام الأوساط العسكرية الروسية امتد في هذه المرحلة الى أنحاء كردية أبعد بكثير من مناطق الحدود المجاورة لبلادها ، وذلك كانعكاس طبيعي لازدياد الأطماع وتنامي الامكـانيات . ففي العام ١٩٠٢ قام الضابط الروسي ب. ي. شيولكوفنيكوف بزيارة للولايات العثمانية في العراق أعدّ بعدهـا دراسـة « جد مهمـة » ــ على حد وصف المستشرق السوفياتي ب. م. داتتسيگ لها ــ تحتوي « على معلومات مفيدة غير قليلة عن الوضع السياسي المعاصر [آنئذ ــ ك. م.] في ميسـوبوتاميا ومنطقة الخليج»[٥٧]. وقد نشر شيولكوفنيكوف ، ضمن دراسته المذكورة ، معلومات كثيرة عن العشائر العربية والكردية مقدراً عدد المتنقلين منها بحوالي مليون ومئة ألف شخص ، كما حدد سكان العراق بثلاثة ملايين وأربعمئة ألف نسـمة .

(٥٦) اغتنم المسؤولون الروس فرصة ثورة الدستور (المشروطية) الايرانية (١٩٠٥ ــ ١٩١١) ليحتلوا في العام ١٩٠٩ منطقة واسـعـة من كردسـتان ايران ، وكانوا يأملون ان يلحقوها ، شأنها شأن المناطق الواقعة فيما وراء القفقاس ، بامبراطوريتهم الفسيحة الأرجاء .

(٥٧) B. M. Dantsig. Bl. Vostok . . . , P. 332.

نشرت مجلة « أخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية » بعد ذلك بحوالي العامين[٥٨] بحثا تحت عنوان « ملاحظة عن الوضع السياسي في كردستان الجنوبية وميسوپوتاميا الشمالية » وردت فيه معلومات عن وضع مختلف الجماعات وبعض العشائر هناك وعن أهداف تشكيلات الفرسان الحميدية في المنطقة ، وهي من المواضيع التي تطرّقت اليها دراسات أخرى غير قليلة تم اعدادها خصيصاً في هذه المرحلة • وقد أولى هذا البحث موضوعي الفرسان الحميدية[٥٩] ومشروع سكة حديد بغداد اهتماما استثنائيا •

لايمكن فصل الموضوع الأخير ، أي مشروع سكة حديد بغداد ، عن الحسابات الاستراتيجية لروسيا القيصرية في اطار سياستها نحو المنطقة وضمن استعداداتها للحرب المتوقعة • ولابد من القاء بعض الضوء على هذا الموضوع المهم أيضا وذلك بقدر تعلقه ببحثنا •

جلبت سكة حديد بغداد اهتمام الروس الى حد كبير ، وتحولت ، كمشروع في يد الألمان ، الى مصدر قلق جدي بالنسبة لهم • فان « السلطات الروسية ــ كما لاحظ أحد الصحفيين الروس في وقت مبكر ــ اعتبرت طريق بغداد [يقصد سكة حديد بغداد ــ ك• م•] ، بالاستناد الى أسس مبررة تماما ••• ، مضرا ، بشكل عام ، بالمصالح الروسية »[٦٠] • ولم يقتصر تهديد

(٥٨) نشر البحث في العددين ١ ــ ٢ للعام ١٩٠٤ ، الص ٤٩ ــ ٥٧ .

(٥٩) نتطرق الى تفاصيل هذا الموضوع في الفصل التالي من هذا الكتاب .

(٦٠) ورد ذلك في تقرير عن سكة حديد بغداد بعثه مراسل مجلة « المخبر الروسي» من استانبول، وقد نشر في عدد تشرين الأول للعام ١٨٩٩ من المجلة المذكورة . ومن المهم ان نجلب الانظار هنا الى ملاحظة دقيقة سجلها هذا الصحفي بالذات في تقريره تتعلق بتحديد أحد الأسباب المهمة التي جعلت من السلطات العثمانية ترغب في تنفيذ المشروع بسرعة حتى يتحول الى وسيلة بيدها لقمع النضال التحرري العربي . وقد وضع الصحفي الروسي ذلك على رأس الأسباب الاستراتيجية التي دفعت المسؤولين العثمانيين الى الاهتمام بخط بغداد ــ برلين ، الحديد .

المشروع لتلك المصالح ، حسب التقدير المدروس للمسؤولين الروس ، على النواحي الاستراتيجية البحتة ، بل انه كان يشمل كذلك النواحي الاقتصادية. وقد بلغت حسابات الروس بهذا الصدد حد أنهم كانوا يخشون أن يؤدي تنفيذ المشروع الى تطور الزراعة في بلاد ما بين النهرين الى درجة تتحول معها الى « منافسة خطرة لتجارة الحبوب الروسية في السوق الأوروبية »(٦١) ، ولاسيما وأن التقارير الدبلوماسية الروسية كانت تؤكد أن بامكان العراق ، مع سوريا والأناضول ، انتاج كميات من الحبوب تعادل ما تصدرها روسيا الى الخارج ، فضلا عن توفر ظروف ملائمة لانتاج كميات كبيرة من القطن(٦٢)، مما كان يدفع المسؤولين الروس الى الحذر أكثر من أن يتحول المشروع الى وسيلة جديدة لتطوير متزايد للامكانات الاقتصادية الألمانية على أساس توفير مواد خام رخيصة وسريعة لها .

فلا غرابة اذاً في أن يخصص الروس عشرات الدراسات المستفيضة للبحث في جميع الأوجه المتعلقة بمشروع سكة حديد بغداد(٦٣) ويبعثوا عددا كبيرا من الاختصاصيين لتعقيبه خطوة فخطوة . وهكذا بدأ الموضوع يحتل حيزا كبيرا من التقارير الدبلوماسية التي كانت تصل الى وزارة الخارجية الروسية من مصادر شتى . وقد أصبح للمناطق الكردية التي كان من المقرر أن تمر بها السكة مكان في الدراسات والتقارير الروسية المكرسة للبحث عن المشروع .

(٦١) اشار الى ذلك تقرير مهم وضعه احد الضباط الروس الكبار ونشر في بطرسبورغ في العام ١٩٠٧ (راجع :
B. M. Dantsig, Russkey . . . , PP. 98 — 99).

(٦٢) راجع مثلا : A. Adamov, Op. Cit., P. 535.

(٦٣) وردت أسماء بعض منها ضمن مصادر البحث في هذا الكتاب . وقد اختتم ب. ي. شيولكوفنيكوف المذكور آنفا كتابه بفصل خاص عن سكة حديد بغداد .

فقبل الحرب بفترة غير طويلة بعثت القيادة العامة المقدم ب. أ. تاميلوف الى تركيا لدراسة المنطقة الممتدة بين أدنه والموصل والتي كان من المقرر أن يقطعها الخط المزمع مده . عاد تاميلوف الى بلاده ، بعد أن قضى حوالي ستة أشهر في البحث والتقصي . وفي العام ١٩٠٧ نشر بحثا مفصلا يقع في جزأين بعنوان « تقرير عن رحلة في تركيا الآسيوية » بلغ مجموع صفحاتهما أكثر من ٧٥٠ صفحة خصص جانب كبير منها لدراسة المناطق الكردية ، وبصورة خاصة في الفصل الثالث من الجزء الأول الذي يزيد عن ١٥٠ صفحة ويحمل عنوان « ميسوبوتاميا الشمالية وكردستان الجنوبية ». كما يحتوي الجزء الثاني من التقرير على معلومات كثيرة عن الكرد اذ يتطرق فيه المؤلف الى الطريق الذي سلكه من القفقاس مارا بالمناطق الكردية متوجها الى سواحل البحر الأبيض المتوسط .

لم يقتصر اهتمام الروس بالكرد على النشاطات ذات الطابع الاستراتيجي الصرف . فقد رافق ذلك ، ولنفس الهدف ، نشاط واسع من نوع آخر ارتبط بالعمل الدبلوماسي « السلمي » الذي تمخضت عنه أيضا نتائج مهمة تستحق بعض التوضيح لاعطاء الموضوع بُعده الحقيقي .

فرض تطور الصلات التجارية ، الى جانب الاحتكاك العسكري المستمر وتوتر العلاقات في المناطق المشتركة من الحدود ، اقامة صلات دبلوماسيا منظمة بين روسيا والدولتين الجارتين الأمبراطورية العثمانية وايران . فتم في نهاية العام ١٧٠١ تعيين أول سفير روسي مقيم لدى الباب العالي هو الدبلوماسي ب. أ. تولستوي ، الذي برز من قبل كممثل ناجح لبلاده في ايطاليا وبولندا والنمسا . وقد بلغ اهتمام بطرس الأول بمهمة سفيره لدى بلاط السلطان العثماني حد أنه وضع له تعليمات سرية خاصة كان عليه أن يراعيها بدقة . وقد اشترك القيصر نفسه في صياغة بعض بنودها السبعةعشر .

نشطت الدبلوماسية الشرقية لروسيا القيصرية منذ النصف الثـاني من القرن الثامن‌عشر بحيث أصبحت واحدا من الأركان الأساسية الثلاث لسياسة الدولة الخارجية(٦٤) • وازداد منذ ذلك الحين اهتمام الدبلومـاسيين الروس بالشعب الكردي الذي وجدت المسـائل المتعلقـة به طريقهـا الى الحقيبـة الدبلوماسية الروسية بسرعة • فان السفير الروسي أ• ستاخييف الذي عين في استانبول منذ شباط من العام ١٧٧٦ وظل في منصبه حتى أواخر العام ١٧٧٩ ، أي خلال فترة جد حرجة من العلاقات الروسية ـ التركية ، أولى ارسال تقارير مفصلة عن الوضع الداخلي في الأمبراطورية العثمانية اهتماما خاصا ، ومن‌بينها تقارير كانت تخص « الصدامات على حدود كردستان بين الأتراك والايرانيين والتي انتهت باندحار الترك فيها »(٦٥) • وقد استمر خلفه ي• بولخاكوف على نفس التقليد ، فتطرق ضمن تقاريره الرسمية الى المشاكل والمصادمات الداخلية التي شهدتها بعض المدن الكردية في أيامه(٦٦) •

تطلّب ازدياد احتكاك الروس بالكرد وتشعب المهمـات الدبلومـاسية الروسية في المنطقة وتطور التبادل التجاري مع العديد من المدن الكردية اقامة عدد من القنصليات الروسية في بعض من تلك المدن • وقد نشـط القنـاصل الروس ووكلاؤهم في المنطقة ، فأقاموا صلات قريبـة مع رؤسـاء العشـائر وغيرهم من المتنفذين ، كما ظلوا يراقبون الأحداث عن كثب ويرسلون تقارير مهمة عن حقيقة الأوضاع في كردستان الى وزارة الخـارجية الروسية والقيادة

(٦٤) نقصد به المحاولات المستميتة للوصول الى المياه الدافئة . أما الركنـان الأساسيان الآخران فقد ارتبطا بالعمل من أجـل تثبيـت مواقع أقـدام روسيا على سواحل بحرالبلطيق وضم أراضي أوكراينا وروسيا البيضاء اليهـا .

(٦٥) راجـع : B. M. Dantsig, Russkey . . ., PP. 98 - 99.

(٦٦) راجـع : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , P. 91.

العسكرية لمنطقة القفقاس . وقد ركزوا في تقاريرهم هذه على قضايا تتعلق بالعلاقات بين السلطات والسكان المحليين وبمشاكل الحدود بين الدولتين العثمانية والايرانية وبالعلاقات بين الكرد والمسيحيين وبوضع تشكيلات الفرسان الحميدية . ولم يقتصر انجاز هذه المهمة منذ وقت مبكر على الذين كانوا يعملون في المناطق الكردية مباشرة ، بل أولى عدد من القناصل الروس في المدن القريبة الموضوع ذاته جانبا واضحا من اهتمامهم، ولاسيما وأنهم كانوا ، بحكم مراكز عملهم وطبيعة اتصالهم بيلادهم ، يحتكون مباشرة وباستمرار ، بالقضايا الكردية التي احتلت ، مثلا ، مكانا بارزا في تقارير القنصل الروسي العام في الموصل يو. س. كارتسوف ودراساته ، فقد كان هذا الرجل ذا اطلاع واسع على ظروف الأمبراطورية العثمانية لكونه أشغل كذلك منصب سكرتارية القنصل العام في استانبول سبع سنوات [من العام ١٨٧٩ حتى العام ١٨٨٦] . يتحدث كارتسوف في كتابه « سبع سنوات في الشرق الأدنى» [طبع في العام ١٩٠٦ في بطرسبورغ] عن الأقليات الدينية في ولاية الموصل ، وفي بحث آخر له يصف باسهاب الطريق الممتد بين تبليس والموصل ويتطرق الى مدن أرضروم وبدليس وسعرد والجزيرة وغيرها[٦٧] .

ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى واثر عودة اللجنة الدولية الخاصة بالنظر في قضية الحدود بين الأمبراطورية العثمانية وايران الى نشاطاتها والتي كانت روسيا أيضا ممثلة فيها ، ازداد كذلك نشاط الدبلوماسيين الروس في المناطق الكردية ، حيث قاموا باعداد تقارير ودراسات جد مهمة من بينها الأعمال القيمة التي أنجزها القوميسير الروسي في لجنة الحدود التركية ــ الايرانية ، المستشرق المعروف فيما بعد ، ڤلاديمير مينورسكي[٦٨] الذي نشر

(٦٧) Ibid, PP. 278, 319, 403.

(٦٨) عمل ڤلاديمير مينورسكي كدبلوماسي في بعض المناطق الكردية .

قبيل الحرب الأولى وفي سنواتها سلسلة من البحوث في المجلات والدوريات التالية : « معلومات عن دراسة الشرق » ، « أخبار وزارة الخارجية » ، « أخبار قيادة منطقة القفقاس العسكرية » وغيرها • [سوف نعود الى هذا الموضوع بشيء من التفصيل في الفصل القادم ، وذلك ضمن البحث عن نشاطات الروس خلال سنوات الحرب العالمية الأولى] • أما القنصل الروسي العام في بغداد أ• أ• أرلوف فقد قام في صيف العام ١٩١٣ بجولة خاصة في مناطق الحدود التركية ـ الايرانية وسجل ملاحظات كثيرة عن العشائر الكردية «زنگنه» و «سنجاوي» و « جاف » وغيرها نشرت في العاصمة الروسية(٦٩)•

وكان بين المسؤولين الروس الذين عملوا بين الكرد بحماس ، قنصل روسيا السابق الأمير بوريس شاخوفسكي الذي عهد اليه من قبل وزارة الخارجية الروسية خلال سنوات الحرب بالاشراف على شؤون كردستان كلها• لقد اهتم شاخوفسكي اهتماما بالغا بربط اقتصاد المناطق الكردية بالاقتصاد الروسي • وفي الحقيقة فان تخلف كردستان ووقوعها على مقربة من روسيا وفرا فرصة ملائمة لتنمية الصلات التجارية بين العديد من المدن والمناطق الكردية القريبة من الحدود وعدد من المدن الواقعة في مناطق ماوراء القفقاس(٧٠) • ومما يجدر ذكره أنه ليست البضائع الروسية ذاتها وحسب ، بل وحتى الكثير من المنتجات الصناعية للبلدان الأوروبية الأخرى كانت تصل الى قسم كبير من أسواق كردستان عبر روسيا • وهذا ما دفع وزارة التجارة والصناعة الروسية لأن تطلب من وزارة الخارجية انشاء قنصليات ومراكز

(٦٩) راجع : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 279, 351.

(٧٠) دخلت بعض الكلمات الروسية في اللغة الكردية عن طريق هذه الصلات وما تزال تستعمل حتى الآن من أمثال (سماور) و (وارشو) و (اشترخان = استراخان) وغيرها .

تجارية حديثة في مدن كردستان . والواقع أن توسع الروابط التجارية بين المناطق الكردية وروسيا بلغ حدا أزعج الألمان ، بحيث أنهم أخذوا يسعون لتقليص النفوذ الاقتصادي للتجار الروس ولاسيما في كردستان ايران(٧١) .

هيأ كل ماسبق ، مع عوامل أخرى ، أرضية مناسبة لتطور ملموس في الدراسات الكردية كجزء من الاستشراق الروسي قبل الحرب العالمية الأولى ، وهو موضوع يستحق بدوره بعض الاهتمام في اطار بحثنا هذا .

بدأت دراسة الشرق علمياً في روسيا منذ القرن الثامن‌عشر واستطاعت أن تقطع شوطا كبيرا من التطور ولاسيما في القرن الماضي(٧٢) الذي شهد ميلاد عدد من المؤسسات التي أولت دراسة بلدان الشرق وشعوبها اهتماما كبيرا مثل « المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم الروسية » الذي تأسس في العام ١٨١٨ في بطرسبورغ ، وقسم الدراسات الشرقية في جامعة بطرسبورغ وقد تم فتحه في العام ١٨٥٥ وقسم دراسة اللغات الشرقية التابع للدائرة الآسيوية في وزارة الخارجية الروسية الى جانب جمعيات علمية جغرافية وأرخيولوجية مختلفة . ان النجاحات التي تم تحقيقها داخل هذه المؤسسات جعلت من المؤرخ المعروف الأكاديمي بارتولد يرى أن الاستشراق الروسي قد تمكن من تحقيق نجاحات أكبر مما حققتها نظائره في بلدان أوروبا الغربية

---

(٧١) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 262.

(٧٢) راجع :

Кузнецова Н.А., Кулагина Л.М., Из истории советского Востоковедения, Москва, 1970, стр. 6-7.

ن. أ. كوزنيتسوفا و ل. م. كولاگينا ، من تأريخ الاستشراق السوفيتي، موسكو ، ١٩٧٠ ، الص ٦ ـ ٧ .

خلال القرن التاسع عشر[٧٣] .

ظهر من بين المستشرقين الروس من اهتم بالمسائل الكردية في وقت مبكر. ومما ساعد هؤلاء على البروز في حقل اختصاصهم احتكاكهم المباشر بالشعب الكردي ، اضافة على الثروة الغنية التي تراكمت في الأرشيفات والتقارير الدبلوماسية والعسكرية التي تطرقنا الى أوجه معينة منها . فعلى سبيل المثال أرسل في العام ١٨٤٢ المستشرقان وليام ديتيل وايليا بيريزن الى الشرق حيث احتك كل منهما بالأكراد مباشرة في مناطق مختلفة . زار ديتيل[٧٤] خلال رحلته التي استغرقت ثلاث سنوات أصقاعاً جد واسعة في ايران والأمبراطورية العثمانية شملت آسيا الصغرى وبلاد مابين النهرين وسوريا وفلسطين ومصر وغيرها . ومع أن موته المبكر [توفي في الثانية والثلاثين من عمره بسبب اصابته بالكوليرا] حال دون انتهائه من تسجيل المعلومات الغزيرة التي جمعها في أقطار الشرق الأوسط وتنظيمها وتنسيقها ، الا أنه خلف لنا بعض الدراسات المهمة يأتي على رأسها بحثه القيم « دراسة عن رحلات في الشرق » الذي طبع في العام ١٨٤٩ ، وقد كرس جانب كبير منه للبحث عن الكرد وبلادهم وردت فيه معلومات دقيقة تتعلق بحياتهم وعاداتهم وصفاتهم ومعتقداتهم مع حقائق قيمة للغاية تخص العلائق الاقطاعية التي كانت تسود كردستان في القرن

(٧٣) راجع :

Бартолд В., История изучения Востока в Европе и России, Ленинград, 1925, стр.232.

ف. بارتولد ، تاريخ دراسة الشرق في أوروپا وروسيا ، لينينغراد ، ١٩٢٥ ، الص ٢٣٢ .

(٧٤) عرف وليام فرانتسوفيچ ديتيل بباع طويل في حقول استشراقية مختلفة بحيث لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره عندما منح لقب (بروفيسور) . وكان يعمل في القسم التركي بجامعة بطرسبورغ .

التاسع‌عشر . ويكفي أن نورد هنا ماذكره ديتيل بنفسه عن العشائر الكردية ، اذ يقول :

« لقد عرفت هنا (في كردستان ــ ك. م.) حوالي ٢٥٠ عشيرة لايعرف منها الأوروبيون الا حوالي سبعين عشيرة »[٧٥] .

وقد احتل الكرد موقعا بارزا في البحوث الأخرى المنشورة لديتيل ومنها « استعراض لرحلة ثلاث سنوات في الشرق »[٧٦] وبحثه الخاص بعنوان « الأكراد » الذي كرسه لدراسة أصلهم ولغتهم[٧٧] .

تطرق بيريزن كذلك في دراساته الى الكرد وبلادهم مرارا ، فخلال المرحلة الأخيرة من رحلته والتي بدأت من البصرة ، مربيريزن ببغداد وكركوك

(٧٥) ف. ديتيل ، دراسة عن رحلات في الشرق من العام ١٨٤٢ حتى العام ١٨٤٥ ، ــ «المكتبة للمطالعة» ، بطرسبورغ ، المجلد ٩٥ ، ١٨٤٩ ، الص ١٩٨ ــ ١٩٩ (مقتبس من :
B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 200 - 201).
« المكتبة للمطالعة » مجلة شهرية صدرت في بطرسبورغ خلال الفترة ١٨٣٤ ــ ١٨٦٥ و أولت نشر البحوث عن الرحلات في بلدان الشرق اهتماما كبيرا . ظهرت في هذه المجلة مقالات عدة عن الشعب الكردي .

(٧٦) منشور في مجلة «وزارة التعليم الشعبي» ، المجلد الاول ، القسم الرابع، ١٨٤٧ ، الص ١ ــ ٣ .

(٧٧) نشر كذلك في مجلة «المكتبة للمطالعة» ، المجلد ١١٩ ، القسم السابع ، ١٨٥٣ ، الص ٨ ــ ١٧ ، وقد نشر تحت عنوان : «الأكراد» من مذكرات «رحلة العام ١٨٤٦» غير المنشورة لديتيل .
نشر لوليام ديتيل بحث باللغة الفرنسية هو :
V. Dittel, Aperçu Sommaire de trois ans de voyage en Asie, dans le Caucase, la Perse, le Kurdistan, la Mesopotamie, ((Nouvelles Annales des Voyages)), Paris, T. III, 1849, PP. 141 - 168.

وأربيل والموصل ونصيبين وماردين ودياربكر وغيرها مما أعطاه « امكانية التعرف عن قرب على السكان الأكراد في المنطقة ، وعلى عاداتهم »(٧٨) . وهو أيضا من أوائل المستشرقين الذين تطرقوا بذكاء الى مواضيع مهمة تخص علاقة الكرد بجيرانهم المسيحيين(٧٩) التي تحولت الى عنصر محرك مهم للأحداث السياسية الدامية التي وقعت في كردستان خلال سنوات الحرب العالمية الأولى .

وفي العام ١٨٨٩ قام أ. ي. گيبوس و د. د. گيدينوف برحلة عبر أرمينيا وكردستان وسوريا بهدف القيام بدراسة جغرافية ـ فلكية لمناطق معينة داخل الأمبراطورية العثمانية ، وقد استغرقت رحلتهما أكثر من ثلاثة أشهر قطعا خلالها ثلاثة آلاف فرسخ فزارا مدن وان وبدليس ودياربكر وموش وأرضروم وأرزنجان وخربوط وملاطية وغيرها ، كما وصلا الى حلب والأسكندرونة أيضا وتوصلا الى استنتاجات أعتبرت مهمة وجديدة بالنسبة لزمانهما(٨٠) .

(٧٨) مقتبس من : B. M. Dantsig, Russkey . . . , PP. 173 - 179.
من بحوثه التي تطرق فيها الى الاكراد : « الموصل » ـ من رحلة في الشرق ـ ، مجلة «المكتبة للمطالعة» ، المجلد ١٣٣ ، القسم الأول ، ١٨٥٥ ، الص ١٧٠ ـ ١٩٠ ، و «طريق خطر» نشر في عدد تشرين الثاني من المجلد ١٥٢ من المجلة نفسها ، الص ١ ـ ٥٠ ، ووردت فيه معلومات كثيرة عن اكراد الأمبراطورية العثمانية .

(٧٩) ولاسيما في مقاله «المسيحيون في ميسوبوتاميا وسوريا» المنشور في المجلة الادبية ـ العلمية ـ التأريخية « موسكوڤيتيانين » ((Moskvitlanin)) (الموسكوڤي) ، المجلد الرابع ، القسم الثاني ، موسكو ، ١٨٥٤ ، الص ١٢٩ ـ ١٥٦ والمجلد الخامس ، القسم الثاني ، الص ١ ـ ٢٨ .

(٨٠) راجع : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , PP. 324, 398.

والى جانب هؤلاء وغيرهم ظهر عدد من المستشرقين الروس الذين غدت الدراسات الكردية تجلب اهتمامهم بشكل خاص ، وأكثر من أي حقل آخر أحيانا . فان « الكردي الصغير »[٨١] پ. ليرخ [١٨٢١ — ١٨٨٤] الذي كان من أعلام الاستشراق الروسي البارزين في القرن التاسع عشر[٨٢] درس ، بعمق ، قضايا كثيرة تتعلق بتأريخ الشعب الكردي وأدبه ولغته وأثنوغرافياه ، وقد خلف لنا في مجالاتها أبحاثا علمية قيمة يأتي في مقدمتها كتابه المعروف « دراسات حول الأكراد الايرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين » الذي يقع في ثلاثة أجزاء نشرت في الأعوام ١٨٥٦ و ١٨٥٧ و ١٨٥٨ بالتتابع، وصدر اثنان منها باللغة الألمانية أيضا . وقد قضى المستشرق الروسي ثلاث سنوات كاملة في تدوين الجزء الأول منها فقط[٨٣] . يحتوى الكتاب بأجزائه الثلاثة

---

(٨١) اطلق عليه أصدقاؤه هذا اللقب تعبيرا عن اهتمامه الكبير بالدراسات الكردية .

(٨٢) اشادت مصادر عديدة باعمال ليرخ العلمية في مجال الدراسات الكردية (راجع مثلا : B. M. Dantsig, Bl. Vostok . . . , P. 228).
وقد بلغ اعجاب ك. ك. كوردوييف بليرخ حد أنه اعتبره «واحدا من أكبر علماء الروس في بداية النصف الثاني من القرن التاسع‌عشر» (راجع :

Курдоев К.К., Труды П.И.Лерх по курдоведению. К вопросу об изучении истории курдов в России,-"Очерки по истории русского Востоковедения", Москва, 1959, стр.39.

ك. ك. كوردوييف ، أعمال پ. ي. ليرخ في الدراسات الكردية . حول مسالة دراسة تاريخ الكرد في روسيا ، في كتاب « دراسات في تاريخ الاستشراق الروسي » ، موسكو ، ١٩٥٩ ، الص ٣٩) .

(٨٣) Лерх П., Исследования об Курдах и их предках северных Халдеях, Санктпетербург, кн. I, 1856; кн. II, 1857; кн. III, 1858.

=

على معلومات مهمة عن اللغة والعشائر الكردية مع استعراض عدد جد كبير من المصادر الغربية التي تبحث عن الشعب الكردي .

والمثل المهم الآخر الذي يجدر بنا ذكره هنا هو الجهد القيم الذي بذله المستشرق الروسي ف. زيرنوف (١٨٣٠ ــ ١٩٠٤) لنشر النص الفارسي لكتاب «شرفنامه» الذي وضعه شرفخان البدليسي ، وهو مؤرخ كردي عاش في القرن السادس عشر . ويعتبر هذا الكتاب من أقدم المصادر المعروفة وأهمها . نشر ف. زيرنوف الجزء الأول من «شرفنامه» المخصص لتأريخ الكرد في العام

=

ب. ليرخ ، دراسات حول الأكراد الايرانيين واسلافهم الكلدانيين الشماليين ، بطرسبورغ ، الكتاب الأول ١٨٥٦ ، الثاني ١٨٥٧ ، الثالث ١٨٥٨ . يبلغ مجموع صفحات الأجزاء الثلاثة من الكتاب (٣٧٦ + ٥١) صفحة .

نود أن نلفت النظر هنا الى نقطة علمية مهمة تتعلق بعنوان الكتاب . فأولا ان مضمونه لاينطبق على عنوانه ، فقد كرس الجزء الأول كله من الكتاب تقريبا للبحث عن العشائر الكردية في الدولة العثمانية وايران وروسيا ، وخصص الجزء الثاني منه للبحث عن اللغة الكردية وفي الأساس للبحث عن اللهجتين الكرمانجية والزازا . أما الجزء الثالث منه فهو عبارة عن مقدمة توضيحية مفصلة مع قاموس للكلمات المختارة من اللهجتين المذكورتين أنفسهما . وهكذا فان ليرخ قلما يتطرق الى العلاقة التاريخية بين أصل الكرد والكلدانيين وذلك ضمن مقدمة الجزء الأول من الكتاب فقط . وحسبما يبدو فان ليرخ نفسه سرعان ما احس بالخطأ الذي وقع فيه ، لذا نراه يصدر الجزئين الأول والثاني من الكتاب نفسه باللغة الالمانية تحت عنوان يختلف عن العنوان الروسي للكتاب ، فقد اطلق عليه بالألمانية العنوان التالي :

P. Lerch, Forschungen über die Kurden und die iranischen Nordchaldäen, Abt. I - II, S. - Pbg., 1857, 1858.

اي « دراسات حول الأكراد والكلدانيين الشماليين الايرانيين » ، والفرق بين العنوانين ، من وجهة نظر علمية بحتة ، كبير وجدّ واضح ، وان كان العنوان الالماني للكتاب يستحق النقاش فيما يخص الكلدانيين ، وهو امر خارج عن صدد بحثنا .

١٨٦٠ بالأستناد الى عدد من المخطوطات النادرة ، مع مقدمة فرنسية تقع في عشرين صفحة ، ثم نشر بعد ذلك بسنتين الجزء الثاني من المخطوط ، وقـد منحته أكاديمية العلوم الروسية لقب (الأكاديمي) الرفيع تقديرا لجهده الكبير هذا . أما المستشرق الضليع في اللغة الفارسية البروفيسور فرانسوا بيرنارد فقد قضى ثلاثين عاما من عمره لترجمة الكتاب ذاته الى اللغة الفرنسية والتعليق عليه باسهاب . وقد نشرت هذه الترجمة في بطرسبورغ أيضا(٨٤) .

برز أعلام آخرون من بين المستشرقين الروس الذين عرفوا بأبحاثهم الجدية في مجال الدراسات الكردية منهم ألكسندر ژابا و ن. مار" وكثيرون غيرهما . وان عددا من الموظفين الروس الذين عملوا بين الأكراد باتـوا فيما بعد علماء كبارا ومعروفين في نفس الميـدان منهـم ف. مينورسكي و ب. نيكيتين. ومن الجدير بالذكر أن عددا من العلماء الأرمن في روسيا القيصرية قد اهتموا بدورهم بدراسة تأريخ الشعب الكردي ولغته وأدبه وعاداته وذلك

(٨٤) لمزيد من التفصيلات راجع : الدكتور كمال مظهر احمد ، حول الشرفنامة والطبعة الكردية لهذا الأثر التأريخي الخالد ، ـ « التـآخي » (صفحة « الثقافة الكرديـة » ـ ٨ ـ ، ٢٠ تشريـن الثـاني ١٩٧٣) . ف. ب. شارموا فرنسي عمل في بطرسبورغ. لم يقض شارموا ،بالطبع، كل تلك السنوات الطوال في ترجمة كتاب شرفنامه فقط ، لأنه كان يعمل في مجال التعليم الجامعي ايضا ، لكنه احتاج حتما الى جانب كبير منها في سبيـل انجاز ذلك العمل الشاق . فمن المعلوم ان اسـلوب كتـابة شرفخـان البدليسي كان من النوع الأدبي الرفيع للغاية ، وتعتبر تعليقات شـارموا على متن الكتاب من الأعمال الاستشراقية القيمة ، فقد اخرج ترجمته مع تعليقاته في اربعة اجزاء بلغ مجموع صفحاتها ٢٧٧١ صفحة . (راجع : ((Chéref - Námeh ou fastes de la nation Kourde par Chéref-ou ddine, Prince de Bidlis, dans l'lialet d'Arzeroúme)). Trad. du Persan et commentés par F. B. Charmoy, S. - Pbg., T. I, Pt. I, 1868 ; T. I, Pt. II, 1870 ; T. II, Pt. I, 1873 ; T. II, Pt. II, 1875).

قبل الحرب العالمية الأولى بفترة غير قصيرة[٨٥] ، ومـن هؤلاء خ٠ آبوڤيان صاحب أول دراسة أثنوغرافية عن الكرد [في السنة ١٨٤٨] والبروفيسور س٠ أ٠ يگيزاروف وهو أول من كتب باسهاب عن أكراد يريڤان [في السنة ١٨٩١] و أ٠ أوربيللي الذي جلب الشعب الكردي نظره قبيل الحرب الأولى واستحوذ على تفكيره وعمله ، وغير هؤلاء كثيرون • وقـد بحث العديد من العلماء الأرمن عن العلائق القائمة بين شعبهم وبين الأكراد كما تطرق الى ذلك في حينه •

عاد كل هذا الأهتمام المتعـدد الجوانب (السياسـي ، العسـكري ، الثقافي[٨٦] ، العلمي) بالكرد وكردستان بمغانم معينة على روسيا القيصرية • فان عددا غير قليل من زعماء الكرد المتذمرين من جراء أعمال الأوساط العثمانية والايرانية الحاكمة بدأوا يتصورون أنهم يستطيعون تحقيق مآربهم السياسية بمساعدة الروس • ولهذا الغرض فقد أقام بعضهم معهم صلات عن كثب ، وحتى أن شخصا مثل عبدالرزاق بدرخان قدم لهم عدة مشاريع ذكية وبعيدة النظر بهذا الشأن • كما أن زعيم عشائر شكاك سـمكو تعـاون مرارا مع الدبلوماسيين الروس وسعى الى نيل العون منهم • بل ان الشـيخ محمودا الذي كانت منطقة نفوذه تقع في احدى أبعد النقاط الكردية عن روسيا حاول عدة مرات ، سواء قبل الحرب أو خلالها، اقامة الصلات معهم للغرض ذاته[٨٧]•

(٨٥) نقتصر هنا على ذكر المحدثين من العلماء الأرمن . أما الأقدمون منهم فقد تركوا لنا ثروة غنية لاتقدر من المعلومـات المهمـة عن الكرد وكردستان تتضمنها المخطوطات الارمنية القيمة ومن بينها اعمـال الكـاتب والمؤرخ الارمني القديم موڤسيس خورينالسي (مايساى خورينسكي) التي استند اليها مينورسكي في بحثه عن أصل الكرد .

(٨٦) قام الروس قبل الحرب العالمية الأولى بفترة وجيزة بتأسيس مطبعة في مدينة ورمى .

(٨٧) سوف نعود بالتفصيل الى هذا الموضوع ضمن الفصل الرابع .

وقبل اندلاع نيران الحرب بفترة قصيرة بدأ البعض من هؤلاء يؤيدون بحرارة اقامة كردستان ذات حكم ذاتي شريطة أن تكون تحت اشراف روسي. ومع أنه لاشك في أن المسؤولين الروس كانوا يرغبون في ذلك ، الا أنهم لم يكونوا يجرؤون على الاقدام على اللعب بهذه الورقة خوفاً من تأزيم الوضع في المناطق الواقعة على حدود بلادهم الجنوبية ، ذلك أن مثل هذه المحاولة في تلك الظروف الدقيقة كان من شأنها أن تؤدي الى نتائج سلبية بالنسبة اليهم ، فقد كانوا يدركون أن المسؤولين في الدولة العثمانية وايران وألمانيا يقاومون مثل هذا المشروع بكل وسيلة . وبالفعل فان المسؤولين العثمانيين أخذوا يفتعلون المشاكل للضباط والدبلوماسيين الروس في المناطق الكردية ، يشجعهم في ذلك الألمان . كما بدأت الدول الأخرى تنشط كذلك بكل ما في طاقتها ضد أي شكل من أشكال انتشار النفوذ الروسي في المناطق نفسها . هذه العوامل ، والى حد كبير تراخي الروس أنفسهم ، أدت في الواقع الى أن لاتحرز سياستهم النجاح المتوقع في كردستان مع أن الظروف كانت موآتية بالنسبة اليهم أكثر من أى عنصر أوروبي آخر . وقد بلغ الأمر أخيرا حد أن الروس لم يستطيعوا حتى الحفاظ على الأمن والاستقرار على حدودهم المحاذية للمناطق الكردية . أما في سنوات الحرب نفسها فقد كان هم المسؤولين الروس بالنسبة للأكراد محصورا في التفكير في الدور الذي سيكون لهم في ميادين القتال في آسيا الصغرى وكيف يمكنهم أن يحولوا ، على الأقل ، دون وقوف الأكراد ضدهم، ان لم يستطيعوا كسبهم الى جانب قواتهم .

وهكذا ، وكما نرى ، فان روسيا رغم أنها كانت تتطلع نحو أراضي كردستان وثرواتها ، شأنها شأن معظم الدول الكبرى الأخرى ، لكنها كانت تفتقد خطا سياسيا واضحا ازاء كردستان ، وكثيرا ما كانت سياستها تتغير حسب مقتضيات الزمان والمكان . لقد اعترف القنصل الروسي في ورمى ، في

احدى الوثائق السرية ، بجلاء ، بأن الروس كانوا ينظرون في الدرجة الأولى الى المسألة الكردية ومستقبل كردستان من زاويه اقامة دولة أرمينيا المستقلة[٨٨] • وهذا ما كان في الواقع سببا رئيسا لأن يتصد حتى الأكراد القاطنون على الحدود عن روسيا التي كانت تنتهج بجلاء سياستين مختلفتين ازاء الكرد وازاء الأرمن • فلم يحدث ، بالنسبة للكرد ، أن آزرتهم موآزرة تامة في مسألة مهمة ، في حين أنها كانت تساند الآثوريين والأرمن باستمرار ولا سيما الأخيرين ، وكانت تزودهم بالسلاح عند الضرورة ، فضلا عن أنها كانت تملك سياسة واضحة وجلية ازاء مستقبل أرمينيا • وقد تجلت سياسة روسيا هذه في سنوات الحرب العالمية الأولى أكثر من أي وقت غيرها • وفي كتاب رسمي كتب الأمير شاخوفسكي بهذا الصدد يقول : « كان الاعتماد منذ بداية الحركات العسكرية (في الحرب العالمية الأولى ــ ك• م•) على الأرمن كبيرا ، سواء في قيادة القفقاس أو في بطرسبورغ ، وكان ذلك في ضوء التقارير الواردة من تبليس ، فعقدت على أعمالهم آمال كبيرة ، حيث بوشر بتشكيل فرقة أرمنية متطوعة ، بينما لم يعر الأكراد أي اهتمام تقريبا »[٨٩] • مثل هذا الموقف الذي اتخذه الروس كان يدفع القوميين الأرمن المتطرفين أكثر

(٨٨) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 301

(٨٩) راجع :

Курд-Оглу, Курды и империализм,-"Бюллетень прессы Среднего Востока", Ташкент, № 13-14, 1932, стр.108.

كرد أوغلو ، الكرد والامبريالية ، «نشرة مطبوعات الشرق الاوسط» ، طاشقند ، العدد ١٣ ــ ١٤ ، ١٩٣٢ ، الص ١٠٨ . (في الهوامش القادمة: Kurd - Oghlu . . .).

فأكثر ليتصرفوا مع جيرانهم الكرد بخشونة[٩٠] • وكثيرا ما حدث في سنوات الحرب أن الأرمن المسلحين القاطنين في تلك المناطق من تركيا التي كان يدخلها الجيش الروسي ، انقضوا على السكان الأكراد دون أن يعترض سبيلهم قادة هذا الجيش ، وهذا ما كان يؤدي الى مزيد من ابتعاد الكرد عن الروس •

وفضلا عن بريطانيا وألمانيا وروسيا ، فان كلا من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية أيضا أولتا الاهتمام لكردستان وفق سياستهما ازاء مستقبل الدولة العثمانية ومصالحهما الخاصة فيالشرق الأوسط• وما ارسال الأدميرال چيستر ، الذي تحدثنا عنه من قبل الا أحد البراهين الدالة على اهتمام الأمريكان بالمنطقة التي يعود تأريخ دخولهم اليها الى عقود سبقت ذلك التأريخ[٩١] • الا أن هذا الدخول لم يبلغ المستوى الذي بلغه تغلغل الدول الأوروبية لعوامل عديدة مترابطة منها عدم اشتداد حاجة الرأسمالية الأمريكية

(٩٠) في اثر ظهور حركة التحرر القومي بين الأرمن ، اخذت الأوساط الحاكمة في الدولة العثمانية تحقد عليهم أشد الحقد . ومع تنامي نضالهم في سبيل حرية بلادهم أخذ الحكام العثمانيون يفكرون في ابادتهم ، وذلك ماحدث فعلا ، فقد انقضوا عليهم في العام ١٨٩٦ كما انقضوا عليهم للمرة الثانية في العام ١٩١٥ وابادوا منهم مئات الالوف مما اثار الراي العام الأوروبي، واذ تعرض الحكام العثمانيون الى ضغط سياسي كبير ، حاولوا أن يسندوا جريرتهم الى الكرد تبراة لذمتهم هم . لقد ادى ذلك فضلا عن اشتراك بعض الأقطاعيين والمتعصبين الكرد في تلك المذابح ، الى حقد القوميين الأرمن على الكرد ، ولذلك فانهم كانوا يبحثون عن فرصة مثل احداث الحرب الأولى للثار منهم . وسوف نعود الى هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الخامس .

(٩١) لمزيد من التفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر احمد ، حول تغلغل النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ولسن ، مجلة « آفاق عربية » ، بغداد ، العدد ٣ ، تشرين الثاني ١٩٧٦ ، الص ١٠٢ ـ ١٣١ .

آنئذ الى أسواق الأمبراطورية العثمانية وايران ، ومنها كذلك شـدة جشع الدول الأوروپية الكبرى وقوة أطماعهم فيها ، وأخيرا البعد الجغرافي للولايات المتحدة الأمريكية عن المنطقة وعدم تطور وسائل النقل حينذاك بدرجة تقلل من تأثير هذا البعد . ومع ذلك فان المحاولات الأمريكية الأولى للتغلغل في الشرق الأوسط يعود تأريخها الى بداية القرن الماضي ، حيث بدأت الولايات المتحدة تفكر منذ ذلك الحين في اقامة مصالح لها في المنطقـة وحمـايتها ، فعقدت في السابع من مايس من العام ١٨٣٠ معاهدة للصداقة والتبـادل التجـاري مع الأمبراطورية العثمانية أصبحت تتمتـع بموجب بنودها الثمانيـة [٩٢] بنظام الامتيازات في المناطق العثمانية ، الذي اقتصر التمتع بها حتى ذلك التأريخ على الدول الأوروپية فقط . وقد أعطى البند الثـاني من المعـاهدة الأمريكان حق اقامة قنصليات لهم أينما تطلبت مصالحهم في المناطق العثمانية ، كما أعطى البند السابع منها السفن الأمريكية حق الدخول في ميـاه البحر الأسـود . وتضمنت المعاهدة في النهاية بندا سريا تعهدت الولايات المتحدة بموجبه بالقيام ببناء أنواع مختلفة من السفن للدولة العثمانية عند الحاجـة وبموجب عقود خاصة تبرم في حينها .

عقدت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة مشابهة مـع ايران في كانون الأول من العام ١٨٥٦ ، وقد أعطى البند الثالث منها امتيازات واسعة «للرحالة والتجار والصناعيين » من أتباع البلدين (!) الذين أصبح من حقهم « نقـل

(٩٢) للاطلاع على بنود المعاهدة راجع :
J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East. A Document Record 1535 - 1914, V. I, Prinsceton, 1956, PP. 112 - 113.
اقامت الولايات المتحدة الأمريكية العلاقات الدبلوماسية مع الامبراطورية العثمانية منذ العام ١٨٢٤ .

جميع أنواع البضائع والمنتوجات برا أو بحرا ، من و الى البلدين ، والقيام ببيعها أو مبادلتها أو شرائها أو ايصالها الى جميع المناطق داخل حدود كل من الطرفين المتعاقدين الساميين »(٩٣) • وتم بموجب البند السابع من المعاهدة تأسيس ثلاث قنصليات أمريكية في كل من طهران وبندر بوشهر وتبريز • وهذه الأخيرة هي التي وقعت على عاتقها مهمة العمل في المناطق الكردية من ايران • وقد تحول ذلك الى تقليد دبلوماسي أمريكي فيما بعد(٩٤) •

الا أن الظروف السائدة آنئذ لم تكن تسمح بأن تتعدى المصالح الأمريكية في المنطقة حدود العمل لتطوير العلاقات التجارية والتغلغل الثقافي وحماية المؤسسات الخيرية والتبشيرية فيها • وقد قطعت الولايات المتحدة بالنسبة للأخيرة شوطا بعيد المدى بحيث سبقت في هذا الميدان جميع الدول الأوروبية تقريبا • ويستحق هذا الموضوع ، في نطاق بحثنا ، التفاتة خاصة ، بسبب ما لأوجه معينة منه من علاقة بالمناطق الكردية والمناطق الأخرى المجاورة لها والتي تحولت الى مركز رئيس لنشاط المبشرين الأمريكان وبأسلوب لم يخل من تأثير على العلائق القائمة بين مسلمي المنطقة ومسيحييها •

---

(٩٣) راجع :

"Хрестоматия по истории международных отношений", выпуск II, Москва, 1972, стр.85-86.

« مجموعة نصوص عن تأريخ العلاقات الدولية » ، الجزء الثاني ، موسكو ، ١٩٧٢ ، الص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٩٤) أبدى العديد من الدبلوماسيين الأمريكان العاملين في تبريز نشاطا واسعا بين العشائر الكردية ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى وبشكل أوسع منذ الحرب العالمية الثانية ، ومن هؤلاء القنصل وليام ايكلتن الذي عمل في كركوك ايضا واصدر كتابا خاصا عن جمهورية مهاباد .

W. Eagleton, The Kurdish Republic of 1946, Oxford University Press, 1963, 142 PP.

تعود بداية نشاط المؤسسات التبشيرية والخيرية الأمريكية في الشرق الأوسط الى العام ١٨٢٠ ۰ الا أن المعارضة القوية التي كانت تلقاها من الدول الأوروبية (ولا سيما من فرنسا و روسيا) غير الراغبة في ظهور منافس جديد لها ، تسببت في أن تتطور هذه المؤسسات في البداية ببطء ولكن دون انقطاع، ولاسيما وانها كانت تموّن منـذ بداية ظهـورها من جانب خزينـة الدولة الأمريكية[٩٥] ، كما أنها كانت تتمتع بجميع الامتيـازات الواردة في معاهدة العام ١٨٣٠ ۰ ومنذ أواخر القرن الماضـي بدأت هذه المؤسـسات توسـع نشاطاتها الى حـد كبير ، بحيث أنها شملت جميع أجـزاء الأمبراطورية العثمانية[٩٦] ، ولكنها ركزت هذه النشاطات بشكل خاص بين أبناء الأقليات الدينية ۰ ففي مدينة صغيرة واحدة مثل سيواس في وسط الأناضـول افتتح الأمريكان ٢٥ مدرسة بلغ عدد تلاميذ واحدة منها فقط حوالي ١٥٠٠ شخص كان معظمهم من الأرمن ۰ وتشير الاحصائيات الرسمية للعام ١٩١٤ الى وجود ٦٧٥ مدرسة أمريكية في تركيا بلغ عدد طلابها حوالي ٣٥ ألف شخص[٩٧] كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأطفال المسلمين الأتراك خاصة والأكراد بدرجة أقل ۰ ويمكن قياس مدى نجاح المبشرين الأمريكان من خلال سرعة

---

(٩٥) N. Morten, Middle East, New York, 1943, PP. 213 - 214

(٩٦) تم في العام ١٨٨٩ ، مثلا ، تاسيس جمعية تبشيريـة خـاصة في ولايـة نيوجرسي باسم « البعثة العربية » (Arabian Mission) وقد اثارت حملة دعاية واسعة لخططها الرامية ـ كما ادعت ـ الى نشر تعاليم المسيح « بين سكان الجزيرة العربية ... » . وتم بالفعل تـاسيس مركز لها في البصرة في العام ١٨٩١ مع فرع في البحرين (في العام ١٨٩٣)، وآخر في مدينة العمارة (في العام ١٨٩٤) ۰

(٩٧) راجع : مصطفى كمال ، طريق تركيا الحديثة ١٩١٩ ـ ١٩٢٧ ، الترجمة الروسية ، الجزء الاول ، موسـكو ، ١٩٢٩ ، الص ٩٠ ، ٤٠٥ (قسـم الملاحظـات) ۰

انتشار المذهب البروتستانتي بين الأرمن والآثوريين ، فلم تمض على وجودهم سوى سنوات قليلة حتى بلغ أتباع المذهب الجديد بين الأرمن وحدهم أكثر من مئة ألف شخص تتبعهم ١٩٨ كنيسة خاصة مع ٣٥٦ مدرسة[٩٨] كان يقع قسم منها في المناطق والمدن الكردية . وحقق المبشرون الأمريكان بعض النجاح بين الآثوريين القاطنين بين الأكراد حيث اعتنق قسم منهم البروتستانتية نتيجة جهود أولئك[٩٩] .

قدرت مؤسسات التبشير الأمريكية موقعها في البلاد بشكل واقعي . لذا فانها كانت تعمل بدقة وحذر في المجالات ذات الصلة بالتغلغل السياسي وحتى الاقتصادي لبلادها ، فلم تبلغ تدخلاتها ــ والحق يقال ــ بل ولم تكن تستطيع أن تبلغ حتى ذلك الحين ما بلغته مؤسسات التبشير الفرنسية مثلا . وقد أدى هذا الأمر الى خلق انطباع طيب بين الأوساط المثقفة في الأمبراطورية العثمانية صاغت من خلاله تلك الأوساط ، في سنوات الحرب العالمية وبعدها بشكل خاص ، نظراتها السياسية عن الولايات المتحدة الأمريكية ، بصورة غير واقعية .

لكن ذلك لايعني أبدا أن السلطات والأوساط المالية الأمريكية لم تحاول استغلال وجود مثل تلك الشبكة الواسعة من مؤسسات التبشير التابعة لبلادها لصالح تغلغلها هي في مناطق الشرقين الأدنى والأوسط، ولاسيما وأن كلها كانت

(٩٨) راجع : A. Adamov, Iraq . . . , P. 219

(٩٩) راجع : Sir Percy Sykes, A summary of the history of the Assyrians in Iraq 1918 - 1933, - ((JRCAS)), Vol. XXI, April 1934, P. 256.

لمزيد من التفصيلات راجع بحثنا المنشور باللغة الروسية : « حول المشكلة الآثورية في العراق ١٩١٨ ــ ١٩٣٣ » ، مجلة أكاديمية علوم آذربيجان السوفيتية «الأخبار» ، العدد ٢ ، ١٩٦٩ ، الص ٣٠ــ٤٠ .

مرتبطة بـ ((American Board of Commissioners for Foregin Missions))
(مجلس الوكلاء للبعثات الأجنبية ـ الأمريكي) الذي تـأسس في بوسـطن وتحول فيما بعد الى مؤسسة صـيرفية . وقـد كـان في حوزة هذا المجلس صحافته ومطابعه التي كانت تنشر الكتب بست لغات ، كما كان له جهاز اداري كفوء ، وكان يقوم بتنظيم مؤتمرات سنوية للمبشرين الأمريكـان . وكما جاء في بحث روسي عن نشاطات المبشرين البروتستانت في المناطق الشمالية الشرقية من تركيا ، يعود الى العام ١٨٨٨ ، فان ثلث المبالغ الضخمة التي كان يخصصها المجلس لمؤسسات التبشير الأمريكية ، كان يصرف من أجل كسب السكـان والموظفين المحليين(١٠٠) .

ومن جانب آخر كان المبشرون الأمريـكان على اتصال وثيق بسفارة بلادهم في اسـتانبول . وكما تذكر مجلة ((Asia)) في عددهـا الصادر في مارس من العام ١٩٢٣ فان هؤلاء المبشرين ، كانوا يلعبون بحكم اطلاعهم الواسع على أقطار الشرق الأوسط دور مستشارين غير رسميين أثناء النظر في القضايا المتعلقة بالأمبراطورية العثمانية . وقد تجلى ذلك بشكل واضح تماما خلال أعمال مؤتمر الصلح في بارس . ومن الجدير بالذكر أن بعضا من كبار المشرفين على المؤسسات الثقافية والتبشيرية الأمريكية(١٠١) كانوا من

(١٠٠) راجع :

Шпилькова В.И., Империалистическая политика США в отношении Турции (1914-1920), Москва, 1960, стр.30.

ف. ي. شبيلكوفا ، السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الأمريكيـة في تركيا (١٩١٤ ـ ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ٣٠ . (في الهوامش القادمة : ... V. Shpilkova).

(١٠١) منهم چارلس كرين الذي كـان عضـوا في مجلـس ادارة كليـة روبرت =

أصدقاء الرئيس الأمريكي ولسن الذي جاء الى الحكم منذ العام ١٩١٢ وظل فيه طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى .

وتعدى الأمر هذه الحدود أيضا . فقد دخلت السفن الحربية الأمريكية أكثر من مرة المياه الاقليمية للامبراطورية العثمانية ، بحجة حماية أرواح المبشرين الأمريكان ، حتى أن واحدة منها وصلت في العام ١٩٠٠ الى العاصمة استانبول وكانت بقيادة الأدميرال چيستر الذي جاء في هذه المرة للحصول على التعويض عن الخسائر التي سببتها مذابح الأرمن لبعض المبشرين ، وقد وفق في مهمته . وفي الوقت نفسه أعار المسؤولون الأمريكان مسألة تشغيل خريجي مؤسساتهم الثقافية اهتماما غير قليل وصل أحيانا حد استخدام الضغط السياسي .

ومما يجدر بالقول أن وجود أمثال هؤلاء المبشرين في المناطق الكردية وغيرها أدى الى تعمق الخلافات بين سكانها المسلمين والمسيحيين[١٠٢] . وقد تسبب ذلك خلال سنوات الحرب العالمية الأولى في انفجار صراعات وحدوث مذابح بينهم في أماكن عديدة . وعلى سبيل المثال فقد حدثت في بداية الحرب معركة كبيرة بين المسلمين والمسيحيين في منطقة ورمى التي كان المبشرون الأمريكان قد اتخذوها منذ العام ١٨٣١ مركزا لنشاطهم . ونتيجة لهذه المعركة

=

الأمريكية في استانبول ثم مديرها وفيما بعد أحد عضوي لجنة كنگ ـ كريين المعروفة التي ارسلها الرئيس الأمريكي ولسن الى مناطق مختلفة من الشرق العربي .

(١٠٢) لاينكر ان معظم اولئك المبشرين كانوا يقدمون المساعدات الطبية وغيرها الى سكان المناطق التي كانوا يعملون فيها ، فضلا عن ان وجودهم وطراز معيشتهم وتعاملهم تدخل ضمن الأسباب الأولية لايجاد نوع من الصلة بين السكان المحليين والحضارة الغربية .

راح عدد كبير من المسيحيين الأبرياء كبوش فداء[١٠٣] .

شهدت مرحلة ماقبل الحرب العالمية الأولى أيضا بداية التغلغل الاقتصادي الأمريكي في بلدان الشرق الأوسط التي جاءت بطيئة نتيجة لسيطرة عدد من الدول الأوروبية على أسواقها وبسبب بعد تلك الأسواق ـ كما أسلفنا القول ـ وضعف القوة الشرائية فيها خاصة وأن الدولة العثمانية نفسها كانت تئن تحت وطأة قروض الدول الأجنبية المتراكمة عليها . وكانت هذه البداية قد دشنت ووضعت لبناتها الأولى منذ أواخر القرن الماضي ، وقطع التغلغل بعض الأشواط في بداية القرن الحالي ، وبصورة خاصة لأنه تمتع بموجب معاهدة العام ١٨٣٠ بجميع الحقوق التي تضمنها نظام الامتيازات من اعفاءات گمرگية وتجارة حرة . وفي هذه الفترة بالذات وجدت بعض المنتجات الكردية طريقها الى الأسواق الأمريكية في نطاق محدود .

وأيا كان الأمر فقد كان للأمريكان كذلك خططهم الطموحة بالنسبة لمناطق الشرق الأوسط المختلفة والتي توضحت وتشعبت مع اقتراب الحرب العالمية الأولى أكثر فأكثر . ومن المفيد أن نشير هنا الى أن اتفاقية كولبى چيستر حول بناء ثلاثة خطوط حديد سبق ذكرها ، كانت تمس في حالة تطبيقها، مناطق كردية واسعة . فقد كان من المقرر أن يمتد الخط الرئيس من سيواس الى السليمانية . أما الخطان الآخران فقد كانا يصلان بدورهما الى مدن كردية منها دياربكر وخربوط وبدليس وغيرها[١٠٤] .

(١٠٣) راجع : علي سيدو الكوراني ، من عمان الى العمادية ، أو جولة في كردستان الجنوبية ، القاهرة ١٩٣٩ ، الص ٢١٥ ـ ٢١٨ .

(١٠٤) راجع :
((Papers Relating to Foreign Relations of the United States, 1919)), Vol. II, PP. 918 - 919.
(مقتبس من : V. Shpilkova, Op. Cit., PP. 36 - 37).

وفي سنوات الحرب العالمية الأولى نفسها تبنى الأمريكان سياسة ذكية بالنسبة للامبراطورية العثمانية . فما ان اندلعت الحرب حتى وجهت وزارة الخارجية تعليمات صريحة الى الدبلوماسيين الأمريكان العاملين في الأراضي العثمانية تطلب منهم العمل من أجل تطوير العلائق القائمة بين البلدين ، ولاسيما وقد ظهرت أمام الولايات المتحدة امكانات أكبر للعمل هناك بعد زوال الضغط الانكليزي ــ الفرنسي ــ الروسي على الباب العالي بشأن مصالحها وبعد أن صارت الظروف أنسب حتى من السابق بالنسبة لعمل مبشريها في مناطق وجودهم . ومن المهم أن نذكر بهذا الصدد أن الولايات المتحدة لم تعلن الحرب ضد الأمبراطورية العثمانية بعد اشتراكها فيها ضد حليفتيها ألمانيا والنمسا [أعلنت الحرب ضد ألمانيا في السادس من نيسان من العام ١٩١٧ وضدّ النمسا في كانون الأول من العام نفسه] . لذا فاننا نراها تمكنت من الحفاظ على مواقع أقدامها في المناطق العثمانية حتى بعد أن اضطر الباب العالي ، تحت ضغط الألمان ، الى قطع العلاقات الدبلوماسية معها اعتبارا من العشرين من نيسان من العام ١٩١٧ . وليس أدل على ذلك من أن واردات تركيا من البضائع الأمريكية ارتفعت بمقدار ثلاث مرات ونصف المرة في العام ١٩١٧ وبمقدار سبع مرات في العام ١٩١٨ بالقياس مع العام ١٩١٦[١٠٥] . وقد ظهرت نتائج هذه السياسة جلية بعد انتهاء الحرب وأثناء مؤتمر الصلح وفي الأحداث السريعة التي شهدتها المنطقة منذ العام ١٩١٨ .

أما فرنسا فانها كانت من أكثر الدول الأوروبية نشاطا من أجل التغلغل في مناطق الشرق الأوسط ، وقد تمكنت من تحقيق مكاسب مبكرة ومهمة في هذا الميدان . فهي سبقت الولايات المتحدة مثلا بحوالي قرن في الحصول

---

(١٠٥) راجـع : V. Shipilkova, Op. Cit., P. 41

على نظام الامتيازات في الأمبراطورية العثمانية ، وذلك بموجب اتفاق خاص حوى أكثر من ثمانين بندا تم التوقيع عليه بين الطرفين في مايس من العام ١٧٤٠[١٠٦] . حققت فرنسا نجاحات مشهودة في ايران أيضا تجسدت في عقد سلسلة من الاتفاقات والمعاهدات التي منحت الجانب الفرنسي امتيازات كبيرة ، منها ما أبرم في أيلول من العام ١٧٠٨ وفي آب من العام ١٧١٥ وفي كانون الثاني من العام ١٨٠٨ وغيرها[١٠٧] .

اتخذ التغلغل الفرنسي السياسي والاقتصادي في المنطقة ، قبل الحرب طابعاً اتسم بالعمل الدؤوب من أجل ايجاد مواقع ثابتة وبأساليب مختلفة في أصقاع كثيرة اعتبرتها الأوساط الفرنسية الحاكمة مجالا حيويا بالنسبة لانطلاقاتها المقبلة في الشرق الأوسط . ويكفي القول هنا أن الرأسمال الفرنسي المستغل في تركيا قبل الحرب قد فاق تقريبا رساميل جميع الدول الرأسمالية الأخرى المستغلة هناك ، وقد بلغت حصة فرنسا من القرض العثماني حوالي ٦٣٪ من مجموع ذلك القرض[١٠٨] ، مما كان يشكل مبلغا ضخماً للغاية يزيد عن ملياري فرنك ذهب تحول الى أكبر عبء اقتصادي عانت منه كل الدولة العثمانية . وبلغت الرساميل الفرنسية المستغلة في مجال الانتاج الصناعي وغيره حوالي نصف مليار فرنك آخر[١٠٩] .

(١٠٦) راجع : « مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية » ، الجزء الثاني ، الص ٤٠ ــ ٤١ .
(١٠٧) المصدر السابق ، الص ٥٦ ــ ٦٠ و ٧٠ ــ ٧١ .
(١٠٨) راجع : A. D. Novichev, Ocherki . . . , P. 128.
(١٠٩) راجع :

Миллер А.Ф., Очерки новейшей истории Турции, Москва, 1948, стр.100.

أ. ف. ميللر، دراسة تاريخ تركيا المعاصر،موسكو، ١٩٤٨، الص١٠٠ .
(في الهوامش القادمة : A. F. Miller . . .).

أولى الفرنسيون بناء الخطوط الحديد في الأمبراطورية العثمانية جانبا كبيرا من اهتمامهم ، بحيث أنهم كانـوا يحتلون في هذا المجال موقعا جد متقدم على الانكليز بل وحتى على الألمان ، فقبل انتهاء القرن الماضي بلغ مجموع ما بناه الانكليز من السكك العاملة في الأراضي العثمانية ٤٤٠ كيلومتر فقط تقابلها ١٠٢٠ كيلومتر شيدها الألمان ، بينما بلغت المسافة التي بناها الفرنسيون ١٢٦٦ كيلومتر . وهذا الواقـع هو الذي دفع الألمـان في البداية الى اشراك الفرنسيين في مشروع بناء سكة حديد بغداد ومنحهم ٤٠٪ من مجموع أسهمها المقررة[١١٠] . وكان الفرنسيون يطمحون الى بناء المزيد من الخطوط الحديد ، وبشكل خاص في شرقي الأناضول .

اتسم التغلغل الثقافي الفرنسي في الشرق الأوسط بالسرعة والشمول أيضا ، فسرعان ماتحولت الفرنسية الى اللغة الأوروپية المفضلة لدى الأوساط المثقفة التركية وغيرها والى اللغة الثانية للتعامل بعد اللغة التركية . وكانت العوائل الأرستقراطية تفضلها حتى على لغتها القومية . فتركت ، مع الثقافة الفرنسية ، آثـارا جد واضحة على ثقافة عدد من الشعوب الداخلـة في الأمبراطورية العثمانية وآدابها . وكان المثقفون الكرد الذين يقطنون العاصمة استانبول من بين المتأثرين بالثقافة واللغة الفرنسيتين . وقد درس قسم منهم في الجامعات الفرنسية والسويسرية[١١١] . كمـا برز من بينهم دبلوماسيون

(١١٠) راجـع : V. Shpilkova, Op. Cit., P. 16

(١١١) كان ممدوح سليم وقدري جميل باشا وأكرم جميل باشا وعدد كبير من البدرخانيين وغيرهم من الذين برزوا على المسرح السياسي قبيل الحرب الأولى وبعدها يجيدون الفرنسية ودرس بعضهم في باريس . كما تعلـم المؤرخ المعروف محمد أمين زكي واسماعيل حقي شاويس وغيرهما مـن الأكراد العراقيين الفرنسية أيضا خلال دراستهم وعملهم في استانبول .

معروفون من أمثال شريف باشا الذي كان يجيد الفرنسية اجادة تامة وقضى فترة من حياته في باريس .

نشطت البعثات التبشيرية الفرنسية كذلك في البلاد العثمانية . فقد بلغ عدد المدارس التي أسستها في تركيا حوالي ٥٠٠ مدرسة كان يدرس فيها حوالي ٦٠ ألف تلميذ[١١٢] . ونشط المبشرون الفرنسيون في ولاية الموصل نشاطا متميزا[١١٣] وكان لهم موقعهم الخاص في الحياة الثقافية لمدينة الموصل نفسها وقد خلبت اللغة الفرنسية لب العديد من مثقفيها[١١٤] . وفيما يتعلق بالمناطق الكردية من هذه الولاية فقد تغلغل المبشرون في أنحاء بهدينان واحتكوا بسكانها الأكراد وتعلموا لغتهم واطلعوا على عاداتهم[١١٥] . ومن الجدير

(١١٢) راجع :

Шамсутдинов А.М., Национально-освободительная борьба в Турции 1918-1932, Москва, 1966, стр.31.

أ. م. شمس الدينوف ، النضال التحرري ـ الوطني في تركيا ١٩١٨ ـ ١٩٢٣ ، موسكو ، ١٩٦٦ ، الص ٣١ .

(١١٣) يقع جزء كبير من كردستان الجنوبية ، كما هو معروف ، ضمن ماكان يطلق عليه في العهد العثماني (ولاية الموصل) ، وقد كانت هذه المنطقة محط أنظار الدول الاستعمارية ، كما تحدثنا عن ذلك باسهاب في هذا الفصل ولاكثر من مرة ، وهذا السبب بالذات هو الذي يفسر تكرر تعبير (ولاية الموصل) في هذا الفصل وأماكن اخرى من الكتاب مرات عديدة .

(١١٤) لمزيد من التفاصيل راجع : ابراهيم خليل ، ولاية الموصل . دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ ـ ١٩٢٢ (رسالة ماجستير) ، بغداد ، ١٩٧٥ ، الص ١٣٥ ـ ١٣٩ .

(١١٥) قضى الأب توما بوا سنوات عديدة بين اكراد ولاية الموصل ، وقد برز

بالذكر أن التغلغل الفرنسي في ولاية الموصل كان يثير الانكليز وقد عمل كلا الطرفين من أجل وضع العراقيل أمام نشاطات الطرف الآخر .

كل ما سبق يبين بوضوح كيف أن معظم الدول الكبرى كانت تهتم بكردستان في حدود مصالحها السياسية والاقتصادية وامكاناتها الواقعية ووفق سياساتها المرسومة ازاء مستقبل الأمبراطورية العثمانية وضمن اطار محاولاتها للتغلغل في الشرق الأوسط . وقد تجلت عواقب هذا الاهتمام في سنوات الحرب العالمية الأولى بوضوح وأثرت على أحداث تلك الحرب ونتائجها بالنسبة للشعب الكردي ، كما سنتحدث عن ذلك في الفصول التالية من هذا الكتاب .



=

فيما بعد كمستشرق متضلع في الدراسات الكردية ، بحيث عهد اليه المشرفون على « دائرة المعارف الاسلامية » المعروفة بكتابة الموضوع الخاص بالكرد وكردستان للطبعة الجديدة من الموسوعة المذكورة ، وقد انتهى من تأليفه قبل وفاته في العام ١٩٧٥ مضيفا بذلك عملا جليلا الى أعماله العلمية الكثيرة عن تأريخ الشعب الكردي ولغته وعاداته ومعتقداته.

الفصل الثاني

على ابواب الحرب

كان الضعف والانحلال اللذان أصيبت بهما ايران وتركيا منذ ما قبل بداية الحرب العالمية الأولى بعدة أعوام ، من القوة بحيث لم يبق بعدهما الا السقوط والانهيار ، سواء بفعل عامل خارجي أو من جراء تحول ثوري داخلي. فالحرب التي وقعت في العام ١٩١١ بين الدولة العثمانية وايطاليا وحرب السنة ١٩١٢ بين الأخيرة وبلاد البلقان ، والخلافات الدائرة في صفوف الاتحاديين في تركيا ذاتها ، والصراع على الحدود بين ايران وتركيا ، والوضع المعقد ، وصعوبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلدين ، وسرعة تغلغل الدول الاستعمارية في المنطقة ، وتزايد مؤامراتها ومحاولاتها لكسب جماعات وطوائف وعشائر مختلفة ، مع أسباب عديدة أخرى ، كل تلك جعلت البلدين في حالة وهن مستفحل دب في كل جزء من أجزائهما . ففي السنة التي اندلعت فيها الحرب العالمية الأولى كانت ديون انكلترا و روسيا المتراكمة على ايران قد بلغت حوالي ٧ ملايين جنيه استرليني ، وهي مبلغ ضخم اذا أخذنا بنظر الاعتبار واقع القوة الشرائية للنقد المتداول آنذاك . وفي العام نفسه بلغت الفوائد التي كان على ايران دفعها سنوياً للدول الأوروبية لقاء ديونها أكثر من ٥٦٠ ألف جنيه ، أي ما لا يقل عن ربع جميع مصروفات الدولة خلال

السنة الواحدة[1] وفي مثل هذه الظروف الصعبة اضطرت جميع المؤسسات الصناعية التي كان يمتلكها الايرانيون للتوقف عن العمل قبل الحرب بفترة قصيرة ، بما فيها معملان للنسيج وثالث لصنع الطابوق • وشهد الانتاج الحرفي بدوره ركوداً كبيراً حتى اضطرت ثلاثة أرباع المحلات الحرفية في بعض المدن الايرانية الى غلق أبوابها • وتلاحظ ظاهرة عدم الاستقرار والانحلال نفسها ، في المجال الزراعي كذلك[2] •

اتخذ الانحلال في الأمبراطورية العثمانية قبيل الحرب بعدا أعمق حتى من ذلك • فقد أخذ نظام الامتيازات[3] ــ الوجه الأبرز للتغلغل الكولونيالي ــ بخناق الدولة ، بحيث قال عنه أحد الزعماء السياسيين الأتراك انه « عبودية

(١) راجع :

Иванов М.С., Очерк истории Ирана, Москва, 1952, стр.250-251.

م. س. ايڤانوف ، دراسة في تأريخ ايران ، موسكو ، ١٩٥٢ ، الص ٢٥٠ ــ ٢٥١ . (في الهوامش القادمة : ... M. S. Ivanov).

(٢) راجع :

Глуходед В.С., Проблемы экономического развития Ирана, Москва, 1968, стр.29, 39-41 и др.

ف. س. گلوخديد ، مشاكل التطور الاقتصادي لايران ، موسكو ، ١٩٦٨ ، الص ٢٩ ، ٣٩ ــ ٤١ وغيرها .

(٣) بلغت امتيازات الدول الأوروبية في الأمبراطورية العثمانية حد أن الرسوم الكمركية المفروضة على بضائعها المستوردة كانت تشكل نسبة ضئيلة للغاية لم تتجاوز الـ ٥٪ حتى بداية القرن العشرين عندما رفعت الى ٨٪ وقبيل الحرب الى ١١٪ فقط . وكان الميزان التجاري في صالح تلك الدول باستمرار ، فقبل بداية الحرب بسنة واحدة بلغت واردات تركيا [٤٠/٨ مليون ليرة] ضعف صادراتها تقريبا [٢١/٤ مليون ليرة] .

ثقيلة تقع على كواهلنا »[٤] وقد تجسدت الصورة الأسوأ لهذه العبودية ، في « مؤسسة القرض العثماني » باعبائها الثقيلة للغاية[٥] • فقد بلغت القروض الخارجية للدولة عند ابتداء الحرب أكثر من ١٥٠ مليون ليرة تركية ، عهد في تنظيم القضايا المتعلقة بـ ٢ر١٤٣ مليوناً منها الى « مؤسسة القرض العثماني » •

فشلت ثورة الاتحاديين [١٩٠٨] في حل المشاكل العويصة التي كانت تعاني منها الأمبراطورية ، بل على العكس فان اتجاهات معينة من سياستها ساهمت في تعقيد معظمها • وربما يكفي القول هنا ان الحكومة الجديدة التي تشكلت اثر انتصار الثورة ، اقترضت خلال ست سنوات من تسنمها للحكم أكثر من ٤٩ مليون ليرة ، بينما بلغ مجموع ما استقرضته حكومة السلطان عبدالحميد على مدى ١٨ عاماً [من ١٨٩٠ الى ١٩٠٨] أقل من ذلك بحوالي ١ر٤ مليون ليرة[٦] •

كانت المناطق الكردية الداخلة ضمن الأمبراطورية العثمانية وايران تشكل نموذجاً صارخاً للانحلال الذي كانت تعيش فيه الدولتان قبيل الحرب

---

(٤) مقتبس من : A. F. Miller, Op. Cit., P. 17.

(٥) تاسست بموجب « مرسوم المحرم » الذي صدر في العام ١٨٨١ مؤسسة خاصة للاشراف على قروض الدولة العثمانية كان يديرها مجلس ادارة أعضاؤه من ممثلي الدول الأجنبية الدائنة ، فكان لديه جهازه الاداري الخاص الذي تجاوز عدد العاملين فيه خمسة آلاف شخص منحوا حق جباية الضرائب . لقد كانت مؤسسة ادارة القرض العثماني تشكل ، بحق، دولة قوية مصونة داخل دولة هزيلة منحلة .

(٦) احتسبت الأرقام بالاستناد الى المعلومات الواردة في كتاب :

Новичев А.Д., Турция. Краткая история, Москва, 1965, стр.128-129.

أ. د. نوفيچيف ، تركيا ، تاريخ مختصر ، موسكو ، ١٩٦٥ الص ١٢٨ — ١٢٩ . (في الهوامش القادمة : ... A. D. Novichev, Turkey)

العالمية الأولى • فقد كانت سيطرتهما في كردستان ضعفت الى درجة واضحة ، بل ان الشعور بوجودهما كان معدوماً بالمرة في المناطق الوعرة وبين القبائل القوية • وكان الشباب في تلك المناطق يتمردون علانية ودونما وجل على أوامر التجنيد ، والفلاحون يرفضون في أماكن عديدة دفع الضرائب ، بل باتوا لا يعيرون رجال « الضبطية » والجندرمة الحكوميين أي اهتمام • ويقدم الأستاذ صديق الدملوجي في كتابه عن « امارة بهدينان » صوراً صادقة عن هذه الأوضاع ، فقد قضى بنفسه سنوات عديـدة ، في أواخر العهد العثمـاني ، موظفاً في تلك المناطق الكردية • يقول الأستاذ الدملوجي :

« يوجد في كـل قضاء ثلة من أفراد الضبطية لا يزيـد عددهم على الثلاثين ، عليهم ضابط برتبة ملازم أول أو يوزباشي • واجراءاتهم منحصرة في قرى النصارى ، والقرى المسلمة الضعيفة على أن لا تكون تابعة لحماية أحد المتنفذين • وفي النواحي يكـون نفران أو ثلاثة أو أربعة ، وأكثر ما يستخدمون في نقل أوراق المخابرات ، واحضـار الأشخاص الذين تطلبهم الادارة ، ويكونون دائماً في فقر وضيق ولا يتنـاول أحدهم بالسـنة أكثر من راتب شهرين أو ثلاثة أشهر وقد يعطف الناس عليهم » • أما عن المالية فانه يقول : « ينظـر اليها الأهلون كواسطة لنهب الأموال • يضـع مأموروها الضرائب دون وجه قانوني ويحصلونها بالقانون : وهو السجن والمصادرة والتعذيب •••• ومـدراء المال يضربون الحد القياسي في الارتشـاء وقد يشترون وظائفهم من (دفتردار) الولاية ، وتكون قيمة كل مديرية بالنسبة الى جسامة القضـاء وموارده • وفي انتهاء السنة يجدد العقـد والا يكون مصيره العزل • وترى مدراء المال المعزولين مكدسين أمام باب غرفة الدفتردار ينتظرون عزل مدير مال ليحلوا مكانه ، ويكون من نصيب من يعطي ثمناً أعلى » • وعن دوائر التجنيد يذكر المؤلف أنه « لم تكن لهذه الدوائر وظيفة

تقوم بها ، ويندر أن جندت نفراً واحداً في سنة كاملة عدا المدن الخاضعة لتسجيل النفوس . وقد يكون ضباط التجنيد في حالة البطالة دوماً ... ويكونون في حاجة ملحة وقد لايتناول أحدهم أكثر من راتب ثلاثة أو أربعة أشهر في السنة »[٧] .

لكن الأوساط العثمانية الحاكمة حاولت حتى في مرحلة الانحلال هذه تحويل العشائر الكردية الى قوة احتياط في يدها بهدف السيطرة عليها أولا ومن أجل الحفاظ على سطوة السلطان ولضرب الحركة القومية للشعوب غير التركية بما في ذلك نضال الشعب الكردي نفسه ، ولاثارة الاضطرابات في مناطق الحدود الروسية ، ثانيا . وأخيراً في سبيل اعدادها للاشتراك بشكل أكفأ في الحرب أو الحروب القادمة المتوقعة ، خاصة مع روسيا . وعلى هذا الأساس بوشر منذ أواخر القرن الماضي باقامة تشكيلات غير نظامية من العشائر الكردية[٨] سميت بـ « الفرسان الحميدية » تيمناً باسم السلطان عبدالحميد الثاني فجاء الاسم على المسمى تماماً .

أولى المسؤولون هذه التشكيلات الغريبة اهتماما بالغا ، واضعين لها قائمة مفصلة من التعليمات[٩] ، فكان على العشيرة التي توافق على الانضمام اليها

(٧) صديق الدملوجي ، امارة بهدينان الكردية أو امارة العمادية ، الموصل ، ١٩٥٢ ، الص ٨٠ ـ ٨٦ . الكتاب عبارة عن مذكرات سجلها المؤلف عندما كان موظفاً في مناطق بهدينان مما يعطيه اهمية اكبر .

(٨) شكلت جماعات مشابهة من بعض العشائر العربية ولاسيما في سوريا ، ولكن ظلت العشائر الكردية هي التي تشكل العمود الفقري للتشكيلات غير النظامية الجديدة .

(٩) التعليمات مقتبسة من كتاب اڤيريانوف (الاكراد في حروب روسيا مع ايران وتركيا ، الص ٢٤٤ ـ ٢٤٧) وهو اقتبسها بدوره من النص الرسمي للتعليمات ، فقد كان أحد الأسباب الرئيسة لتأليف كتابه الضخم ، دراسة وضع الفرسان الحميدية ، كما ذكرنا ذلك في حينه .

تقديم « فارس » واحد عن كل عائلة على أن يبقى في الخدمة لمدة ٢٣ عاماً حسب التصنيف الآتي : ١ ـ «ألاحضارية»[١٠] ومدة هذا النوع من الخدمة ثلاث سنوات ، يدخلها البالغون من العمر ١٧ عاماً ويقومون بالتدريب في مناطق سكناهم في ضوء تعليمات وردت في كتاب عسكري وضع خصيصاً لهذا الغرض ؛ ٢ ـ « ألنظامية » ومدتها ١٢ عاماً . يضم المنتمون الى هذه الخدمة الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٣٢ عاماً حسب زمن التحاقهم . وكان أفراد هذا الصنف يجتمعون للتدريب بين الحين والآخر ، الا أنهم كانوا ملزمين بالحضور مع خيولهم وكامل أسلحتهم وعتادهم خلال ٢٤ ساعة من استدعائهم ؛ ٣ـ « احتياطية » (الاحتياط) ومدتها ٨ سنوات . وهذه الخدمة هي للفرسان الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٣ و ٤٠ عاماً ، ولم يكن هؤلاء خاضعين للتدريب الا أنهم كانوا يستدعون للخدمة الفعلية في الحالات الضرورية . وعلى الفارس ، في جميع الأحوال ، أن يكون له حصانه أو فرسه وتقوم الدولة بالصرف عليه أثناء الخدمة الفعلية وفي فترة التدريب التي حددت في البداية بثلاثة أشهر في السنة ثم خفضت الى ٥ ـ ٦ أسابيع .

كان حجم الفرق الحميدية يعتمد على حجم العشيرة نفسها ، الا أنه كان من المقرر أن يتكون كل آلاي (فوج) حميدي من ٣ الى ٦ كتائب والكتيبة الواحدة من ٣ الى ٤ سرايا « طقم » وكل سرية من ٢٠ الى ٣٠ فارساً . وكان يقف على رأس كل فوج ضابط خيال نظامي يختار عادة من بين أكفأ ضباط هذا الصنف ، ولاسيما في بداية ظهور الفرق الحميدية .

كان المسؤولون العثمانيون يريدون زج أكبر عدد ممكن من العشائر الكردية في صفوف التشكيلات الحميدية ، ولذا فانهم لم « يبخلوا » في منح

(١٠) المقصود من الكلمة أن فرسان هذا الصنف يحضرون ويدربون ليكونوا مقاتلين في المستقبل .

امتيازات واسعة ، معظمها شكلية ، لكل عشيرة توافق على الانضمام اليها • فأفرادها كانوا يعفون من أداء جميع الضرائب والرسوم لخزينة الدولة فيما عدا ضريبتي العشر والأغنام ، وهما اللذان أثقلا كاهل الفلاح الكردي • وتقرر « منح » كل « عشيرة حميدية »[11] أراضي أميرية خـالية ، في حين لم تكن أمثال تلك العشائر ، والقوية منها بشكل خاص ، تنتظر ، في الأســاس ، أي تفويض رسمي حتى تقوم باشغال الأراضي غير المستغلة التي كانت في متناولها دوماً ، وكان استقرارها أو انتقالها اليها يرتبط بعملية اقتصادية ــ اجتماعية معقدة لم تستطع الدولة العثمانية بسبب انحلالها أن تؤثر عليها بشكل ملمـــوس ، الا أن المشرع اشـــترط ، مع ذلك ، استرجـــاع الأراضي « الممنوحة » للعشيرة التي تنسحب من التشكيلات الحميديـــة • وتقرر فتح عدد من المدارس في المراكز الكردية الرئيســة بقصد اعداد أفراد الجيل الناشيء للانخراط في الحميدية ، فهم أكثر استعدادا لتقبل المبادىء الأولية للتدريب العسكري الحديث بالطبع •

ان أخطر بند مغرٍ ــ حسب اعتقادنا ــ في التعليمـــات هو ذلك البنـــد الذي نص على اخضاع الفرسان الحميديين لمحاكم خاصة،والترجمة الفعلية لهذا البند كانت تعني اطلاق يد رجال العشائر ضد كل معارض للعرش العثماني ، فأصبح نصيب الأرمن من نتائج هذه « المنحة » غير الكريمة أكبر من غيرهم •

رافقت صدور القرار حملة دعائية جد واسعة لتشجيع رؤساء العشائر على تقبل فكرة تشكيل الفرق الحميدية ، فقام عدد من المسؤولـــين الكبـــار بالتجوال في المناطق الكردية[12] للاتصال المباشر بالمتنفذين الذين أعطوا

(١١) هذا التعبير غير مستعمل ، ولذلك فاننا وضعناه بين اقواس صغيرة .
(١٢) قام المشير زكي باشا وحده بأربع جولات في المناطق الكردية من اجل ترغيب الرؤساء في الالتحاق بالفرسان الحميدية .

وعوداً سخية باسم « خليفة المسلمين » الذي قرر ، كما قيل لهم ، توزيع الهدايا الكثيرة والألقاب الرفيعة والمنح السخية على كل رئيس ينخرط رجاله في التشكيلات الجديدة • وقد جرى توزيع نداء خاص في جميع المناطق الكردية باسم السلطان الذي خاطب فيه « الأكراد المؤمنين ــ حماة الاسلام »[١٣] مشجعاً اياهم على ضرورة الأسراع الى تلبية الدعوة «المخلصة» الى أداء « الواجب المقدس » • وكان يجري التأكيد في كل مكان على «الاسم الرفيع » للتشكيلات الجديدة الذي جاء ــ حسب قولهم ــ بمثابة دليل قاطع على الاهتمام البالغ من لدن السلطان و على « التفاتته الكريمة » • وقد دعي عشرات من رؤساء العشائر للقيام سوية بزيارة خاصة الى استانبول فلبوا الدعوة وظلوا هناك لمدة أربعة أسابيع حيث جرى احتفاء كبير بمقدمهم حتى أنهم قدموا مرتين الى شخص السلطان عبدالحميد الذي قلما كان يسمح لنفسه آنذاك بمثل هذه اللقاءات ــ ألمرة الاولى أثناء قيام أتباعهم الذين رافقوهم في سفرتهم باستعراض خاص للسلطان وهم في ثيابهم المزركشة ، والمرة الثانية عندما التقى بهم في قصره الخاص • يعلق الضابط الروسي أفيريانوف على الاستقبال الحار الذي جرى للرؤساء الأكراد في استانبول بقوله :

« لقد أولت الحكومة التركية الرؤساء الأكراد وأتباعهم عناية جيدة على مدى كل الفترة التي قضوها في العاصمة ، باحثة بذلك عن كل السبل الممكنة لاقناعهم »[١٤] •

ومن الجدير بالذكر أن بعضاً من الرؤساء وقعوا تحت تأثير الاستقبال الحار وسحر العاصمة التي لم يروا أعظم منها ، فتطرفوا ، أثناء التقائهم

(١٣) راجع : P. Averianov, Op. Cit., P. 249.

(١٤) Ibid, P. 250.

بالسلطان ، في بذل الوعود بتقديم أعداد جد كبيرة من الفرسان تفوق امكاناتهم الفعلية الى حد كبير ، مما استدعى التفاتة خاصة من لدن عبدالحميد الذي أمر بمنح هؤلاء أوسمة وألقاباً رفيعة كالباشا الذي كان يمنح حامله منزلة تعادل مقام الجنرال (الزعيم) في العرف العسكري العثماني . كما أمر بتوزيع الهدايا عليهم جميعاً وبقطع مخصصات للرؤساء العشائريين والزعماء الروحانيين اعتمد مقدارها على ماكانوا يتمتعون به من نفوذ .

لم تذهب كل هذه الجهود والوعود هباء ، فقد استجاب العديد من رؤساء العشائر في البداية لنداء السلطان . ولكن بالرغم من ذلك جاء الوليد الجديد هزيلا ، وبالطبع ، وكما سنرى ، كان شريراً أيضاً . ان صاحب فكرة تشكيل الفرق الحميدية شاكر باشا لم يكن سوى سيرڤانتس[١٥] عثماني ، ولكن في ثوب غير واقعي . لذا جاء «الفارس» الحميدي صورة مشوهة لدون كيخوت النبيل .

لم يكن بالامكان قطعاً أن تنجح خطة تأسيس الفرق الحميدية التي فشلت في أن تحقق جزءاً ، وان كان يسيرا ، من المهام التي شكلت من أجلها ، أللهم الا فيما يتعلق بالمذابح الأرمنية وهو نجاح أسود كما نبين ذلك بالتفصيل

(١٥) سيرڤانتس (١٥٤٧-١٦١٦) كاتب اسپاني عبقري عبر في كتابه ذائع الصيت «دون كيخوت» (دون كيشوت) بشكل مبدع عن خيبة امل المفكرين الانسانيين في عصر النهضة الأوروبية عندما أرادوا تغيير الواقع المجحف بأساليب خيالية . فبطل القصة دون كيخوت يحلم باحياء الفروسية في وقت ولى عهدها ، ويحاول تغيير الواقع بقوة يده فيظهر في ثوب مضحك أمام القاريء . واضح أن هناك بونا شاسعا بين فكرة سيرڤانتس العبقرية التي انتقد من خلالها بشكل لاذع وخلاق أساليب الانسانيين في عصر النهضة وبين ما كان يحلم به شاكر باشا ، الا أن هناك شيئا واحدا يجمع بينهما هو محاولة تغيير الواقع بأساليب بالية فجاء « الفارس » في الحالتين هزيلا مضحكاً .

في الفصل الخامس. وقد تفاعلت عوامل معينة فيما بينها أدت الى فشل المشروع في النهاية . فقبل كل شيء رفض عدد كبير من العشائر الكردية الانخراط في صفوف الحميدية ، بعضها استنكفت عن ذلك وبعضها الآخر علمتها التجارب دروساً قاسية بحيث أصبح من السهل بالنسبة لها ادراك الحقائق مباشرة ، لذلك لم تخضع للاغراءات وأحياناً للتهديد غير المباشر ، حتى أن عشيرة مثل الهموند التي عرفت بالشجاعة النادرة وبالمغامرات العجيبة(١٦) لم تستجب لنداء السلطان لانها أخذت ، على ما يبدو ، درساً قاسياً من التأريخ(١٧) . ومن مجموع خمس عشائر كبيرة في منطقة بدليس لم ينضم سوى قسم من عشيرة الجلالي الى الحميدية ، ولم يختلف الوضع عن ذلك في ولاية دياربكر حيث رفضت الأكثرية الساحقة من عشائرها الاعتراف بها . أما في منطقة درسيم الوعرة فقد رفض الجميع بشكل مطلق الانخراط في صفوفها . وفي الامكان ايراد قائمة مفصلة بأسماء الرؤساء المتنفذين والزعماء المعروفين الذين لم يستجيبوا لدعوة السلطان الحارة ومنهم البدرخانيون والشمزينيون والشيخ محمود ورؤساء البشدر وغيرهم كثيرون . بل وقف بعض من هؤلاء ، وبشكل خاص البدرخانيون منهم ، ضد انخراط العشائر الكردية في صفوف فرق

(١٦) عن مغامرات عشيرة الهموند ، راجع :

E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, London, Second ed., 1926, PP. 164, 179 - 182, 287 - 288.

في ترجمته العربية للأستاذ فؤاد جميل راجع : الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٧١ ، الص ٢٧ ــ ٣٢ .

(١٧) تم في أواخر ثمانينيات القرن التاسع‌عشر نقل اعداد كبيرة من افراد عشيرة الهموند الى طرابلس الشام وأدنة ، لكنهم رجعوا فيما بعد الى موطنهم . غالباما كانت السلطة تلجأ الى استخدام العنف واحياناً الخداع في علاقاتها بالهموند (للتفصيل راجع : محمد أمين زكي ، تاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمة محمد جميل بندي الروژبياني ، بغداد ، ١٩٥١ ، الص ١٨٩ ــ ١٩٦) .

الحميدية التي أدركوا المرامي الحقيقية لتشكيلها مباشرة ، كما أنهم قدروا بشكل صحيح النتائج السلبية التي تركها أعمال تلك الفرق على العلائق الأرمنية ــ الكردية وعلى موقف الأوروبيين من الكرد بشكل عام • فان جريدة « كردستان » التي هي أول جريدة كردية ، وقد أصدرها البدرخانيون في الخارج ، انتقدت بشدة الفرق الحميدية في عددها الثامن والعشرين الصادر في ١٥ أيلول من العام ١٩٠١ معتبرة اياها « مؤسسة فاسدة » • وقد استعرضت الجريدة في افتتاحيتها الظروف التي أدت الى تشكيل هذه المؤسسة وذكرت ــ وهذا هو الأكثر أهمية في المقال ــ أن زكي باشا فكر في تأسيس الحميدية لأنه أراد تحويلها الى أداة ضد الحركة القومية الأرمنية وللحيلولة دون التقاء الشعبين الأرمني والكردي ضد استبداد عبدالحميد ، لذا أصبحت أعمال « هذه الفرق منذ يوم تأسيسها مضرة بالبلاد وبالشعب بشكل لا يوصف » • وتشير الجريدة أيضاً الى محاولات السلطان عبدالحميد وأعوانه لتشكيل فرق مشابهة من العشائر العربية فتحذر تلك العشائر من ذلك وتؤكد على ضرورة اتفاق الشعوب العربية والأرمنية والكردية في سوح النضال ضد حكم السلطان عبدالحميد الدموي ومؤآمراته ونواياه • ومن الجدير بالذكر أن الجريدة نشرت نص المقال باللغة التركية وفي العدد نفسه أيضاً[١٨] •

وفي الواقع لم تكن الاستجابة للانخراط في صفوف الحميدية متحمسة بالشكل المتوقع حتى بين العشائر التي عرف رؤساؤها بالولاء للسلطان عبدالحميد والذين كان تلهف معظمهم في البداية نابعاً من جريهم وراء الكسب الرخيص • فان رئيس عشيرة الجلالي في منطقة بايزيد قد تعهد ، مثلا ، بتقديم آلايين للتشكيلات الحميدية ، الا أنه بعد عودته من استانبول بدأ يتراجع عن

(١٨) « كردستان » ، فولكستون ، العدد ــ ٢٨ ــ ، ١ جمادي الآخرة ١٣١٩ ، ١٥ أيلول ١٩٠١ .

وعوده ويتعذر بانتقال رجال عشيرته الى مراعيهم داخل الحدود الايرانية مما دفع المسؤولين الى الاعتماد على رؤساء آخرين من العشيرة نفسها . والمثل الأكثر دلالة هو ما وقع لأمين آغا رئيس عشيرة حيدرانلي الذي وعد بدوره بتقديم آلايين فاستحق عن ذلك الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة ولقب الباشا السامي ، الا أنه فشل حتى في جمع عدد من الرجال يكفي لتشكيل كتيبة واحدة فقط[١٩] علماً بأن عشيرة الحيدرانلي كانت من أكبر العشائر الكردية الداخلة في الأمبراطورية العثمانية وكان عدد أسرها آنذاك يقدر بما لا يقل عن عشرين ألف أسرة تقطن منطقة شاسعة امتدت بين موش و ورمى وشملت أصقاعاً من باشوية وان[٢٠] . وانسحب فيما بعد عدد من رؤساء العشائر الكردية من صفوف الحميدية بعد أن خدموا فيها لمدد مختلفة .

وكان هناك عامل اقتصادي ــ اجتماعي جد مهم يحول دون تحمس الفلاح والاقطاعي الكردي للعمل في صفوف الحميدية ، ولاسيما بعد أن بدأت التدريبات الفعلية وبعد أن تم ارسال قطعات منها لأداء واجبات عسكرية قمعية في مناطق بعيدة عن مناطقها . فلم يكن من صالح الفلاح ، كقوة انتاج رئيسة ، الانقطاع عن العمل المنتج لمدد مختلفة . ومن جانب آخر كان من شأن التشكيلات الجديدة ــ في حالة تطورها ــ تقوية صلات الفلاحين «الفرسان» بالسلطة ، مما كان يعني منطقياً اضعاف نفوذ وتأثير رئيس العشيرة عليهم بالتدريج وهو أمر مرفوض في مفهومه قطعاً . وقد فكر شاكر باشا ، فعلا ، بهذه النقطة التي اعتبرها من العوامل الضرورية لاقامة تشكيلات عسكرية

(١٩) راجع : P. Averianov, Op. Cit., P. 252.

(٢٠) عن حيدرانلي راجع : محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الآن ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة، ١٩٣٦ ، الص ٢٤٩ . راجع أيضا : J. Jalil, Kurds . . . , P. 21.

غير نظامية من أبناء العشائر •

ولم تكن الدولتان المجاورتان روسيا وايران ، وبصورة خاصة الأولى منهما ، مرتاحتين من تشكيل الفرق الحميدية ، ولاسيما وأن واحداً من أهدافها الأساسية كان اعدادها ــ كما ذكرنا ــ للحرب أو الحروب القادمة المتوقعة مع روسيا قبل غيرها • وقد تمكنت هذه الأخيرة من كسب عدد لا بأس به من رؤساء العشائر في منطقة الحدود ، فكان من الطبيعي أن يقف أمثال هؤلاء ضد التشكيلات الحميدية ، كما قام الضباط والدبلوماسيون الروس وكذلك الأرمن بتنظيم دعاية واسعة في الداخل والخارج لتشجيع الأكراد على عدم الانخراط في صفوف الحميدية • ولم تتحمس العشائر المعروفة بميلها نحو ايران أو بارتباط مصالحها بها ــ مثل عشيرة الجاف الكبيرة ــ لفكرة اقامة الحميدية أساساً •

ومن الأسباب المهمة الأخرى لفشل التنظيمات الحميدية واقع الانحلال الذي كانت تعيشه البلاد • فلم يكن بمستطاع خزينة الدولة المفلسة فتح باب جديد للصرف ، لذا بقيت معظم الوعود التي بذلت لرؤساء العشائر على الورق فقط • وأكثر من ذلك أن الجهات المسؤولة لم تستطع حتى ضمان الخيول « للفرسان » الذين لم تكن لديهم خيول أو أن خيولهم لم تكن صالحة للاستخدام العسكري ، وكان هؤلاء وأولئك يؤلفون الأكثرية الساحقة من المنخرطين في صفوف الحميدية • ثم ان المسؤولين عن تنظيم هذه الفرق وجدوا الفرصة سانحة لضمان موارد كبيرة لأنفسهم وذلك عن طريق الاختلاس والاحتيال وحتى الاغتصاب • وهكذا كان من الطبيعي أن تكون الفرق الحميدية ناقصة العدد والعدة ، قليلة الالمام بالفنون العسكرية الحديثة • فحتى النهاية لم يصبح بالامكان تشكيل مئة آلاي حميدي من العشائر الكردية والعربية كما كان مقرراً ولم يبلغ عدد الخيالة في الكتيبة الواحدة

ثلاثمئة شخص الا في حالات جد نادرة ، بينما كان من المقرر أن يصل الى خمسمئة خيال وهذا أدى الى أن يكون ما لايقل عن نصف المنضمين الى الفرق الحميدية من المشاة لا الفرسان مع أن التعليمات نصت على أن يكونوا جميعاً من الصنف الأخير فقط •

ومع ذلك فقد حاول المسؤولون بعد ثورة العام ١٩٠٨ ، ومع اقتراب الحرب ، تحويل الفرق الحميدية تحت واجهات أخرى الى قوةٍ فعالة تستطيع أداء دور من شأنه تخفيف ضغط الأعداء على الجيوش النظامية العثمانية ، فأضيف صنف مدفعي الى تشكيلاتها • الا أنها ظلت تؤلف ، مع ذلك ، قوة غير قادرة على التحرك الجدي ، بل انها فقدت كل احترام لها بين الناس ، فكانوا ينظرون اليها بازدراء ولاسيما وأنها تحولت في العديد من المناطق الى عبء ثقيل على كواهلهم • ثم ان ثقة المسؤولين أنفسهم بهذه الفرق بدأت تتزعزع هي الأخرى خاصة بعد أن لاحظوا الفتور الواضح الذي بات يخيم على المنخرطين في صفوفها • وتوجد حالات كثيرة رفض فيها رؤساء العشائر الملتحقون بالحميدية الامتثال لأوامر السلطة بالتوجه لقمع حركات وانتفاضات كانت تقع هنا وهناك في سبيل الانعتاق من النير العثماني • فان ابراهيم باشا رئيس عشائر الملي المعروفة مثلا رفض الاشتراك في الحرب ضد اليونانيين ولم يوافق على أن يزج بأتباعه في الحملات الموجهة ضد الثوار اليمانيين(٢١) مع

(٢١) راجع :

Лазарев М.С., Курдский вопрос (1891-1917), Москва, 1972, стр.115, 398.

م. س. لازاريف ، القضية الكردية (١٨٩١ – ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٧٢ ، الص ١١٥ و ٣٩٨. (في الهوامش القادمة : M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . .). راجع ايضاً : الدكتور أحمد عثمان ابوبكر ، اكراد الملي وابراهيم باشا ، بغداد ، ١٩٧٣ ، الص ٤٧ .

أنه كان يتمتع بحظوة كبيرة لدى شخص السلطان عبدالحميد الثاني الذي منحه لقب الباشا الرفيع لاعجابه الشديد بمغامراته الواسعة • ويبدو أنه لم تكن للسلطات العثمانيـة ثقة كبيرة حتى بتلك العشائر الكرديـة التي كان رؤساؤها يعتبرون أنفسهم من أخلص الناس لسدة « الخلافة العثمانية » ، لذا نصت تعليمات تشكيل الحميدية على توزيع الأسلحة على « الفرسان » أثناء التدريب أو التوجه نحو ميادين القتال فقط ، وفيما عدا مثل تلك الحالات كانت الأسلحة تجمع في أقرب حامية عسكرية •

في مثل هذه الظروف اضطر المسؤولون العثمانيون لبذل جهود كبيرة خارج نطاق التشكيلات الحميدية من أجل كسب ود رؤساء العشائر الكردية الأخرى لأنهم كانوا يدركون أن ثغرة ملموسة ستقع في مقدرتهم القتالية أثناء الحرب ان لم تنضم تلك القبائل اليهم • كان حكام الأمبراطورية يريدون اقامة سد منيع من العشائر الكردية بوجه القوات الروسية من جهة وتحويلها الى أداة للتغلغل في ايران من جهة أخرى ، لذا حاولوا التقرب من جميع الرؤساء المتنفذين في كردستان وكانوا يبذلون لهم الوعود المعسولة لدفعهم الى تحقيق أهدافهم تلك •

لكن جهود الأتراك ومساعيهم في هذا المضمار كانت قليلة الفائدة وعديمة الجدوى الى حد كبير ، فلم يلب نداءهم الا عدد محدود من رؤساء العشائر الكردية ، في حين أن رؤساء عشائر كردية آخرين كانوا يعلنون دونما خوف أو وجل أنهم سينتفضون اذا ما حدثت حرب ضد الجيش التركي وسينضمون الى الروس • ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن عدداً من الوطنيين المستـائين كانوا يساندون هذه الفكرة الى حد كبير ، فقد جعلتهم المظالم العثمانية بعيدين عن أن يقيموا بشكل سليم مطامع الطبقات الحاكمة الروسية وخططها •

لم يطرأ تبدل ما على سياسة الأوساط العثمانية الحاكمة تجاه الشعوب غير التركية بعد انتصار ثورة الاتحاديين في العام ١٩٠٨ ، بل على العكس من ذلك ظهرت عوامل محركة جديدة في المجال السياسي بالنسبة للقوى الوطنية لهذه الشعوب نجمت عن الخيبة الكبرى التي أصيبت بها بسبب النهج غير المتوقع الذي سار عليه الاتحاديون بعد تسنمهم السلطة . فاذا كان السلطان عبدالحميد الثاني يريد جعل الدعوة الى الجامعة الاسلامية وسيلة للحفاظ على كيان أمبراطوريته فان الاتحاديين تبنوا لنفس الغاية سياسة قومية متطرفة جاءت على طرفي نقيض مع مصالح الشعوب الداخلة في نطاق الدولة العثمانية ، بما في ذلك الشعب التركي نفسه . وفي البداية تمت صياغة هذه السياسة في اطار الدعوة الى الوحدة العثمانية التي كانت تستهدف تحويل جميع شعوب الأمبراطورية الى «أمة عثمانية» واحدة . ولم يخف الاتحاديون الهدف الحقيقي من سياستهم هذه ، فقد صرح جمال باشا ، وهو من أركانهم البارزين ، صرح قائلا « اننا لا تتبع سياسة تركية ، بل نتبع سياسة الوحدة العثمانية » ، الا انه أضاف على ذلك قوله ان الشعب التركي هو الذي يشكل « حجر الزاوية » بالنسبة لكل الأمبراطورية العثمانية[٢٢] . وكما يقول المتخصص المعروف في دراسة تأريخ تركيا الحديث البروفيسور أ. ف. ميللر فأن الاتحاديين كانوا يقصدون من فكرة الوحدة العثمانية « تتريك جميع الشعوب الأخرى » لا غير[٢٣] . وعندما اعتقد هؤلاء أنهم لم يبقوا بحاجة الى عرض أفكارهم المتطرفة بشكل غير مباشر بدأوا يجاهرون بها علناً . ففي قرار اتخذته جمعية الاتحاد والترقي في ربيع العام ١٩١١ أعلن الزعماء الجدد أنه

---

(٢٢) في الواقع كان العرب هم الذين يشكلون الأكثرية العددية في الأمبراطورية العثمانية .

(٢٣) A. F. Miller, Op. Cit., P. 20.

لا بد من عثمنة جميع العناصر غير التركية عاجلاً أم آجلاً وأنه لايمكن « تحقيق ذلك عن طريق الاقناع » بـل يجب اللجوء الى استخدام القوة لاجبارها على ذلك[٢٤] .

كان الاتحاديون يحاولون ايجاد تبريرات واهية لمثل هذه السياسة التي استهدفت شعوب الأمبراطورية العثمانية دون استثناء . فقد كتبت صحيفة « تنين » (ألتنين) الناطقة باسم جمعية الاتحاد والترقي تقول : « ألحرية شيء جيد ، ومن شـأن منحها للاقليات القوميـة[٢٥] كسـب عطف أوروپـا الى جانبنا . الا أننا معشر الأتراك ، ضعفاء اقتصادياً ، فاذا منحنا الشعوب الأخرى الحرية السياسية أيضاً فان ذلك يعني أننا أعطيناهم عنصراً جديداً للتفوق علينا »[٢٦] . ولم يتعظ الاتحاديون بالفشل الذريع الذي لحقهم في مناطق البلقان من جراء سيـاستهم هذه ، لذا نراهم يخطون خطوة أخرى الى الوراء عندما تبنوا قبيل الحرب مباشرة سياسة التتريك التي حلت علانية محل فكرة الوحدة العثمانية . وكان من الطبيعي أن تثير السياستان الشعوب العربية[٢٧]

(٢٤) Ibid, PP. 20 — 21.

(٢٥) كانت الأوساط الحاكمة تعتبر جميع الشعوب غير التركية الداخلة في الامبراطورية العثمانية اقليات قومية .

(٢٦) مقتبس من :

Гордлевский В.А., Избранные сочинения, т.III, (история и культура), Москва, 1962, стр.81.

الاكاديمي ڤ. أ. گردليفسكي ، مؤلفات مختارة ، الجزء الثـالث (تأريخ وثقافة) ، موسكو ، ١٩٦٢ ، الص ٨١ . (في الهوامش القادمة : V. A. Gardlevski . . .).

(٢٧) توجد عشرات من المصادر العربية التي القت الضوء على معظم جوانب ذلك الاستياء وطابعه ، والمهم ان بعضاً منها يعـود الى أيـام حكم الاتحاديـين انفسـهم فقد الفها أناس عاصروا الأحداث وراقبوهـا عن كثب ومنهـم من =

والأرمنية[٢٨] والكردية وغيرها الى حد كبير ، فقد وقف ضدّها في البرلمان علانية نائب درسيم الكردي لانها أدت على حد قوله الى « وأد فكرة الحكم اللامركزي بالقوة على أيدي الاتحاديين »[٢٩] .

اتخذ الاستياء في كردستان طابعاً مميزاً وذلك بفعل عدد من العوامل المتشابكة ، فمن جهة أدى الأمر الى حدوث مد ثوري تقدمي ومن جهة أخرى الى انتعاش رجعي متخلف . فأولى الحركات التي وقعت ضد الاتحاديين قام بها بعض رؤساء العشائر الكردية من الموالين للسلطان عبدالحميد والذين توجسوا الخيفة من النظام الجديد بدوافع ذاتية لا قومية . فلم يكن قد مضى شهر ونيف على انتصار الاتحاديين عندما رفع ابراهيم باشا الملي عصا العصيان ضدهم واستطاعت قواته المتكونة من عدة آلاف مسلح السيطرة على مناطق واسعة بين أرزنجان وديرالزور . وكما يذكر گ. ز. ألييف في بحثه المفصل عن تركيا في عهد الاتحاديين فان تحرك ابراهيم باشا أثار « تخوفاً كبيراً في نفوس الأتراك الفتيان لعلمهم بأن من المحتمل أن يؤدي انتصاره الى هز كل أساس الحكومة التركية في آسيا الصغرى »[٣٠] لذا وجهوا ضده قوة كبيرة

=

اشترك فيها مباشرة ، لذا تعتبر مؤلفاتهم مصادر أصيلة في هذا المجال . ودرس المؤرخون العرب والأجانب الموضوع نفسه بشيء من الاسهاب .

(٢٨) تنطبق المقولة الواردة في الهامش السابق على الأرمن أيضاً ، فتوجد مصادر أصيلة كثيرة ودراسات عميقة مختلفة تبين أوجه الاستياء الأرمني المشروع .

(٢٩) راجع : V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 83.

(٣٠) Алиев Г.З., Турция в период правления младотурок, Москва, 1972, стр.188.

گ. ز. اليیف ، تركيا في عهد الأتراك الفتيان ، موسكو ، ١٩٧٢ ، الص ١٨٨ . (في الهوامش القادمة : G. Z. Aliev . . .).

تتألف من اثنتين وعشرين كتيبة بقيادة نشأت باشا ، تمكنت من قمع الحركة بعد معارك دامية[٣١] . وقعت حركات أخرى مشابهة في عدد من المناطق الكردية الا أنها لم تؤد الى نتائج ملموسة . وقد لاحظ م. س. لازاريف ، بحق ، أن مثل هذه الحركات ماكانت لتستطيع الاستئثار باهتمام الجماهير الكردية لولا سياسة الاتحاديين أنفسهم ولولا حقيقة أن آثار الثورة لم تصل الى الجبال الكردية ، وهو يستند في الفقـرة الأخيرة من رأيه الى وثائق قنصلية مهمة و الى ما ذكره بعض الغربيين بهذا الصدد في حينه[٣٢] .

ولكن حدث مقابل ذلك مد ملحوظ في الحركة القومية الكردية ذات الطابع الديمقراطي الواضـح[٣٣] . ومما كان يؤدي الى اضفـاء مضمون اجتماعي على هذه الحركة ، الوضع المتردي للحياة الاقتصادية والاجتماعية في كردستان ما قبل الحرب ، شأنها في ذلك شأن معظم المناطق الأخرى من ايران

(٣١) راجع :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 148 — 149.
راجع ايضا : الدكتور احمد عثمان ابوبكر ، المصدر السابق ، الص ٥٣ — ٥٥ .

(٣٢) M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 148, 406.

(٣٣) لايمكن الاتفاق مع المؤرخ الآذربيجاني السوفيتي كـ. ز. الييف في قولـه ان الحركة الكردية اتخذت طابعاً ديمقراطياً فقط عندمـا بلغت سيـاسة الصهر التي تبناها الاتحاديون درجة لا تحتمل (G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 189 — 190). حيث أن الطابع الديمقـراطي الذي يتحدث عنه المؤرخ كان في الواقع موجوداً منذ أواخر القرن التاسـع عشر ، وقد جـاء ميلاده بحكم عوامل موضوعية محددة حتمت ظهـوره ، وكـان له دوره في تمهيد الطريق لانتصار ثورة الاتحاديـين التي أدت بأحداثهـا الايجـابية والسلبية الى تعميق ذلك الطابع بشـكل ملموس . وكما لايخفى على الدكتور اليف فان أرشيفات الاتحاد السوفيتي مليئة بالوثائق والتقارير المهمة التي تعود الى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ومن شأنها القاء أضواء كاشفة على هذا الجانب الحساس من التاريخ الكردي الحديث كما فعل زميله الدكتور لازاريف .

والبلاد العثمانية ، فازداد عدد الأكراد الذين ينادون بضرورة تلبية المطاليب القومية والاجتماعية المشروعة لشعبهم ، مما تجلى في اتساع بعض النشاطات السياسية والاجتماعية . فقد تكاثر عدد الجمعيات والمنظمات الكردية وكان تأثيرها بين الناس ، ولاسيما بين المثقفين ، في نمو مطرد ، وهي بدأت تنشر على نطاق واسع البيانات والنشرات المليئة بالآراء المتحررة وبالغضب المشروع ازاء نفس السياسة المتخلفة التي أثارت حنق الشعوب الأخرى أيضاً . ومن بين تلك النشرات كانت احداها تحمل مثل هذا العنوان المعبر : « هذه الأرض أرضنا » . انتقدت هذه النشرة سياسة الاتحاديين بشدة ، وحسب المعلومات الواردة في التقارير القنصلية التي تعود الى ذلك العهد فانها تركت صدى عميقاً بين أوساط الناس وكانت تصل الى زوايا قصية من كردستان[٣٤] . ومن الجدير بالذكر أن تلك البيانات والنشرات كانت تصدر في مدن مثل دياربكر وغيرها ، كما كان بعضها يصدر في كردستان ايران ، الا أن نسخاً منها كانت ترسل بطريقة خاصة الى بعض التكايا النقشبندية في بهدينـــان حيث توزع من هناك . وكما يروي الأستاذ صديق الدملوجي كانت هذه النشرات تلقى « في التكايا الدينية ... رواجاً [بين الناس ــ المترجم] ويقرأونها ويتفهمونها » بينما كان البعض ممن « تصل اليهم هذه البيانات والمنـــاشير يرفعونهـــا الى الحكومة دلالة على صداقتهم واستنكاراً لهذه الجمعيات التي تعمل « لتسميم الأفكار » على حد تعريف الحكومة لها »[٣٥] .

وفي تلكم السنوات أيضا كانت بعض الجمعيات والمنظمات الكردية التي

(٣٤) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 200.

(٣٥) صديق الدملوجي ، المصدر السابق ، الص ٩٤ ــ ٩٥ .

تكونت ابان انتصار ثورة الاتحاديين[٣٦] ، تعمل بصورة علنية وتنشر بياناتها وكانت مكانتها تتعزز باستمرار ولاسيما بين المثقفين • كانت جمعية «هيڤى» للطلبة الأكراد (كورد طلبه هيڤي جمعيتي) أكثر الجمعيات الكردية نشاطا في فترة ماقبل الحرب ، بل انها استطاعت أن تنشىء لها فروعا في بعض المدن الأوروبية ، وكان لهذه الجمعية لسـان حال خاص يسمى « روژا كورد » (يوم الكرد) ثم أبدل الاسم الى « هه‌تاڤى كورد » (شمس الكرد) ثم الى « ژين » (الحياة) ولم تتوقف « هيڤي » عن العمل حتى بداية الحرب العالمية الأولى ، ولكنها لم تستطع فيما بعد مواصلة العمل ، شأنها شـأن الجمعيـات والمنظمات الكردستانية الأخرى ، وذلك بسبب سوق معظم كوادرها الى الجيش •

ومن الجمعيات السياسية الفعالة الأخرى في كردستان تركيا آنئذ ، (جمعية رقي الكرد وتقدمهم) « كومه‌لى تعالي وترقي كورد » التي كانت أول منظمة سياسية كردية وقد تجمع حولها عدد من مشاهير رجال الكرد من أمثال أمين عالي بدرخان وشريف باشا والشيخ عبدالقادر الشمزيني[٣٧] • ولكن السياسة الشوڤينية للاتحاديين جعلت نشاط هذه الجمعية لا تتعدى في الفترة التي سبقت الحرب نطاقا ضيقا •

---

(٣٦) جمع قسم مهم من المعلومات الواردة في هذا الفصل ، ولاسيما مايتعلق منها بنشاط المنظمات والجمعيات السياسية ورؤسائها ، من قبل المؤلف نفسه. وقد استفاد في هذا المجال استفادة كبيرة من الأستـاذين ممدوح سـليم وأكرم جميل باشا اللذين ساهما في انشاء معظم تلك الجمعيات ، واتصـل مرارا بالأستاذ اسماعيل حقي شاويس بقصد التقصي والمقـارنة توخيـاً للأمانة العلمية .

(٣٧) راجع : الدكتور بلەچ شيركوه ، القضية الكردية . ماضي الكرد وحاضرهم ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، الص ٥١ .

ومع أن الوطنيين في كردستان تركيا كانوا في تلك الفترة ، ولأسباب خاصة ، أكثر نشاطاً من زملائهم في الأجزاء الأخرى من كردستان ، الا أنه كان يمكن الاحساس بالنهوض والاستيقاظ في كردستان ايران كذلك . فقبل الحرب ، وفي سنوات الحرب ذاتها ، كانت « جمعية استخلاص كردستان » تعمل بنشاط وجد . وقد رفعت شعارات قومية واضحة المعالم . وفي تلك الآونة كذلــك [ألعام ١٩١٢] تأسست في كردستان ايران أيضــا جمعية « جهانداني » (معرفة العالم) . كانت هذه الجمعية تحاول قيادة النضال الكردي في مسار صحيح وفي اطار موحد[٣٨] .

كان أحد الأوجه الجديدة المهمة للنضال الثقافي للجمعيات والمنظمات والشخصيات السياسية الكردية المعروفة في تلك الفترة ، ألاهتمام بنشر الدراسة والتعليم بين الأطفال والشباب الكرد اليافعين وخدمة اللغة الكردية وأدب الشعب الكردي باعتبار أن اللغة والأدب عاملان فعالان لصيانة العادات والمشاعر القومية وتنميتها بين جماهير الشعب . كان الأستاذ خليل خيالي أحد الذين أولوا هذا الموضوع اهتماما خاصا في نضالهم اليومي . لقد كان هذا الوطني المخلص يشوّق المثقفين الكرد في أن ينظروا الى هذه المهمة الملقاة على عاتقهم نظرة بعيدة ، وكان يتحدث في كل مجال عن أن الأمية احدى

(٣٨) راجع :

Фаризов И.О., Место национально-освободительного движения курдов в борьбе народов Ближнего и Среднего Востока против империализма, Канд. дисс. (реферат), Москва, 1953, стр.19.

اي. و. فاريزوف ، مكانة حركة التحرر القومي الكردية في نضال شعوب الشرقين الأدنى والأوسط ضد الأمبريالية (خلاصة رســالة دكتوراه) ، موسكو ، ١٩٥٣ ، الص ١٩ .

العلل الكبرى التي يعاني منها المجتمع الكردي . وبدفع من الأستاذ خيالي أسس عدد من المثقفين من تلامذته ورفاقه (الجمعية الكردية لتعميم المعارف) « كورد تعميم معارف جمعيتى » التي فتحت قبل الحرب مدرسة خاصة في استانبول للصبية الكرد(٣٩) .

وفي تلك الآونة أيضا كان عبدالرزاق بدرخان ذو الشهرة الواسعة ، قد احتل مكانة الأستاذ خيالي بين أكراد ايران ، وكان يعمل بهمة ونشاط لنشر العلم والمعرفة في صفوفهم ، وكان أحد المواضيع المهمة في ديوانه العامر التحدث عن قيمة تحصيل العلم وترغيب الناس في الاهتمام به . ولم يتوقف نشاط عبدالرزاق بدرخان في هذا المضمار عند هذا الحد . ففي أوائل العام ١٩١٣ أسس جمعية ثقافية في مدينة خوى ، وكان ينوي انشاء مطبعة لها أيضا واصدار جريدة باسم الجمعية وأن يفتتح بعد ذلك عدة مدارس كذلك . ان الخطوة الأهم والأكثر مغزى والتي خطتها هذه الجمعية هي فتح أول مدرسة كردية في مدينة خوى من المبالغ التي تبرع بها أهالي المنطقة أنفسهم وقد افتتحت هذه المدرسة في الرابع من تشرين الثاني من العام ١٩١٣ وأقيم بهذه المناسبة احتفال كبير في المدينة . كان عدد تلامذة الدورة الأولى ٢٩ شخصا وكانوا يتلقون دروسهم باللغة الكردية ويستخدمون في الكتابة الألفباء الروسية ، كما كانوا يدرسون اللغة والأدب الروسيين كذلك . وكان في المدرسة مستشفى صغير أيضا(٤٠) .

(٣٩) كان التعليم في هذه المدرسة باللغة الكردية ، وكان تلاميذها يربون بروح وطنية ، ولكن لم تلبث المدرسة طويلا حتى اضطرت لغلق ابوابها .

(٤٠) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 227 — 228.
راجع كذلك : الدكتور كمال مظهر أحمد ، أول مدرسة كردية في ايران ، « التآخي » (صفحة « الثقافة الكردية » ــ ٨ ــ) ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣) .

وفي الوقت نفسه فان هناك وثائق قيمة تدل على اهتمام الشخصيات السياسية المثقفة في كردستان باللغة والأدب الكرديين قبل بداية الحرب بفترة[41] . وهذا ، كما هو واضح ، خطوة كبيرة ومهمة بالنسبة للحياة السياسية والاجتماعية لأي شعب . كانت المنظمات والشخصيات السياسية في كردستان تركيا ، وفي الدرجة الأولى الأستاذ خليل خيالي ، بدأت تفكر في أمر ايجاد نهج خاص لتقريب الكرمانجية والسورانية[42] من بعضهما . وفي كردستان ايران طلب عبدالرزاق بدرخان في شباط من العام ١٩١٣ من روسيا من خلال وكيل القنصل الروسي في خوى ارسال المستشرق والمستكرد الروسي المعروف أوربيللي[43] الى كردستان لوضع قواعد اللغة الكردية ولتأليف قاموس كردي ولترجمة النتاجات الأدبية الروسية الى اللغة الكردية ،

---

(٤١) اهتمت (كردستان) ، وهي اول جريدة كردية كما ذكرنا ، اهتماما كبيرا ، بنشر الادب الكردي ، وكانت تسعى بصورة خاصة لاثارة مشاعر قرائها الكرد من خلال نشر اشعار (احمدى خاني) وتطلب منهم ان يصغوا بانتباه لنصائحه وتوجيهاته (راجع ، مثلا ،: «كردستان»، العدد ٦ ، جنيف ٢٥ جمادي الأولى ١٣١٦ ، ٨ تشرين الاول ١٨٩٨) . [اعيد طبع الأعداد ١ــ ٣١ من هذه الجريدة ، باستثناء الأعداد ١٠ ، ١٢ ، ١٧ ــ ١٩ منها ، في بغداد ، بالأوفسيت ، في العام ١٩٧٢ من قبل الدكتور كمال فوآد ، الذي قدم لها بمقدمة موجزة باللغة الكردية . وقد اطلعنا نحن على النسخ الأصلية لبعض اعداد الجريدة وحولنا تواريخ الصدور أينما وردت في كتابنا هذا الى التأريخ الميلادي ايضا تسهيلا للقاريء] .

(٤٢) المقصود بهما اللهجتان الكرمانجية الشمالية والكرمانجية الجنوبية وهما اللهجتان الرئيستان في اللغة الكردية وتليهما من حيث الأهمية اللرية والكورانية ــ المترجم .

(٤٣) المستشرق الروسي والسوفياتي المعروف يوسف ابكاروفيج اوربيللى (١٨٨٧ ــ ١٩٦١) أحد العلماء رفيعي الشأن الذين أحبوا الكرد من اعماق قلوبهم . وقد اهتم باخلاص بالدراسات الكردية . أسس القسم الكردي في معهد الاستشراق في لينينغراد بناء على اقتراح منه .

كما طلب انشاء قسم كردي في مؤسسة الاستشراق في بطرسبورغ . وكان بدرخان يفكر في أن المهمة الأولى لهذا القسم ستكون وضع الفباء خاصة باللغة الكردية بمساعدة الألفباء الروسية .

ومما يجدر بالذكر أنه في سنوات ماقبل الحرب لم يكن المرء يحس في كردستان الجنوبية (كردستان العراق) بمثل تلك الحركات والنشاطات التي كان يحس بها في كردستان ايران وبصورة خاصة في كردستان تركيا . الا أن تأسيس الجمعيات والمنظمات في كردستان تركيا ومطبوعات تلك الجمعيات والمنظمات ، تركت صدى في بعض المناطق من هذا القسم من كردستان أيضا . وكما ذكرنا من قبل ، فان نسخا من المطبوعات السياسية السرية التي كانت تطبع في كردستان تركيا ، كانت تصل الى بعض أنحاء بهدينان . وقبل الحرب بفترة قليلة ، بدأ جمال‌الدين بابان يصدر مجلة كردية ــ تركية باسم « بانگ‌كرد » (نداء الكرد) حيث كان يطبعها في مطبعة الآداب ببغداد ويوزعها من هناك[٤٤] .

ان مايجب أن نلفت اليه الأنظار هنا بصورة خاصة هو أن الاحساس القومي قد تجلى في العديد من مواضيع هذه المجلة . فقد تحدثت «بانگ‌كرد» في احدى مقالاتها باسهاب عن أهمية التعليم ودوره في حياة الشعوب . وقد مثلت المجلة لذلك باليابان وبريطانيا ، فكتبت تقول :

(٤٤) طبع العدد الاول من هذه المجلة في الثاني عشر من ربيع الأول من العام ١٣٣٢ الهجري [الثامن من شباط من العام ١٩١٤] . تتكون أعدادها الأول والثاني والثالث مجتمعة من ٧٢ صفحة ، اي يتالف كل عدد منها من ٢٤ صفحة .

« وعلى سبيل المثال[٤٥] ، اليابان ! ماذا كان هذا الشعب الصغير ! والله انه لم يكن شيئا . الا أنهم بفضل السعي وتقدير قيمة الوقت هزموا دولة عظيمة كروسية ومزقوها شر ممزق ! »

« على سبيل المثال ، انكلترا : انهم بشر مثلنا كذلك . ولكن لماذا يخلقون بفضل عقلهم وفكرهم تلك الاختراعات والابتكارات التي تجنن الانسان وتجعل كل شخص مضطرا لتعظيمهم وتقدير أشخاصهم »[٤٦] .

وفي الوقت نفسه ، كانت « بانگ‌كرد » تطالب بتأسيس الجمعيات وفتح المدارس . وبهذا الصدد كتبت في أحد أعدادها قائلة :

« .. من أجل ذلك نلح في الصراخ والتشكي والتوسل قائلين فلتفتح في بغداد جمعية تؤسس بمساعيها وترغيباتها المدارس في كل مكان وتنقذ جماعة الكرد من هذا الجهل . فلنعلم من ذا من الأكراد يرفع رأسه لينال هذا الشرف العظيم . ولكن واأسفاه ، فان هذه الخدمة لا تؤدى بشخص أو شخصين . ولو كان الامر كذلك ففي بغداد كثيرون يشخصون بأبصارهم بانتظار تحقيق هذه الخدمة »[٤٧] .

وها نحن ننشر هنا أبياتا من احدى القصائد التي كانت تنشر في أعداد « بانگ‌كرد » ، وهي بحد ذاتها دليل على انتشار الأحاسيس القومية وبلوغ ماكان يعرف بعصر التنوير وعلى اهتمام المثقفين الكرد بالمجلة المذكورة :

« ينبغي أن نتحد في سبيل رقي الدولة والأمة

الأولى بذل الهمة ، فدعونا لا نضيع هذه الفرصة .

---

(٤٥) آثرنا ترجمة النص من المجلة بصورة حرفية ، رغم ما يلاحظ فيها من ركة ــ المترجم .

(٤٦) « بانگ‌كرد » ، العدد ٣ ، ١٣٣٢ ، الص ٦٨ .

(٤٧) المصدر السابق ، الص ٦٩ .

تراب الوطن هو المكان الذي نصون فيه ديننا وشريعتنا
وعمرانه انما هو بوفرة العلوم والفنون والصناعات
فاذا جرى الأمر على هذا النحو ،
فان الوطن سيكون منورا وعامرا
وسننجو نحن من قبضة هذه المذلة
معاداة العلوم والمعارف تدمر دارنا
انها داء وبيل ومهلك فلنعالجه ..
« بانگکرد » هي حقا طبيب أسقام هذا القوم
فلنستيقظ من منام الغفلة والوحشة
ولتدم هي حتى يوم القيامة لشفاء هذه الأمة
ان أوضاع العصر وأحواله طعنة فينا ودروس يتعظ بها »[٤٨] ..

وكانت « بانگکرد » تنشر في الوقت ذاته مقالات باللغة التركية في تأريخ الشعب الكردي[٤٩] ، كما كانت تهتم في حدود امكانات تلك الأيام ومستوى الفهم السائد فيها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعب الكردي[٥٠] . وكل

---

(٤٨) هذه الأبيات من قصيدة نشرت في العدد الثالث من « بانگکرد » باسم (صائبزاده سليمانيهلي محمد عارف) الص ٦٨ ـ ٦٩ . [كان المومى اليه معروفا في السليمانية باسم (عارف صائب) وهو من المتنورين الكرد وله قصائد في التنديد بالحرب العالمية الأولى ، وقد مات في حادث اغتيال سياسي في عهد حكومة الشيخ محمود ـ المترجم] .

(٤٩) نشر شكري الفضلي مقالا طويلا في عدة أعداد من (بانگکرد) بعنوان « تأريخ الكرد في صدر الاسلام » .

(٥٠) نشر مقال باللغة التركية في العدد الثالث من هذه المجلة ، (الص ٦٤ ـ ٦٦) بعنوان « كردلرده زراعت » اي : الزراعة بين الأكراد .

ذلك أدلة لايرتقي اليها الشك على أن الاحساس القومي بين الشعب الكردي في العراق أيضا ، كان في الفترة ماقبل الحرب في غليـان وتحول ، الأمر الذي ينهض عليه الدليل كذلك في أعمال الشيخ محمود في تلك الآونة ، ولاسيما اقامته الصلات مع البدرخانيين. فقد سعى في العام ١٩١٣ للاتفاق مع كامل بيگ وحسين بيگ ولدي بدرخان باشا للنضال في سبيـل تخليص كردستـان من السيطرة العثمانية واقامة دولة فدرالية كردية فيها . وفي تلك الأثناء أيضا بعث رسائل حول المستقبل السياسي لكردستان الى المسؤولين الروس .

لم يؤد هذا النضال السلمي ، الذي رافقه نضال مشابه أوسع مدى بين الشعبين العربي والأرمني ، ولا النتائج السـلبية الكبـيرة التي تمخضت عن سياسات الاتحاديين الخاطئة ، الى حدوث تغير ولو جزئي في النهج الذي تبناه هؤلاء . بل على العكس من ذلك تماماً ازداد تمسك الاتحـاديين بسيـاستهم تلك مع اقتراب الحرب ومع تفاقم المشاكل المعقـدة التي كـانت تعـاني منها الأمبراطورية بأسرها . فسرعان ما أصيب الفلاحون والعمال ، من الأتراك وغيرهم ، بخيبة أمل كبيرة بعد أن كانوا قد علقوا آمالا جساماً على زوال عهد السلطان عبدالحميد المتخلف ، ذلك لأن العهد الجديد فشل بدوره في تحقيق أي مكسب ملموس لهم . فلم يستطع الاتحاديون تبني سياسة زراعية جذرية من شأنها وضع نهاية للعلاقات الاقطاعية القائمة أو على الأقل التخفيف مـن آثار الاستغلال الاقطاعي الذي اتخذ قبل مجيئهم أسوأ شكل له . وجاء ذلك بمثابة انعكاس طبيعي لواقعهم الاجتماعي ، فانهم كـانوا ينتـمون بأغلبيتهم الساحقة الى العوائل الأرستقراطية ـ الاقطاعية والبورجوازية الكبيرة . ومن هنا لاغرابة في أن يقابل تصريح وزير الداخليـة في البرلمـان حول عدم نيـة الحكومة التدخل في العلاقات القائمة بين أصحاب الأراضي والفلاحين، بتصفيق حاد من النواب الذين كان بينهم عدد كبـير من الاقطـاعيين الذين يمتلكون

هم أو عوائلهم مئات القرى !! •

اذاً كان من الطبيعي أن تفشل سياسة الاتحاديين الزراعية فشلاً ذريعاً مع أنها بدأت تستهدف ، بحكم التطور وتحت ضغط بعض الظروف ، تطبيق الأسلوب الرأسمالي في الانتاج والعلاقات الى حد ما • وقد ظلت الضرائب تثقل كالسابق كواهل الفلاحين مع أن الاتحاديين تعهدوا باجراء تعديل فيها ، ولا سيما في ضريبة العشر التي تحولت الى عبء ثقيل للغاية على عاتق الفلاح لأنها كانت تجمع بوساطة الملتزمين الذين لم تتزعزع مواقعهم بعد ثورة العام ١٩٠٨ ، وبشكل خاص في المناطق الكردية والولايات البعيدة • ولم يكتف العهد الجديد بذلك بل انه زاد على الضرائب الكثيرة السابقة ضرائب اخرى جديدة، فقد زاد ضريبة المواشي والبناء وغيرهما • وكان من الطبيعي ان يؤدي كل ذلك الى زعزعة ثقة الفلاحين بالنظام الجديد فحدثت انتفاضات وتحركات فلاحية في مناطق مختلفة منها الأصقاع الكردية كما حدث مثلا في منطقة دياربكر •

لم يطرأ أي تغيير على أوضاع العمال أيضاً • فبالرغم من الآمال الجسام التي علقها هؤلاء على العهد الجديد ، ظل يوم العمل كالسابق لايقل عن ١٤ ساعة الا فيما ندر ، كما لم يحدث أي تبدل في مستوى أجورهم ، علماً بأن الحركة العمالية بدأت تتبلور وتتحول الى قوة اجتماعية ملموسة قبل مجيء الاتحاديين الى الحكم بفترة غير قصيرة ، وقد توضحت أهداف العمال آنذاك في جملة مطاليب مشروعة لم تكن الاستجابة لها أمراً معقداً بالنسبة لرجال العهد الجديد• على أي حال لم تمض على انتصار ثورة العام ١٩٠٨ سوى مدة قصيرة حتى عمت الاضرابات العمالية أنحاء مختلفة من البلاد ، فحاول المسؤولون « معالجة » الوضع بسن قوانين وأصدروا قرارات في صيف العام ١٩٠٩ تمنع الاضرابات والاجتماعات العمالية وتحول دون تأسيس النقابات وتعاقب

العاطلين عن العمل بحجة منع التسول . الا أن هذه الاجراءات لم تحـل دون وقوع اضرابات عمالية جديدة ، منها الاضراب الكبير الذي قـام به عمـال السكائر والتبوغ في استانبول وسالونيك والذي استمر في الأولى منهما لمدة ٥٠ يوماً وفي الأخيرة لمدة ٢٠ يوماً .رفع العمال خلال هذا الاضراب شعارات حول زيادة الأجور بنسبة ٣٠٪ وتحديد يوم العمل بثمان ساعات فقط(٥١) .

أدت هذه الأوضاع ، الى جانب السياسة الشوفينية للحكام ، الى تأزيم الوضع السياسي واحتدام الصراع بشكل لم يسبق له مثيل . فيكفي القـول ان الاتحاديين اضطروا خلال سنوات حكمهم العشر لتغيير الوزارة ١٤ مرة ، وهي رقم قياسي في تأريخ تركيا لم تشهد له مثيلاً من قبل . وقد جرى أهـم تلك التغييرات قبيل الحرب مبـاشرة عندما قـام أنور بيـك وطلعت بيـك [صارا يلقبان بالباشا فيما بعـد] على رأس حوالي ٢٠٠ ضابط اتحادي بانقلاب في كانون الثاني من العام ١٩١٣ قتل أثناءه وزير الحربية واعتقل رئيس الوزراء وعدد من كبار شخصيات الدولة ثم شكلت حكومة اتحادية جديـدة برئاسة محمود شوكت باشا .

اعتزمت الحكومة الجديدة منذ اللحظة الأولى تبني سياسة دكتاتورية في جميع المجالات . وقد ساهم اغتيال محمود شوكت باشا بعد مرور حوالـي خمسة أشهر فقط على تسلمه رئاسة الوزارة ، في تعجيـل ظهور حكم دموي دكتاتوري مطلق وقف على رأسه الثـالوث المعروف أنور باشـا الذي أصبح وزيراً للحربية ورئيساً للقيادة العامة وطلعت باشا الذي كان رئيسـاً لجمعيـة الاتحاد والترقي وصـار وزيراً للداخلية وجمال باشا الذي صـار وزيراً للبحرية وحاكماً عسكرياً في استانبول . ولم يبق للسلطان العجوز والمتشكك

(٥١) للتفصيل راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 171.

محمد الخامس[٥٢] أي دور في الحكم ، حتى يروى أنه علم عن طريق الجرائد بتعيين وزير جديد للحربية كان من المفروض أن تصدر ارادته السلطانية به .

قام هذا الثالوث بضرب اليمين واليسار والجماهير الشعبية والقوميات غير التركية على حد سواء ، فكان يوجد من بين حوالي الثلاثمئة من الشخصيات السياسية البارزة المعتقلين في قلعة مدينة سينوب على البحر الأسود عدد غير قليل من الناس المعروفين بآرائهم المتحررة وباخلاصهم لقضية الجماهير العادلة التي وقع على عاتقها الثقل الأكبر لضيم الاتحاديين وسياستهم اللاديمقراطية . ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤرخين الأتراك المعاصرين ، ومنهم أ. ب. كوران[٥٣] يشبهون العهد الدكتاتوري الجديد بعهد السلطان عبدالحميد الدموي .

في مثل هذه الظروف ازداد سخط الجماهير التركية وغير التركية الى حد كبير ، ولكن الاستياء كان بين الأخيرة أشد وأعم بسبب سياسة التريك البغيضة التي أصبحت هدفاً أساسياً للثالوث المتحكم . وقد تعمق طابعها الدموي نتيجة اصرار جمال باشا على استخدام القوة على نطاق واسع لقمع الحركات التحررية للشعوب الأخرى ، وكان يريد تقوية الجيش لهذا الغرض. ومن الجدير بالذكر أن جمال باشا هو نفسه الذي لقب فيما بعد بجمال السفاح من جراء الأعمال الوحشية التي ارتكبها ضد أحرار سوريا .

أما بالنسبة للجماهير الكردية فان سخطها ونضالها في سبيل الانعتاق بلغ حد الانفجار من جديد قبيل الحرب مباشرة ، وقد تجلى ذلك في بعض المناطق في شكل كفاح مسلح. لقد حدثت أكبر تلك الانتفاضات في العام ١٩١٤

---

(٥٢) كان يبلغ من العمر ٧٢ عاماً .

(٥٣) في كتابه «تأريخ الثورة والأتراك الفتيان» ، استانبول ، ١٩٤٥ ، الص٣٢٨ (مقتبس من G. Z. Aliev, Op. Ct., PP. 230, 379).

في منطقة بدليس بقيادة الملا سليم[٥٤] وبعض الزعماء الوطنيين الآخرين ، حيث كانوا يطالبون بتنفيذ أحكام الشريعة وابعاد الموظفين الأتراك ، لأن الجهاز الاداري التركي ، كما ورد في أحد التقارير الدبلوماسية السرية لتلك الفترة ، كان ، في رأي أولئك الزعماء ، « ينتف الكرد ويبيع البلاد للأجانب »[٥٥] .

لقد عم لهيب الانتفاضة بسرعة وانضم اليها عدد كبير من مسلحي القبائل الكردية في تلك المناطق بحيث بلغ عدد المشتركين فيها في التاسع من آذار حوالي أربعة آلاف شخص ، وبعد ذلك بيوم ، أي في العاشر من آذار تجاوز الرقم ثمانية آلاف بكثير . وهكذا فان انتفاضة كردستان الجديدة أحدثت دويا أكبر ، حتى أن الجنود الأكراد في الجيش العثماني المرابط في تلك المناطق انحازوا اليها بأسلحتهم . كان قادة انتفاضة بدليس يريدون اشعال نار الثورة تدريجيا في المناطق الأخرى من كردستان . وتحقيقا لهذا الغرض ، فقد أرادوا تثبيت مواقع أقدامهم بادىء ذي بدء بصورة كاملة في منطقة بدليس ، بل انهم طلبوا المساندة والمعونة من الأرمن والآثوريين القاطنين في تلك الديار[٥٦].

لقد أوقعت الأحداث ومبادرة زعماء الانتفاضة وصداها بين أكراد المناطق الأخرى ، الرعب في قلوب الحكام العثمانيين الذين أرادوا ، خوفا من عواقب الأمور ، أن يضعوا حدا للانتفاضة بأسرع وقت وبأي ثمن كان . وفي الواقع فان وضع الدولة العثمانية في تلك الآونة واقتراب الحرب واستياء الشعوب غير التركية وأسباباً أخرى ، جعلت فرائص الحكام ترتعد من كل نهضة

(٥٤) يعرف باسم الملا سليم افندي الخيزاني .

(٥٥) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 215.

(٥٦) A. Safrastian, Kurds and Kurdistan, London, 1948, P. 73.

ازعجت محاولة زعماء انتفاضة بدليس التقرب من الأرمن والآثوريين حكام الآستانة . فقد كان هؤلاء يسعون على العكس وفي كل مجال ، لاثارة الاكراد ضد تلك الاقليات ، وبصورة خاصة ضد الأرمن .

وانتفاضة • لذلك فقد أخذوا يتحركون بنشاط لقمع انتفاضة بدليس ، وعينوا لهذا الغرض واليا قوي الشكيمة للمنطقة وأرسلوه مصحوبا بقوة كبيرة الى بدليس • وفي تلك الأثناء وقع الأكراد في خطأ جسيم ، حيث تركوا مواقعهم الاستراتيجية وحاصروا مدينة بدليس واستطاعوا الاستيلاء عليها في الثالث من نيسان • الا أن ذلك أصبح في الوقت نفسه عاملا مساعدا للجيش العثماني على درجة كبيرة من الأهمية ، فقد تمكن هذا الجيش من استثمار ماجرى على خير وجه واستطاع أن يضرب الثوار الأكراد في داخل المدينة ويربكهم ويقمع بذلك انتفاضتهم(٥٧) ، واضطر الملا سليم أفندي وبعض الزعماء الكرد الآخرين للالتجاء الى القنصلية الروسية في مدينة بدليس • وارهابا للكرد والأرمن والآثوريين ، أطلق المسؤولون العثمانيون لأنفسهم العنان لمعاملة سكان منطقة بدليس بخشونة وقسوة ، فملأوا منهم السجون وكانوا يشنقون بين يوم وآخر مجموعة جديدة(٥٨) •

كان الوضع في منطقة بهدينان وماوالاها قد اضطرب قبل الحرب ، وكان الناس على أتم الاستعداد لحمل السلاح ضد العثمانيين • ولهذا الغرض فقد تجمع الكل حول الشيخ عبدالسلام الذي أخذ بدوره يحث رؤساء القبائل الكردية على الاتحاد والضغط على الآستانة للتخلي عن سياسة اهمال المنطقة• ولاريب في أن الحكام العثمانيين لم يكونوا مستعدين للاصغاء الى مثل هذه المطاليب ، كما لم يكن من شأنهم تحقيقها • ولذلك فان القسم الأكبر من

---

(٥٧) سهل دخول الاكراد مدينة بدليس مهمة القوات العثمانية تماما ، فقد استطاعت هذه القوات في اليوم نفسه أن تربك الثوار بحيث قتلت منهم ستين شخصا [مقابل ٤ قتلى من العثمانيين] •

(٥٨) في يوم واحد فقط هو السابع من مايس من العام ١٩١٤ شنق احد عشر زعيما من زعماء الانتفاضة في بدليس (راجع :
M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 216).

منطقة بهدينان قد أعلن التمرد في ربيع العام ١٩١٤ وبصورة خاصة بعد أن زادت الحكومة مقدار الضرائب المفروضة على الفلاحين ، وسعى الشيخ عبدالسلام لالهاب نار الانتفاضة في سائر أنحاء كردستان ولتحريك بعض الدول الكبرى (ولاسيما روسيا وبريطانيا) لمساندة مطاليب الأكراد واجبار المسؤولين العثمانيين على الاستجابة لها .

ينقل الأستاذ صديق الدملوجي وقائع مهمة عن هذه الحركة وأهدافها ، فقد كان يشغل آنذاك وظيفة وكيل قائممقام العمادية ، لذا كان على اتصال مباشر بزعيم الحركة وراقب أحداثها عن كثب ، كما اطلع ــ حسبما يشير بنفسه ــ على التقارير الرسمية واشترك في وضع عدد منها ، ومن هنا تكتسب أقواله أهمية استثنائية في هذا المجال وهي تعطي امكانية الوقوف على أهداف الحركة . ففي الحديث الطويل الذي دار بين الدملوجي والشيخ عبدالسلام استفسر الأخير قائلا : « هل تركتنا الحكومة (الاتحادية ــ ك. م.) وشأننا حتى ننصرف الى نشر العلم ونخلص هذه الأمة من الجهل ، ونحن أكثر مانحتاجه اعمار قرانا التي خربتها الحروب ؟! » . وفي تعليقه على قول الأستاذ الدملوجي « كان عليكم أن تتفاهموا معها (مع الحكومة الاتحادية ــ ك.م.) وتزيلوا ما علق بذهنها بحقكم » ، قال الشيخ : « ان الطريق مسدود أمامنا وليس لنا من يدافع عنا ، واذا تبرع أحد للدفاع عنا ، لايدافع لوجه الله ، وكلهم أصحاب غايات ومصالح ... »[٥٩] . وكما يؤيد الدملوجي نفسه فانه « كان للدعايات التي تقوم بها الجمعيات الكردية تأثير في تطور الحالة وأخذ شكلها الأخير »[٦٠] ، فقد كان الشيخ عبدالسلام على اتصال بالقادة الأكراد

---

(٥٩) صديق الدملوجي ، المصدر السابق ، الص ٩١ ــ ٩٢ .

(٦٠) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

في استانبول ومنهم الشيخ عبدالقادر النهري وأمين عالي بدرخـان والفريـق شريف باشا بن سعيد باشا السليماني •

حدد الشيخ عبدالسلام مطاليبه في برقية أرسلهـا الى « المراجع العليـا ومجلس النواب والأعيان في استانبول » وتدور جميعها حول الاعتراف باللغة الكردية وتعيين موظفـين « ممن يحسنون » هذه اللغـة و « جعل الأحكـام بمقتضى الشريعة الاسلامية طالما دين الدولة الاسـلام » وتعيين « أصحـاب المذهب الشافعي » في الوظائف الدينية في المنطقة واستيفاء « الضرائب من المكلفين بمقتضى ما نص عليـه الشرع » على أن يلغـى « مـايزيد عليهـا أو يخالفها » والاحتفاظ بضريبة « بدلات العملة المكلفة » شريطة أن « تخصص لاصلاح الطـرق » في المنطقة نفسها[٦١] • ويبدو واضـحا من تأكيدات الدملوجي والأحداث التي يرويها أن الاتحاديين وبعض الموظفـين المرتشـين والمتذبذبين كانوا هم المسؤولين عن ما آل اليه الوضع من تردٍ ، وأن الأمـر كان في اطاره العام صورة معادة ـــ كما يذكر ـــ لأحداث سوريا آنذاك •

أوقعت هذه الانتفاضة كذلك رعباً كبيراً في نفوس الحكام الاتحاديين ، لأنهم كانوا يدركون أن بوسع الشيخ عبدالسلام أن يجمع حوله عدداً كبيراً من القبائل الكردية المعروفة في العراق وايران ، كما كانوا يخشـون أن تؤدي هذه الانتفاضة الى أن يفلت زمام الأمور من أيديهم في ولايتي الموصل وبغداد ايضاً ، فقد كانوا يعلمون أن العشائر العربية المسلحة في تلك المنـاطق على استعداد كذلك للانتفاض • لهذه الأسباب بادر الاتحاديون الى تحشيد قوات كبيرة في رواندوز وعقرة والعمادية واستطـاعوا قمع الحركة في معظـم المناطق التي شملتها قبل انتهاء حزيران من العـام ١٩١٤ ، واضطـر الشيـخ

(٦١) النص الكامل في المصدر السابق ، الص ٩٦ •

عبدالسلام وبعض رفاقه للاختفاء حيناً من الزمن في منطقة ورمى القريبة .

من الجدير بالذكر أن واحداً من الأسباب الرئيسة التي سهلت مهمة الاتحاديين في قمع الانتفاضات التي حدثت في كردستان آنذاك ، هو انعدام الوحدة والترابط بين تلك الانتفاضات ، كما كان عليه الأمر في العديد من المناطق العثمانية الأخرى . فعلى سبيل المثال لم يتخذ الزعماء الأكراد أي اجراء لتوحيد الانتفاضتين اللتين اندلعتا في بدليس وبهدينان في وقت واحد تقريباً ، حتى أن الأكاديمي گردليفسكي يربط فشل الأولى منهما بعدم وقوف المناطق والعشائر الكردية الأخرى الى جانبها(٦٢) . ورغم ذلك فان التهاب نضال بقية شعوب الأمبراطورية ، وبصورة خاصة نضال الشعبين العربي والأرمني المتجاورين وانعتاق شعوب البلقان زاد من وقع الانتفاضات والتحركات الكردية ومن تأثيرها المباشر على وضع الاتحاديين .

من الضروري أن نشير بهذا الصدد الى ظاهرة تاريخية مهمة بدأت بالتبلور قبل الحرب أيضاً وهي تتعلق بظهور بوادر التفاعل العضوي بين نضال الكرد والشعوب الأخرى الداخلة في الأمبراطورية العثمانية . فان الضغط والارهاب الدموي لسلاطين آل عثمان خلقا مناخاً ملائماً للتقريب بين أحرار الترك وغيرهم مما تجسد بشكل خاص في عهد السلطان عبدالحميد . وخير مثال نورده هنا هو الدور الذي لعبه المثقفون الأكراد في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي وفي نشاطاتها . فان اثنين من مجموع أربعة من أعضائها المؤسسين الاوائل(٦٣) كانا من الطلبة الأكراد في الكلية الطبية العسكرية

---

(٦٢) راجع : V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 122.

(٦٣) تعتبر الحلقة التي شكلها في مايس من العام ١٨٨٩ الطالب الألباني في الكلية الطبية العسكرية باستانبول ابراهيم تيمو النواة الاولى لجمعية « الاتحاد والترقي ». تألفت هذه الحلقة ، التي أطلقت على نفسها اسم « الاتحاد =

باستانبول، هما اسحاق سكوتي من دياربكر وعبدالله جودت من عربكير[٦٤]. وانضم فيما بعد عدد آخر من المثقفين الكرد الى الجمعيـة ، كـان من بينهم الصحفي الاتحادي البارز اسمـاعيل بابان زادة . وعندمـا عقد أول مؤتمر

= العثماني » ، من اربعة اشخاص ينتمـون الى نفس الكلية هم اسحاق وعبدالله المذكوران وابراهيم ومحمد رشـيد الجركسي . ونجد في بعض المصادر اسما خامسـاً هو علي حسـين زادة من باكو ، واحيـاناً يروى اسمان آخران ايضاً هما حكمت أمين من قونية واسماعيل ابراهيم . (للتفصيل راجع :

E. E. Ramsaur, The Young Turks. Prelude of the Revolution of 1908, Princeton - New Jersey, 1957, PP. 14 - 15.

راجع ايضا : G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 56 — 341) .

(٦٤) زاول كلاهما نشاطاً واسعاً في بدايات تأسيس الجمعية ، ونفيـا مع عدد من مؤسسيها واعضـائها الأوائل ، فقد ابعد اسـحاق سكوتي الى رودس ولم تمر عليه فترة طويلـة حتى تمكن من الهرب مع آخريـن الى باريس . أما عبدالله جودت فقد نفي الى طرابلس الغرب واستطـاع هو الآخر أن يهرب الى تونس اولاً ومن هناك التحق برفاقه في باريس .

عندما دب اليأس في نفوس العديد من قادة الاتحاديين الأوائل فتراجعوا في العام ١٨٩٧ أمام ضغوط السـلطان عبدالحميد واغراءاتـه ووعـوده ، رفض اسحاق سكوتي وعبدالله جودت السـير مع هؤلاء . وبعد أن غيرت جريدة «المشورة» لسـان حال الجمعية سياستها تجاه السـلطان بتأثير من المسـاومين معه ، قام هذان العضوان باصدار جريدة «عثمانلي» في جنيف . لكن عبدالحميد لم يتخل عن محاولاته للتأثير فيهما ، فعرض عليهما بواسطة سفيره منيربك رغبته في الافراج عن السـجناء السيـاسيين المحجـوزين في طرابلس مقابل ايقاف « عثمانلي». وحسبمـا يذكر رامزور فـان عبدالله جودت الذي كان يعرف الظروف الشـاقة لهؤلاء السجنـاء في الصحراء وافق على الاقتراح (E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 53) ثم حذا سكوتي حذوه ، وقد أوقفا اصدار الجريدة فعلاً بعد أن تم الافراج عن السـجناء . ولكن هذه النقطة تحولت الى بداية لمساومة « أكبر » ، فتم في العام ١٩٠٠ تعيين اسحاق سكوتي طبيباً عسكرياً في السفارة العثمانية برومـا وعـين =

للاتحاديين بباريس في الرابع من شباط من العام ١٩٠٢[٦٥] حضره مندوبون أكراد منهم محرر جريدة «كردستان» عبدالرحمن بدرخان الذي اشترك كذلك

=

عبدالله جودت في العام نفسه في منصب مشابه بقينا . ولكن اسحاق سكوتي ظل على اتصال برفاقه وكان يكتب سراً الى جريدة « عثمانلي » التي اعاد الأمير صباح‌الدين اصدارها في لندن ثم في فولكستون .

يقول رامزور عن سكوتي وجودت « انهما كانا يفضلان » أن « يعتبرا من الاتراك أو عثمانيين على الأقل ، اكثر من اعتبارهما قوميين كرديين » (E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 63.) . ولكن لدى تقييمنا لمثل هذا القول يجب أن ناخذ بنظر الاعتبار ، أولا ، حقيقة أن «العثمانية» كانت تستند في البداية الى ركنين أساسيين هما «الاتحاد» و «المساواة» بين جميع مواطني الامبراطورية دون تفريق ، وقد تحولت فيما بعد وبسرعة الى اتجاه شوفيني يستهدف تتريك الشعوب الأخرى . ثم ان الهدف الأساسي الذي كان يجمع الوطنيين العثمانيين آنذاك ، تركز حول قلب نظام عبدالحميد الاستبدادي واحياء دستور العام ١٨٧٦ . ولابأس في ان نشير ايضاً الى توفر معلومات موثوقة تبين بوضوح شعور اسحاق سكوتي العميق نحو قضية شعبه ، فقد كان على اتصال وثيق بالبدرخانيين الذين كانوا يقفون على رأس الحركة الكردية سواء في الداخل او في الخارج ، بل انه كان صديقاً لعبدالرحمن بدرخان صاحب جريدة «كردستان» الذي نشر في العدد الثلاثين من جريدته رثاءً حاراً بعنوان «ضياع عظيم» بمناسبة وفاته في سان ريمو بايطاليا ، وقد اشاد فيه باخلاص «اسحاق سكوتي أفندي الدياربكري» ووطنيته وشجاعته وثقافته ودافع عنه ضد التهم الموجهة اليه ، اذ أن عبدالرحمن بدرخان كان ، كما يبدو من مضمون الرثاء ، على علم باتصالات اسحاق سكوتي السرية (راجع : « كردستان » ،العدد ـ ٣٠ ـ ، جنيف ، ٤ ذي الحجة ١٣١٩ ، ١٤ آذار ١٩٠٢) . وحسبما يبدو أيضاً ، كان سكوتي حلقة وصل بين جمعية «الاتحاد والترقي» والتنظيمات الكردية .

(٦٥) اشترك في أعمال المؤتمر ٤٧ مندوباً كان يوجد بينهم الى جانب الاتراك والاكراد عدد من العرب والأرمن واليونان وغيرهم . اضطر المؤتمرون الى عقد اجتماعاتهم في دار أحد الاشتراكيين الفرنسيين ثم في منزل الأمير صباح‌الدين وذلك بسبب الضغط الذي مارسه البوليس الفرنسي نتيجة تدخل السلطان عبدالحميد .

في تحرير جريدة «عثمانلي»(٦٦) ويتحدث المطلع على شؤون تركيا الأكاديمي گردليفسكي عن « الأكراد الفتيان »(٦٧) الذين اتصلوا قبل العام ١٩٠٨ بالاتحاديين(٦٨) . وقد رحبت جميع القوى الناهضة في شعوب الأمبراطورية العثمانية ، بما فيها الشعب الكردي ، بانتصار هذه الثورة . وقد جاء ذلك في توافق تام مع منطق التأريخ لأنه كان من المحتم أن ترحب الجماهير بالانعتاق من نظام دموي كان الفقر يزداد في ظله « بمعدلات هندسية » حسب التعبير الموفق لسافرستيان(٦٩) . ومن هذا المنطلق الحيوي آزرت الجماهير غير التركية ، مثل تلك ، الاتحاديين وأرادت السير معهم لولا سياسة هؤلاء التي دفعتها عن النظام الجديد دفعاً .

لكن ذلك لم يعن ، بالطبع ، حدوث قطيعة بين الشعبين التركي والكردي، بل حدث نوع من الاستقطاب باتجاهين متناقضين ومتحدين في آن واحد ـ متناقضين من حيث التطلع الى الأمام والوراء ، ومتحدين من حيث معاداة الاتحاديين . فان العديد من الزعماء التقليديين الكرد أيدوا بحماس نشاطات حزب « الأحرار » ووريثه حزب « الائتلاف والحرية » اليميني الذي نادى ـ بدافع تكتيكي بحت ـ باللامركزية والذي عمل بنشاط ضد الاتحاديين في الداخل والخارج(٧٠) ، بينما وقف الآخرون مع الاتجاه الديمقراطي الذي

(٦٦) راجع : E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 63.

(٦٧) تشبيهاً بـ «الأتراك الفتيان» وهو الاسم الآخر للاتحاديين .

(٦٨) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 119.

(٦٩) A. Safrastian, Op. Cit., P. 69.

(٧٠) في العام ١٩٠٨ الف المعارضون للاتحاديين حزب «الأحرار» الذي حظر بسبب مؤآمراته المتكررة . وفي العام ١٩١١ ظهر بدلا منه حزب « الحرية والائتلاف » الذي ضم الأعضاء السابقين للأحرار مع المعارضين الذين تركوا جمعية « الاتحاد والترقي » . وقد تبنى هذا الحزب الجديد اهدافا =

كانت منطلقاته صائبة وان كان ضعيفاً بذاته . ولا بد من أن نشير هنا الى حزب « المجدد » الذي شكله في كانون الأول من العام ١٩١٢ النائب والمحامي والناشر الكردي المعروف لطفي فكري والذي عرف بمعاداته لجمعية «الاتحاد والترقي» كما دعا في برنامجه الى علمانية الدولة وتجريد السلطان من لقب الخليفة وصلاحياته ، وقد كان معظم أعضاء حزبه من المثقفين الترك(٧١) .

ظهرت البوادر ذاتها في كردستان ايران أيضاً ، وبشكل خاص خلال سنوات الثورة الدستورية [١٩٠٥ — ١٩١١] التي تركت آثارا واضحة على الآذربيجانيين والأكراد وغيرهم . فبالرغم من أن أعداء الثورة

=

متخلفة منها منح السلطان حق النقض (الفيتو) والحفاظ على نظام الامتيازات للدول الأجنبية ، الا انه رفع الى جانب ذلك شعارات ديماكوكية مثل ضمان الحريات الديمقراطية العامة والحقوق القومية للشعوب غير التركية . استفاد هذا الحزب من فشل الاتحاديين في الحرب مع ايطاليا فتمكن من الوصول الى الحكم في تموز من العام ١٩١٢ . الا أن فشل تركيا في حرب البلقان وموقف الحكومة الجديدة من الامتيازات الأجنبية سهلا قيام الاتحاديين بانقلاب ناجح في ٢٣ كانون الثاني من العام ١٩١٣ ادى الى عودتهم الى الحكم كما مر بنا . ولكن الائتلافيين لم يتخلوا عن نشاطاتهم ، فهم الذين دبروا اغتيال محمود شوكت باشا مما أعطى الاتحاديين ذريعة لضربهم بشدة . انتعش حزب « الحرية والائتلاف » من جديد بعد الحرب وفي ظل الاحتلال الأجنبي ، واشترك في الحكومات الصورية التي الفها الحلفاء ووقف ضد الحركة الكمالية ، الا انه اختفى عن الوجود نهائياً بعد انتصار هذه الاخيرة .

بذل الائتلافيون قبل الحرب ، ولاسيما في أيام حكمهم ، جهوداً كبيرة لكسب الأكراد محاولين استغلال عواطفهم الدينية ، فقام ممثلون عن الحزب بالتجوال في المناطق الكردية وتمكنوا من كسب العديد من الناس الى جانبهم وذلك نتيجة للسياسة الخاطئة التي انتهجها الاتحاديون .

(٧١) راجع : V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 96, 533.

تمكنوا من كسب عـدد من المتنفذين الكرد الى جانبهم[٧٢] ، وقفت أكثرية الشعب الكردي في صف الثورة واشترك عدد كبير من أبنائه فيأحداثها بشكل فعال • فتشير احدى وثائق « أرشيف سياسة روسيا الخارجية » التي تعود الى العام ١٩٠٧ ، الى اشتراك حوالي ٣٠ ألف مقاتل كردي في مناطق خوي و ماكو ضد العصابات التي شكلها أعداء الثورة هناك بقصد ضربها • وتشير وثيقة أخرى من المجموعة نفسها الى « المســاعدات الكبيرة » التي « قدمها الأكراد للثوار العاملين في مناطق ورمى وساوجبولاق وسلماس »[٧٣] وهي جميعها مناطق كردية •

كان من المنطقي أن تتخذ مظاهر التفـاعل والتأثـير والتأثر بين نضـال الشعوب المضطهدة بعداً أعمق وأشمل • فان النجاحات التي حققتها شـعوب البلقان البعيدة مثلا ألهمت الأكراد بشكل أدخـل الرعب في نفـوس حكام استانبول الذين بدأوا يخشـون ــ كما جاء في احدى الوثائق الدبلوماسيـة الروسية التي تعود الى تلك الفترة ــ أن يخلق « الأكراد للأتـراك ألبانيـا جديدة »[٧٤] • ولاشك في أنهم كانوا يخشون أكثر ، التقارب بين الشعوب المتجاورة الداخلة في أمبراطوريتهم الواسعة ، ولاسـيما وقد بدأوا يلاحظون النمو السريع لمثل هذا التوجـه الجديد الذي اعتبروه نذير شر يهدد كيـانهم

(٧٢) زاول سالار الدولة شقيق ولي العهد محمد علي شاه نشاطـاً واسعـاً في المناطق الكردية ضد الثورة ، وسانده المسؤولون الأتراك والانكليز في ذلك. وقد تمكن من كسب عدد من رؤساء عشائر الجاف والزنكنة والموكري الى جانبه ، لكن سرعان ما انسحب معظم رجال هذه العشائر من صفوف قواته الزاحفة نحو طهران وفشل هو في تحقيـق مهمته . ووقفـت الرجعيـة الاذربيجانية بدورها الى جانب الرجعية الفارسية ضد الثورة .

(٧٣) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 118.

(٧٤) Ibid, PP. 203 — 204.

السياسي • فبالرغم من جميع محاولات العثمانيين ، وأحيانا حتى الغربيين [الألمان بشكل خاص] ، الموجهة الى تعميق التناقضات والخلافات الأرمنيةـ الكردية(٧٥) بالضرب على وتر العاطفة الدينية الحساس ، وبالرغم من تحقيق هذه السياسة للعديد من غاياتها غير النبيلة على حساب المصالح الأساسية لجماهير الطرفين ، فرضت الحياة ومصالحها العميقة صوراً رائعة للتعاون والتقارب الأرمني ـ الكردي من خلال آلام ومآسي تتطرق الى تفاصيلها في الفصل الخامس من هذا الكتاب • ونكتفي هنا ، وفي اطار هذا الموضوع ، بالتأكيد على توفر وثائق أصيلة كثيرة ، قسم منها أرمنية ، تبين بجلاء الأوجه البارزة للتقارب بين الشعبين ، وهو ما يعلق عليه الدكتور لازاريف بقوله : « ••• لقد أولد قلقاً خاصاً لدى كبار الاتحاديين واقع أن مد الحركة التحررية الكردية حفز ، على العكس من جميع التوقعات ، تحركات الشعب الأرمني المعادية للاقطاع والسلطة »(٧٦) •

اتخذت بوادر التفاعل بين نضال الشعبين العربي والكردي بعداً أعمق ، وذلك بحكم العلائق التأريخية القديمة والروابط الدينية المتينة والتجاور المباشر بين الشعبين ، فضلا عن أنهما كانا يتعرضان الى خطر آت من مصدر واحد • وبالنسبة لهذا الأخير نشير الى مثال قريب • فعندما قام الاتحاديون في العراق بحملة معادية ضد الوطنيين وأجلوا الانتخابات هناك أرسلوا جاويد باشا خصيصاً لولاية البلاد وللاشراف على تطبيق سياستهم هناك مزودين اياه بتعليمات خاصة « لاقرار السكينة » بين العرب والأكراد على حد سواء(٧٧)•

(٧٥) أرسل الاتحاديون عملاءهم مراراً الى المناطق الكردية والأرمنية بهدف اثارة الخلافات بين ابناء الشعبين (راجع : A. Safrastian, Op. Cit., P. 71)

(٧٦) راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , P. 218.

(٧٧) راجع : V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 82.

ظهر بحكم هذه العوامل الأساسية نوع من التفاعل بين نضال الشعبين منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطور أحياناً الى أشكال أولية من الكفاح المشترك . ومن المهم أن نشير بهذا الصدد الى أن التقارير القنصلية الروسية الخاصة التي كانت ترسل الى وزارة الخارجية في بطرسبورغ أو الى القيادة العامة لمنطقة القفقاس تحتوي على شواهد ذات مغزى عميق حول هذا الموضوع بالذات . فتشير تلك التقارير، مثلاً، الى اشتراك عدد من المسلحين العرب والأرمن والآثوريين في الانتفاضة الكبيرة[٧٨] التي وقعت في أواخر العام ١٨٥٤ بقيادة يزدان شير من عائلة بدرخان والتي شملت مناطق واسعة امتدت من الموصل حتى وان وارتفع عدد المشتركين فيها بسرعة الى حوالي مئة ألف شخص . وقد فشلت قوات والي بغداد في قمعها الذي لم يتحقق للعثمانيين الا بمساعدة مباشرة من الانكليز[٧٩] . يقول المستشرق الدكتور ن. أ. خالفين معلقا على اشتراك العناصر غير الكردية في هذه الانتفاضة : « ان النضال المشترك للشعوب المضطهدة ضد الحكومة

(٧٨) يعتبر الدكتور لازاريف ذلك حادثة بارزة جديرة بالاهتمام
(M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , P. 32).

(٧٩) لمعرفة المزيد عن الانتفاضة راجع كتاب پ. م. اڤيريانوف الآنف الذكر وقد كرس لبحثها كل الفصل الخامس (الص ١٤٤ — ١٥٨) ؛ راجع أيضاً :

Халфин Н.А., Борьба за Курдистан (Курдский вопрос в международных отношениях XIX века), Москва, 1963, стр.70-76.

ن. أ. خالفين ، الصراع على كردستان (القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسعشر) ، موسكو ، ١٩٦٣ ، الص ٧٠ — ٧٦ . ويمكن كذلك مراجعة الترجمة العربية لهذا الكتاب ، التي أنجزها الدكتور احمد عثمان أبوبكر ونشرها في بغداد في العام ١٩٦٩ . (في الهوامش القادمة: N. A. Khalfin . . .).

ساعد الى حد غير قليل في تقدم حركـة يزدان شير »[٨٠] . وتشير الوثيقة الموجودة في الملف التاسع والعشرين ضمن محفوظات «الأرشيف الأساسي ١ ـ ٩ » التابع لأرشيف سياسة روسيا الخارجية (مجموعة الأعوام ١٨٨٠ ـ ١٨٨٢) الى أن عدة آلاف من المسلحين العرب عبروا عن كامل استعدادهم للاشتراك في الانتفاضة الكبيرة التي قادها الشيخ عبيدالله في بداية الثمانينيات من القرن الماضي ، ومنهم من وصل الى المنطقة فعلا[٨١] .

ومن المؤشرات المهمة التي تعود الى القرن التاسع عشر أيضاً ، أن الجريدة الكردية الأولى « كردستان » ، صدرت في القاهرة في ٢٢ نيسان من العام ١٨٩٨ وذلك بعد أن يئس المثقفون الأكراد من أن ينالوا موافقة السلطان عبدالحميد على اصدارها في استانبول[٨٢] . كـانت الجريدة تطبع بمطبعـة « الهلال » وترسل أعداد كثيرة منها سراً الى المنـاطق الكردية المختلفـة عبر سوريا . لقد أثار اصدار « كردستان » في القاهرة الباب العالي الذي مارس الضغط على المسؤولين المصريين للحيلولة دون صدورها ، مما يبدو واضحاً من مضمون الأعداد الخمسة الأولى من الجريدة نفسها[٨٣] .

---

(٨٠) N. A. Khalfin, Op. Cit., P. 73.

(٨١) راجع :

Джалиле Джалил, Восстание Курдов 1880 года, Москва, 1966, стр.91.

الدكتور ج. جليل ، انتفاضة الكرد في العام ١٨٨٠ ، موسكو ، ١٩٦٦ ، الص ٩١ .

(٨٢) تحولت مصر آنذاك الى ملجأ لعدد كبير من احرار التـرك والأرمن والكرد الذين نشطوا على نطاق واسع ضد حكم السلطان عبدالحميد .

(٨٣) لعب ذلك دوره على مايبدو في انتقال الجريدة بعد صدور عددها الخامس في ١٨ حزيران من العام ١٨٩٨ الى مدينة جنيف .

انتقلت مظاهر هذا التفاعل قبل الحرب العالمية الأولى ، وبالتحديد في عهد « استيقاظ آسيا » ، الى مرحلة جديدة أهم وأشمل . ومن الشواهد التأريخية المبكرة التي تلقي بعض الضـوء على هذه الحقيقة ، يمكن ذكر الأحداث التي رافقت انتفاضة بشارى چتو[٨٤] التي وقعت في منطقة سعرد قبل انتصار ثورة الاتحاديين بحوالي سـنتين ونصف السنة . فبعد فشل القوات الكبيرة التي أرسلها الباب العالي بقيادة عزت باشا لقمع الانتفاضة ، امتد لهيبها الى منطقة دياربكر حيث انضم اليها ــ كما تشير الى ذلك وثائق الأرشيف الحـربي ــ التأريخي المركـزي وأرشيف السياسـة الخارجية الروسية ــ رجال بعض القبائل العربية . وعندما اضطر قائد الانتفاضة الى الهرب تحت ضغط القوات العثمانية المتزايد وبعد معارك دامية ، فانه التجأ ــ حسبما أوردتـه بعض المصادر ــ الى اليمن التي ترك نضـال شعبهـا ، وحسبما تؤكد الوثائق نفسها ، تأثيراً ملموساً على الأكراد .

دخل نضال العرب بعد ثورة الاتحاديين مرحلة حاسـمة ، فعم الاستياء جميع أنحاء المشرق العربي وبلغ حد الانفجار الشديد في مناطق مختلفة منها ، مما ترك تأثيراً مزدوجاً على الوضع في كردستان . فمن جهة حركت أصداؤه الجماهير الكردية أكثر من السابق . ومن جهة أخرى أدى تردي الوضع في تلك الأصقاع الى تخفيف ضغط العثمانيين على شعوب الامبراطورية الأخرى وفي مقدمتها الشعب الكردي . وتتوفر بالنسبة لهذين الموضوعين مجموعة كبيرة من الوثائق الدبلوماسية الدقيقة والمفصلة التي تلقي الضوء الكافي

(٨٤) كان بشـار من المتنفذين المعروفين في منطقة بدليـس . عاد قبيل الحرب الى منطقته دون أن يتخلى عن موقفه المعادي للعثمانيين .

على مختلف جوانبهما[٨٥] . فعندما تأزمت الأوضاع في العام ١٩١٠ في بدليس وماوالاها نتيجة لنشاطات الوطنيين هناك وقيامهم بدعاية واسعة ضد الاتحاديين وتأسيسهم لعدد من الجمعيات والنوادي ، أراد الوالي الجديد اسماعيل حقي استخدام القوة لوضع حد لهذه النشاطات ، ولكن سرعان ما جاءته تعليمات صريحة من استانبول تطلب منه عدم اثارة الأكراد « كي لا تظهر صعوبات جديدة أمام الحكومة في وقت لزم عليها بذل جهود كبيرة لقمع حركة العرب التحررية في اليمن وسوريا وفيما وراء الأردن » كما ورد في تقارير دبلوماسية خاصة بعثتها السفارة الروسية في استانبول الى وزارة الخارجية في بطرسبورغ . ويعلق الدكتور لازاريف على ذلك بقوله :

« لقد تطورت الحركة الكردية بعد ثورة الاتحاديين في تماس مع النضال التحرري لشعوب الأمبراطورية العثمانية الأخرى ، وفي مقدمتها الشعب العربي . ففي تلك الفترة حدثت انتفاضات عربية في اليمن والعراق وحوران وجبل الدروز [وكلاهما في سوريا] ، كما اتخذ زعماء الحجاز ونجد والعسير والأصقاع الأخرى في شبه الجزيرة العربية موقفا معاديا من الحكومة التركية »[٨٦] .

وحول الموضوع نفسه توجد بين أيدينا وثيقة مهمة للغاية تعود الى

(٨٥) الوثائق التي نشير اليها بهذا الصدد منشورة ضمن كتابي الدكتور م.س. لازاريف :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 113 — 114, 154 — 156, 397 — 398, 407 — 409; M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 111 — 112, 148 — 150.

(٨٦) M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 148 — 149.

الفترة نفسها كتبها وكيل القنصل الروسي في بايزيد آكيموفيج ، ننقل فيما يلي نصها نظراً لدلالتها العميقة في اطار بحثنا • يقول آكيموفيج بالحرف الواحد :

« بقدر ما استاء الترك من فشلهم في شبه الجزيرة العربية ، ارتاح الكرد من ذلك الفشل • واذا ما تابع العرب صراعهم مع الأتراك بنجاح فانه سيكون من المتوقع جداً انفجار انتفاضة في كردستان التي يسودها الهدوء حالياً • ويخشى الترك ذلك بدون شك لعلمهم بأن قمع الأكراد المسلحين حتى أسنانهم سوف يكلفهم ضحايا كبيرة » •

وتشير وثيقة أخرى من المجموعة نفسها الى أن « أكراد ولاية بدليس يتلقون بعطف كبير أخبار نجاحات الثوار في اليمن » •

وحسب تعبير الدكتور لازاريف لم يقتصر هذا التفاعل على « عطف افلاطوني (مثالي ــ ك• م•) من جانب الكرد على (نضال ــ ك• م•) العرب »[(٨٧)] • بل سرعان ما انتقل التأييد الكردي الى طور الفعل والمساندة المباشرة في حدود الامكانات القليلة المتوفرة آنذاك • فحسب المعلومات الواردة في الوثائق الدبلوماسية الروسية نفسها ، أقام عدد من الزعماء الكرد اتصالا مباشرا مع الثوار اليمانيين ، كما بوشر في مناطق كردية مختلفة بجمع الأموال لمساندة قضيتهم العادلة • حينذاك بدأ زعماء اليمن بارسال ممثلين عنهم الى كردستان حيث اتصلوا مباشرة ببعض المتنفذين في مناطق دياربكر وموش وخنس وغيرها • ثم وصل في بداية مارس من العام ١٩١١ الممثل الشخصي للامام يحيى الذي عقد اجتماعاً خاصاً مع عدد من

(٨٧) Ibid, P. 149.

الرؤساء الكرد في مدينة موش ، ولكن سرعان ما عرفت السلطات بالأمر وألقت القبض على المشتركين في هذا الاجتماع ٠

نظر الاتحاديون الى هذه الأحداث كنذير شؤم فشددوا من مراقبتهم للمعارضين في كردستان ، كما بدأوا بملاحقة كل عربي يصل الى هناك ، ولاسيما وأنهم ربطوا بوادر التحرك الجديد في مناطق درسيم وأرزنجان وغيرها بالوقع الذي تركته الأحداث العربية هناك ٠ وبتأثير من هذه الأخيرة ، مع أحداث أخرى مشابهة ، اضطر المسؤولون لأن يتبنوا في الوقت نفسه سياسة التودد مع عدد من الزعماء الأكراد ، وهو ما استحق ملاحظة دقيقة من جانب وكيل القنصل الروسي في ورمى گلوبينوف الذي ذكر في تقرير له :

« لولا انشغال الترك بالانتفاضات القائمة في شبه الجزيرة العربية ومقدونيا وبالاضطرابات الداخلية ، لأصبح التغلب على الأكراد أسهل بالنسبة لهم مما هو عليه الأمر الآن ، حيث يضطرون الى مداهنة البيكوات الكرد بواسطة الهدايا التي لا تحقق أهدافها دائماً » ٠

لا شك في أن هذه الأحداث شكلت لبنة جديدة في صرح العلاقات التأريخية القائمة بين الشعبين العربي والكردي ، ولا تخلو وقائع الحرب نفسها من نماذج أخرى مشابهة لتلك التي أوردناها في هذا الفصل ٠

تعطي الحقائق الواردة ضمن هذا الفصل امكانية التوصل الى الاستنتاج الأخير وهو أن الاطار العام للوضع في كردستان ما قبل الحرب وقبيلها كان يحدد الاستياء غير المحدود والسخط البالغ اللذين عما السكان ، وانتشار الشعور القومي بينهم ٠ ولو لم تندلع نار الحرب العالمية الأولى ،

لربما باتت المناطق الكردية بلقاناً جديداً[٨٨] للدولة العثمانية . وقد أحس المسؤولون الاتحاديون ، كما لاحظنا ، بهذه الحقيقة وبدأوا يخشون أن تفلت المنطقة من أيديهم ، لذلك فقد درسوا الموضوع عدة مرات ، حتى أن جمعية « الاتحاد والترقي » عقدت اجتماعا خاصا في الرابع من نيسان من العام ١٩١٤ ، أي قبل الحرب مباشرة لدراسة سياستها ازاء الأكراد ، وقد اعترف مدحت شكري باشا في الاجتماع ببعض الجوانب الخاطئة لتلك السياسة . لكن ذلك لم يؤد الى اجراء أي تغيير ملموس في سياساتهم التي كانت تشكل جزءا من خط عام مبني على أساس فكري خاطيء . ومما زاد من تعقد الوضع أكثر أن الانكليز من جهة والروس من جهة أخرى تمكنوا من كسب عدد غير قليل من رؤساء العشائر الكردية في الأمبراطورية العثمانية وفي ايران الى جانبهم ، مما انعكس بأشكال مختلفة على أحداث الحرب العالمية الأولى في المنطقة . وفي كل الأحوال استطاع المسؤولون العثمانيون أيضاً أن يحولوا ، باسم الدين ، جانباً كبيراً من قوة الأكراد وطاقاتهم الى سلاح من الأسلحة التي استخدموها في ميادين القتال الضارية خلال الحرب . كتب نيكيتين بهذا الصدد يقول :

(٨٨) كانت بلاد منطقة البلقان تشكل ، كما هو معروف ، جزءا من الأمبراطورية العثمانية ، ولكن اتساع الشعور القومي بين شعوب هذه المنطقة ، والسياسة الشوفينية التي انتهجها الاتحاديون ازاءها تسببا في اندلاع سلسلة من الانتفاضات والثورات فيها . ونتيجة لذلك فقد استطاعت هذه الشعوب أن تحرر نفسها الواحدة تلو الأخرى من السيطرة العثمانية . وقد تركت انتصاراتها آثاراً واضحة على الوضع الفكري بين العرب والأرمن والى حد أقل بين الأكراد ايضا . وبالنسبة للأكراد يمكن الاستدلال ببعض الوثائق التي تعود الى ذلك الوقت وبمضامين عدد من المقالات التي نشرتها جريدة «كردستان» في أعدادها الصادرة خلال الفترة من العام ١٨٩٨ حتى العام ١٩٠٢ .

« استطاعت دعوة الجهاد التي برقعت مرة أخرى بغطاء الاسلام ، أن تسوق قوة الكرد القتالية في نهج لم يكن ينسجم بحال من الأحوال مع المصالح الوطنية لذلك الشعب »(٨٩) .

وواضح أن أحداث الحرب المرعبة زادت من سوء عواقب هذا الأمر ، فقد وقعت كردستان وسط لهيب النار في ميادين الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط ، وهو ما نتطرق اليه في الفصل القادم .



(٨٩)
B. Nikitine, Les Kurdes. Etude Sociologique et historique, Paris, 1956, P. 195.

الفصل الثالث

في اتون الحرب

قبل الخوض في محاولة تحديد موقع الشعب الكردي في أحداث الحرب العالمية الأولى ، ومن أجل اعطاء الموضوع حقه ضمن اطار أشمل ، من الضروري تقديم لوحة عامة عن الظروف التي دفعت بالأمبراطورية العثمانية الى أتون الحرب في جبهة واحدة مع ألمانيا والقاء ضوء على الخطط التي وضعتها من أجل تحقيق الأهداف الكبيرة ضمن حساباتها التي ظهر عدم دقتها مع الأحداث السريعة التي تتابعت منذ الأشهر الأولى للحرب •

هيأ تحيق الوحدة الألمانية في القرن الماضي الظروف اللازمة لحدوث تطور اقتصادي عارم في البلاد • فحتى بداية سبعينيات القرن التاسع عشر كانت ألمانيا تشكل دولة زراعية بالأساس ، وآنذاك فقط بدأت صناعتها الثقيلة تخطو أولى خطواتها نحو الأمام لتتحول الى انطلاقة خارقة قبل أن يحل العقد الأخير من نفس القرن • ومع مطلع القرن العشرين أصبحت ألمانيا تحتل المكانة الأولى في القارة الأوروپية كلها من حيث التطور الصناعي وسبقت أكبر الدول الرأسمالية وأقدمها وأقواها في مجالات انتاجية مهمة • فقد بلغ انتاجها من الحديد ــ عصب الصناعة الثقيلة ــ ٤ر٩ مليون طن في العام ١٨٩٢ مقابل ٦ر٩ مليون طن أنتجتها انكلترا في العام نفسه ، وفي العام

۱۹۱۲ ارتفع انتاج ألمانيا الى ١٧٫٦ مليون طن بينما ارتفع انتاج انكلترا الى ۹ ملايين طن فقط •

ومن مؤشرات سرعة التطور الصناعي الرأسمالي الألماني ، التوجه نحو الاحتكار في ألمانيا قبل جميع البلدان الأوروبية الأخرى ، بما فيها تلك التي ظهرت فيها العلائق الرأسمالية وشهدت الثورة الصناعية قبلها بفترة غير قصيرة • وهكذا ظهرت في ألمانيا منذ أواخر القرن الماضي « ملوك غير متوجين » من أمثال كروب والاخوة ماينزمان وغيرهم الذين سيطروا على القسم الأعظم من الانتاج الصناعي الثقيل وحقول المعادن والسكك فبلغت أرباحهم الصافية في العام ۱۹۱۳ حوالي ١٥ مليار مارك[1] ، وهو مبلغ خيالي من حيث القوة الشرائية يومذاك ومن حيث المقارنة مع واقع «الزملاء» في أكثر الأقطار الأوروبية تقدماً • وقد نزل الرأسماليون الألمان الى الميدان الخارجي في وقت متأخر بالمقارنة مع الرأسماليين الفرنسيين والانكليز بشكل خاص الذين تمكنوا من ايجاد مواقع حصينة لمصالحهم كان يستحيل للرأسمال الألماني اختراقها لولا القاعدة القوية التي منحتهم امكانية التنافس • فبالرغم من جميع الصعوبات ازداد الرأسمال الألماني المستغل في الخارج بمقدار ثلاث مرات ونصف المرة خلال فترة زمنية قياسية لم تبلغ العقد ونصف العقد [من العام ١٩٠٢ حتى العام ١٩١٤] ، وأصبح يشكل حوالي نصف مجموع الرأسمال الانكليزي المستغل في الخارج بعد أن كان يشكل خمسه فقط في

(1) راجع :

Айзин Б.А., Германия,-"Всемирная история", т.УII, Москва, 1960, стр.404.

ب. أ. آيزن ، المانيا ، ـ «تأريخ العالم» ، الجزء السابع ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ٤٠٤ (في الهوامش القادمة : ... B. A. Izen).

العام ١٩٠٢ ، وصار يشكل أكثر من ثلثي الرأسمال الفرنسي المستغل بعد أن كان أقل منه بمرتين في العام نفسه[٢] • وحقق الألمان نجاحات مشهودة في المجال التجاري أيضاً بحيث غدت تجارتهم الخارجية تحتل نسبة ١٣٪ في الميزان التجاري العالمي •

ومع عظم هذه النجاحات ، فقد كان بمستطاع الألمان تحقيق نجاحات أعظم بكثير مما حققوها خلال فترة قصيرة من الزمن ، لولا حقيقة أنهم كانوا يصطدمون في كل مكان تقريباً بمقاومة شديدة من جانب الرأسماليين « الرواد » ، فلم تكن أيديهم مطلقة مثل هؤلاء في استغلال أغنى الأصقاع الأفريقية والآسيوية والأمريكية اللاتينية ، ذلك لأن « حصة » ألمانيا من المستعمرات كانت تشكل في العام ١٩١٤ حوالي ٢ر٩ مليون كيلومتر مربع ، وهي أقل بـ ٥ر٣ مرة من مساحة المستعمرات الفرنسية [٦ر١٠ مليون كم^2] و بـ ٥ر١١ مرة عن مساحة المستعمرات الانكليزية [٥ر٣٣ مليون كم^2] • وهذا يعني ـ في ضوء ما سبق ـ أن تناسب القوى على صعيد الدول الرأسمالية وفي اطار تنافسها فيما بينها قد اختل بشكل خطير بلغ حداً لم يكن هناك مجال للتنفيس عنه الا في اعادة تقسيم الأسواق عن طريق الحرب ، فألمانيا القوية كانت تريد حصة تتناسب مع طاقاتها الجديدة ، بينما لم تكن الدول الكبرى الأخرى ، بما فيها روسيا القيصرية ـ الحلقة الرأسمالية الضعيفة والغنية ـ ، على استعداد للتنازل لها عن « قلامة ظفر » بالوسائل « السلمية » المعهودة ، فكان لابد اذاً من اللجوء الى القوة بقصد ارغامها على ذلك • وهذا ما كان يتطلب تكريس جهود كبيرة تضمن نجاحه ، فتوجهت السلطة والاحتكارات نحو اعداد عسكري لم تشهد له القارة

(٢) احتسبت هذه النسب بالاستناد الى الارقام الواردة في البحث المشار اليه في الهامش الاول •

مثيلا . فخلال أقل من أربعة عقــود تضاعفت المخصصات العسكرية في الميزانية الألمانية خمس مرات بحيث أنها غدت تشكل في العام ١٩١٤ أكثر من مليارى مارك ، أي نصف مجموع ميزانية الدولة التي اكتشفت فجأة «أن الطريق من برلين الى أوديسا أقرب من طريق برلين ــ استانبول ، وأن عبر وارشو وكييف وروستوف على الدون ، ومن خلال جبال القفقاس وتبليس وتبريز يمتد خط حديدي مستقيم يفضي الى الخليج فالهند »[٣] ، يستحق احتواؤه مع غيره مثل تلك الميزانية الضخمة .

كان لابد من صياغة فكرية لوضع هذه الطموحات الواسعة داخل اطارها بشكل يهيىء الشعب الألماني لتقديم الضحايا الجسيمة التي بدأت تنتظره ، فظهرت جمعيات كثيرة تروج للحرب وللأفكار الشوفينية وتؤكد على « رســالة الشــعب الألماني الحضارية » و « طاقاته الخلاقــة التي تفــوق طاقات غيره من الشعوب »[٤] . وهكذا لم يبق سوى سماع دوي طلقة سيراجيفو المعروفة[٥] حتى يدب « الحزن » العميق في قلب كل احتكاري

(٣) مقتبس من كلام شتروب ، أحد المتحمسين للتوسع الألماني آنذاك ، حيث كتب يقول : « انظروا الى الخــارطة لتـــروا أن الطريــق من برلــين الى أوديــسا . . . الخ » (مقتبس من :

Ерусалимский А., Германский империализм: история и современность, Москва, 1964, стр.203.

أ. يروسليمسكي ، الاستعمار الألماني : الماضي والحــاضر ، موسكــو ، ١٩٦٤ ، الص ٢٠٣) . (في الهوامش القادمة :. . . A. Eroslemskey).

(٤) راجع : B. A. Izen, Op. Cit., P. 411.

(٥) أطلق أحد الوطنيين الصربيين النــار على ولي العهد النمســاوي في بلدة سيراجيفو اليوغوسلافية فأرداه قتيلاً في ٢٨ حزيران ١٩١٤ ، وقد اتخذ الألمان وحلفاؤهم ذلك ذريعة لاعلان الحرب فلم يمر على الحادث أكثر من شهر واحد حتى بدأت العمليــات الحربيــة على الحدود بــين النمســا =

ومسؤول ألماني كبير وأنصارهم الذين عقدوا النية على الانتقام للدم الطاهر المراق مع أن الذين فجعوا حقاً بفقدان ولي العهد النمساوي لم يكونوا « سوى أولاد القتيل » كما جاء في احدى الصحف الغربية(٦) . ومع ذلك فقد أشعلت شمعة سيراجيفو الصغيرة حريقاً لم ير تأريخ الانسان مثيلا له حتى ذلك اليوم ، ولاسيما وأن الجانب المقابل لم يكن أقل استعداداً لمواجهة الانفجار الألماني المتوقع في كل لحظة . وسرعان ما تحولت العمليات الحربية التي بدأت في تموز من العام ١٩١٤ على الحدود بين النمسا والصرب الى حرب شاملة اشتركت فيها الى جانب معظم الدول الأوروبية كل من اليابان والأمبراطورية العثمانية وأخيراً الولايات المتحدة الأمريكية .

ولاشتراك الأمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى تأريخ متشابك يعكس في واقعه الطموحات الواسعة جداً لفئة بورجوازية جد هزيلة وغير متجانسة لم تستطع في خضم الصراع الدولي الحاد والمشاكل الداخلية المتفاقمة بسبب منها ، أن تتبنى سياسة صحيحة وواضحة . فالاتحاديون ساروا وراء سراب كان يعكس لهم صور الماضي البعيد بشكل غير واقعي . ان الحفاظ على الأمبراطورية وخلق نفوذ قوي في العالم الاسلامي ووضع حد للتغلغل الأجنبي كان يتطلب الاعتماد أولاً على الجماهير التركية وغير التركية ، والابتعاد ثانياً عن الدول الاستعمارية(٧) ، الا أن ذلك كان فوق طاقة

=

والصرب . ومن هنا جرت العادة باعتبار تلك الطلقة بداية للحرب العالمية الاولى .

(٦) مقتبس من : A. Eroslemskey, Op. Cit., P. 201.

(٧) يعتبر البعض ذلك بمثابة «اسطورة» ، الا انهم ينسون أو ربما يتناسون أن مصطفى كمال اتاتورك تمكن من تحقيق تلك «الأسطورة» بالاعتماد على الجماهير في مواجهة الدول الاستعمارية في ظروف دولية معقدة للغاية ؛

=

الاتحاديين وفهمهم • لذا نرى أصحاب الأحلام الكبيرة يتخبطون في خطط سياسية متناقضة ويلجأون الى اجراءات متضاربة لايتصورها العقل السياسي السليم • وبوسع أمثلة قليلة اعطاء صورة واضحة عن الواقع المتضارب • فمثلاً عندما اندلعت الحرب كانت بعثة ليمان فون ساندرس الألمانية تشرف على القوات البرية العثمانية ، بينما كانت بعثة ليمبوس الانكليزية تشرف على القوات البحرية • وبعد طلقات سيراجيفو بالذات كان الاتحاديون يتوددون الى فرنسا ويحاولون التقرب منها • ففي أواسط تموز قام وزير البحرية جمال باشا بزيارة رسمية الى فرنسا لحضور المناورات العسكرية لأكبر جيش معاد لألمانيا وأقربه • واقترح الوزير العثماني اثناء وجوده في باريس على كبار المسؤولين الفرنسيين انضمام بلاده الى جانب الحلفاء شريطة اعادة الجزر الواقعة في بحر ايجة اليها وضمان عدم تدخل روسيا في شؤونها • وقبله بفترة قصيرة حصل مسؤول عثماني آخر على موافقة فرنسا على منح الباب العالي قرضاً بمبلغ ٨٠٠ مليون فرنك وبشرط واحد هو «عدم صرفه على أعمال معادية موجهة ضد الجيران»[٨] ، أي ضد روسيا • هذه الوقائع الى جانب القروض الكبيرة والعلاقات الاقتصادية المتينة ، خلقت لدى الحلفاء قناعة تامة بأنه لايمكن للدولة العثمانية الانضمام الى الجبهة المعادية لهم ، لذا فانهم لم يروا أي داع لممارسة الضغط على الباب العالي كي لايتخذ مثل ذلك الاجراء الذي لم يتوقعوه أصلاً ، ولاسيما وأنهم كانوا يعلمون بوجود جناح

=

بينما جعل التناسب الجديد الذي نجم عن انفجار الحرب بين أكبر الدول واقواها الظروف موآتية بالنسبة للاتحاديين في حينه دون أن يتمكنوا من استغلالها كما يجب .

(٨) للتفصيل راجع :

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 26 - 27 ; G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 260.

كبير بين الاتحاديين يؤكد على ضرورة التروي ازاء الأحداث العالمية المتوترة آنـذاك .

كانت دوافع أفراد هذا الجناح الأخير متباينة . فكان قسم كبير منهم يميلون الى الاشتراك في الحرب يحدوهم في ذلك تحقيق أهداف الجناح المتحمس لمثل ذلك الاشتراك ، نفسها . الا أنهم كانوا يقدرون واقع البلاد وطاقاتها بشكل أصح ، حتى أن الهلع انتاب السلطان عندما عرف عن طريق غيره أن بلاده مقدمة على الصدام المباشر مع روسيا ، فصرح قائلاً : « ان جثث قتلاها تكفي لسحقنا »[9] . وظل معظم الوزراء يعارضون لوقت طويل تورط الأمبراطورية المباشر في الحرب ، بحيث ان الجنرال الألماني ليمان فون ساندرس بدأ في وقت ما يشك في امكانية اقناع الباب العالي لخوض الحرب الى جانب بلاده عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

بالرغم من كل ذلك كان الجناح الاتحادي الموالي لألمانيا أقوى نفوذاً وأكثر نشاطاً ، وكان يقف على رأسه المغامر الكبير والشخصية المتنفذة وقائد انقلاب ٢٣ كانون الثاني من العام ١٩١٣ أنور باشا الذي عرف بعلاقاته الوثيقة جداً مع الأوساط الحاكمة والمالية الألمانية منذ أن كان ملحقاً عسكرياً لبلاده في برلين خلال الأعوام ١٩٠٩ ــ ١٩١١ ، حتى أن بعض المؤرخين يؤكدون أنه تحول منذ ذلك الوقت الى عميل ألماني[10] . كان أنور باشا يعتقد أن بامكان الاتحاديين تحقيق أهدافهم في ضمان بقاء الأمبراطورية واستعادة مجدها الغابر و سطوتها السابقة التي فقدتها على مدى القرنين

(٩) مقتبس من : A. D. Novichev, Turkey . . . , P. 130.

(١٠) منهم المتخصص في تاريخ تركيا الحديث والمعاصر البروفيسور أ. ف. ميللر الذي توفر له الاطلاع على وثائق سرية كثيرة ومختلفة (راجع : الص ٢٢ من كتابه المذكور آنفاً) .

الماضيين ، عن طريق الحرب وبمساعدة ألمانيا ، وكان يشاركه الرأي الزعيمان المتنفذان الآخران طلعت باشا وجمال باشا ، وان كان الأخير لايميل كثيراً الى الألمـان .

قد يبدو هذا التناقض الكبير في الرأي وهذا الاختلاف الكلي في التوجه نحو المعسكرين المتنافسين أمراً وارداً في خضم صراع استعماري حاد توقفت على نتائجه مصائر قضايا عالمية كثيرة، ولاسيما وأن دولاً أخرى أوروپية لعبت أدواراً مشابهة آنذاك جاءت في توافق مطلق مع طبيعة الحرب الدائرة كـأول حرب استعمارية عالمية من أجل اعادة تقسيم مناطق النفوذ . وبامكان الموقف الذي اتخذته ايطاليا ازاء المعسكرين المتنازعين تقديم صورة معبرة عن هـذا الواقع . فاعتبرت ايطاليا الحرب الدائرة ــ وكما كـانت في الواقع ــ سوقـاً يمكن الدخول اليها من أوسع أبواب التعامل التجاري الحربي وتحديد الموقف في ضوء الربح النهائي المتوقع ، وهي اتصلت لهـذا الغرض بالذات بالجهتين المتحاربتين في وقت واحد وتفاوضت معهما على مدى أشهر لتحديـد مسـألة مكتسباتها من اشتراكها الى جانب أي منهما ، وكمـا يعترف رئيـس الوزارة البريطانية أثناء الحرب لويد جورج فقد « كان لدى الحلفاء امكـانات عرض شروط أفضل ، فقررت الحكومة الايطالية ربط مصيرها بهم »(١١) . صحيح أن العديد من الحكام العثمانيين كانوا ينظرون الى الأمر بنفس منظار أورلاندو الايطالي ، الا أن وضعهم كان يختلف عن وضعه من الأسـاس ، وكان يرتبط ــ مثلما ذكرنا ــ بواقعهم الفكري الذي كان يفصله بون شـاسع عن واقعهم المادي ، لذا لم يعتمد تقرير قضايا مصيرية كثيرة عليهم هم ، بل كانت تحركهـا أحداث أكبر وأيادٍ أقوى من وراء كواليس خفية . وتعتبر الأحداث السريعة

(١١) Lloyd George, The truth . . . , Vol. I, P. 27.

التي وقعت خلال الأسابيع الأولى للحرب نفسها والتي أدت الى اشتراك الأمبراطورية العثمانية المباشر في الحرب دليلاً على ذلك لايدحض .

فبالرغم من تحمس وزير الحربية أنور باشا وأنصاره ، وبالرغم من نشاطاتهم الواسعة في مختلف الميادين وعلى شتى الأصعدة ، لم تطن الدولة العثمانية الحرب خلال الأسابيع الأولى من وقوعها ، ذلك لأن مصالح الألمان كانت تستوجب آنذاك تبني سياسة ترمي الى ضمان الكسب النهائي للأمبراطورية العثمانية الى جانبهم لاستغلالها عند الحاجة حسبما يشاءون هم لا كما تشاء هي . وقد جرى تنفيذ دقيق وناجح للخطة الألمانية بهذا الاتجاه . فبما أن ألمانيا لم تر من صالح خططها الاستراتيجية الأولى فتح جبهة في الشرق الأوسط يمكن أن تتحول الى عبء ثقيل عليها[١٢] أو الى « جرح في استراتيجية الوفاق الثلاثي » حسب تعبير السفير الألماني في استانبول[١٣] ، في وقت ارتأت التركيز على الجبهتين الأوروبيتين ــ الغربية والشرقية ، فقد أصبح لزاماً على الحكام العثمانيين أن يكونوا حلفاء حقيقيين للألمان سراً ومحايدين بالنسبة للجميع علناً . وعلى هذا الأساس تم في الثاني من آب من العام ١٩١٤ التوقيع على معاهدة تحالف سرية بين الرايخشتاغ والباب العالي لم يطلع على مضمونها قبل التوقيع سوى الصدر الأعظم سعيد حليم وأنور مع طلعت باشا[١٤] . والأغرب من ذلك أن استانبول أعلنت بعد أقل من ٢٤

(١٢) كان المسؤولون الألمان على بينة من الوضع العسكري المتحلل للأمبراطورية العثمانية ، ولاسيما وأن بعثتهم العسكرية بقيادة الجنرال ليمان فون ساندرس كانت تشرف منذ العام ١٩١٣ على تنظيم الجيش العثماني .

(١٣) مقتبس من : A. S. Avetian, Op. Cit., P. 119.

(١٤) لم يطلع عليها لا السلطان ولا حتى القطب الثالث في الحكم جمال باشا الا بعد التوقيع عليها . عن المعاهدة راجع :

A. S. Avetian, Op. Ct., PP. 120 - 121.

ساعة[١٥] حياد الأمبراطورية العثمانية في الحرب الدائرة ، ولم يكن هناك ما يدعو الحلفاء الى عدم تصديقها ولاسيما وأنهم لم يكونوا على بينة من أمر المعاهدة العثمانية ـ الألمانية السرية التي لم تكن قد أودعت خزائن وزارتي الخارجية في استانبول وبرلين بعد مع أن حبرها كان قد جف . وأغلب الظن أن نص المعاهدة السرية مع قرار الحياد العثماني العلني وصلا برلين في وقت واحد . وقد دفع هذا الأخير الدول المتحالفة الى أن تعلن أنها هي الأخرى لن تنتهك حرمة أراضي الدولة العثمانية ما دامت هي تحافظ على حيادها .

ولكن لم تمض سوى فترة وجيزة للغاية ، حتى انقلبت الحسابات الألمانية وانقلب معها الموقف العثماني من الحرب . فقبل كل شيء كانت ألمانيا تتوقع أن تقف انكلترا على الحياد ، بينما انها أعلنت الحرب ضدها في اليوم الرابع من آب ، أي بعد يوم واحد على اعلان ألمانيا الحرب ضد فرنسا . والأسوأ من ذلك هو الاندحار غير المتوقع الذي اصطدم به الألمان في الأسابيع الأولى من الحرب . ففي اثر توغل الجيوش الألمانية في فرنسا بعد اختراقها السريع لأراضي بلجيكا ولوكسمبرغ المحايدتين بدأت معارك حاسمة في المنطقة الممتدة بين العاصمة باريس ومدينة ڤيردان القريبة من الحدود الألمانية حيث كانت الحرب سجالاً بين مليوني عسكري ألماني وفرنسي وانكليزي من الخامس حتى التاسع من أيلول[١٦] وتمكن الحلفاء خلالها من وقف الزحف الألماني بنجاح فيما كان من المقرر له بموجب حسابات القيادة الألمانية حسم نتيجة الحرب لصالح الألمان بسرعة بينما أنه دشن ، على العكس

(١٥) نقول أقل من ٢٤ ساعة على أساس أن التوقيع على معاهدة التحالف الألمانية ـ العثمانية السرية قد تم في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم الثاني من آب من العام ١٩١٤ .

(١٦) دخلت التأريخ باسم «موقعة مارن» نسبة الى نهر مارن وهو من فروع نهر السين .

من ذلك تماماً ، بداية الفشل الألماني • وقد بلغت آثار هذا الفشل حد أن رئيس هيئة الأركان الألمانية العامة الجنرال مولتكه[١٧] اضطر للاستقالة من منصبه في ١٤ أيلول •

ومن جانب آخر توغلت القوات الروسية بنجاح في بروسيا الشرقية واستطاعت احتلال مناطق حساسة من غاليسيا • فاضطرت القيادة الألمانية تبعاً لذلك الى تغيير موقفها من الاشتراك المباشر للقوات العثمانية في الحرب، ذلك لأنها أصبحت بأمس الحاجة الى أي شيء يخفف عنها الضغط في ميادين القتال الأوروبية • كتب جمال باشا فيما بعد بهذا الصدد يقول : « كانت ألمانيا توافق (في البداية ــ ك• م•) على أن نبقى محايدين الى أن نستكمل تعبئة جيشنا ••• ولكن بعد أن انتقلت القوات الألمانية بعد موقعة مارن[١٨] من الهجوم الى الدفاع وبعد أن تقدم الجيش الروسي بنجاح في بروسيا الشرقية واحتل قسماً كبيراً من غاليسيا ، تغير موقف حليفتنا ألمانيا الى حد ما وبدأت تلح باصرار على اشتراكنا في الحرب بغية جذب القوات الروسية نحو القفقاس ولاجبار الانكليز على الاحتفاظ بجيش كبير في مصر »[١٩] •

هكذا بدأت الأمبراطورية العثمانية أخيراً تخوض غمار الحرب بشكل مباشر في أوائل تشرين الثاني من العام ١٩١٤ لتصبح الحليفة الأساسية الثالثة في الجبهة الألمانية ــ النمساوية • ولم ينتصف شهر تشرين الثاني حتى أعلنت جميع الدول المتحاربة في جبهة الحلفاء الحرب ضد الأمبراطورية العثمانية الواحدة تلو الأخرى •

---

(١٧) من أقرباء الفيلد مارشال مولتكه الذي ورد اسمه في الفصل الأول من هذا الكتاب .

(١٨) راجع : الهامش ١٦ .

(١٩) مقتبس من : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 41 - 42.

كان الاتحاديون قد بدأوا بتحضير أنفسهم لمثل هذا اليوم قبل أن تبدأ الحرب بفترة غير قصيرة . وقد سبق أن تطرقنا الى جوانب معينة من هذا الموضوع في حدود علاقته بالأكراد آنذاك . واستكمالاً للموضوع وتمهيداً لتوضيح الأحداث التي وقعت فيما بعد ، نلخص هنا أهم جوانب استعداد الدولة العثمانية للحرب . فمنذ العام ١٩١٠ بدأ ، لأول مرة ، تجنيد المواطنين غير المسلمين في الجيش وبوشر برفع ميزانية وزارة الحربية بحيث انها أصبحت تشكل مع حصة وزارتي البحرية والداخلية حوالي ٤٥٪ من مجموع ميزانية الدولة الفعلية للعام ١٩١٤ وارتفعت في سنوات الحرب أكثر لتشكل ٧٥٪ منها[٢٠]. وفي بداية الحرب دعي ٦٥٠ ألف شاب الى الخدمة العسكرية، ولكن هذا الرقم ارتفع في سنوات الحرب نفسها الى أربعة ملايين شخص[٢١]. وجرى في الوقت نفسه تجهيز قطعات الجيش العثماني بأسلحة ألمانية جديدة .

لعبت ألمانيا ، كما كان متوقعاً ، دوراً أساسياً في الاستعدادات والخطط العسكرية العثمانية. فما ان بدأت الحرب وتم عقد المعاهدة السرية بين الطرفين حتى بوشر بارسال كميات كبيرة من الأسلحة الألمانية الى تركيا بطرق مختلفة. فخلال أقل من شهر واحد بعد التوقيع على المعاهدة المذكورة تم ارسال مئتي قاطرة محملة بأنواع الأسلحة والمتفجرات الى الأراضي العثمانية . وتوجهت في الوقت نفسه أعداد كبيرة من العسكريين والبحارة والفنيين الألمان الى استانبول بلغ عددهم حتى أواخر أيلول خمسة آلاف شخص تغلغلوا في مختلف المرافق العسكرية الحساسة حتى أصبح من المألوف أن تلتقي بضابط ألماني على ظهر كل سفينة عثمانية[٢٢] . وقامت برلين أيضاً بمنح الباب العالي

(٢٠) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 255, 258.

(٢١) راجع : A. D. Novichev, Turkey, P. 130.

(٢٢) هذه الأرقام مقتبسة من الوثائق الرسمية (راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 128, 134).

قرضاً جديداً مقداره ١٠٠ مليون فرنك[٢٣] .

من جانب آخر التزم الألمان بتعهدات كثيرة كانوا يبغون منها ضرب مصالح الدول الرأسمالية الأخرى في الأمبراطورية العثمانية وربط مصيرها بمصير بلادهم كلياً . فبعد التوقيع على معاهدة التحالف السرية بين الطرفين أرسل السفير الألماني لدى الباب العالي رسالة الى الصدر الأعظم احتوت على وعود كثيرة منها أن ألمانيا « تساعد تركيا على الغاء نظام الامتيازات » وفي العمل من أجل « اعادة الجزر الواقعة في بحر ايجة » اليها « في حالة اشتراك اليونان في الحرب » الى جانب الحلفاء ، ومن أجل « تغيير الحدود الشرقية لتركيا بشكل يمكنها من الاحتكاك المباشر بالعناصر المسلمة في روسيا » وأخيراً تعهدت ألمانيا بأن لا تعقد صلحاً منفرداً « الا بعد أن يتم تحرير جميع أراضي الأمبراطورية العثمانية من الجيوش المعادية »[٢٤]. ولكن حتى في سنوات الحرب كانت جهود ألمانيا موجهة في الواقع الى تحويل الأمبراطورية العثمانية الى شبه مستعمرة تابعة لها . وبهذا الصدد يقول ج. پوميانوفسكي الملحق العسكري النمساوي في استانبول آنذاك :

« ان كل ما رأيت وسمعت كان يدل على أن الألمان يحاولون السيطرة على الأراضي التركية [يقصد العثمانية ــ ك. م.] بالتدريج اما على شكل محمية أو عن طريق معاهدة سياسية وكان لديهم أكثر من ذلك خطط مختلفة بعيدة المدى بالنسبة للمناطق الآسيوية الداخلية وحتى الهند اذا أمكن »[٢٥].

ظل القادة الاتحاديون ، مع ذلك ، يسبحون كالسابق في عالم الخيال ويضعون الخطط الطموحة فوق الرمال . فحسب تصورات أنور باشا المثالية

(٢٣) راجع : A. F. Miller, Op. Cit., P. 43.

(٢٤) راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 121 - 122.

(٢٥) Ibid, PP. 7 - 8, 129.

غدا كل شيء في متناول اليد . لذا نراه ، وقد أصبح نائباً للقائد الأعلى[٢٦] ، يضع مع أقرب أعوانه خطة عسكرية واسعة لم تتناسب لا مع واقع طاقات الأمبراطورية ولا مع واقع تناسب القوى على صعيد المنطقة والعالم . فقد كان من المقرر حسب خطة أنور باشا[٢٧] أن تتقدم القوات العثمانية باتجاهين ــ أحدهما نحو القفقاس ضد الروس والآخر نحو قناة السويس ومصر ضد الانكليز . وبما أن واضعي الخطة كانوا على ثقة تامة من سحق العدوين خلال فترة قصيرة فانهم جعلوا الخطوات التالية بشكل تؤدي الى نشر العمليات العسكرية في أرجاء العالم الاسلامي كله (!) دون تأخير . فمن شأن الجهاد ــ حسب تصور أنور وزملائه ــ ضمان انضمام ايران وأفغانستان الى جانب الجيوش العثمانية التي تكون قد حققت ــ فوق الخارطة العسكرية طبعاً ــ الانتصار الحاسم على الانكليز والروس في الجبهتين المذكورتين . وبعد اعلان الدولتين المسلمتين الحرب ضد الحلفاء تتجمع جيوشهما الجرارة مع القوات العثمانية في ايران لتخترق من هناك الممرات الجبلية في شمالي غربي أفغانستان فتصل الى الهند مظفرة حيث يلتحق بها في الحال مسلمو شبه القارة الهندية. ولا تقل الانتصارات في الجناح الغربي عظمة وسرعة عن هذه بكل تأكيد . فبعد انتهاء مهمة القوات العثمانية في القناة ونشر راية السلطان الخفاقة لترفرف عالياً فوق كل شبر من وادي النيل ، وربما بعد استراحة قصيرة ، تتوجه هذه القوات الى ليبيا حيث ينضم اليها السنوسيون في الحال و الى السودان التي يستقبلها أهلها بنفس الحماس ومن ثم يتوجه الجميع « لانقاذ » سكان المستعمرات الافريقية كافة من نير الحلفاء . ولاتقل القوات العاملة في جبهة

---

(٢٦) تمسكاً بالتقاليد الموروثة ظل السلطان يشغل اسمياً منصب القائد الأعلى للجيش .

(٢٧) الغريب في الأمر أن الألمان المعروفين بحنكتهم العسكرية وباطلاعهم عن قرب على وضع الجيش العثماني ساهموا في وضع هذه الخطة .

القفقاس همة دون شك ، فانها تتقدم لأداء مهماتها بنفس السرعة وربما بأكثر منها ،فمن المقرر لها أن تقوم بسيطرة خاطفة على القفقاس كله لتتوجه القوات المنتصرة بعد ذلك الى آذربيجان الايرانية فتتم محاصرة بحر قزوين من جميع أطرافه بشكل محكم مما يسهل ـ حسب الخطة طبعا ـ الوصول الى مناطق سكنى التتر المسلمين والى سائر أنحاء آسيا الوسطى •

هذه هي الخطة التي حدد الخبير العسكري التركي العقيد فؤاد بيك الدرجة التي تستحقها في « المدرسة العسكرية التابعة للقيادة العامة » بـ •• «الصفر من المئة» فقط[٢٨] ، بينما كانت تستحق في نظر أنور باشا والمقربين والمتزلفين درجة تفوق المئة من المئة (!) حتماً • لذا نراه يختار لنفسه مهمة قيادة القوات المتوجهة نحو القفقاس ويختار لزميله جمال باشا « مهمة نابليون بونابارت » التي لم يشك هذا لحظة واحدة في امكانية تحقيقها الموفق ، لذا نراه يعلن على رؤوس الأشهاد وبكل اعتزاز وغرور يوم توديعه في محطة القطار أنه « سوف يعود بحراً عن طريق الاسكندرية »[٢٩] ولا نعلم هل آكد الباشا عهده الرفيع بأغلظ الايمان أم لم ير موجبا لذلك أصلا• مهما يكن من أمر فان اللقب الوحيد الذي حصله القائد الاتحادي والوزير البحري بعد الفشل الذريع والهرب الى ألمانيا ثم اللجوء الى سويسرا فأفغانستان هو « السفاح » لأنه سفح في طريقه الى مصر دماء كثيرة ، ولكنها لم تكن دماء الأعداء الذين ذهب لمقاتلتهم ، انما كانت دماء الوطنيين السوريين الذين كانوا يناضلون في سبيل الحقوق القومية المشروعة لشعبهم العربي في الشام • ولم يكن مصير زملائه بأحسن من ذلك ، لكن ــ وهذا ما يؤسف له ــ بعد أن جروا ويلات لا توصف على جميع شعوب الأمبراطورية ، وفي مقدمتها الشعب التركي ،

(٢٨) مقتبس من : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 45 - 46.

(٢٩) Ibid, P. 47.

وهو موضوع نضطر للعودة الى ذكر بعض تفاصيله من خلال عرضنا لموقع الكرد في أحداث الحرب العالمية الأولى ٠

★ ★ ★

اهتم الاتحاديون والألمان منذ « طلقة سيراجيفو » ، بأشكال مختلفة ، باقحام الكرد في أتون الحرب ، ولاسيما وأن جميع مناطق سكناهم كانت تقع في قلب المخطط الذي وضعه أنور باشا ٠ وقد لجأوا لتحقيق هذه الغاية الى مختلف الوسائل والحيل ٠ فقد حاولوا في بادىء الأمر ، اثارة المشاعر الدينية للناس البسطاء ، فلم يكن الأكراد آخر من قصدهم السلطان ــ الخليفة في دعوته الى « الجهاد المقدس » ولا آخر من أراد تحريكهم شيخ الاسلام بفتاواه الخمس التي أصدرها في بداية الحرب ضد « كفار روسيا وانكلترا وفرنسا » الذين يحاولون « لا سامح الله » اطفاء « القدح المعلى » للاسلام كما ورد في فتواه ٠ و اذ لم تؤد هذه الفتاوى والدعوات الى نتيجة ما بين مسلمي القفقاس ومصر والهند ، فانها حققت بعض النتائج في كردستان لأنها كانت تصل الى أيدي الناس بسهولة وفي اطار عاطفي مثير ضمن الدعاية الألمانية ــ التركية الواسعة ٠ فان صحافة الاتحاديين التي لم تكن تصل الى الارجاء الاسلامية الأخرى الا نادراً ، كانت توزع في معظم المدن الكردية وهي كانت تصور الانتصارات الألمانية بشكل مبالغ فيه دون أن تذكر كلمة واحدة بالطبع عن نجاحات الحلفاء ٠ ثم انها كانت تضرب بدورها على وتر العاطفة الدينية الحساس بأسلوب لايمكن الا أن يؤثر على مشاعر الناس ٠ فجريدة « تنين » مثلا ذكرت المسلمين في عدديها الصادرين يومي ٢٣ و ٢٤ تشرين الأول من العام ١٩١٤ ، بالقسم الرفيع الذي أداه الأمبراطور الألماني « على ضريح صلاح‌الدين في دمشق» بأن يحمي المسلمين من «ظلم الدول المسيحية»، كما ذكرت الجريدة الناس على لسان الشاعر فائق علي ، بأن السلطان سليم

(م ــ ١٠)

ياوز كان أول من « حمل لقب خليفة المسلمين » بين سلاطين آل عثمان ، ولو لم تخطفه يد المنون فانه كان يصل ــ كما يقول الشاعر ــ خلال سنوات قلائل «الى سواحل المحيط الهندي ليغدو كل العالم الاسلامي تحت رايته المظفرة» . وفي تعليق طريف له على مثل هذا القول يأسف الأكاديمي گردليڤسكي لأن الناس نسوا كيف أن هذا السلطان « المؤمن » كان يرى في « قتل شيعي واحد حسنة أكبر وأجراً أعظم مما في قتل سبعين مسيحياً »[٣٠] . الا أنه لم يكن من الصعب على لسان حال الاتحاديين قلب تلك الصورة من أجل الهدف الجديد[٣١] لتظهر بهذا الشكل : « كان الترك هم السباقين الى حمل سيف الحق لبتر أعداء الاسلام . وبالتأكيد فان اليد الأخرى التي (تحمل السيف ــ ك. م.) تكون لحماية الفرس » من أعداء الاسلام . ولم يكن مستوى الوعي بين الكرد وغيرهم بلغ بالطبع حداً يطالبون حملة السيف بأن يحموا بنفس الحماس مسلمي البلقان من ظلم حليفتهم النمسا ، بل اندفعت اعداد منهم، في البداية على الأقل ، لمواجهة كفار لندن وباريس والمسقوف بشكل خاص دون أن يحسبوا حساباً « للقرابة البعيدة » التي كانت تربطهم بقيصر روسيا[٣٢] .

---

(٣٠) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 84 - 86.

(٣١) عندما كان التوجه نحو أوروبا ، والبلقان بالذات ، يشكل منفذ حياة ومخرج رفاه ، كان قتل المسيحيين ــ بنظر السلاطين ــ عملا صالحا يثاب عليه المرء ومن شأنه جعل الحياة رخيصة في نظر البسطاء . لكن ما أن تمكنت الدول الاوروبية القوية من وضع حد للخطر الآتي من الشرق وغدت المناطق الآسيوية الغنية المجاورة تشكل عوضاً عن خسارة الغرب الكبرى ، حتى اصبح في قتل المسلم الشيعي مثوبة أكبر ــ لكن الهدف بقي وان تغير الموقع ! .

(٣٢) تشير احدى الوثائق الروسية الى ان حماس احد رؤساء العشائر الأكراد الموالين لروسيا القيصرية ، بلغ حد انه اكد في حديث له مع دبلوماسي روسي « وجود صلة قربى بين الأكراد وعظمة القيصر » .

كان بامكان دعوة السلطان الى الجهاد وفتاوى شيخ الاســلام تحريك قطاع واسع من الشعب الكردي لم يكن من الصعب عليه تغيير موقفه بسرعه عند أول اصطدام له بالواقع المرتبط بلقمة عيشه ووجود أولاده ، لكنها لم تكن كافية منذ البداية لدفع الجميع الى نار الحرب الدائرة ، لذا بدأ الاتحاديون ينثرون الوعود يمنة ويسرة حول اقامة نظام للحكم الذاتي في كردستان ، وان رغب الناس فأكثر ، ولكن بعد أن تضع الحرب أوزارها ودون أدنى تأخير ، في كلتا الحالتين • وكان هم الاتحاديين منصبا آنذاك على تحريض رؤســاء العشائر القوية بقصد اثارة المشاكل للروس فيمنطقة القفقاس، وبدأوا بمحاولة بعث الحياة في « الفــارس الحميدي » لهــذا الغرض ، ولكن تحت واجهات جديدة[٣٣] •

لم يكن اهتمام الألمان بالأكراد أقل من اهتمام العثمانيين بهم ، ولم يأت ذلك اعتباطاً ، بل جاء في اطار خط سياسي عام تبنوه ازاء شــعوب المنطقة • فقد أعار الألمان موضوع اثارة الشعوب الاسلامية ضد الحلفاء اهتماماً بالغاً ضمن مجهوداتهم العسكرية والدعائية • ففي بداية الحرب لم تحبذ الأوساط الحاكمة في برلين ــ كما مر بنا ــ الاشتراك المباشــر للقوات العثمــانية في العمليات الحربية ، بينما أرادوا منذ ذلك الوقت تحريك الشعوب المسلمة في الشرق الأوسط ضد الانكليز والروس بشكل خاص ، وهذا ما جاء صراحة في الرسالة التي بعثها رئيس هيئة الأركان الألمانية الجنرال مولكته الى أنور

(٣٣) لم يتخذ الاتحاديون منذ توليهــم الســلطــة اجراءً جديــاً ضــد الفرق الحميدية بالرغم من الحاح الجماهــير الكردية والأرمنية وعرائضها المتكررة حول ضرورة وضع نهاية لهذه الفرق واستهتارها . وقد نجــم موقف الاتحاديين هذا من عاملين متناقضــين الى حد ما همــا عدم توفر امكانات فعلية لديهم لاتخاذ مثل ذلك الاجراء أولاً ولرغبتهم في استغلال هذه الفرق ضد روسيا ثانياً .

باشا في ١٠ آب من العام ١٩١٤ حيث طالبه بالعمل بجد لاثارة انتفاضات وحركات معادية لروسيا وانكلترا في العالم الاسلامي[٣٤] . وكان الألمان جد مهتمين بمناطق الحدود وبالقفقاس لأنهم كانوا يريدون خلق مشاكل هناك يكون من شأنها الحيلولة دون تفرغ روسيا التام لمساعدة الصرب ورومانيا ، كما كانوا يريدون اثارة مشاكل مشابهة للانكليز في مصر والهند كذلك . وقد استأثر هذا الموضوع باهتمام شخصيات من أرفع المستويات بما في ذلك شخص الأمبراطور ، فتم تأسيس شعبة خاصة في هيئة الأركان الألمانية برئاسة رجل الاستخبارات القدير رادولف نادولن وكان يساعده القنصل الألماني السابق في القاهرة ماكس . وانتشر جواسيس ألمانيا وعملاؤها في ارجاء اسلامية شتى لأداء هذه المهمة ، ومن بينها بعض المناطق الكردية العثمانية والايرانية ، وجرى تنسيق في العمل بين العثمانيين والألمان بالنسبة للأخيرة كما نعود الى تفصيل ذلك فيما بعد .

الا أنه ، وبغض النظر عن كل ذلك ، لم يكن بوسع الشعب الكردي أن يقف ، على أي حال ، بمعزل عن لظى الحرب الدائرة . ذلك لأن موطنه كان قد بات ميداناً لصراع ضروس بين ثلاثة جيوش ــ العثماني والروسي والبريطاني الى جانب الألمان العاملين في القوات العثمانية ، فكانت نيران الحرب تحاصره وألسنة اللهب تمتد اليه من جوانب عديدة وبأشكال مختلفة . لذا يمكن القول ان الشعب الكردي اشترك في أحداث الحرب العالمية الأولى منذ بدايتها ولكن دون أن يكون الأمر في يديه ودون أن تكون له رغبة فعلية أو مصلحة حيوية في ذلك . وفي الواقع فان وطنه لم يكن قد تحول الى أحد ميادين القتال الرئيسة وحسب ، بل ، وكما يقول الدكتور م. س. لازاريف ،

(٣٤) A. S. Avetian, Op. Cit., P. 124.

فان « أولى طلقـات الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى قـد دوت في كردستان الايرانية[٣٥] لا في البحر الأسود »[٣٦] . ومنذ ذلك الحين وعلى مدى أربع سنوات كانت الجيوش العثمانية والروسية والبريطانية تصطدم ببعضها في العديد من المناطق الكردية ، وقد وقعت بينها حروب ضارية كانت نتائج بعضها تترك أثرها بوضوح على ميزان القوى بين المتحاربين في ميادين قتال الشرق الأوسط. وفي الوقت نفسه فانها كانت تؤدي الى الدمار والتشرد في العديد من نواحي كردستان . فضلا عن أن عددا كبيرا من شباب الكرد ذهبوا ضحية للحرب ، فقد كانت الغالبية الساحقة من الجيش التاسع المرابط في منطقة أرضـروم والجيش العاشر المرابط في منطقة سـيواس والجيش الحادي عشر المرابط في منطقة العزيز والجيش الثاني عشر المرابط في منطقة الموصل مؤلفة من الأكراد[٣٧] ، فضلا عن القوات غـير النظامية التي كانت

(٣٥) لم تدخل الامبراطورية العثمانية الحرب مباشرة كما أسلفنا ، ومع ذلك ، فقد ظهرت بوادر التحالف الألماني ــ العثماني بسرعـة . وقبـل اعـلان الحرب رسـمياً بين الدولة العثمانية والحلفاء لجـأت الأولى الى اجراءات فعلية ضـد مصـالح هؤلاء ، فقـامت سـفينتان المانيتـان تحمـلان العلـم العثماني ويقودهما بحارة عثمانيون الى جانب الألمان بقصف الشـواطيء الروسية للبحر الأسود في التاسـع والعشرين من تشرين الأول من العـام ١٩١٤ . ويعتبر هذا الحادث ، مثل طلقة سـيراجيفو ، بدايـة للحرب في المنطقة مع أن الاعلان عنه قد تأخـر لعدة ايام . الا أن حوادث ضرب المصالح الروسية في كردستان الايرانية قد سـبقت في الواقـع العدوان الذي وقع في البحر الأسـود مما دفع الدكتور لازاريـف الى مثـل هـذا القـول .

(٣٦) M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 299.

(٣٧) محمد أمين زكي ، خلاصة تأريخ الكرد وكردستان ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، الص ٢٧٤ .. لايرتقي الشك الى صحـة هذه المعلومـات ولاسيمـا وأن المؤلف نفسـه كان من الضباط المطلعين في الجيش العثماني وكان العديد من مؤلفاته من المصـادر الموثوقة المعتمد عليها في المدارس العسكرية العثمانية وحتى التركية فيما بعد .

تشترك في العديد من المناطق في القتال الدائر وتقدم الضحايا قليلا أو كثيرا . ومن الجدير بالذكر أن الموظفين العثمانيين في المناطق الكردية شددوا في بداية الحرب ، أكثر من أي وقت مضى ، لانجاح عملية التجنيد التي أثارت رد فعل كبيرا بين الأوساط الفلاحية وغيرها ، حتى ان كلمة «سفربرلك»[٣٨] التي تعني في اللغة التركية النفير العام دخلت اللغة الكردية منذ تلك الأيام وغدت مصطلحاً يستخدم حتى اليوم للدلالـة على الحظ السيء والسفر المشؤوم الذي لا رجعة منه .

عبر رد الفعل الكردي ازاء الحرب والتعبئة العامة عن نفسه بسرعة . فمنذ البداية رفضت عشائر كردية كثـيرة الأستجابة لنداءات الاتحاديين المتكررة حول « الجهاد المقدس » والتجنيد العام ، كما لم يمض على اندلاع نار الحرب وقت طويل حتى أخذ الجنود الأكراد يفرون زرافات ووحداناً تاركين صفوف الجيش العثماني وعلى سبيل المثال لم ينقض أكثر من أشهر قلائل على بدء القتال ، حتى هرب أكثر من ١٥ ألف خيال كردي من صفوف الجيش الثالث وهذا يشكل نسبة تزيـد عن خمسة أسداس مجموعهم في الجيش المذكور[٣٩]. وكثيراً ما كان يحدث في مناطق الحدود أن يولي الجنود الأكراد ورجـال العشائر ورؤساؤهم بكامل أسلحتهم الى جـانب القوات

---

(٣٨) حورت في معظم المناطق الى « سفربلك » .

(٣٩) احتسبت على اساس الأرقام الواردة في :

Корсун Н.Г., Сарыкамышская операция на Кавказском фронте мировой войны в 1914-1915, Москва, 1937, стр.30.

ن.گ. كارسون، معركة سارى قاميش في جبهة القفقاس للحرب العالمية في العامين ١٩١٤ ـ ١٩١٥ ، موسكو ، ١٩٣٧ ، الص ٣٠ . (في الهوامش القـادمة : ... N. G. Carsoon).

الروسية العاملة هناك . يتطرق بوريس شاخوفسكي في مذكراته الى هذا الموضوع فيذكر أسماء العديد من المتنفـذين الكرد الذين تركوا صفوف العثمانيين وانضموا الى الروس ومنهم رسول بيگ وشقيقه خالدبيگ ابنا أيوب باشا في منطقة قرەكيليس وقد التحق معهما أتباعهما الحميديون ، ورئيس عشيرة أداماتلي علي بيگ وغيرهم . وكما يذكر هذا المصـدر الموثوق نفسه فان رئيس عشيرة حيدرانلي القوية كوير حسين باشا المعروف[٤٠] قد اتصل بالروس وأبدى استعداده للانضمام اليهم كذلك[٤١] .

ومنذ بدايـة الحرب زاول رجال العشائر الكرديـة في بعض المناطق هجمات مفاجئة على القطعات العثمانية بدوافع مختلفة منها تحريض العملاء الانگليز لهم ومنها الرغبة في الحصول على بعض الغنائم (البنادق والخراطيش بشكل خاص) ومنها ما كان يحدث بدافع الحقد ضد السلطة العثمانية . يشير المؤلف الألماني گ. لوريي بهذا الصدد الى الهجمات المتلاحقة التي قام بها « الأكراد والعرب» ابتداء من ربيع العام ١٩١٤ حتى نهاية العام ١٩١٥ ضد القوافل المتوجهة الى ساحة القتال في جنوبي العراق بحيث اضطرت القيادة

(٤٠) كان رئيس الحيدرانلي كوير حسين باشا من الاكراد المعروفين بنفوذهم الواسع وثرواتهم الطائلة ، فقد كـان يملك حوالي ٣٠٠ قريـة . عرف بمعاداته للاتحاديين وتعاون مع الشيخ عبدالقادر النهري وكان على اتصال بالروس قبل أن تبدأ الحرب .

(٤١) راجـع :

Курд-Оглу, Курды и империализм,-"Бюллетень прессы Среднего Востока", Ташкент, № 13-14, 1932, стр.108.

كورد أوغلو ، الكرد والاستعمار ، ـ «النشرة الصحفية للشرق الأوسط» طاشقند ، العدد ١٣ ـ ١٤ ، ١٩٣٢ ، الص ١٠٨ . (في الهوامش القادمة: Kurd - Oghlu . . .).

العثمانية ــ الألمانية المشتركة الى تخصيص قوات اضافية لحماية الطرق التي تجتازها تلك القوافل[٤٢] •

امتدت نيران الحرب الى المناطق الكردية ، بعد تورط الأمبراطورية العثمانية فيها مباشرة ، ذلك لأن خطة أنور باشا لضرب القوات الروسية واحتلال القفقاس كانت تقضي بفتح جبهة تبدأ من أردهان في شمالي قارص وتمتد الى ساري قاميش في جنوبي قارص أيضا وتتجه من هناك باتجاه جنوبي شرقي الى ورمى داخل الأراضي الايرانية • كان أنور باشا واثقا من النصر حتى أنه أراد أن يكون شرفه من نصيبه هو ، لذا قاد بنفسه القوات العثمانية في هذه الجبهة وكان يساعده الجنرال الألماني بروتزارت فون شيليندروف • لكن سرعان ما تكررت مأساة مارن الأوروبية في ساري قاميش الآسيوية بحجم أصغر ولكن بخسارة أكبر نسبيا • فقد تمكنت القوات الروسية من التقدم في تشرين الثاني من العام ١٩١٤ باتجاه أرضروم ووان ، فجابهها أنور باشا بقوات كبيرة تألفت من الجيش الثالث برمته ــ ١٢٧ فوجاً و ٢٢ فرقة من الخيالة النظامية وعدة فرق من الخيالة الأكراد غير النظاميين مع ٢٧١ مدفعاً (بلغ تعداد الجميع ٩٠ ألف شخص) • حقق الفيلق الحادي عشر والفرقة الثانية من الجيش الثالث مع الخيالة الأكراد بعض التقدم باتجاه ساري قاميش منذ التاسع من كانون الأول من العام ١٩١٤ ، الا أن القوات الروسية تمكنت من وقف زحف القوات العثمانية وانتقلت الى الهجوم منذ

---

(٤٢) راجع :

Лорей Г., Операция германо-турецких морских сил в 1914-1918гг., Москва, 1934, стр.320.

گ. لوريي ، عمليات القوات البحرية الالمانية ــ التركية في الاعوام ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، الترجمة الروسية ، موسكو ، ١٩٣٤ ، الص ٣٢٠ .

اليوم السادس عشر من الشهر نفسه واستطاعت أن تحكم سيطرتها على بعض المواقع الاستراتيجية وحققت بعد ذلك بأربعة أيام نصراً كبيراً عندما أوقعت كل الفيلق التاسع من الجيش العثماني في الأسر . وأخيراً انتهت المعركة في اليوم السادس من كانون الثاني من العام ١٩١٥ باندحار فظيع لقوات أنور باشا التي فقدت ٧٠ ألف شخص ، أي أكثر من ثلاثة أرباعها ، مات حوالي ٣٠ ألفا منهم بسبب البرد(٤٣) .

ترك أنور باشا القيادة بعد هذه الهزيمة النكراء وعاد الى استانبول ولم يسمح للرأي العام بالاطلاع لفترة طويلة على الفشل الذريع الذي أصاب خطته في أول خطوة لها(٤٤) فأثر على وضع القوات العثمانية العاملة ، وعلى خطته هو في جنوبي العراق لاحتلال القناة ومصر ، وعلى سمعة العثمانيين في ايران . والأسوأ من كل ذلك أن انتكاسة ساري قاميش مهدت الطريق أمام تقدم الجيش الروسي نحو وان حيث تمكن من احكام سيطرته على المنطقة خلال الصيف من العام ١٩١٥ ثم احتل في بداية العام ١٩١٦ أرضروم وطرابزون وأرزنجان وبعد ذلك بعدة أشهر (في الصيف من العام نفسه) احتل موش وبدليس ، وكان ذلك كله يعني احتكاكاً مباشراً أكبر وأوسع للروس بالأكراد .

ازداد اهتمام الروس بالشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى وازداد تبعاً لذلك تورط هذا الشعب في الأحداث الدموية التي رافقت تلك الحرب . فبقدر ما كان العثمانيون والألمان يهتمون باثارة الكرد ضد الروس ، كان هؤلاء يحاولون كسبهم الى جانبهم والاستفادة منهم في

(٤٣) راجع : N. G. Carsoon, Op. Cit., P. 30.

(٤٤) راجع : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 47 - 48.

عملياتهم الحربية التي توسعت بشكل امتدت حتى كردستان الجنوبية كما نعود الى بحث ذلك بالتفصيل فيما بعد . وهكذا ازداد نشاط الضباط الروس وغيرهم في كردستان بشكل ملموس وقد عهدت مهمة الاشراف على تنظيم اتصال القيادة الروسية في القفقاس بالرؤساء الأكراد الى قنصل روسيا السابق في دمشق بوريس شاخوفسكي الذي أسره العثمانيون مع اعلان الحرب الا أنه تمكن من الهرب بمساعدة الأكراد له . ومما ساعد على نجاح شاخوفسكي في مهمته الجديدة تعاون كامل بيگ من عائلة بدرخان معه كما يشير شخصياً الى ذلك في مذكراته(٤٥) . وكما ذكرنا سابقاً فان نشاطات الروس أدت الى كسب عدد غير قليل من المتنفذين الكرد الذين تركوا صفوف العثمانيين ومنهم من انضم مع رجاله الى جانب الروس .

تجول عدد من الضباط والمدنيين الروس في سنوات الحرب في المناطق الكردية منهم گردليفسكي الذي وصل في العام ١٩١٦ الى أكراد جبل سبحان داغ ونشر بحثاً خاصاً عنهم في السنة التالية مع مقال آخر بعنوان « ملاحظات عن الأكراد »(٤٦) . وتم نشر بحوث أخرى كذلك عن الكرد ومناطقهم في

(٤٥) جميع المعلومات الواردة هنا عن نشاط بوريس شاخوفسكي بين الاكراد مقتبسة من بحث كورد اوغلو الآنف الذكر (الص ١٠٨ ــ ١٠٩) واقتبسها هو بدوره من مذكرات شاخوفسكي والمصادر الأرشيفية الأخرى .

(٤٦) نشر ف. ا. گردليفسكي بحثه الأول تحت عنوان « بين اكراد سبحان داغ » في المجلد الأول من مجلة « العالم الاسلامي » (بيتروگراد ١٩١٧ ، الص ٢٣ ــ ٣٤) ونشر أيضاً على شكل مستل مستقل يقع في ١٤ صفحة:

Гардлевский В., У Спхандагских курдов,-"Мусульманский Мир", Петроград, ч.I, вып.I, I9I7, стр.23-34.

ونشر البحث نفسه مرة اخرى ضمن مؤلفات گردليفسكي المختارة (V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 447 - 457).

اما مقاله « ملاحظات عن الاكراد » فقد نشر في العام نفسه في العدد الثامن

سنوات الحرب منها « رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية » كتبها القنصل الروسي السابق في ساوجبولاق (سابلاغ) العقيد الفنلندي المولد ألكسندر ايفانوفيج اياس وقد ألحق به خارطة مع ٢٧ صورة عن المناطق التي زارها [نشر في العام ١٩١٥][٤٧] . وقام مينورسكي في العامين ١٩١٥ و ١٩١٦ بنشر عدد من بحوثه وملاحظاته عن الشعب الكردي وبلاده منها بحثه « الأكراد . ملاحظات وانطباعات » الذي نشره على شكل مقال في مجلة « أخبار وزارة الخارجية » [ألعدد الثالث ، ١٩١٥][٤٨] و « معلومات عن

= من جريدة "Русские ведомости" (الكشوف الروسية) التي كان يصدرها عدد من الأساتذة الليبراليين في موسكو . أعيد نشر المقال ضمن مؤلفات گردليفسكي المختارة تحت عنوان جديد هو « من تأريخ الأكراد »
(V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 113 - 120).

(٤٧) Иас А.И., Поездка по Северному Персидскому Курдистану, Петроград, 1915.

أ. ي. اياس ، رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية ، پيتروگراد ١٩١٥ . (في الهوامش القادمة : ... A. I. Eyas). نشرت مع البحث مقدمة باسم (ف. م.) ، وكما يبدو واضحاً من سياقها فان (ف. م.) هو ڤلاديمير مينورسكي . يتضمن البحث كذلك خارطة دقيقة لمناطق الحدود العثمانية ـ الايرانية التي زارها العقيد اياس . نشر للمؤلف نفسه قبل ذلك بحث آخر بعنوان « الموقع الجغرافي والوضع الاقتصادي لمنطقة ساوجبولاق في كردستان» في العدد ٣٨ [العام ١٩١٤] من «تقارير القناصل الروس في الخارج عن قضايا تجارية ـ صناعية» (الص ١ـ١٧).

(٤٨) نشر على شكل مستل خاص (٤٣ صفحة) تحت العنوان نفسه :

Минорский В.Ф., Курды. Заметки и впечатления, Петроград, 1915.

ونقله الدكتور معروف خزندار الى العربية ونشره في العام ١٩٦٨ في بغداد ، في كتاب .

سكان بعض مناطق الحدود التركية ـ الايرانية » في دورية « معلومات لدراسة الشرق» [المجلد الثاني ١٩١٥][٤٩] • وترجم نيكيتين من الانكليزية بحثاً للميجرسون وعلق عليـه وطبعه في العـام ١٩١٧ في ورمى تحت عنوان « عن الكـرد وبلادهم » • كما نشـرت بحوث ودراسـات وخرائط عديدة أخرى عن كردستان باللغة الروسية في سنوات الحرب •

ولكن بالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من جميع أخطاء الاتحاديين ، فان الأمور لم تجـر بين الأكراد دوما كما كان الروس يشـتهون • ولا تحتل السياسة الخاطئة التي تبناها بعض المسؤولين الروس المكانة الأخيرة بين الأسباب التي أدت الى ظهور مصاعب مختلفة أمام القوات الروسية العاملة في المناطق الكردية • فقد ارتكبت هذه القوات أعمالا فظيعة في العديد من المناطق كما سنتعرض الى نماذج منها فيما بعـد • ولم يتصرف المسؤولون الروس بود حتى مع رؤساء الكرد الذين انتقلوا الى جانبهم وهو أمر لم يكن يخلو من اقدام وتحد كبيرين في ظروف العالم الاسلامي آنئذ[٥٠] • ومع

(٤٩) نشر مينورسكي في الفترة نفسها تقريباً بعض الدراسات العلمية الصرفة عن الكرد سواء ضمن بحثـه عن ماكو [العام ١٩١٦] أو عن كيله‌شين بالقرب من بحيرة وان [في العام نفسـه] وقد كرس هذا الأخير لدراسة المواقع الأثرية في كردستان .

(٥٠) جرت حالات مشـابهة في مناطق اخرى معظمهـا كـانت بعيـدة عن مركز الامبراطورية وكانت تمر بظروف تختلف الى حد ما عن ظروف كردستان، كما حدث في الحجاز مثلاً. لكن حتى هنا لم يكن من السهل للجميع هضم صورة حمل السيف بوجه « السلطان الخليفة » ، علماً بأن نداء الجهـاد الذي اذاعه السـلطان لم يجد له اي صدى تقريباً في شبه الجزيرة العربية على العكس من بعض المناطق الكردية (راجع :
((War Memories of David Lloyd George)), Vol. IV, London, 1936, P. 1810).

ذلك ، وكما يذكر بوريس شاخوفسكي في مذكراته[٥١] ، فقد تم اعتقال رسول بيك وخالد بيك اللذين التحقا مع رجالهما ــ كما أسلفنا ــ بالجبهة الروسية . وحسب الأسلوب الشرقي العتيد الذي غالباً ما لجأ اليه المستعمرون ، قام المسؤولون الروس بالقبض على علي بيك وغيره من رؤساء منطقة بايزيد بعد دعوتهم لحضور احتفال عسكري حيث أرسلوا من هناك مخفورين الى سيبيريا ، كما تم حجز أموال العديد من الأكراد .

والأسوأ من كل ذلك أن القيادة الروسية في منطقة القفقاس تبنت الوجه الآخر للسياسة العثمانية العقيمة ازاء العلاقات الأرمنية ــ الكردية فزادت من تعقيدها . « انها ــ كما يقول شاخوفسكي ــ بدأت بملاحقة الأكراد مباشرة ولم تحل دون مخالفات الأرمن الفظة »[٥٢] ازاء الكرد طبعاً[٥٣] . فقد كان القوميون المتعصبون من الأرمن يريدون ، كما يذكر شاخوفسكي نفسه ، «ابادة جميع السكان المسلمين الموجودين في المناطق التي قمنا باحتلالها ..».

كان من الطبيعي جداً أن تؤدي مثل هذه السياسة وتلك الأعمال الى نتائج سلبية بالنسبة للروس في المناطق الكردية . فقبل كل شيء تقلص بالتدريج عدد الأكراد الذين كانوا يفضلون الانتقال الى جانب الروس ، كما استغل العثمانيون والألمان الحوادث المذكورة وغيرها في حملتهم الواسعة لتحريض العشائر الكردية ضد روسيا القيصرية، وكانت النتيجة أن أدت بشكل

(٥١) راجع : Kurd - Oghlu, Op. Cit., P. 108.

(٥٢) Ibid

(٥٣) استغل بعض القوميين المتطرفين من الداشناقيين مجيء القوات الروسية لضرب مسلمي المنطقة ، والاكراد منهم بشكل خاص ، فيما كانوا يعتبرونه انتقاما للدماء الارمنية البريئة التي اريقت مراراً على مدى القرون الأخيرة . وسوف نعود الى هذا الموضوع بتفصيل في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

غير مباشر الى رفع سمعة الانكليز في نظر العديد من الرؤساء الأكراد لتبني مسؤوليهم ــ كما سنرى ــ سياسة أكثر ذكاء من تلك التي تبناها الروس في المناطق الكردية • وأخيراً فان الأخطاء المرتكبة دفعت العديد من الأكراد دفعاً الى مقاومة القوات الروسية مما أدى الى خلق صعوبات جدية لها • يشير بوريس شاخوفسكي في مذكراته الى هذه الحقيقة فيعلق عليها بهذا الأسلوب : « أدت مقاومة الأكراد المستميتة في العام ١٩١٥ وبداية العام ١٩١٦ الى تعقيد عملياتنا (العسكرية ــ ك• م•) بشكل رهيب للغاية وجعلت من المحال القيام بأي عمل استطلاعي » •

لكن اهتمام الروس بالأكراد لم يفتر ، مع ذلك ، فقد قدر العديد من المسؤولين بشكل صائب ضرورة كسبهم ، ومنهم بوريس شاخوفسكي ومينورسكي وگردليفسكي وآخرون • فقد كان مينورسكي يدافع بحماس في تقاريره عن مثل هذا الرأي ويعارض بشدة استخدام القوة ضد العناصر الكردية المعادية ، ولا سيما وأن اللجوء اليه في السابق « لم يؤد الى نتائج طيبة في أي مكان» ، فما أجدرنا بأن نبتعد عنه ــ كما ذكر ــ لكي «نستطيع كسب هذا الشعب القدير » • واقترح مينورسكي من أجل ذلك « الاهتمام بالشعور التحرري الكردي » واعطاء وعود بالعمل من أجل تحقيق الحكم الذاتي لهم(٥٤) •

أما ما ذكره ف• أ• گردليفسكي بهذا الصدد فيعتبر مؤشراً مهماً وذكياً لاهتمام الروس حتى النهاية بالأكراد • ففي شباط من العام ١٩١٧ ، أي في نفس الشهر الذي انتصرت فيه ثورة شباط الروسية ، كتب گردليفسكي

(٥٤) راجع :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question... , PP. 346 - 352, 450.

الأسطر التالية ، ذات الدلالة العميقة ، والتي اختتم بها بحثه عن أكراد سبحان داغ :

« تقف أمام روسيا مهمة ثقافية كبيرة، فعليها الآن أن تكسب عطف الشعب الكردي الى جانبها . عليها الآن أن تهتم بتحسين ظروف الأكراد كي يستطيع الكردي أن يقرر بعد الحرب عن وعي أيهما أفضل بالنسبة له : أن يبقى هنا (مع روسيا ــ ك. م.) أم ينصرف الى تركيا . فليعط الكردي فرصة الاقتناع بتفوق الثقافة الروسية على الثقافة التركية ، وليتوسع نطاق رسالة روسيا الثقافية في الشرق ... لكن يجب فقط عدم تكرار ما فعله العثمانيون »[٥٥] .

وقد حدث بالفعل نوع من التبدل في الموقف الروسي ازاء الأكراد ، ولم يأت ذلك اعتباطاً بل جاء بتوافق تام مع المصالح والطموحات والمخططات الروسية العلنية والخفية . ففي ميدان العمل العسكري كانت القيادة الروسية تفكر في التوجه الى أقصى ما يمكن جنوباً وغرباً ، أي عبر كل المناطق الكردية، حتى يمكن حصر القوات العثمانية في نطاق ضيق بينها وبين القوات البريطانية المتقدمة في جنوبي العراق بحيث يمكن قصم ظهرها نهائياً . ومن المفيد أن نذكر بهذا الصدد أن بعضاً من الروس العاملين في المنطقة رأوا أن من الضروري والممكن احتلال كربلاء بمساعدة العشائر الكردية في

(٥٥) ورد هذا النص في خاتمة مستل مقال گردليفسكي «بين اكراد سبحان داغ» (الص ١٤) المنشور اصلاً في مجلة « العالم الاسلامي» . ورد النص نفسه في الص ٤٥٦ ــ ٤٥٧ من الجزء الثالث من مؤلفات گردليفسكي المختارة مع اختلاف واحد فقط ، ففي المصدر الأخير جاء اسم الأتراك بدل العثمانيين .

ايران(٥٦) • الا أن العامل الأهم الذي دفع المسؤولين الروس الى اجراء بعض التغيير في سياستهم الكردية يرتبط كالسابق بطموحاتهم الواسعة التي ضمنت معاهدة « سايكس ــ پيكو » السرية في هذه الفترة بالذات جانباً كبيراً منها بأن خصصت مناطق واســعة ، بضمنها رقعة غير صغيرة من كردســتان ، لروسيا •

لم تقتصر عمليات الروس العسكرية ونشاطاتهم الأخرى في سنوات الحرب على المناطق الكردية العثمانية ، بل انها امتدت كذلك الى المناطق الكردية الايرانية التي أولاها العثمانيون والألمان في الوقت نفسه جانباً كبيراً من اهتمامهم • ولا يمكن عزل ذلك ، بالطبــع ، عن مجهود أوســع ارتبط باهتمام جميع الأطراف المتحاربة بواقع ايران في سنوات الحرب وبموقعها في مخططات المستقبل ، حتى أن روسيا وبريطانيا وقعتا اتفاقاً سرياً في آذار من العام ١٩١٥ بشأن تقسيمها فيما بينهما • أما ألمانيا فانها كانت تعمل منذ بداية الحرب في سبيل تحويل الأراضي الايرانية الى قاعدة انطلاق لمخططاتها بالنسبة للشــرق الأوسط ، فأرسلت بعثة عسكرية خاصــة عن طريقها الى أفغانستان بقصد تحريضها على الانضمام الى دول الوفاق ضد الحلفاء • وتم ارسال بعثة مشابهة وعن الطريق نفسه الى بلوجستان • وقد زاول ڤاسموس القنصل الألماني في بوشهر نشاطاً واسعاً بين عشائر المنطقة طيلة ســني الحرب حتى أنه أصبح يعرف في أوساط مختلفة بـ « لورانس الألماني »(٥٧) • تمكن

(٥٦) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 327.

(٥٧) للتفصيل راجع :

Агаев С.Л., Германский империализм в Иране, Москва, 1969, стр.7-9.

س. ل. آگاييف ، الاستعمار الالماني في ايران ، موسكو ، ١٩٦٩ ، الص

قاسموس من تحقيق نجاحات أقلقت بال الانكليز بشكل جدي خاصة بعد أن استطاع التأثير على بعض العشائر الجنوبية وقام عن طريقها بضرب مصالح الانكليز النفطية في المنطقة .

التجأ الألمان والاتحاديون الى تحريك الشعور الديني للناس في ايران على نطاق واسع وبتشجيع منهم أسست في سنوات الحرب منظمة باسم «اتحاد اسلام» وقد انتشرت فروعها في العديد من المدن والمناطق الايرانية . كما أنهم قاموا بتوزيع نشرات مليئة بالتحريض ضد الحلفاء في معظم المدن وأقاموا اتصالا مباشراً بالعديد من رؤساء العشائر في الشمال لتحريكهم ضد الروس وفي الجنوب لتحريكهم ضد الانكليز . ومن أجل تحقيق الغرض نفسه بذلوا جهوداً كبيرة في سبيل استغلال النضال التحرري الملتهب في بعض المناطق الايرانية والذي كان رأس رمحه موجهاً بحكم ظروف البلاد ضد الانكليز والروس[٥٨] ، ويمكن أن نورد على سبيل المثال هنا المحاولات التي بذلها الألمان والاتحاديون من أجل التغلغل في صفوف الثوار الجنكليين في منطقة گيلان الشمالية . فقد اتصل أنور باشا شخصياً بقائد الجنكليين ميرزا كوچك خان وأرسل له سيفاً مرصعاً حفرت عليه عبارة « هدية الى المجاهد الايراني

=

٧ ـ ٩ . (في الهوامش القادمة : ... S. L. Agaev) . كما تذكر مجلة ((The Near East.)) في عددها الصادر في العاشر من كانون الاول من العام ١٩٣١ أن الضابط الانكليزي الكابتن نوئيل المعروف باهتماماته الكردية ، تمكن من اسر قاسموس اثناء الحرب الا أن الأخير استطاع التخلص منه بمساعدة حراسه الايرانيين .

(٥٨) ولدت اطماع روسيا وانكلترا وخرقهما المتكرر لسيادة ايران ، وخاصة احتلالهما أيام الثورة الدستورية المناطق الشمالية والجنوبية من البلاد ، الى جانب عوامل أخرى ، شعوراً معادياً قوياً بين الأوساط الوطنية الايرانية ضد هاتين الدولتين الاستعماريتين .

مرزا كوچك خان » ، كما وصلت الى المنطقة أيضاً كميات من الأسلحة مع بعض العسكريين الألمان والعثمانيين بقصد تنظيم الجنگليين وتشجيعهم على القتال ضد الانكليز والروس بشكل خاص[٥٩] . ومن الجدير بالذكر أن لجنة خاصة من لجان « اتحاد اسلام » كانت تشرف على تنظيم جميع شؤون الثوار الجنگليين في سنوات الحرب وكانت تتألف من عدد من الأعضاء كان خالو قوربان الكردي واحداً من أبرزهم[٦٠] لما كان يتمتع به من نفوذ واحترام كبيرين هناك فقد شارك مع عدد غفير من الفلاحين المسلحين الأكراد بنشاط في صفوف الحركة الجنگلية كما سنذكر ذلك بشيء من التفصيل ضمن الفصل القادم من هذا الكتاب . ومن المهم أن نذكر هنا أيضاً أن الجنگليين نظموا حملات ناجحة ضد قوات الحلفاء وأنهم تمكنوا من وضع عراقيل جدية بواسطة مسلحي عشيرة سنجاوي الكردية أمام قوات الجنرال باراتوف الروسية المتوجهة نحو العراق[٦١] .

زاول العثمانيون والألمان نشاطات واسعة داخل المناطق وبين العشائر الكردية الايرانية نفسها كذلك . ففي بداية الحرب حول عملاء الألمان مدينة كرمانشاه الى احدى قواعد عملهم المتواصل في المنطقة اذ تم في هذه المدينة جمع المتطوعين وتنظيم مخازن للسلاح بالأموال الألمانية كما كان عليه الأمر في

(٥٩) للتفصيل راجع : ابراهيم فخرائي ، ميرزا كوچك خان سردار جنگل ، تهران ، ١٣٤٤ شمسی [١٩٦٥ م] ، الص ٧٤ ـ ٨١ .

(٦٠) راجع :

Иванова М.Н., Национально-освободительное движение в Иране, Москва, 1961, стр.17,19.

م. ن. ايفانوفا ، حركة التحرر ـ الوطني في ايران ، موسكو ، ١٩٦١ . الص ١٧ ، ١٩ . (في الهوامش القادمة : ... M. N. Ivanova).

(٦١) ابراهيم فخرائي ، المصدر السابق ، الص ٧٤ .

المدن الايرانية الأخرى[٦٢] . وقد أجرى هؤلاء اتصالات مركزة بالعديد من رؤساء الكردالمتنفذين مما أثار قلقاً كبيراً في الأوساطالعسكرية والدبلوماسية الروسية التي شبهت وثائقها الوضع في كردستان الايرانية بـ « قدر يغلي » من جراء نشاطات الألمان والاتحاديين[٦٣] الذين « تمكنوا من جذب أكثرية سكان كردستان الايرانية الى جانبهم واثارتهم ضد روسيا مما أثر بسرعة على الوضع العسكري في جبهة القفقاس ، وبشكل خاص في مناطق آذربيجان وكردستان »[٦٤] . واضطر جميع العاملين الروس الى ترك المنطقة ، وكان من بينهم القنصل في ساوجبولاق العقيد أ. اياس الذي اغتيل أثناء انسحابه[٦٥] .

كان من شأن هذه الأحداث وأخرى غيرها كثيرة أن تجعل من الحياد الذي أعلنته الحكومة الايرانية في الثاني من تشرين الثاني من العام ١٩١٤ أقل حتى من مجرد حبر على ورق اذ امتدت العمليات الحربية بسرعة الى أهم أرجاء ايران التي تحولت الى احدى ساحات الحرب في الشرق الأوسط . وقد تركز الاحتكاك العسكري المباشر بين الروس والعثمانيين في مناطق آذربيجان وكردستان الايرانية ، ولاسيما وأن خطة أنور باشا كانت تقضي بالتوجه السريع نحوهما . وهذا ما حصل فعلا ، فقد اخترقت القوات العثمانية الحدود الايرانية بعد تورط الأمبراطورية المباشر في الحرب فاحتلت في النصف الأول من تشرين الثاني من العام ١٩١٤ قسماً من المناطق الغربية

---

(٦٢) راجع : M. N. Ivanova, Op. Cit., P. 13.

(٦٣) مقتبس من : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 319.

(٦٤) Ibid, P. 320.

(٦٥) راجع : A. I. Eyas, Op. Cit., PP. 4 - 5.

يسميه مينورسكي « الضحية الاولى (لروسيا ـ ك. م.) على أعتاب كردستان البعيدة » (Ibid).

من ايران بما فيهـا مدينتا خوي و ورمى وغيرهما ووصـلت مدينة تبريز في الرابع عشر من الشهر نفســه ، فاضطرت القطعات الروســية الموجودة في آذربيجان الايرانية للانسحاب نحو الشمال . ومن جانب آخر أصبحت القوات العثمانية في احتكاك مباشر بالمناطق الكردية بعد أن احتلت لاهيجان المجاورة لساوجبولاق في ١٧ تشرين الثاني من العام نفسه . وطبيعي أن هذه العمليات لم تجر دون صدامات متفرقة وتضحيات امتدت بشكل خاص الى الذين عرفوا بموالاتهم للروس ومنهم رئيس عشيرة موكري الكردية محمد حسين خان وابنه اللذان شنقا في هذه الأثناء[٦٦] .

مهد تقدم الجيش العثماني الطريق للاتحاديين والألمان لمزاولة نشاط أكبر بين أكراد ايران في بداية الحرب ، فتمكنوا من كسب بعض القبائل الكردية كعشيرة شكاك الكبيرة ، وبتحريض منهم أقام بعض الاقطاعيين من كرمانشاه «حكومة» باسم «الحكومة الوطنية» في تلك المناطق ونصبوا الاقطاعي المعروف والي لورستان ظام السلطنة رئيساً لها . وكان من شـأن سياسة الاتحاديـين والألمان تعميق التناقضات القومية والخلافات الدينيــة في المنـاطق الغربية من ايران . فما ان احتل العثمانيون مدينة ورمى حتى بدأ جنودهم والمسلحون من بعض القبائل الكردية الموالية لهم يعبثــون بمقدرات المسيحيين القاطنين في المدينة وأطرافها ، ولاسيما الآثوريين منهم ، بحجة انحيازهم الى جانب الجيش الروسي ، فأحرقوا حوالي مئة قرية من قراهم وقتلوا عدداً كبيراً من أفرادهم وشردوا من تبقى منهم على قيد الحياة[٦٧] . وفي الوقت نفسه تقريباً حدثت مجزرة أخرى في شلماش (سلماس) ذهب ضحيتها حوالي ألف شخص برىء ،

(٦٦) Ibid, P. 2 وسنعود للموضوع في الفصل القادم .

(٦٧) راجع : علي سـيدو الكوراني ، من عمـان الى العماديـة أو رحلـة في كردستان الجنوبية ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، الص ٢٠٥ ــ ٢٠٩ .

وقد لعب في هذه المجزرة اسماعيل آغا زعيم الشكاك دوراً اساسياً فاعتقله الروس بعد عودتهم ونفوه الى جورجيا(٦٨) .

شكل التقدم العثماني في الأراضي الايرانية وانسحاب الروس الاضطراري من معظم مناطقها الغربية خطراً جدياً بالنسبة للأخيرين(٦٩) ولذلك فقد أصبح الصدام المباشر بين الطرفين أمراً لابد منه ولاسيما وأن ضربة ساري قاميش عقّدت ظروف القوات العثمانية المتقدمة في آذربيجان الايرانية مما هيأ الظروف المناسبة لتوغل القوات الروسية مجدداً في آذربيجان الجنوبية اعتباراً من كانون الثاني من العام ١٩١٥ فتمكنت في الواحد والثلاثين منه من احتلال مدينة تبريز المهمة مرة أخرى(٧٠) فانفتح الطريق أمامها للتقدم نحو ورمى التي احتلتها من جديد في الخامس والعشرين من مايس من العام ١٩١٥ بعد معركة صغيرة مع مسلحي الشكاك في أطراف خوي ، فانتهت بذلك السيطرة العثمانية على تلك المنطقة والتي دامت حوالي خمسة أشهر . ومنذ ذلك التأريخ ظلت القطعات الروسية تسيطر على هذه الأصقاع حتى نهاية الحرب وكان أول عمل قامت به هذه القطعات ضرب مصالح الألمان والعثمانيين في المنطقة حتى أنها أوقفت معمل صنع السجاد الألماني في تبريز وحولت بنايته الى ثكنة عسكرية(٧١) .

---

(٦٨) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 330.

(٦٩) شكل التقدم العثماني في ايران الذي بلغ همدان ، خطراً على الانكليز ايضاً ، فقاموا بتعزيز قواتهم في جنوبي البلاد الذي امتدت اليه مؤآمرات الالمان بشكل يهدد مصالحهم الحيوية في المنطقة .

(٧٠) راجع : M. S. Ivanov, Op. Cit., PP. 252 - 253.

(٧١) S. L. Agaev, Op. Cit., PP. 7, 9 كان هذا المعمل الذي اقامه راسماليون الماني في العام ١٩١٢ ، اكبر مؤسسة لصنع السجاد في ايران كلها وكان يستخدم ، كما أسلفنا ، كميات من الصوف المنتج في المناطق الكردية القريبة .

مهدت انتصارات الروس هذه الطريق أمامهم للتوغل أكثر في المناطق الكردية الايرانية . فبعد احتلال ورمي وما والاها من مناطق استطاع الجيش الروسي أن يدخل شنو وساوجبولاق كذلك ، لكنه جوبه في تلك النواحي بمقاومة بعض القبائل الكردية المسلحة . وأخيراً وصل الروس الى مدينة كرمانشاه في شباط من العام ١٩١٦ ثم بلغوا مناطق الحدود العثمانية ـ الايرانية. الا أن هذه المناطق لم تستقر على وضع معين ، فقد تمكن العثمانيون بعد عدة أشهر من العودة مجدداً الى كرمانشاه وهمدان فأعاد عملاؤهم ومؤيدوهم مع عملاء الألمان نشاطهم ضد الحلفاء في المناطق الغربية من ايران ، ولكن سرعان ما استطاع الجيش الروسي أن يضرب العثمانيين مرة اخرى . وعلى كل حال فقد حقق عملاء الألمان ، وعلى رأسهم الكابتن شولتسي ، نجاحات مشهودة في هذه النواحي، حيث تمكنوا من كسب العديد من العشائر الكردية في منطقة كرمانشاه واستطاعوا بمساعدتها أن يحولوا دون اتصال الروس والانكليز ببعضهم عبر هذه المنطقة طيلة العام ١٩١٦ ولاسيما وأن عشيرة سنجاوي القوية قد تحولت الى آلة بيد الألمان . وقامت عشائر منطقة مريوان بقطع الطريق أمام تقدم قوة روسية قوامها ١٥٠٠ مسلح ومنعتها من التقدم طيلة ثمانية أشهر . وبعد أن فقدت هذه القوة ـ حسبما تشير الى ذلك الوثائق الروسية ـ ما لا يقل عن نصف رجالها اضطرت أخيراً للتراجع نحو الشمال حيث «زاولت أعمال التخريب والسطو ضد السكان الكرد» في طريق انسحابها(٧٣) .

(٧٢) راجع : Kurd - Oghlu, Op. Cit., P. 110.

(٧٣) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 340. ترك معظم المجندين الاكراد صفوف الجيش مع اقتراب القوات الروسية وعادوا الى مراعيهم في الجانب الآخر من كردستان .

تطلبت هذه الأوضاع من الروس أن يبدوا اهتماماً متزايداً بأكراد ايران، ولاسيما وأنهم كانوا مقدمين على توغل أكبر في المناطق الكردية باتجاه الجنوب والغرب ، وكانوا يعرفون أن جانباً كبيراً من أفراد القوات العثمانية العاملة في ايران من الفلاحين الأكراد ، وقد بلغ عددهم في منطقة همدان مثلاً حوالي ١٠ آلاف من مجموع ١٤ ألف جندي هو مجموع أفراد القوة العثمانية العاملة هناك(٧٣) . وهكذا لم يمض وقت طويل على عودة الروس الى مدن آذربيجان الايرانية حتى أقاموا صلات واسعة بعدد من رؤساء العشائر الكردية في المنطقة ، ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا أيضاً سراح سمكو وبدأوا التعاون معه من أجل هدفهم « الأسمى » الذي تطلب ، على مايبدو ، منحه ، بعد السجن طبعاً ، مكافأة شهرية مقدارها ٥٠٠٠ خمسة آلاف روبل ذهب فقط(٧٤) . وفيما بعد ، أي بعد الافراج عنه ، عينوه حاكماً على بعض المناطق الكردية . ولم يأت ذلك قطعاً على نقيض مع منطق القياصرة الذين كانوا ينظرون من على قمم جبال كردستان الايرانية بعيداً الى الغرب والجنوب ! .

وهكذا لم تمض فترة طويلة على نجاحات الروس الأولى في جبهة القفقاس حتى بدأت قواتهم بالتوجه صوب كردستان العراق وأخذ البعض منهم يقترح التقدم حتى نحو مدن مثل كربلاء كما أسلفنا . وقد ارتبط ذلك بطموحات روسيا التي انعكست في مخططات الحلفاء السرية وبوضع الانكليز العسكري في جبهة العراق . فخلف الكواليس تقرر آنذاك نصيب روسيا القيصرية من غنائم «الرجل المريض» الذي شمل ـ كما هو معلوم ـ قسماً من الأراضي الكردية العثمانية وتقرر أيضاً تقسيم ايران الى منطقة نفوذ بين روسيا وبريطانيا . وفي الحالتين كان على الروس تثبيت أقدامهم في المنطقة وابعاد

(٧٤) تؤكد الوثائق الأرشيفية الخاصة هذه الحقيقة (راجع :
Kurd - Oghlu, Op. Cit., P. 108).

العثمانيين والألمان عنها ٠ أما في الميدان العسكري فبعد أن حققت الحليفة بريطانيا تقدماً سريعاً نسبياً في جنوبي العراق ، وقع حوالي ١٤ ألفا من قواتها في مأزق حرج عندما حاصرها العثمانيون وأحكموا الطوق عليها في الكوت منذ أوائل كانون الأول من العام ١٩١٥[٧٥] ، لذا بدأ الانكليز يحثون الروس على التقدم للضغط على العثمانيين في بغداد وعلى مؤخرة جيشهم حتى يصبح بالامكان انقاذ القوة المحاصرة ٠

بدأت القوات الروسية بالتحرك نحو العراق في بداية الربيع من العام ١٩١٦ من ثلاث جبهات رئيسة هي خانقين والسليمانية ورواندوز[٧٦] ٠ مع التركيز بشكل خاص على جبهة خانقين المؤدية الى بغداد عبر طريق أسهل وأقرب ، فقد تم تخصيص فيلق بقيادة الجنرال باراتوف لانجاز هذه المهمة ٠ وبالرغم من تقدم قطعات من هذا الفيلق الى نقاط معينة داخل الأراضي العراقية ، الا أنها جوبهت بمقاومة شديدة من جانب العثمانيين الذين كانوا يخشون الى حد كبير ضياع بغداد ، كما كانوا يتحرقون شوقا لتوجيه ضربة انتقامية قوية للقوات البريطانية بغية تحسين وضعهم في العراق الجنوبي بعد اندحاراتهم أمام الانكليز بشكل أثر على معنويات جنودهم وعلى سمعتهم ولاسيما بين رجال العشائر الذين كانوا أكثر تأثراً في مثل هذه الحالات ، لذا فلاعجب اذا ماقام أنور باشا بنفسه بزيارة لخانقين يرافقه القائد الألماني الجنرال فون لوسوف ٠ وأهم معركة شهدتها هذه الجبهة وقعت في بداية حزيران من العام ١٩١٦ وقد انتهت بانسحاب القوات الروسية الى داخل الأراضي الايرانية

(٧٥) A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, 1914 - 1917. A personal and historical record, London, 1930, P. 96.

(٧٦) للتفصيل راجع : شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٧ ، الطبعة الثالثة ، بغداد ، ١٩٧٤ ٠

بعد أن تركت في ساحة القتال ما لا يقل عن ٢٠٠ قتيل و ٥٧ أسيرا بينما بلغت خسائر العثمانيين ٨١ قتيلاً و ٣٤٠ جريحاً ومفقوداً[٧٧] . وقد دفع فشل الفيلق الروسي العامل في هذا الخط المسؤولين الروس الى أن يعيروا كسب الأكراد اهتماماً أكبر من السابق ، وقد وردت تعليمات رسمية خاصة بهذا الصدد من العاصمة بيتروگراد ومن تبليس الى السلطات الروسية في ايران[٧٨] .

(٧٧) المصدر السابق ، الص ٢٩ . لايمكن قطعاً الاتفاق مع الدكتور م. س. لازاريف في قوله ان «انعدام التعاون المتبادل» بين الانكليز والروس وعدم اتخاذ الأولين موقفاً ايجابياً ادى الى فشل القوات الروسية « في جبهات تركياالآسيوية» وفي خانقين بالذات (راجع: M. S. Lazarev, Kurdistan ..., PP. 333, 337). لاينكر ان الانكليز لم يكونوا ينظرون بارتياح الى نجاح الروس في آسيا الصغرى وايران ، وما كان بامكانهم أن لايحسبوا الحساب لكل تقدم روسي في العراق، لأنهم لم يكونوا على استعداد لتحمل وجود منازع لهم فيه . الا أن أوضاعهم الحرجة للغاية في أواخر العام ١٩١٥ وبداية العام ١٩١٦ ، بسبب محاصرة قواتهم في الكوت ، كانت تجعلهم يرحبون بكل ما من شأنه انقاذ تلك القوات ، ويكفي أن نقول انهم ضحوا بحوالي عشرة آلاف رجل من اجل ذلك ، وبذلوا جهوداً خارقة في البر والجو وداخل نهر دجلة في سبيل تهيئة ظروف تمكن المحاصرين من المقاومة يوماً اكثر ، ولاشك في انه لم يكن من السهل لهم ولخططهم ولسمعتهم أن يضطر ١٣٫٣٠٩ رجلاً تحملوا طيلة اشهر عديدة كل مايمكن أن يتحمله انسان ، للاستسلام اخيراً في التاسع والعشرين من نيسان من العام ١٩١٦ و . . . « دون قيد أو شرط » (للتفصيل راجع :
A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, PP. 91 - 100).

ومن الجدير بالذكر أن العديد من المؤلفين يرون ، على العكس مما ذهب اليه الدكتور لازاريف وغيره ، في « تلكوء القوات الروسية » واحداً من الأسباب الرئيسة في سقوط الكوت ثانية بيد العثمانيين (راجع على سبيل المثال : شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، الطبعة الثامنة ، بغداد ، ١٩٧٤ ، الص ١١٥) .

(٧٨) راجع :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question..., PP. 330 - 331, 447.

أما القوات الروسية التي توجهت نحو رواندوز فانها كانت تحت قيادة الجنرال چيورنوزوبوف الذي نشط منذ بداية الحرب في مناطق آذربيجان وكردستان الايرانيتين وكان على اتصال بالعديد من رؤساء الأكراد مثل سمكو وغيره . تمكنت القوات الروسية في هذا القطاع من الدخول الى العراق عن طريق رايات ودربند ودخلت مدينة رواندوز وظلت هناك لعدة أسابيع في ربيع العام ١٩١٦[٧٩] ، واضطر العثمانيون لبذل جهود كبيرة من أجل استعادة هذه المنطقة حتى يحولوا دون تقدم أكبر للقوات الروسية ويمنعوا التقاء قطعاتها العاملة في جبهات العراق الثلاث . ومن الجدير بالذكر أن أكراد هذه المنطقة لم يهتموا كثيراً بمجيء الروس في البداية ، بل ان قسماً منهم رحبوا بمقدمهم لكونه أدى الى انحسار ظل الاتحاديين الذين أثاروا رد فعل كبيرا في هذه الأنحاء بالذات منذ أن اشتعلت نيران الحرب . الا أن الأخطاء الكبيرة التي ارتكبها الروس بعد مجيئهم أدت الى تبدل الموقف منهم بسرعة ، فلم يحل المسؤولون الروس دون ارتكاب المتطوعين الأرمن المرافقين لهم أعمالا فظة خاصة داخل رواندوز وحواليها[٨٠] ، كما لم يتبنوا سياسة ودية مع رؤساء العشائر ، بل على العكس ، فقد شنقوا رشيد آغا رئيس عشيرة الهركي

(٧٩) حسب المعلومات الواردة في المصادر الروسية التي تستند الى الوثائق الرسمية ، فقد احتل الروس مدينة رواندوز في بداية شهر نيسان من العام ١٩١٦ ، بينما يشير الأستاذ شكري محمود نديم ــ وهو يستند في ذلك الى كتاب «بويوك حربده ايران جبهه‌سي» (الجبهة الايرانية في الحرب العظمى) لمؤلفه اللواء الركن محمد كنعان باشا الضابط في الجيش العثماني ــ الى أن احتلال الروس لرواندوز قد تم في الثالث عشر من مايس من العام ١٩١٦ وبقوا فيها مدة تربو على ٦٥ يوماً (شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الص ٩ ، ١٥ ، ٤٢ ــ ٧٦) .

(٨٠) نتطرق الى تفاصيلها في الفصل الخامس .

المعروفة . وكان من الطبيعي أن يدفع كل ذلك أعداداً غفيرة من رجال العشائر الى جانب العثمانيين(٨١) الذين تمكنوا من اعادة سيطرتهم على المنطقة في أواخر تموز من العام نفسه بعد خسائر كبيرة نسبياً بلغت ٢٠٦ قتلى و ٥٣ مفقوداً و ٤١٩ جريحاً(٨٢)، وكانت خسائر الجيش الروسي المنسحب أكثر من ذلك بالضرورة .

لم تحدث معارك فاصلة بين القوات الروسية الزاحفة والعثمانية المدافعة في جبهة السليمانية . فلم تجتز القطعات الروسية العاملة في هذا القاطع الحدود الايرانية الغربية طيلة العام ١٩١٦ ، بل دخلت الأراضي العراقية في أواخر حزيران من العام التالي ، فاستطاعت أن تحتل بلدة پينجوين لكنها انسحبت منها بعد أيام معدودات تحت ضغط التعزيزات العثمانية التي أسرعت الى المنطقة لمعاونة القوة العثمانية المنسحبة من هناك تحت ضغط الروس .

لم تؤد ثورة شباط من العام ١٩١٧(٨٣) الى حدوث تغيير ملموس في

---

(٨١) راجع :
W. R. Hay, Two Years in Kurdistan. Experiences of a Political Officer, London, 1921, P. 192.

(٨٢) راجع : شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الص ٧١ .

(٨٣) يخلط الأستاذ شكري محمود نديم (وآخرون ايضاً) بين الثورة البورجوازية الروسية التي انتصرت في شباط من العام ١٩١٧ وبين ثورة اكتوبر الاشتراكية التي انتصرت في تشرين الثاني من العام نفسه فيسمى الأولى ايضا بـ «الثورة البلشفية» و «الثورة الشيوعية» (راجع : شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ، الص ١٦ ، ٣٢، ٧٩ وكتابه الآخر : حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، الص ١٥٨) ويبدي استغرابه لانسحاب بعض القطعات الروسية العاملة في جبهات العراق بعد شباط بينما بقيت اكثريتها ، ويعزو ذلك الى « اختلال منظمة القيادة في =

سياسة روسيا تجاه كردستان ، فقد استمرت قواتها تحتل المناطق الكردية كالسابق وتزاول العمليات الحربية بين الحين والآخر كتلك التي وقعت في جبهة السليمانية التي أولاها الروس بعد ثورة شباط اهتماماً واضحاً • وكما تشير الوثائق الدبلوماسية الروسية التي تعود لتلك الفترة فان مينورسكي اقترح ابداء العون للحركة الكردية المعادية للعثمانيين في العراق ، وخاصة للشيخ محمود لأنه رأى في ذلك ضمانة أكيدة لسيطرة روسيا على ذلك الجزء من سكة حديد بغداد التي كان من المقرر لها أن تمر بالقرب من منطقة النفوذ الروسية في ايران• وفي وثيقة أخرى أكد مينورسكي ، الذي كان يشغل آنذاك منصب القائم بالأعمال في طهران ، أهمية مساندة الكرد في العراق « من وجهة نظر عسكرية بشكل خاص » لما لذلك من تأثير على « خطة الهجوم المرتقب على الموصل» كما ورد نصاً في الوثيقة• ومن المهم أن نشير الى أن مينورسكي الذي عرف ببعد نظره قد أدرك عقم أسلوب تحريض الأكراد على التحرك المسلح «الذي لم يعط حتى اليوم سوى فائدة قليلة» ــ كما جاء في رسالة أخرى له ــ لذا نراه يؤكد على ضرورة كسب ود الأكراد الذي يتم ، حسبما ورد في الرسالة

=

الجيش الروسي بتأثير الثورة البلشفية » . في الواقع يوجد فرق كبير بين الثورتين ولم يحدث الانسحاب الفعلي للقطعات الروسية الا بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية كما سنأتي على تفاصيل ذلك ، اما الانسحابات الجزئية التي كانت تحدث في منطقة او اخرى ، فقد كانت لأسباب تاكتيكية عسكرية صرفة . ومن الجدير بالذكر ان مجلة « الكتب الجديدة الصادرة في الخارج » الموسكوية التي نشرت تقريضا للطبعة الثانية من كتاب « الجيش الروسي في حرب العراق » في عددها الصادر في الخامس عشر من مايس من العام ١٩١٧ (الص ٥٨) وضعت علامة تعجب امام جملة « اندلعت الثورة الشيوعية في روسيا ووصل تأثيرها الى القطعات الروسية في جبهة العراق في شهر آذار ١٩١٧ » التي يذكرها المؤلف في خاتمة كتابه .

نفسها ، عن طريق الوعد بضمان حقوقهم[٨٤] . وقد رحبت قيادة القفقاس بمقترحات مينورسكي وأعطت التعليمات لبعض المسؤولين العاملين في المنطقة باجراء اتصالات مع المتنفذين من الأكراد ، وتم فعلاً الاتصال بعدد منهم ، كان الشيخ محمود في مقدمتهم[٨٥] .

بعد ثورة شباط حاولت القوات الروسية التقدم من جديد في جبهة خانقين وقد أقيمت صلات مباشرة بين الروس والانكليز بهذا الشأن ، ولاسيما وأن الأخيرين ، بعد أن اطمأنوا الى « النيات الحسنة » للنظام الجديد في روسيا ، أرادوا استغلال القوات الروسية لاحتلال العراق كله ، وفعلاً بدأ تقدم قطعات من الجيش الروسي في صيف العام ١٩١٧ باتجاه الموصل وخانقين لاشغال الجيش العثماني السادس وخلال هذه المرحلة بالذات اشترك الروس لأول مرة جنباً الى جنب مع البريطانيين في بعض المواقع الحربية التي وقعت في العراق في العام ١٩١٧ . الا أن القوات العثمانية تمكنت في نهاية الأمر من افشال المخطط الروسي ، فتراجعت قطعات القفقاس العاملة في هذه الجبهة نهائياً .

وهكذا يبدو واضحاً أن أطماع روسيا القيصرية في كردستان لم تنته بانتصار ثورة شباط البورجوازية التي رفعت بعض الشعارات الليبرالية. وعلى رأس المؤشرات المهمة لتوضيح هذه الحقيقة يأتي موقف الحكومة الروسية

(٨٤) راجع :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question... , PP. 346 - 347, 450.

(٨٥) قبل أن تبدأ الحرب بفترة وجيزة جرت اتصالات كثيرة بين الشيخ محمود وقنصل روسيا العام في بغداد أرلوف والقنصل الروسي في مدينة الموصل كيرسانوف (للتفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر أحمد ، وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود ، ـ «ألتآخي» ، ٨ تشرين الأول ١٩٧٣ (صفحة « الثقافة الكردية » ـ ٢ ـ) .

المؤقتة التي تشكلت بعد ثورة شباط من التقـارب الأرمني ـ الكردي الذي كان يستحيل من دونه ايجاد مخرج عملي لمأساة الشعب الأرمني • وقد أدرك العديد من قادة الأرمن والكرد هذه الحقيقة بعمـق أكثر من أي وقت مضى وذلك بفضل اصطدامهم بالواقع المر طيلة سنوات الحرب فبدأوا يعملون مـن أجل تحقيق مثل ذلك التقارب وعرضوا أمره على المسؤولين الروس • ولكـن حسبما تشير بعض الوثائق الرسمية التي تعود الى فترة ما بعد ثورة شباط لم يكن المسؤولون الروس مرتاحين من التقارب بين الشعبين الذي اعتبره بعضهم «أمراً غير قابل للاحتمال»[(٨٦)] • ومن شـأن كل ذلك ـ دون ريب ـ اعطـاء تفسير منطقي لبقاء القوات الروسية في معظم المناطق الكردية بعد شـباط من العام ١٩١٧ اذ لم يتم سحبها الا بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في العام نفسه حيث تم عقد صلح بـين النظام الجديد والدولة العثمانية انسـحبت في اثره القطعات الروسية من المنطقة سوى تلك التي وقفت ضد الثورة وبضمنها الجنرال باراتوف مع عدد قليل من جنوده • فخلال كانون الأول من العـام ١٩١٧ وحده انسحب حوالي ٤٠ ألف جندي روسي من جبهة القفقاس •

ومن الجـدير بالذكر أن العديد من العشـائر الكردية اغتنمت ظروف الانحلال الذي بدأ يدب في صفوف القوات الروسية مع تصاعد المد الثـوري واحتدام التناقض بين الأجنحة المختلفة منذ أيام انتصار ثورة شباط ، فحققت بعض المغانم وحصلت على أسلحة كثيرة بطرق مختلفة • ويجدر بالذكر أيضـاً أن الاتحاديين حاولوا الاستفادة كالسابق من طاقـات الكرد في مخططـاتهم الأخيرة التي ظهرت نتيجة للظروف الجديدة في روسيا وبشكل خاص في مناطق القفقاس • فان أنور باشا أراد التعويض عن الفشل السابق بالتوجه منذ أواخر

(٨٦) راجـع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 353 - 354.

مارس من العام ١٩١٨ الى مناطق القفقاس حيث بدأ تعـاون فعلي بينه وبـين أعداء الثورة الاشتراكية وتم تشكيل «الجيش الاسـلامي» بقيـادة شـقيقه نوري باشا الذي احتل العديد من مناطق القفقاس بما فيها مدينـة بـاكو • وكان يعمل في صفوف هذا الجيـش العديد من الضبـاط والجنـود الأكراد النظاميين وغير النظاميين الذين لقي العديد منهم حتفهم أو وقعوا في الأسر(٨٧)• الا أن أهم نتيجة تركها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في هذا المجال ترتبط بازدياد اهتمام الانكليز بكردستان مما انعكس بشكل واضح في أحداث كثيرة وقعت خلال السنة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى وبعدها مباشرة •

بيننا في الفصل السابق جوانب معينة لاهتمام الانكليز بالشعب الكردي وبكردستان ضمن اطار التغلغل الاستعماري في المنطقة قبل الحرب ، وكان من الطبيعي أن يتخذ هذا الأمر بعداً جديداً مع انتقال الصراع الدولي من أجل مناطق النفوذ الى مرحلة الانفجار والصدام المبـاشر على الصعيد العـالمي مع اندلاع نيران الحرب العالمية الأولى • فبالرغم من «الخوف» الذي أبداه رئيس الوزارة البريطانية أسكويث في بداية الحرب مما أسماه « ألخطر الأبدي••• في كردستان» الذي يبقى ــ حسب قوله ــ حتى بعد ترتيب الأمور « في بلاد مابين النهرين» التي اعتبر مشاكلها أسوأ وأكثر تعقيدا من أي مشكلة جابهت البريطانيين في الهند(٨٨) ، نقول بالرغم من ذلك ظهرت دلائل جد قويـة قبـل

(٨٧) استفاد المؤلف من المعلومات التي استقاها من الضابط العثماني السابق الأستاذ فؤاد مستي الذي كان قد وقع في أسر البلاشفة وقضى فترة في سجون باكو •

(٨٨) سجل رئيس الوزارة البريطانية هذه الملاحظة ضمن يومياته في ٢٥ آذار من العام ١٩١٥ ونشرها في الص ٦٩ من الجزء الثاني من مذكراته (راجع: A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, P. 83).

أن يضطر هو للتخلي عن الحكم[٨٩] ، تشير صراحـة الى عزم الانكليـز على تحدي ذلك « الخطر الأبدي » وكسبه ، ان أمكن ، والا فترويضه . فاستمر الانكليز يبذلون المحاولات من أجل كسب العشائر الكردية الى جانبهم بقصد اثارة المشاكل للعثمانيين والألمان في هذه المرحلة ، ولم يقلّ عملاؤهم نشـاطاً ونجاحاً من عملاء حلفائهم الروس أو أعدائهم الألمان والعثمانيين . وقد كـان التقرب من المتنفذين الأكراد بالنسبة للانكليز أسهل من غـيرهم الى حد مـا وذلك بسبب تغلغلهم الناجح في المنطقة قبل الحرب ولما كانوا يتمتعون به من سمعة بين الأوساط المثقفة الكردية التي كانت ترى في الانكليز خـير رسـل للحضارة الغربية[٩٠] .

كان يهم الانكليز كثيرا أن يضعوا حداً للنفوذ الألماني في ايران التي لـم يحل العام ١٩١٧ الا وكانت أراضيها كلها محتلة تقريباً من قبل ثلاثة جيـوش أجنبية ــ في الشمال والشمال الغربي من قبل الجيش الروسي ، وفي الجنـوب والجنوب الشرقي من قبل الجيـش الانكليزي ، وفي الغرب من قبل الجيـش الألماني ــ العثماني المشترك . وقد امتد نشـاط العملاء الألمان الى المنـاطق الأخرى أيضاً فتمكنوا من الحاق أضرار جسيمة بالمصالح النفطية لبريطانيا في الجنوب . ولم يكفّ الألمان عن نشاطاتهم هذه لغاية اليوم الأخـير من الحرب العالمية الأولى، ويكفي أن نقول انه عندما عقد الصلح بين ألمانيا والحلفاء كانت

(٨٩) ظل في منصبه كرئيس للوزارة البريطانية من العـام ١٩٠٨ حتـى العـام ١٩١٦ حيث خلفه لويد جورج .

(٩٠) تستثنى من ذلك الى حدما المناطق الكردية من ايران، فان الشعور المعادي للانكليز والروس كان عاماً في البلاد الايرانية وذلك نتيجة تدخلاتهم الفظة والمباشرة في شؤون ايران الداخلية ولدورهم الكبـير في ضرب ثورتهـا الدستورية ولاستمرارهم في حبك المؤامرات الرامية الى تقسيمها ، كما أشرنا الى ذلك في الهامش (٥٨) .

مجموعة من رجال الاستخبارات الألمانية في طريقها الى ايران تصحبها قاطرتان مليئتان بعملات ايرانية فضية الا أنها توقفت في الطريق بسبب الاعلان عن ابرام الصلح[٩١] . وكان الانكليز يهتمون بايران من منطلق آخر ايضاً هو اشغال أكبر ما يمكن اشغاله من قطعات الجيش العثماني هناك خاصة وانها كانت تجابه القوات الروسية بالأساس مما كان يؤثر حتماً على امكانات الاتحاديين العسكرية في العراق ، وهذه النقطة كانت حيوية للانكليز بشكل خاص عندما كانت قواتهم محاصرة في الكوت .

بدافع من هذه العوامل وغيرها حاول الانكليز كسب أوسع قطاع عشيري كردي ممكن،وبالفعل فانهم تمكنوا من شراء ذمم العديد من الرؤساء المتنفذين وعلى رأسهم رئيس عشيرة كلهور التي تعتبر من أكبر العشائر الكردية في ايران ، وقد تمكنوا بمساعدتها هي وغيرها ، من توجيه بعض الضربات للمصالح الألمانية[٩٢]. ومن الجدير بالذكر أن العميل الألماني الكابتن شولتسي الذي تطرقنا الى نشاطاته من قبل، أغتيل مع ألماني آخر بأيدي رجال الكلهور الذين وجدوا بحوزتهما ١٢ ألف ليرة مع ٨٠٠ بندقية[٩٣] . ومن المهم أن نشير هنا الى أن نجاحات الانكليز بين العشائر الكردية بلغ حد اثارة المخاوف في نفوس المسؤولين الروس . فقد جاء في تقرير سري بعثه العميل الروسي في قصر شيرين ليفكيسكي الى المسؤولين في وزارة الخارجية الروسية ما يلي :

« يمارس الانكليز نفوذهم في كردستان بنجاح بالغ . ومع انتهاء الحرب وخروج قواتنا من ايران ، فانهم سوف يستقرون

(٩١) راجع : S. L. Agaev, Op. Cit., P. 8.

(٩٢) راجع : Kurd - Oghlu, Op. Cit., PP. 109 - 110.

(٩٣) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 350 - 351.

بشكل وطيد في تلك المناطق التي ينوون تحويلها الى مايمكن تشبيهه بحصن في وجه التجاوز على ميسوپوتاميا ...»[٩٤] .

لم تقلّ نجاحات الانكليز بين أكراد العراق عن نجاحاتهم بين أكراد ايران ، وهو ما تطرق اليه ضمن بحثنا عن العمليات العسكرية البريطانية في العراق .

لم يمض أكثر من يوم واحد على اشتراك الدولة العثمانية بصورة رسمية في الحرب العالمية الأولى حتى هاجمت القوات البريطانية المسلحة جنوبي العراق واحتلت الفاو ـ الميناء الوحيد في البلاد، واستطاعت أن تحتل بعد ذلك بأيام قلائل مدينة البصرة كذلك . وفي محاولة لوقف الزحف البريطاني بدأ المسؤولون العثمانيون في العراق باتخاذ اجراءات سريعة كان من أهمها تحريض العشائر العربية والكردية على الاشتراك في القتال باسم «الجهاد» ضد الكفار واستطاعوا فعلاً اثارة مشاعر الكثيرين عن هذا الطريق ، فأخذ هؤلاء يلتحقون بالقوات العثمانية بحيث لم يمر على احتلال البصرة وقت طويل حتى احتشد حوالي عشرة آلاف مقاتل كان بينهم أكثر من ألف خيال كردي بقيادة الشيخ محمود[٩٥] قرب مدينة الناصرية يدفعهم الحماس الديني لردع القوات البريطانية الغازية . وفي المعركة التي وقعت في نيسان من العام ١٩١٥ بالقرب من الشعيبة بينهم وبين الانكليز هزم العثمانيون والمتطوعون هزيمة منكرة . لقد قتل وجرح في تلك المعركة من الجانب العثماني أكثر من ألفين وخمسمئة شخص ، كما أسر منه حوالي ٨٠٠ شخص ، فضلا عن كميات من الأسلحة والعتاد استولى عليها المنتصرون . أما خسائر الانكليز في هذه المعركة فقد

(٩٤) مقتبس من : M. S. Lazarev, The Kurdish Question..., PP. 349, 451.

(٩٥) راجع : رفيق حلمي ، يادداشت (مذكرات) ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٥٦ ، الص ٤٩ ـ ٥٠ .

بلغت حوالي ١٢٥٠ شخصا[٩٦] . ان هذه الهزيمة ، فضلاً عن موقف الضباط العثمانيين غير الودي ، والتسيب الذي ساد جبهتهم ، دفعت المقـاتلين العرب والكرد الى ترك سوح القتال والعودة الى ديارهم رغم أنهم كانوا قد جاءوا الى الشعيبة باندفـاع ذاتي كان بالامكـان تحويلـه الى قـوة مؤثرة في ميزان القـوى[٩٧] .

أولى الانكليز احتـلال بغداد اهتماماً خاصاً لمـا كان ينطوي عليه من مغزى معنوي عميق بالنسبة للعالم الاسلامي وباعتباره « أحسن عوض عن كل ما يفقد في أي مكـان آخر » فتحول الى هدف مبكر في مخططـات القـادة البريطانيين ومقر الجيش في الهنـد وحظي باهتمـام كبـير من لدن المحـافل السياسية في لندن[٩٨] ، كمـا حرضت على تحقيقـه الأوسـاط الرأسمـالية الانكليزية[٩٩] . ولم يكن بلوغ هذا الهدف أمراً هيناً نظراً للاهتمام المشـابه

(٩٦) A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, P. 35. حسبمـا جاء في بعض المصادر ، فان عدد القتلى والجرحى من الجانب العثماني كان اكثر من ذلك (راجع على سبيل المثال : محمد طـاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السـياسية ، الجزء الأول ، الموصل ، ١٩٢٤ ، الص ١٠٥ . حول معركة الشعيبة يمكن كذلك مراجعـة : شكري محمـود نديم ، حرب العراق ، الص ٢٦ — ٣٤) .

(٩٧) لاينكر أن رجال العشائر لم يستطيعوا ان يلعبوا دوراً كبيراً في الشعيبـة وذلك للأسباب التي عرضناها ، الا ان ا. ت. ولسن يحاول الانتقاص من دورهم بشكل واضح قريب من الاستهزاء
(A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, PP. 22 - 23).

(٩٨) راجع :
A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, PP. 38, 50, 80 - 81, 83 - 84.

راجع ايضاً : شكري محمود نديم ، حرب العراق ، الص ٤٤ .

(٩٩) راجع : الدكتور زكي صالح ، مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، بغداد، ١٩٥٣ ، الص ١١ .

الذي كان يبديه الجانب المقابل وللدوافع ذاتها للحفاظ على بغداد في حوزته ، فاصطدمت خطط الانكليز بصعوبات كبيرة وكلف تحقيقها أخيراً في ١٢ مارس من العام ١٩١٧ وقتاً كثيرا وضحايا جسيمة[١٠٠] . وقد أصدر الجنرال مود بعد دخوله بغداد بيانه المعروف الذي تم اعداده بأسلوب خاص وبتوجيه من أعلى المستويات ، ولكن عملاء الألمان والعثمانيين حاولوا استغلال خلو البيان من أي اشارة الى الأكراد لتحريضهم ضد الانكليز[١٠١] .

وكما كان متوقعاً فقد ترك سقوط بغداد أثراً كبيراً في نفوس الألمان والعثمانيين بشكل خاص لما تركه من تأثير كبير على سمعتهم بين جميع الشعوب الأسلامية فاضطر الاتحاديون للتفكير جدياً من أجل استرداد عاصمة العباسيين بأسرع ما يمكن.فتم في٣١ آذار عقد اجتماع سري حضره أنور باشا وطلعت باشا وجميع الوزراء وممثلون عن مجلس النواب مع ليمان فون ساندرس حيث أقر المجتمعون بأن «كارثة بغداد سوف تترك أثراً بالغاً على جميع المسلمين » . ومن المهم أن نشير أيضاً الى أن سقوط بغداد كان من شأنه دفع الخلافات القائمة بين الاتحاديين الى السطح بقوة أكبر من السابق . فبالرغم من أن الحاضرين في الاجتماع السري المذكور كانوا في أكثريتهم الساحقة من أتباع أنور وطلعت المقربين ، الا أن ٣٦ شخصاً منهم تجرأوا على توجيه نقد لاذع لسياسة الدولة معلنين معارضتهم القوية لأسلوبها[١٠٢] .

غير أنه لم يكن من السهل ايجاد مخرج للأزمة التي فجرها سقوط بغداد

(١٠٠) للتفصيل راجع : شكري محمود نديم ، حرب العراق ، الص ٥٤ ــ ١٤٢ (راجع ايضاً الهامش ٧٧ من هذا الفصل) . كانت ضحايا القوات العثمانية المنسحبة اكثر بكثير من ضحايا الانكليز .

(١٠١) راجع : A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia. PP. 266 - 267.

(١٠٢) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 316, 364

بقوة أكبر من السابق ، ذلك لأن سياسة الاتحاديين نفسها كانت تشكل المعرقل الأساس أمام وضع أي خطة عملية من شأنها التخفيف عن الوضع سواء في ميادين القتال أوعلى الصعيد الداخلي . وفي هذه الأثناء انكشفت أوراق «الصديق الوفي لألمانيا»(١٠٣) أنور باشا أكثر من أي وقت مضى، فبدلا من أن يبادر لارسال تعزيزات عاجلة الى العراق ـ وهو ماكان يطالب به الضباط الوطنيون وعدد من النواب ـ أمر بتوجيه سبع فرق مختارة قوامها ١٢٠ ألف رجل لمساندة القوات الألمانية ـ النمساوية العاملة في جبهات رومانيا وغاليسيا ومقدونيا في وقت أصبح من المتعذر تماما على استانبول ملأ الفراغ الكبير في صفوف قواتها العاملة في جبهتي العراق ومصر والناجم عن العدد الكبير من القتلى والأسرى والجرحى والهاربين منها ، ففي هذه الفترة بالذات بلغ عدد الجرحى والمرضى الذين كانوا ينقلون الى الخطوط الخلفية في الجبهتين حوالي أربعة آلاف شخص في الشهر(١٠٤) .

جاءت اجراءات الاتحاديين « لاسترداد بغداد » صورة صادقة ومعبرة للوضع السائد ، فقد تقرر تشكيل وحدات من بقايا القوات المدمرة والمنهوكة في ميادين القتال لانجاز هذه المهمة الشاقة التي ربما اعتقد الاتحاديون امكانية تحقيقها باضفاء اسم رومانتيكي عليها هو « ايلدرم » اي الصاعقة . وتتجسد الصورة داخل اطار بشكل أقوى تعبيراً اذا علمنا أن الضباط الألمان الخمسة والستين الذين انضموا الى « الصاعقة » كانوا هم الذين يشرفون على شؤونها ، وليس في ذلك ـ بالطبع ـ ما يشوه الصورة التي تبدو أروع وأقوى اذا عرفنا أيضاً أن على رأس هؤلاء كان يقف فيلد مارشال ألماني ...

(١٠٣) كان القادة العسكريون الألمان يصفون انور باشا عادة بـ « الصديق الوفي لألمانيا » .

(١٠٤) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 316 - 317, 384.

لكن هذا الفيلد مارشال لم يكن سوى فالكينهاين ((Falkenhayn)) المطرود من منصبه كرئيس لهيئة الأركان اثر فشله الذريع في معارك ڤيردان [١٩١٦] التي انتهت بانتصار الفرنسيين واندحار الألمان الذين فقدوا حوالي ٦٠٠ ألف شخص أي ضعف ما فقده الفرنسيون تقريبا[١٠٥] .

بلغ تعداد « الصاعقة » حوالي ٣٨ ألف جندي وضابط كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأكراد[١٠٦]. وعلى ما يبدو فان الفيلد مارشال فالكينهاين كان يتحرق شوقاً للاقدام على خطوة نابليونية من شأنها اسدال الستار على هزيمة ڤيردان ، لذا كان يتعجل في نيل شرف استرداد المدينة التاريخية ، وهو ما أصر عليه في المؤتمر الخاص الذي عقــده القادة الاتحاديــون في حلب بحضوره وحضور ليمان فون ساندرس وعدد من الضــباط الألمان والعثمانيين لهــذا الغرض ، الأمر الذي استدعى تهكماً لاذعاً واحتجاجا جريئاً من أحد الضباط الأتراك الوطنيين المشتركين في هذا المؤتمر والذي لم يكن سوى... مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد)[١٠٧] .

(١٠٥) من الطريف أن نذكر أن ايريخ فون فالكينهاين (١٨٦١ ــ ١٩٢٢) أصبــح رئيساً لهيئة الاركان اثر فشل مولتكه في مارن (راجع الهامش ١٧ من هذا الفصل) ، وقد كان قبل ذلك وزيراً للحربية [١٩١٣ ــ ١٩١٤] . وبعد فشله في ڤيردان أعطي مهمة الاشراف على القوات الألمــانية ــ العثمــانية المشتركة في ميادين الشرق الأوسط .

(١٠٦) اكد هذه الحقيقة عدد من الضباط السابقين في الجيش العثماني من الذين اتصلت بهم . فحسب أقوال المرحوم الأستاذ اسماعيل حقي شاويس سعى المشرفون على « الصاعقة » لاستغلال روح الاقدام والعاطفة الدينية لدى البسطاء من الأكراد بتجنيدهم في هذه الوحدات ودفعهم الى المغــامرات القتالية .

(١٠٧) للتفصيل راجع :
H. C. Armstrong, Grey Wolf Mustafa Kemal. An Intimate study of a Dictator, London, Third Ed., 1932, PP. 89 - 90.

=

كان من الطبيعي أن لا يسفر مثل هـذا الاجراء الهزيل وغيره عن أي نتيجة ، فهو ليس لم يؤد الى استرداد بغداد فحسب ، بل لم يكن بامكانه أن يؤثر بشيء أصلا في ميزان القوى بالنسبة لميدان العراق العسكري[١٠٨] الذي شهد تقدماً متواصلا للقوات البريطانية باتجاه الشمال والشمال الشرقي . وفي هذه المرحلة بالذات ظهر عنصر جديد على الصعيد الدولي دفع الانكليز الى التسريع في حركة قواتهم فيما وراء بغداد نحو الشمال ، ألا وهو انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في روسيا. فقد تركت هذه الثورة آثاراً عميقة على أصعدة مختلفة من أهمها ، بالنسبة للشرق الأوسط خاصـة ، حدوث تغيير ملموس في ميزان القوى استوجب اجراء تغيير متوافق في خطط الدول الكبرى الخاصة بالمنطقة والتي تجسدت في بنود اتفاقية « سايكس ــ پيكو » السرية. وقد اعترف رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج بذلك صـراحة في خطابه الشهير الذي ألقاه في الخامس من كانون الثاني من العام ١٩١٨[١٠٩] عندما دعي الى « نقاش حر » حول شروط السلام لأن خروج روسيا من اللعبة أدى الى « تغيير وضع الاشياء بشكل جذري » .

=

من الصفحات المشرقة التي يسجلها التاريخ لمصطفى كمال تحديه النابع من حبه العميق لوطنه ومن ذكائه ، لخطط الالمان العسكرية [اصطدم مع ليمان فون ساندرس وفالكينهاين] ولمواقف القـادة الاتحاديين خـلال سنوات الحرب العالمية الأولى . ولاشـك في ان الأحداث المفجعـة التي رافقت تلك الحرب لعبت دوراً مباشـراً في صياغة فكرة السياسي وتوجهاته فيما بعد .

(١٠٨) اضطر العثمانيون والالمان بعد حماسهم الكبير واسـتعداداتهم السريعـة للتنازل عن فكرة استخدام «الصاعقة» في ميدان العراق الحربي .

(١٠٩) نص الخطاب في :

((War Memories of David Lloyd George)), Vol. V, London, 1936, PP. 2515 - 2527.

انعكس هذا الواقع في الميدان العسكري للعراق بسرعة لأن بريطانيا التي لم تكن ترغب في المجاورة المباشرة في مناطق نفوذها مع روسيا القيصرية فتنازلت عن ولاية الموصل لفرنسا بموجب اتفاقية « سايكس ــ پيكو » ، بدأت الآن ترنو الى ما وراء هذه الولاية ، أي الى المناطق الكردية التي خصصتها هذه المعاهدة السرية نفسها لروسيا . وهكذا جاء اندفاع القوات الانكليزية منذ أواخر العام ١٩١٧ وبشكل خاص مع اقتراب الحرب من نهايتها متوافقاً كلياً مع التغييرات في الخطط التي فرضتها نتائج ثورة أكتوبر . ولا تخلو من معنى عميق في هذا المجال حقيقة أن القوات البريطانية التي احتاجت الى حوالي ثلاثة أعوام لدخول بغداد ، تمكنت خلال فترة أقصر بكثير من طرد القوات والادارة العثمانية من معظم مناطق العراق الأخرى . ومن مؤشرات السرعة غير الاعتيادية التي شهدتها ميادين القتال العراقية في هذه الفترة أن لواءً خيالاً بريطانياً قام خلال يومين فقط بقطع مسافة ثلاثة وثمانين ميلا تضمن اجتياز نهرين كبيرين هما الزاب الصغير ودجلة ، كما قام لواء خيال آخر بقطع مسافة خمسين ميلاً خلال ١٦ ساعة فقط[١١٠] ومن جانب آخر لم يبخل الانكليز في تقديم ضحايا جسيمة من أجل التقدم خطوة أكثر نحو الشمال[١١١]. ومن الأمثلة الدالة التي تستحق الذكر هنا بشكل خاص، الحرب الضروس التي خاضتها القوات البريطانية في جنوبي الموصل قبل التوقيع على

(١١٠) راجع : شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، الص ٢١٠ ــ ٢١١ .

(١١١) يقول الأستاذ شكري محمود نديم في تعليقه على الحركات العسكرية التي وقعت خلال هذه المرحلة في جبهة العراق « كانت العوامل السياسية مسيطرة سيطرة تامة طوال هذه الفترة من الحركات ... وقد طغت الاعتبارات السياسية على جميع العوامل العسكرية وبرزت بروزاً واضحاً في ادارة الحركات » . راجع : شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ ــ ١٩١٨ ، الص ٢١٤ .

هدنة مودروس باثني عشر يوماً فقط، أي في وقت بدت نهاية الحرب في صالح الحلفاء واضحة بالنسبة للجميع ، ومع ذلك فقد ضحى البريطـانيون بحوالي ألفي شخص من قواتهم[١١٢] لا لشيء الا ليتقدموا خطوات قليلة اخرى قبل أن تنتهي الحرب[١١٣] . وقبل ذلك بفترة تقـدم الجيش البريطاني في الجبهـة الشمالية الشرقية تقدماً ملحوظاً واستطاع أن يدخل قصبـة كفري في الثـامن والعشـرين من نيسـان من العـام ١٩١٨ واحتل بعـد ذلك بيوم قصبة طوزخورماتو[١١٤] . وقد وقعت في هذه المناطق أيضاً مصادمات بين القـوات الانكليزية والقوات العثمانية خسرت أثناءها الأخيرة أكثر من ٢٠٠ جندي مـع ٢٠ مدفعاً وحوالي ١٣٠٠ أسير بينما بلغت خسائر الانكليز حوالي ٢٠٠ قتيـل وجريح فقط[١١٥] . واستطاع البريطانيون فيما بعـد و اثر معركة صـغيرة احتلال كركوك أيضاً في السابع من مايس ، لكنهم انسحبوا منها بعد حوالـي ثلاثة أسابيع [في الرابع والعشرين من مايس] وعادت اليها القوات العثمـانية التي اضطرت بعد فترة قصيرة الى تركهـا ثـانية .. وفي هذه المـرة لاحقتها القطعات البريطانية الى أطراف آلتون كوپري .

(١١٢) مما يجدر بالذكر ان مجموع عدد قتلى القوات البريطانية في جميع انحاء العراق خلال اربع سنوات من القتال بلغ حوالي ٣١ الف شـخص .

(١١٣) خسر العثمانيون في تلك المرحلة حوالي احدعشر الف اسير و ٥١ مدفعـا وكميات كبيرة من الذخائر (راجع :

A. T. Wilson, Mesopotamia, 1917 - 1920. A clash of loyalities. A personal and historical record, London, 1931, PP. 16 - 17).

(١١٤) وردت معلومات مفصلة ومفيدة عن هذه المواقع في جريـدة «تيگەیشتنی راستي » الكردية وباسلوب كان الانكليز يبغون من ورائه الكشف أكثر عن ضعف العثمانيين (راجع على سبيل المثال الأعداد الصادرة في ١٣ آيـار و ٣ حزيران و ٥ آب و ١٤ تشرين الأول ١٩١٨) .

(١١٥) راجـع : A. T. Wilson, Mesopotamia, 1917 - 1920, P. 8.

هنا يجدر بنا أن نشير الى أنه بعد احتلال بغداد مباشرة بدأ الانكليـز يرسلون عدداً من ضباطهم القديرين ، ولا سيّما أولئك الذين تلقوا من بينهم تدريباً خاصاً في الهند أو عاشوا في كردستان قبل الحرب ، وذلك بقصد اقامة اتصالات مباشرة مع الأكراد ، وبشكل خاص مع زعماء العشـائر الكرديـة . وكان الميجر سون واحداً من هؤلاء الضباط الذين زاروا المناطق الكردية لمرات عديدة خلال هذه المرحلة من الحرب[١١٦] . وما ان احتل الانكليز بلدة كفري حتى أقـاموا الصلات عن قرب مع بعض الشخصيـات المعروفـة في كركوك والسليمانية[١١٧] كما أوفدوا الكابتن نوئيـل [١١٨] خصيصاً الى السليمـانية لمقابلة الشيخ محمود الذي أخذ زمام أمور المنطقة بيده منذ أن انسحب منهـا الجنود والموظفون العثمانيون .

(١١٦) اشاد ارنولد ولسن ، وهو أول وكيل حاكم سياسي في العراق ، بالميجر سون ، وتحدث بصورة خـاصة عن خدماته في المنـاطق الكرديـة والتي اعتبرها مفيدة جداً لعمل الجيش البريطاني في تلكم الانحاء . ومما قـاله عنه : « كان سون أحد الرجال البارزين الذين أسعدني الحـظ بالتعرف عليهم ... كان عالما باللغات لانظير له ... ومن بين الذين رأيتهم في حياتي كان الوحيد الذي استطاع العيش بنجاح ، متنكرا بـين الفرس وكـأنه فارسي
(A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, PP. 168 - 169).

(١١٧) للتفصيل راجع :
C. J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics travel and research in North - Eastern Iraq, London, 1957, P. 29.
راجع ايضاً : « تيكهيشتنى راستي » ، ٢٦ آب ١٩١٨ .

(١١٨) كان الكابتن (فيما بعد الميجر) نوئيل ضابطاً نشيطـاً هـادئاً ذا اطـلاع واسع ، يعرف اللغة الفارسية معرفـة جيـدة . تفهم نفسـية القبـائل الشرقية ورؤسائها تفهمـاً تاماً . كـان يعمل في البدايـة بـين قبـائل بختياري وقد استطاع اثارة الناس في تلك المناطق ضد الالمان وان يقدم خدمات جلى الى شركة النفط الانكليزية في ايران . وفي السنوات الأخيرة
=

ومن مؤشرات اهتمام الانكليز ، المتزايد ،بالأكراد منذ احتلال بغداد واثر « خروج روسيا من اللعبة » بشكل خـاص ، أنهم بدأوا منذ اليوم الأول من كانون الثاني من العام ١٩١٨ باصدار جريدة كردية في بغداد تحمل اسـم «تيگەيشتنى راستي» (فهم الحقيقة) . لا يمكن عزل اصدار هذه الجريدة بالطبع ، عن حرب الدعاية الواسعة التي رافقت الحرب العالمية الأولى . فان طبيعة هذه الحرب وظروفها الحساسة ومرحلتها المتطورة استدعت الاهتمـام بمسألة الدعاية بأسلوب جديد وواسع للغاية . وفي العراق نفسه نماذج كثيرة تبين هذه الحقيقة بجلاء ووضوح . فـان الانكليز ، مثـلاً ، زينـوا صدر جريدتهم « العرب » منذ عددها الأول الصـادر في ٤ تموز من العـام ١٩١٧ بشعار دعائي صارخ ومثير هو أنها « عربية المبدأ والغرض ينشئها في بغـداد عرب للعرب »(١١٩) .

=

من الحرب استطـاع ان يعقد صلات قريبـة مع عدد كبـير من رؤسـاء العشائر والشخصيات المتنفذة في كردسـتان حتى انه بدأ يتعلم اللغة الكردية . ومما يجدر بالذكر أن سـون كـان يصر على ضرورة اهتمـام الانكليز بالأكراد بشكل يمكن من كسبهم . وفي تقاريره السرية التي كـان يرفعها الى المسؤولين البريطانيين كان يحثهم بحرارة على ذلك (راجع :
((Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939)), First series, Vol. IV, London, 1952, PP. 678, 693, 742, 782).

ورغم ان نوئيـل عمل سنوات قليلة فقط بين الأكراد ، الا انـه سرعان مااستطاع أن يكسب الى جانبه مشاعر عدد كبير من رجالهم المعروفين ، حتى ان واحداً مثل الاستاذ رفيق حلمي أصبح على ثقة من انه لوسارت الأمور وفق رغبات نوئيل ، فان الأكراد كانوا يحققون جميع طموحـاتهم (رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الص ٦٩) . لم يبق نوئيل فترة طويلة في كردسـتان فقد أرسله المسؤولون الانكليز لانجاز مهام « خـاصـة » الى منطقة القفقاس ، وعند عودته أسر من قبل الثوار الجنگليين .

(١١٩) « العرب » ، بغداد ، العدد الأول ، ٤ تموز ١٩١٧ والأعداد التالية .

اهتم المسؤولون السياسيون فيالجيش البريطانيالمحتل اهتماماً ملموساً بجريدتهم الكردية التي أشرف على اصدارها الميجر سون لا لالمامه التام باللغة الكردية وحسب ، بل ولاطلاعه الواسع كذلك على مهنة الصحافة مما أهله لأن يلعب دوراً بارزاً في سائر الجرائد التي أصدرها الانكليز منذ احتلالهم للبصرة(١٢٠) . وهذا بالذات هو الذي أدى الى أن تصدر الجريدة بمستوى رفيع لم تبلغه صحف كردية أخرى عديدة صدرت بعدها بسنوات كثيرة وفي ظروف أصبح فيها للصحافة وزنها الكبير في الوسط الثقافي الكردي .

جاء اسم الجريدة « فهم الحقيقة » مطابقاً تماماً لأهدافها المقصودة ، فان الغرض الأساس لـ «تيگەیشتنى راستي» كان ـ كما يبدو واضحاً من مضمون أعدادها المختلفة ـ جعل الأكراد « يفهمون حقيقتين » نابعتين من وجهة نظر انكليزية بحتة ـ حقيقة بريطانيا الناصعة والحقيقة القاتمة للالمان والعثمانيين بشكل خاص . وكانوا يبغون من ذلك تحويلها ، مع جريدة « العرب » ، الى وسيلة دعائية فعالة لاظهار «عظمة بريطانيا»(١٢١) ولقطع خط الرجعة على العثمانيين والحط من سمعتهم بأسلوب يؤدي الى « التخلص من شرهم » بحيث لا يعود العراقيون يسمعون « اسمهم القبيح » مرة أخرى وذلك في سبيل أن « تحيا حكومة بريطانيا العادلة » و « يهلك الأتراك الظالمون » لأنهم «قلبوا النعيم بؤساً ، والسعادة شقاءً ، والخصب جدباً ، والعمران خراباً »(١٢٢) . ومقابل ذلك فـ « ان بريطانيا العظمى ... ستقوم ، بعد أن

---

(١٢٠) لعب الميجر سون دوراً بارزاً في اصدار جريدتي التايمس البصرية والتايمس البغدادية اللتين بدأ صدورهما منذ احتلال الانكليز لمدينتي البصرة وبغداد .

(١٢١) ورد مثل هذا التعبير عشرات المرات على صفحات «تيگەیشتنى راستي».

(١٢٢) راجع : « تيگەیشتنى راستي » ، بغداد ، ٥ و ١٢ و ٢٦ كانون الثاني و ٥ و ١٩ شباط ١٩١٨ ؛ « العرب » ، ١٢ و ١٧ كانون الثاني ١٩١٨ .

تخرج ظافرة من الحرب ، بانقاذ شعوب الشرق قاطبة ، ولاسيما عرب العراق وما حوله وكردهما ، من المآسي وتسعدهم بالانعتاق والحرية والاتحاد اذ أن تحقيق مثل هذه المطالب المقدسة محال دون مساعدة حكومة عادلة منصفة مثل بريطانيا العظمى» • بقي أن نضيف أن هذا القول جاء تحت عنوان مماثل لاسم الجريدة نفسها ــ « فهم الحقيقة »[١٢٣] •

حاولت « تيگه‌يشتنى راستي » استغلال العاطفة الدينية والشعور القومي للجماهير الكردية بأسلوب من شأنه اثارةالضغائن ضد العثمانيين‌الذين لايمكن أن يكون الوقوف بوجههم متعارضاً مع القيم الاسلامية ، كما أكدت الجريدة مراراً ، ذلك لأن « الدين شيء والسياسة شيء » [عنوان افتتاحية العدد الرابع[١٢٤]] ، بل ذهبت « تيگه‌يشتنى راستي » الى أبعد من ذلك عندما حاولت اظهار الاتحاديين في ثوب الخارجين على الدين مما يجعل مناهضتهم فرضاً على كل المخلصين « باعتبار حكومتهم غير شرعية » ولأن الكفر بلغ بهم حد أنهم « ينفرون من سماع اسم محمد صلوات الله عليه ، بينما اذا سمعوا أسماء أنور وطلعت وجمال فانهم يصلون عليهم ويسلمون »[١٢٥] ، علماً بأن رجال هؤلاء « كانوا يبيعون حقاً كبيراً مع دينهم لقاء رشوة بخسة »[١٢٦] • وبالمقابل فقد أجهدت « تيگه‌يشتنى راستي » نفسها لاظهار الانكليز كمدافعين أمناء عن الاسلام بحيث لامناص من الوقوف في صفهم • فلا عجب اذا خرجت علينا الجريدة في عددها الثالث عشر بمثل هذا العنوان البارز :

---

(١٢٣) « تيگه‌يشتنى راستى » ، ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ .

(١٢٤) المصدر السابق .

(١٢٥) المصدر السابق ، ٢٠ أيار ١٩١٨ .

(١٢٦) ورد ذلك في العدد الأول من الجريدة ضمن مقال « حسنات الحكومة البريطانية المعظمة للعراق » (المصدر السابق ، ١ كانون الثاني ١٩١٨).

« انكلترا والاسلام »[١٢٧] ثم يصبح العنوان في العدد الحادي والعشرين بهذا الشكل : « الأتراك الاتحاديون مضرون بالاسـلام »[١٢٨] لأنهم دأبوا على « امحاء مفاتيح آداب الدين الاسـلامي الحنيف » بينما ان « من يرجـع الى التأريخ » يرى جلياً كيف أن « حكومة بريطانيا العظمى هبت مراراً لمسـاعدة الاسلام » وأنها « قامت من أجل المسلمين باتقاذ الحكومة التركية مرات عديدة من موت أكيد » وحتى في هذه الحرب فان « حكومات بريطانيـا وفرنسـا وروسيا » فكرت بالمسلمين و « من أجلهم نصحت الحكومة التركية بأن تقف على الحياد ... لكن الاتحاديين الذين يرومون امحاء العرب والكرد ... لـم يصغوا الى مثل هذا الكلام » . والدليل الآخر على حب بريطانيـا الجـامع للاسلام والمسلمين هو «ذلكم النعيم » و «تلكم السعـادة» التي تتمتع بهـا « شعوب اسلامية كثيرة » في ظل الانكليز الوارف ، بينما ، « والكل يعرفون ذلك » ، تعمل « ألمانيا بدأب من أجل القضاء على المسلمـين » لأنهـا « عدوة للاسلام »[١٢٩]. وهاكم «أيها القراء الأكراد المسلمون» دليلاً قريباً ، مثيراً ، لا يدحض ، فهذه قائمة باسماء الانكليز الذين تركوا المسيحية واعتنقوا الدين الاسلامي واختاروا لأنفسهم أسماء عربية اسلامية[١٣٠] .

بالامكان ايراد أمثلة كثيرة تبين أسلوب الجريدة في اثارة الشعور القومي الكردي باتجاه يخدم مصالح بريطانيا في الحرب الدائرة آنذاك . فقد زينت « تيگەيشتنى راستي » صدر عددها الأول بهذا الشعار : «صحيفة سياسية ــ اجتماعية تخدم اتحاد الأكراد وحريتهم» . لاغبار بالطبع على مثل هذا الشعار،

(١٢٧) المصدر السابق ، ١٢ شباط ١٩١٨ .

(١٢٨) المصدر السابق ، ٢٥ آذار ١٩١٨ .

(١٢٩) المصدر السابق ، ١٢ شباط و ٢٠٢ نيسان ١٩١٨ .

(١٣٠) المصدر السابق ، ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ .

لولا التأكيد في افتتاحيات الجريدة ومقالاتها على أن « بامكان بريطانيا العظمى وحدها » تحقيق مثل « هذه الأهداف المقدسة » مما يحتم « تقدير صداقة الانكليز » وعدم « الاتيان بعمل يفضي الى ندم أبدي » ولاسيما وأن « الانكليز أصدقاء للكرد أكثر من أي شعب آخر » فهم « عشاق بسالتهم » ويحبونهم «أكثر حتى من أهالي بغداد » الذين « أصبحوا بفضلهم ينعمون برفاه الحياة» لأن ما أنجزه الانكليز في هذه المدينة خلال عام واحد « ماكان بمستطاع الأتراك انجازه خلال ٥٠٠ سنة » ، بل « انهم (الأتراك ــ ك٠ م٠) لم يستطيعوا خلال كل عهدهم ضمان ساعة واحدة من تلك السعادة التي يتمتع بها الأهلون في العراق وفلسطين منذ أول يوم وطأت فيه أقدام الجيش الانكليزي أرضيهما» لذا عبرت الجريدة عن ثقتها بأن أبناء « الشعب الكردي لن ينخدعوا بأكاذيب الترك » ولذلك فانهم « يضعون أيديهم بأيدي الانكليز وينقذون أنفسهم من مظالم الأتراك لينهمكوا في اعمار اصقاعهم »[١٣١] ، ولاسيما وأن « حكومة بريطانيا المعظمة تسعى لسعادة الكرد » [عنوان افتتاحية العدد ٣٢[١٣٢]] ٠

انعكست جهود البريطانيين لدفع رؤساء العشائر الكردية العراقية الى حمل السلاح ضد العثمانيين واتصالاتهم بهؤلاء الرؤساء من أجل ذلك ، على صفحات « تيگەيشتني راستي » بوضوح وبأسلوب لم يخلُ من ذكاء واثارة وخبث ٠ وبالنسبة لهذه النقطة الأخيرة نكتفي بالقول ان الأدبيات السياحية

(١٣١) المصدر السابق ، ٢٣ شباط و ١٣ آيار و ٣ حزيران ١٩١٨ ٠ ورد قسم كبير من المقتبسات المذكورة في هذه الفقرة ضمن افتتاحية العدد ٢٨ الصادر في ١٣ آيار المعنونة « لن يفيد الترك الكرد والاقوام الاخرى » وافتتاحية العدد ٣١ في ٣ حزيران المعنونة « هل بقي شيء لم يفعله الأتراك الاتحاديون ضد الاسلام ؟ » ٠

(١٣٢) المصدر السابق ، ١٠ حزيران ١٩١٨ ٠

التي دونها البريطانيون الذين زاروا كردستان العراق قبل الحرب مليئة بصور رومانتيكية ، الا أنها مخيفة للغاية ، عن عشيرة الهموند ، جاء تجسيدها في كتاب المشرف على جريدة « تيگه‌يشتني راستي » الميجر سون[١٣٣] بأسلوب لم يبلغه غيره، ومع ذلك نرى هذه الجريدة نفسها تتغنى بمآثر الهموند كخير دليل على شجاعة الكرد واقدامهم فتقول ما نصه : « لا داعي لكي نبتعد كثيراً . فقبل سنوات مضت أذلت عشيرة الهموند الكردية عساكر الترك والعجم مراراً . واليوم لانريد منكم أنتم يا أحفاد هؤلاء الميامين سوى أن تكونوا حريصين على صداقة الانكليز ... »[١٣٤] .. و « الحرص على صداقة الانكليز » يفرض سؤالاً ملحاً يتحول الى عنوان لافتتاحية العدد التاسع‌عشر: « ماذا على رؤساء الكرد أن يفعلوا ؟ » وفيها اطناب كثير لماضي الأكراد الذين « لم يخضعوا في أي عهد » للعثمانيين ، مما يدعو الى العجب لـ « أنهم لم يتحركوا بعدُ» مع كونهم «أشجع من أقوام أخرى كثيرة» . ثم تذكر الجريدة أسماء عدد من المتنفذين الأكراد المعروفين مثل الشيخ محمود واقربائه «الذين لم يهابوا الترك يوماً ما » ورؤساء « عشيرة الجاف الكبيرة التي لا تعترف بوجود الحكومة التركية وأفرادها مسلحون بأسلحة جيدة » ورؤساء البشدر ومنگور « الذين لم يقدر عليهم الأتراك بمدافعهم وجندهم » ورؤساء بانه وهموند وزنگنة وطالباني وشوان وشيخ بزيني وباجلان الذين تطلب منهم الجريدة اثارة «حركة واسعة» من شأنها « انقاذ السليمانية وما والاها من ظلم الأتراك »[١٣٥] .

---

(١٣٣)
E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disgiuse, PP. 164, 179 - 182, 287 - 288.

(١٣٤) « تيگه‌يشتني راستي » ، ٢٣ شباط ١٩١٨ .

(١٣٥) المصدر السابق ، ٥ آذار ١٩١٨ .

ويبدو واضحاً من مضامين « تيگەيشتنى راستي » أن الانگليز اهتموا اهتماما خاصا بالرؤساء الأكراد الذين كانوا يعيشون في بغداد أو الذين كانوا يزورون المناطق الواقعة تحت الاحتلال البريطاني ، فقد ورد اسم « سليل الأمراء الأجل الأكرم حمدي بك بابان» مراراً على صفحات الجريدة كما اهتم المسؤولون بمقدم « الأجل سليمان خان بن الأجل داود خان الكلهري » لزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء مما اعتبرته الجريدة دليلاً على « الحب العميق الذي يكنه الانگليز للأكراد »[١٣٦] .

وكرست الجريدة جانباً كبيراً من أعدادها لابراز انتصارات القوات العربية في الحجاز وسوريا وحاولت جعلها نموذجاً يقتدى به ، مستغلة في سبيل ذلك العواطف الدينية والشعور القومي للجماهير الكردية بأسلوب ناجح . فان العرب « بدأوا يتداركون وضعهم منذ سنوات تحت ضغط الاتحاديين » وأوشكوا أن يبلغوا مآربهم « بالتضحية ... فأقاموا حكومة عربية في أرض الحجاز الطاهرة باعثين بها اسم قحطان وقريش ...» وهي تستظل « براية رسول الله » وبفضلها « أصبحت الكعبة بيد حفيد النبي حسين الثاني » الذي « أصبح اليوم ملكاً معظماً للعرب وپادشاهاً شرعياً للمسلمين » فأعلن الجهاد «الذي قوبل من المسلمين بحماس» وبدافع منه «انفصل نجله الطاهر فيصل عن العثمانيين» لأن جميع توسلاته بهم «للرفق بالنساء والأطفال» لم تجد نفعاً ، وبين الكرد « يوجد كثير من الرؤساء » الذين يستطيعون الوقوف « مثل السلطان حسين » ضد الاتحاديين ، ولاسيما وأنهم « فقدوا قواهم ولم يبق من يخشاهم »[١٣٧] . والواقع أن جهود « تيگەيشتنى راستي » والمحاولات

(١٣٦) المصدر السابق ، ٢ و ١١ آذار ١٩١٨ .

(١٣٧) المصدر السابق ، ٨ كانون الثاني و ٢٣ شباط و ٥ آذار ١٩١٨ .

الأخرى التي بذلهـا الانكليز لكسـب أكراد العراق لم تذهب هبـاءً ، فقد استجاب لهم العديد من رؤساء العشائر المتنفذة الذين رغبوا في التعاون معهم.

وهكذا استطاع الانكليز قبل الاعلان عن هدنة مودروس في الثلاثين من تشـرين الأول من العام ١٩١٨ بـين الحلفاء والدولة العثمانية ، أن ينشروا نفوذهم في معظم الأصقاع الشمالية والشمالية ـ الشرقية العراقيـة بما فيهـا معظم المناطق الكردية . ولكن ظلت مع ذلك مناطـق عديدة في ولاية الموصل لم تدخلها القوات البريطانية قبل الهدنة . ففي جبهة الموصل مثلاً بقي أمـام تلك القوات اثناعشر ميلاً للدخول في المدينة نفسها ، الا أن الانكليز لم يعيروا أي انتباه لوقف القتال ، فدخلوا مدينة الموصل وطردوا المسؤولين العثمـانيين منها متعللين بالبنـد السابع من اتفاقيـة مودروس التي كانت تسـمح لهم بـ «احتلال أي موقع استراتيجي» والبند السادس عشر منها الذي فرض على العثمانيين استسلام جميع قواتهم « في مـابين النهرين » . وبهذه الحجة تـم احتلال جميع أجزاء ولاية الموصل التي لم تحتلها القوات البريطانية قبل عقـد الهدنة وكان الانكليز مصممين على فرض انتدابهم عليهـا مع بقيـة أقسـام البلاد[١٣٨] دون أن يعيروا بنود معاهدة « سايكس ـ بيكو » أي اهتمام ، لذا فانهم كانوا على استعداد فعلاً للجوء الى استخدام القوة لاجبار العثمانيين على تركها بعد الهدنة مباشرة[١٣٩] . فالانكليز ، كما قال اللـورد كـيرزن في حينه ، كانوا يرون أن الحدود الغربية للهنـد تمر عبر الفرات الذي لايمكـن

(١٣٨) ((Documents on British Foreign Policy)), Vol. IV, PP. 676, 694, 743.

(١٣٩) راجع :
H. J. Philby, Arabian days, London, 1948, PP. 173 - 174.

السيطرة عليه الا عن طريق الموصل[١٤٠] وحدها[١٤١] . ويبدو أن مثـل هـذا التمسك الانكليزي الشديد بولاية الموصـل هو الذي دفع الفرنسـيين الى التنازل عنها بعد الحرب مبـاشرة ، ولاسيما وأنهم كـانوا بحـاجة الى اجراء مساومات معينة مع الانكليز . يقول لويد جورج بهذا الصدد :

« عندما جاء كليمنصـو بعد الحـرب الى لندن ... سـألني عما أود الحصول عليه من فرنسا بشكل خاص ، فأجبته على الفور انني أريد ضـم الموصل الى العراق ... وافق كليمنصو على ذلك بدون أي نقـاش ، ونحن وان لم نسجل اتفاقنا في أي مكان ، فان كليمنصو تمسـك به باخلاص خلال المحادثات التي جرت فيما بعد »[١٤٢] .

يبدو واضحا من الحقائق الواردة في هذا الفصـل أن المناطق الكردية المختلفة غدت جزءاً مهماً من ميادين الحرب العالمية الأولى في الشرقـين الأدنى والأوسط ، وكانت الجيوش البريطانية والروسية والعثمانية والعشائر الكردية المسلحة وعملاء الألمان والعسكريون منهم يؤدون أدواراً مختلفة على مسرح كردستان . وتشير الوقائع الى أنه لو لم تنتصر ثورة أكتوبر التي أدت الى انسحاب القوات الروسية ، لما ظل أي جزء من كردستان حتى نهاية الحرب في

(١٤٠) يقصد ولاية الموصل .
(١٤١) مقتبس من :
ن. گ. كارسـون ، الشرق العربي ـ العراق ، موسـكو ، ١٩٢٨ ، الص ٣٥ .

Корсун Н.Г., Арабский Восток-Ирак, Москва, 1928, стр.35.

(١٤٢) راجع : Lloyd George, The truth... , Vol. II, P. 1038.
وسوف نعود الى تفاصيل هذا الموضوع ضمن الفصل الاخير من هذا الكتاب .

قبضة محتليها الأولين • ومع ذلك فان هذه الحرب وعواقبها أدت الى حدوث تغيرات سياسية واقتصادية مهمة في معظم أرجاء كردستان ، ولاسيما القسم الجنوبي منها الذي وقع تحت السيطرة الانكليزية مباشرة • وفي الوقت نفسه فان أحداث الحرب العالمية الأولى تركت في أعوام الحرب نفسها أثراً كبيراً على الوضع السياسي للشعب الكردي وجلبت له دماراً كبيراً وبؤساً شاملاً وخسائر جسيمة نستعرض بعض أوجهها ضمن الفصل القادم •



الفصل الرابع

نضال .. وضحايا

باتت الحرب العالمية الأولى والأحداث التي وقعت في مجراها ، عقبة كبيرة في طريق تطور حركة التحرر ـ القومي الكردية ونموها وتعمق محتواها . الا أن ذلك لا يعني ألبتة أن الشعب الكردي تخلى كلياً عن النضال في تلك السنين[1] . فعلى أقل تقدير ظلت العوامل المحركة لهذا النضال باقية ، كما في الماضي ، بل ان بعضاً منها تعمقت أكثر من ذي قبل . فقبل كل شيء واصل الحكام العثمانيون سياستهم الشوفينية السابقة تجاه جميع شعوب الأمبراطورية ، بل ان هذه السياسة بدت في مجمل تصرفاتهم اليومية بصورة أكثر جلاء بسبب من أن الوضع الاقتصادي قد ساء في مختلف أنحاء البلاد ، ولحد الغاية، من جراء الحرب . وكان سلوك العثمانيين في هذا المضمار سلوك من لا يدرك شيئاً من عواقب الأمور ، فقد اغتنموا فرصة الحرب ، كما يبدو،

---

(1) اخطأ بعض المؤرخين ، ومنهم باسيل نيكيتين ، في ما زعموا من أن الشعب الكردي تخلى عن النضال في سنوات الحرب تحت تأثير الدعوة الى الجهاد. لقد أثرت الحرب بالطبع على وضع الشعوب العثمانية الاسلامية وموقفها، الا أنها لم تستطع ان تضع حداً لظاهرة لم تختف عوامل حياتها بمجرد ظهور الدعوة الى الوقوف بوجه « الكفار » .

لضرب الحركة التحررية لشعوب الأمبراطورية بما في ذلك الحركة الكردية . وامتدت آثار سياستهم هذه لتشمل أبناء فئات اجتماعية مختلفة ، فلم يحاول الاتحاديون في ظروفهم الحرجة تلك ، أن يكسبوا حتى الزعماء السياسين والروحانيين للشعوب الأخرى الا في نطاق ضيق للغاية وبأسلوب لم يخلُ من تعالٍ بعيد عن الذكاء السياسي ، بينما بدأوا في المقابل بضرب جميع من اعتبروهم أعداء سياسيين لهم ، فمنذ بدايات الحرب شهد العديد من مدن الأمبراطورية مشانق صعد عليها المثقفون ورؤساء العشائر والفلاحون، واغتيل آخرون منهم بأساليب أخرى . وبالامكان ايراد أمثلة عديدة من هذا القبيل وقعت في مناطق كردية مختلفة . ففي الأول من كانون الأول من العام ١٩١٤ شنق الشيخ عبدالسلام واثنان من رجاله وأحد الرؤساء الريكانيين في سجن الموصل مما أثار حفيظة الناس في معظم مناطق بهدينان(٢) .

ورأى ولاة الأمر في بدليس في اعلان الحرب على روسيا فرصة سانحة للهجوم على القنصلية الروسية واعتقال الملا سليم الخيزاني ورفاقه. فشنقوهم فوراً بقصد ارهاب الناس في تلكم المناطق وتركوا جثثهم معلقة في الشوارع عدة أيام(٣) .

---

(٢) للتفصيل راجع : صديق الدملوجي ، المصدر السابق ، الص ١٠٢ ــ ١٠٥ و ١٦٦ ــ ١٦٧ ؛ عبدالمنعم الغلامي ، الضحايا الثلاث ، الموصل ١٩٥٢ ، ٥٠ ــ ٥١ . يورد الأستاذ صديق الدملوجي معلومات مهمة حول هذا الموضوع ولاسيما وانه عاصر احداثه وكان ايضا في نفس السجن الذي نفذ فيه حكم الاعدام بحق الشيخ عبدالسلام واعوانه ، وهو يؤكد أن التنفيذ جاء قبل مصادقة الباب العالي على الحكم الصادر من المحكمة وذلك ــ كما يذكر ــ بتدبير خاص من قبل والي الموصل سليمان نظيف الذي كان يعد من الانصار المتطرفين للاتحاديين . ويجدر بالذكر أن العثمانيين تمكنوا من القاء القبض على الشيخ عبدالسلام في خريف العام ١٩١٤ بواسطة شرك نصبوه له بمساعدة المدعو الصوفي عبدالله الشكاكي الفنكي .

(٣) الدكتور بلەچ شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٥٠ .

ولكن لا هذه الأعمال المنكرة التي اقترفها الاتحاديون في كل مكان ولا النظام الدكتاتوري الذي فرضوه على النـاس تحت شعـار ظروف الحرب ، استطاعت وضع حد لنضال شعوب الأمبراطورية بما فيها الشعب الكردي • صحيح أنه في تلك الظروف حيث كان معظم المثقفـين الكرد قد سيقوا الى الخدمة العسكرية وأرسلوا الى ميادين القتال وتعطلت المنظمات والجمعيات والصحف التي كانوا قد أسسوها قبل الحرب ، لم يعد بالامكان الهاب حماس جماهير الشعب ، كما كان بالأمس ، الا أنه ، وبالرغم من ذلك ، سـرعان ما أدت سياسة الاتحاديين الى ظهور منظمات سرية جديدة • فكما تشـير بعض الوثائق الدبلوماسية الموثوقة لم تمض على اندلاع نيران الحرب سوى فترة وجيزة حتى ظهرت جمعيات كردية جديدة في الولايات الشـرقية ، وبشكل خاص في منطقة وان[٤] ، وكانت هذه الجمعيات تسـتهدف ــ حسبما تؤكد الوثائق نفسها ــ تنظيم انتفاضـة عامة ضد الاتحاديين واختارت أسـاليب ارهابية للعمل ضد المتعاونين معهم • كما حاول بعض المثقفـين تنظيم جمعية باسم «جمعية استخلاص كردستان» في استانبول ، كان لها على مايبدو بعض الصلات مع الروس ومع أوساط عربية معينة[٥] •

لم تستطع هذه الجمعيـات أن تلعب دوراً ملموساً في الحياة السياسية لكردستان خلال سـنوات الحرب ، الا أن ذلك لم يحل دون أن يعبر سخط السكان واستياؤهم عن نفسه على شكل انتفاضات وتحركات عفوية في العديد من الأصقاع الكردية • فعلى سـبيل المثال لجأ الأهالي في منطقة بوتان الى السلاح بصورة علنية في ربيع العام ١٩١٥ ضد السـيطرة العثمانية وأخذوا

---

(٤) كان للمثقفين الارمن على مايبدو دورهم في تأسيس هذه المنظمات .
(٥) للتفصيل راجع :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question..., PP. 220, 346 - 347, 422.

يقاومون قواتها . وبالرغم من المحاولات التي قام بها أنور باشا للتقرب من بعض المتنفذين في منطقة درسيم الوعرة « التي لم تشترك في الحرب أصلاً » كما شهد شاهد من أهلها[٦] ، فان الأوضاع قد توترت فيها في الفترة نفسها تقريباً وتمكن سكانها من طرد الجنود العثمانيين من منطقتهم لأكثر من سنة واستولوا على مقاليد الأمور كاملة فيها[٧]. وقد لعب الشاعر المعروف في هذه المنطقة علي شير دورا بارزا في اثارة مشـــاعر الناس وأخذ يحرض بكل قواه عشائر درسيم وقوچگير على الاتحاد في سبيل الانعتاق والحيلولة دون افساح المجال لعودة المظالم العثمانية ، وكان من المتوقع لهذه الحركة أن تتطور لتتخذ بعدا أعمق وأشمل ، لولا الموقف السلبي الذي وقفه عدد من رؤساء العشائر الموالين للعثمانيين والذين لم يكونوا مرتاحين من نشاطات الشـــاعر الشعبي علي شير وأعوانه[٨] .

وبتأثير الهزائم المتلاحقة التي أصـــابت الجيش العثماني في مختلف الميادين واتساع نطاق الحركة التحررية لمعظم الشعوب الواقعة تحت سيطرة الأمبراطورية العثمانية ، أخذ نضال الشعب الكردي يتخذ في أواخر الحرب طابعاً أكثر عمقاً واتساعاً . فقد تمرد السكان في العمادية والسليمانية وأنحاء أخرى من كردستان عدة مرات ضد السيطرة العثمانية ، وكان الشيخ محمود منذ أن قتل والده الشيخ سعيد بتحريض من المسؤولين العثمانيين في الموصل

---

(٦) للتفصيل راجع :
Dr. Nuri Dersimi, Kürdistan Tarihinde Dersim, Halep, 1952, S. 94 — 99.

(٧) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan. . . , P. 311.

(٨) حول حياة علي شير ونضاله في سنوات الحرب العالمية الأولى راجع :
Dr. Nuri Dersimi, Kurdistan Tarihinde Dersim, S. 112 — 113.

قبل الحرب[٩] ، فقد ثقته بالاتحاديين ، فكان يتحين الفرص للثأر لوالده ، حتى ان ذهابه الى الشعيبة لمقاتلة الانكليز كان بتحريض من رجال الدين وبتأثير فتاواهم والموقف الذي اتخذته العشائر العربية في الوسط والجنوب ، كما ان عودته كانت من جراء كرهه للضباط العثمانيين ونقمته عليهم • لقد اغتنم الشيخ محمود فرصة الوضع السيء الذي كانت الدولة العثمانية متخبطة فيه في السنوات الأخيرة من الحرب وأخذ يناضل علنا لاسقاط السيطرة العثمانية في كردستان الجنوبية على الأقل والتي كانت الجيوش البريطانية قد اقتربت منها • وتحقيقاً لهذا الغرض فقد بدأ يقيم العلاقات مع خصوم الدولة العثمانية وفي مقدمتهم روسيا حيث بعث رسالة خاصة الى المسؤولين الروس طلب فيها المساعدة منهم• وسعياً وراء الهدف نفسه أقام الصلات مع الانكليز الذين ما ان وصلت قواتهم الى منطقة كفري حتى بدأوا يراسلونه مباشرة وقبل أن تضع الحرب أوزارها بعثوا الكابتن نوئيل الى السليمانية للتفاوض معه شخصياً[١٠] • وكما ذكرنا في مكان آخر من هذا البحث ، فقد أصبح الشيخ محمود قبيل انتهاء الحرب المسيطر الفعلي الوحيد في منطقة السليمانية كلها ، وكان ينوي استغلال الظروف الجديدة للعمل في سبيل ضمان حقوق

---

(٩) ابعد الشيخ سعيد والد الشيخ محمود الى الموصل بعد انتصار ثورة الاتحاديين ، وفي العام نفسه قتل هناك مع ابنه الشيخ احمد وبعض رجاله بأسلوب درامي دبره المسؤولون العثمانيون في المدينة (للتفصيل راجع : عبدالمنعم الغلامي ، المصدر السابق ، الص ١٢ ـ ٢٦) . ومن الشواهد المهمة على مسؤولية الاتحاديين في تدبير امر اغتيال الشيخ سعيد أن المتهمين في الحادث حوكموا بعد انقلاب الائتلافيين ومجيئهم المؤقت للسلطة فصدرت بحقهم احكام مشددة ، منها عقوبة الاعدام ، ولكن ما ان تسلم الاتحاديون السلطة من جديد حتى أفرجوا عنهم دون تأخير .

(١٠) C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 39. ؛ راجع ايضا بحثنا المذكور سابقاً : « وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود » .

شعبه ، وكــان يرغب في التعاون مع الأطراف الأخـرى العاملة من أجل الهدف نفسه[11] .

كانت الجماهير الكردية تصبح مـع اقتراب الحرب من نهايتها أكثر اصراراً على النضــال . ففي صيف العــام ١٩١٧ انتفض السكان في درسيم وبوتان للمرة الثانية ، كما انتفض سكان خربوط للمرة الأولى . وفي أوائل آب قــام الأهالي في ماردين وآمد (دياربكر) بانتفاضة كبــرى أجبرت المسؤولين العثمانيين على تخصيص قــوة كبيرة لقمعها[12] ولاسيما وأنهم كانوا يخشون عواقب العلاقات القريبة التي كان زعماء الانتفاضة قد أقاموها مع القوات الروســية المحاربة في تلك المناطق ، حتى انهم كانــوا يزودونهم بالمعلومات عن الجيش العثمــاني وتحركاته . وفي الخريف من العام نفسه انتفض سكان بدليس من جديد ، وكان عدد مسلحيهم في هذه المرة يناهز الثلاثين ألفاً . ومن الجدير بالذكر أن المســؤولين السياسيين والعسكريين الروس وعملاءهم أولوا هذه الانتفاضات والتحركات الكردية اهتماما بالغــا وكانوا يحاولون اذكاء نارها حيثما أمكنهم ذلك ، كما كانوا يبعثون تقارير مفصلة ودقيقــة عن أحداثها الى قيــادة القفقاس ووزارة الخارجيــة في بطرسبورغ[13] .

خاض أكراد ايران كذلك حومة النضــال في تلك السنوات بحماس

(١١) انعكس ذلك بشكل خاص في محــاولاته لاقامة صلات قريبــة مع الوفـد الكردي في مؤتمر باريس .

(١٢) خصصت السلطات العثمانية الفرقة السابعة والاربعين برمتها ، فضلا عن بعض القوات الأخرى ، لاخماد انتفاضة دياربكر وماردين (راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 349).

(١٣) تدخل هذه التقارير ضمن المصادر الأصيلة لدراسة تلك المرحلة من تاريخ الشعب الكردي وقد أعانت المستشرقين السوفيت في دراساتهم كثيراً .

ورفعوا السلاح علناً ضد السلطات الايرانية والمحتلين الأجانب في العديد من المناطق وقد تجسد ذلك بشكل صارخ في اشتراكهم الفعال في حركة الجنگلين وهو ما نعود الى تفاصيله ضمن هذا الفصل • وقد برز في ميدان النشاط الوطني آنذاك بعض المثقفين الكرد الايرانيين منهم أفراد اسرة قاضي المعروفة في ساوجبولاق والشاعر الشيخ بابا الغوثآبادي الذي أسس جمعية صغيرة وحاول الاتصال بالروس ، ولكن نشاط جمعيته ظل ، على مايبدو ، محصورا في نطاق ضيق لم يتعد الشاعر والبعض من أصدقائه المقربين •

ومن جهة أخرى خلقت مظالم المحتلين ، بمختلف فصائلهم ، ردود فعل كبيرة بين أوساط كردية مختلفة اضطرت للجوء الى السلاح دفاعاً عن كرامتها مما بات جزءا مهماً من نضال الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى • فقد أثارت تصرفات المحتلين السكان في العديد من مناطق كردستان الايرانية ودفعتهم الى مقاومتهم بالقوة • ورداً على تصرفات الجنود العثمانيين، تقرب المسيحيون في منطقة ورمى أكثر من ذي قبل من الروس ومن بعدهم من الانكليز ، وأخذ سكان منطقة ساوجبولاق يقاومون الجيش العثماني ثم الجيش الروسي بنشاط تقودهم الشخصية المعروفة القاضي فتاح(١٤) • وقد أثارت الأعمال التي اقترفها الجنود الروس والمتطوعون الأرمن في منطقة رواندوز ، جميع الناس هناك وفي مناطق كويسنجق وأربيل فاندفعت العشائر

(١٤) القاضي فتاح (المرزا فتاح القاضي) (١٨٣٢ أ ــ ١٩١٦) هو الأخ الأصغر لجد القاضي محمد ، واحد من أشهر رجال المكريان ، عرف بخدماته الجليلة مما أثار حنق المسؤولين عليه . دافع في سنوات الحرب عن منطقة ساوجبولاق ضد الجيوش العثمانية والروسية فيما بعد ، واستشهد هو واحد انجاله على ايدي الروس . وقد ابدى شجاعة كبيرة في المعركة كما يروى المطلعون ، ووجدت فيما بعد آثار ١٧ طلقة على جثته (للتفصيل راجع : الدكتور رحيم قاضي ، القاضي محمد ، (مخطوطة) ، الص ٣١ ــ ٣٤) •

الكردية الى مقاومتهم ، كما هاجمهم الشـيخ محمود ومسلحوه في جبهة پينجوين ، وقاومهم سكان علياوه في منطقة خانقين ببسالة ومايزال أبناء الجيل القديم يتذكرون صور تلك الأيام القاتمة •

وفضلا عن كل ذلك تجاوز نضال الأكراد في المرحلة الأخيرة من الحرب حدود كردستان ، وعاد المثقفون الكـرد في العديد من المناطق الى سوح النضال وبدأوا يحاولون جلب الأنظار الىالمسألة الكردية من جديد، ولاسيما بعد أن لاحت عاقبة النظام العثماني في الأفق الدولي بوضوح •

أخذ ثريا بدرخان قبيل انتهاء الحـرب زمام المبادرة وبدأ نشاطه في القاهرة فاستطاع ان يؤسس جمعية سـياسية تتولى أمر توضيح المسألة الكردية وشرع في اقامة الصلات مع المثقفين الكرد الذين أسرتهم القوات البريطانية أثناء القتال وأرسلتهم معتقلين الى مصر والهند[١٥] • كان ثريا بدرخان ورفاقـه يريدون عقد مؤتمر في احدى المدن الأوروبيـة تحضره الشخصيات السياسية الكردية لدراسة الوضع في كردستان ولبحث مصيرها في ضوء الأحداث التي وضعت عموم الشرقين الأدنى والأوسط على حـافة مرحلة تأريخية جديدة •

يجدر بنا قبل أن نأتي على نهاية هذا الموضوع أن نشير كذلك الى أن أحداث كردستان خلال سنوات الحرب العالميـة الأولى لاتخلو من صور جديدة للنضال المشترك تستحق الذكر والاهتمام في اطار بحثنا • ولا جدال في أن أبرز تلك الصور قد تجسدت في ميدانين مهمين ــ في گيلان الايرانية

(١٥) كان المثقفون الكرد المعتقلون في الخارج قد اسـسوا لهم ، وفـق ما جـاء في المعلومات التي نشرتها الشـخصـية المعاصرة لتلك الأحداث الأستاذ اسماعيل حقي شـاويس ، شبه منظمة قومية سرية (راجـع مجلة « روژى نوى » ، العدد ٩ ، كانون الأول ١٩٦٠ ، الص ٢٤ ــ ٢٦) •

وفي ظهور بوادر جديدة للتعاون العربي ـ الكردي .

شهدت منطقة گيلان الواقعة في شمالي ايران مداً جديداً في حركة الجنگليين[١٦] المعروفة التي تعود بداية انفجارها الى ما قبل الحرب بحوالي العامين[١٧] والتي كان يقودها ميرزا كوچك خان[١٨] بالتعاون مع عدد من المثقفين وبعض المنتمين الى الأوساط التجارية منهم الدكتور حشمت الطالقاني والتاجر الحاج أحمد القاسمي وغيرهم ، أما قاعدة الحركة فقد كانت فلاحية بالأساس . كانت قيادة الحركة وقاعدتها تتألف من انتماءات قومية مختلفة[١٩] جمعتها أهداف مشتركة تركزت خلال سنوات الحرب في النضال ضد المستعمرين والمحتلين وفي مقدمتهم الروس والانگليز ومن أجل ضمان

(١٦) تعني كلمة (جنگل) في اللغتين الفارسية والكردية الغابة ، وبما أن الثوار اتخذوا من غابات گيلان الكثيفة مركزا لنشاطاتهم فقد عرفوا بالجنگليين أي سكان الغابة .

(١٧) عن بداية المد الثوري في تلك المناطق راجع الص ١١٩ ـ ١٢٠ من الفصل الثاني .

(١٨) اعتبر السيد علي السنجري ، خطأ ، ميرزا كوچك‌خان من « الشخصيات الكردية المعروفة » (راجع : مەلا عەلي سەنجەري ، لە بياوە ناودارەكانى كورد ـ ميرزا كوچك‌خان ، جريدة « ژين » ، السليمانية ، العدد ٣٢ ، تموز ١٩٧١) ، فقد ولد ميرزا كوچك‌خان في رشت التي تعتبر أهم مدينة في مقاطعة گيلان المحاذية لحدود آذربيجان السوفيتية وهو ينتمي الى عائلة امتهنت التجارة والزراعة ، أتاه لقب الخان من انصاره وكان اسمه في الأصل يونس ، تثقف في المدارس الدينية واشترك بنشاط في الثورة الدستورية وفي الحياة السياسية لايران (لمعرفة المزيد عن حياته راجع : ابراهيم فخرائي ، ميرزا كوچك خان سردار جنگل ، الص ٢٨ ـ ٣٨ . راجع كذلك : (M. S. Ivanov, Op. Cit., PP. 259 — 261.

(١٩) اشترك في الحركة ، فضلا عن سكان منطقة گيلان ، عدد كبير من المتطوعين الذين اتوا من المدن والمناطق الاخرى بما فيها العاصمة طهران ومدينة تبريز الآذربيجانية وبعض المناطق الكردية وغيرها .

الاستقلال السياسي الناجز لايران[20] . ومما كان يدفع الناس ، وبشكل خاص الفلاحين ، للالتفاف حول الحركة تأكيد قادتها على ضرورة العودة الى القيم الاسلامية الأصيلة وتحويلها الى سلاح ماض للنضال ضد المحتلين الأجانب والى حد أقل ضد المستغلين في الداخل . وقد شكل الجنگليون منذ أواخر العام ١٩١٧ لجنة خاصة للاشراف على حركتهم باسم « اتحاد اسلام » . ومن الجدير بالذكر أن الألمان والعثمانيين عملوا بنشاط في سنوات الحرب من أجل اذكاء الدعاية للجامعة الاسلامية في منطقة گيلان لأنهم كانوا يدركون امكانية توجيه ضربات الى أعدائهم الروس والانگليز بوساطة الجنگليين فبعثوا عددا من الضباط الى منطقتهم كان من بينهم الضابط العثماني المقدم حسين أفندي التبريزي الذي كان مطلعاً على المناطق والشؤون الكردية خاصة لاشتراكه في المعارك الحربية التي وقعت بين القوات الروسية والعثمانية في كردستان[21] . وقد تمكن الاتحاديون والألمان فعلا من الاستفادة الى حد ما من الحركة الجنگلية حتى ان ميرزا كوچك خان أرسل مجموعات من المجاهدين لمعاونة القوات التركية والألمانية في المناطق الأخرى بما فيها منطقة كرمانشاه . كما أن توسع الحركة التي امتدت منذ العام ١٩١٧ الى المناطق المجاورة من گيلان (مازندران ، طالش وغيرهما) لم يكن في كل الأحوال في صالح الروس والأوساط الحاكمة الايرانية التي كانت تتعاون آنذاك مع الانگليز على مختلف الأصعدة .

اشترك عدد غير قليل من الفلاحين الكرد بحماس في الحركة الجنگلية

(٢٠) تحول استقلال ايران الى الشعار الرئيس للحركة في سنوات الحرب ، وقد اقسم المشتركون فيها ان لايحلقوا لحاهم حتى يتحقق مبتغاهم ، وقد صار هذا تقليدا غالباً ما التجأ اليه الثوريون الايرانيون فيما بعد .

(٢١) راجع : M. N. Ivanova, Op. Cit., P. 18.

وتقاطرت مجموعات منهم الى مركز الحـركة مع اندلاع الحرب مباشرة ، وتحول خالو قوربان الى واحد من أبرز قادة الحركة المقربين من ميرزا كوچك خان كما برز عدد آخر من الأكراد في صـفوف الجنگليين منهم كريم خان وقنبر خان وخالو حشمت وبابا خان الذي كان ينتمي الى خالو قوربان[٢٢] بصلة القرابة .

لم يقتصر اشتراك الأكراد الايرانيـين في حياة البلاد السياسية أثناء الحرب على الحركة الجنگلية التي لم تنته بانتهاء الحرب[٢٣] ، بل انهم أسهموا كذلك وبأشكال مختلفة في نضالات الشعب الايراني . فعندما احتدم صراع القوى الوطنية ضد حكومة وثوق الدولة[٢٤] التي عرفت بموالاتها للانگليز ، ومن أجل اجبار تلك الحكومة على اجراء انتخابات جديدة ودعوة المجلس للانعقاد ، عقدت اجتماعات جماهيرية في مدينة كرمانشاه رفعت فيها شعارات

---

(٢٢) علا شأن خالو قوربان في صفوف حركة الجنگليين حتى انه بلغ منصب قوميسر او ما يوازي درجة وزير الحربية ، ولكنه انفصل عنها في النهايـة ودخل سوق المساومات الرائجة آنذاك وقتل أثناء اشتراكه في العمليـات العسكرية التي جرت ضد سمكو (راجع : ابراهيم فخرائي ، المصدر السابق ، الص ٣٤٧ ، وكذلك المقال المنوه عنه للسيد علي السنجري ـ الهامش ١٨ ؛ M. S. Ivanov, Op. Cit., PP. 282, 293, 295).

(٢٣) دخلت الحركة الجنگلية مرحلة جديدة بعد انتصـار ثورة اكتوبر وانتهـاء الحرب العالمية الأولى فتم في الخامس من حزيران ١٩٢٠ الاعلان عن تشكيل جمهورية گيلان ، الا أن ضعف التحالف بين القوى الوطنيـة احدث ثغرة كبيرة في جبهة الجنگليين مما مكن من القضاء على حركتهم وجمهوريتهم في تشرين الأول من العام التالي ولقي ميـرزا كوچـك خان مصرعه في جبـال طالش وذلك أثناء مطاردته من قبل القوات الحكوميـة في أواخر تشريـن الثاني من العام ١٩٢١ .

(٢٤) شكل في آب من العام ١٩١٦ وزارة جديدة وكان من السياسيين الموالين لبريطانيا .

بهذا المعنى ، وقد لعب الشاعر المعروف ، ألكردي القومية ، أبو القاسم لاهوتي دوراً بارزاً في تلك الاجتماعات(٢٥) .

وعلى صعيد آخر شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى كذلك أمثلة للتعاون بين العرب والأكراد في نضالهم العادل ضد السياسة العنصرية للاتحاديين . فقد قدم العرب ما كان بامكانهم تقديمه من مساعدات الى المشتركين في الانتفاضة التي اندلعت نيرانها في مناطق ماردين ودياربكر(٢٦) في آب من العام ١٩١٧ والتي سبق أن تطرقنا اليها . وكان لموقف السكان العرب من الانتفاضة المذكورة تأثيره في دفع الاتحاديين الى اتخاذ اجراءات سريعة لقمعها خشية المضاعفات المتوقعة منها ، ولاسيما وأن الاوضاع بين العشائر الكردية والعربية في المناطق المجاورة لم تكن أقل توتراً من ذلك . ثم ان الروس كانوا يتحينون الفرص لاستغلال كل ثغرة جديدة يمكن التغلغل من خلالها لتوجيه ضربات جديدة لمواقع العثمانيين في المنطقة ، لذا أقاموا ـ كما ذكرنا ـ اتصالا وثيقاً مع قادة الانتفاضة .

وهنا يجب أن نشير الى أن اتصالات الشيخ محمود في سنوات الحرب العالمية الأولى لم تقتصر على ممثلي الدول الكبرى في الأمبراطورية العثمانية وايران بل شملت كذلك بعض قادة الحركات السياسية لشعوب المنطقة الذين كانوا يعملون في سبيل تحرير شعوبهم من نير العثمانيين . وأهم تلك الاتصالات أجراها الشيخ محمود مع شريف مكة حسين وأولاده مقترحاً عليهم التعاون في نضال الطرفين ضد الاتحاديين ، فبعث اليهم رسائل عديدة

(٢٥) راجع : M. N. Ivanova, Op. Cit., PP. 22 — 23.

(٢٦) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 249 .

حول هذا الموضوع وقعت احداها بيد المسؤولين العثمانيين[٢٧] • وبالرغم من أن هذه الاتصالات لم تؤد الى نتائج ملموسة الا أنها تعتبر في كل الأحوال من الدلائل التي تشير الى انعكاس الأحداث العربية في المناطق الكردية وهي ما يؤكد عليها الدكتور م• س• لازاريف بشكل خاص[٢٨] • ومن جانب آخر أثارت تلك الاتصالات حقد الاتحاديين أكثر ضد الساسة الأكراد ، فبعد وقوفهم على اتصالات الشيخ محمود بشريف مكة المعادي لهم ، تمادوا في التركيز على حبك الدسائس ضده بقصد اضعاف نفوذه بين الأكراد ، كما دبروا نهب داره في السليمانية •

ومن الجدير بالذكر أن الانكليز أيضاً أدركوا مدى تأثير الموقف العربي من العثمانيين على الأكراد ، ولذا نراهم يركزون على هذه النقطة بشكل ذكي وبأساليب مختلفة وذلك بقصد اثارة الأكراد ضد الاتحاديين أكثر فأكثر • فجريدتهم الكردية « تيگەيشتنى راستي » طافحة بالأمثلة الواضحة على ذلك كما ذكرنا في حينه[٢٩] كما أن الجريدة نفسها أولت نشاطات الشريف حسين ضد العثمانيين وانتصارات قوات الأمير فيصل في ميادين فلسطين وسوريا اهتماماً أكبر من أي حدث آخر من أحداث الحرب[٣٠] •

---

(٢٧) كان الدبلوماسيون والعسكريون الروس على علم باتصالات الشيخ محمود مع شريف مكة حسبما يبدو فاشاروا اليها في تقاريرهم الخاصة (راجع :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , PP. 340, 449).

(٢٨) M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 349.

(٢٩) راجع: الص ١٨٧ ــ ١٩٣ •

(٣٠) راجع على سبيل المثال : « تيگەيشتنى راستي » ، العدد ٢٨ ، ١٣ أيار والعدد ٥٢ ، ٢٨ تشرين الأول ١٩١٨ وتحدثت الجريدة عن الموضوع نفسه في أعداد أخرى كثيرة . كما انها كانت تكرس أحيانا افتتاحية عدد بكاملها لبحث الانتصارات في ميادين فلسطين (راجع : العدد ٤٨ ، ٣٠ أيلول ١٩١٨) .

شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى صوراً رائعة للتعاون الأرمني ـ الكردي ، ولاسيما في أيام المذابح الأرمنية التي دبرها الاتحاديون في العام ١٩١٥ وسوف نعود الى تفاصيلها ضمن الفصل المخصص لهذا الموضوع ٠ الا أنه يجب الاعتراف كذلك بأن أحداث كردستان خلال سنوات الحرب لا تخلو في الوقت نفسه من بعض الصور المعاكسة القاتمة التي كان من شأنها تعكير صفو العلاقات بين شعوب المنطقة ٠ فالزعيم الكردي المعروف سمكو لم يتورع مثلا عن اللجوء الى أقسى الأساليب في تعامله مع الآذربايجانيين والآثوريين بشكل خاص ، وكان أسوأ ما قام به في هذا المجال تدبيره اغتيال المار شمعون بنيامين مع عدد كبير من أعوانه في اليوم الثالث من آذار من العام ١٩١٨ بعد أن دعاه للاجتماع به بحجة التباحث معه حول مستقبل شعبيهما المتجاورين مما ترك آثاراً جد سلبية على العلاقات الآثورية ـ الكردية فيما بعد[٣١] ٠ وسوف نتطرق الى صور قريبة من هذه في الفصل

(٣١) صحيح أن المستعمرين الأجانب ، والمبشرين بشكل خاص ، حاولوا بث بذور الشقاق بين الآثوريين والأكراد ، وصحيح ايضاً ان الروس والانكليز استغلوا الآثوريين ضد العشائر الكردية التي تعاونت مع الألمان والعثمانيين مما ترك آثاراً سلبية على العلاقات القائمة بين الشعبين ، وهو ما يعترف به المؤرخون الآثوريون انفسهم (راجع على سبيل المثال :

Матвеев (Бар-Маттай) К.П., Мар-Юханна И.И., Ассирийский вопрос во время и после первой мировой войны, Москва, 1968, стр.62.

ك. ت. ماتفييف (بارماتاي) ، ا. ا. مار يوحنا ، المسألة الآثورية خلال الحرب العالمية الاولى وبعدها ، موسكو ، ١٩٦٨ ، الص ٦٢) . الا أن التأريخ يدين ، بالرغم من كل ذلك ، ما قام به سمكو ولايمكن الاتفاق قطعاً مع محاولات بعض المؤلفين الاكراد ايجاد مبررات غير منطقية البتة لعمل سمكو ، فهي محاولات لاتتفق بأي حال مع تفاصيل الاحداث التي

الخامس من هذا الكتاب •

تبقى نقطة أخيرة في مجال البحث في نضال الأكراد في سنوات الحرب تستحق الاهتمام وهي ما يتعلق بالآثار المبكرة التي تركها انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية في العام ١٩١٧ على المتنورين الأكراد وعلى الوضع العام في كردستان • فقبل كل شيء أدى انسحاب روسيا من الحرب ومن مخططات تقسيم مناطق النفوذ ، الى تغيير موازين وحسابات تاكتيكية وستراتيجية كثيرة في ميادين الشرقين الأدنى والأوسط نأتي على تفاصيل ما يتعلق منها بالأكراد ضمن الفصل الأخير من هذا الكتاب[٣٢] • ولكن الى جانب ذلك كان لانتصار الثورة تأثيره الواضح على المواقف السياسية لبعض الأوساط الكردية ظهرت أولى بوادرها في السنة الأخيرة من سنوات الحرب • فقبيل انتصار الثورة أقامت المنظمات السياسية السرية العاملة في صفوف الجيش الروسي الصلات مع بعض المثقفين الثوريين الكرد ، بل انها أسست لجنة مشتركة من ممثلي الجانبين في منطقة كرمانشاه[٣٣] • وفي الوقت نفسه كان

=

رافقت هذه القضية من وجهة النظر التأريخية البحتة (راجع على سبيل المثال : علاءالدين سجادى ، شورشه‌كانى كورد وه كورد و كومارى عيراق (الثورات الكردية والكرد والجمهورية العراقية) ، بغداد ١٩٥٩ ، الص ٢٥١ ـ ٢٥٤) . من الجدير بالذكر أن سمكو نفسه راح في العام ١٩٣٠ ضحية مؤامرة شبيهة تماماً لتلك التي دبرها هو ضد المار شمعون .

(٣٢) تطرقنا في الفصل السابق الى تأثير ذلك على تحركات الجيش البريطاني في العراق .

(٣٣) راجع :

"Всемирная история", т.УII, Москва, 1960, стр.574.

« تاريخ العالم » ، الجزء السابع ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ٥٧٤ . (ورد في الص ٨٠ [الهامش رقم ١٠] من النص الكردي لهذا الكتاب (الجزء الثامن) سهواً مما اقتضى التنويه ـ المؤلف) .

لبعض الثوريين من مدينة ساوجبولاق ، وعلى رأسهم القاضي محمد ، صلات مع المنظمات البلشفية التي كانت تعمل داخل صفوف قطعات الجيش الروسي العاملة في تلك المنطقة وقد مهد ذلك الطريق لاقامة منظمة سياسية سرية في هذه المدينة قبيل انتصار ثورة آكتوبر رفعت شعار تلبية الحقوق القومية للأكراد(٣٤) . ويشير المؤلف الايراني أحمد شريفي الى اتصال كل من سمكو والسيد طه الشمديني بالبلاشفة عندما كانا منفيين في روسيا(٣٥) في بداية الحرب كما سبق أن ذكرنا .

توجد دلائل من نوع آخر تشير كذلك الى هذه الحقيقة . فعندما دبر الروس البيض ، بتحريض من الانكليز ، هجوماً في ٢ تشرين الثاني من العام ١٩١٨ على مركز أول بعثة سوفيتية في طهران وألقوا القبض على جميع العاملين فيها ، استطاع رئيسها ي. و. كليميتسيف الهرب والعودة الى بلاده

(٣٤) راجع :

"Большая Советская Энциклопедия", второе издание, т.28, Москва, 1954, стр.460-461.

« الموسوعة السوفيتية الكبرى » ، الطبعة الثانية ، الجزء ٢٨ ، موسكو ، ١٩٥٤ ، الص ٤٦٠ — ٤٦١ .

(٣٥) احمد شريفي ، عشائر شكاك وشرح زندگي آنها به رهبرى اسماعيل آغا سمكو ، طهران ١٣٤٨ ، ص ١٩ . (أحمد شريفي ، عشائر الشكاك وتفاصيل حياتها بقيادة اسماعيل آغا سمكو ، طهران ، ١٣٤٨ [١٩٦٩م] ، الص ١٩) . حاولنا دون جدوى العثور على دلائل من مصادر اصيلة تؤيد ذلك . يشير الأستاذ علاءالدين سجادي الى علاقات محددة لسمكو مع القنصل الروسي في ورمى بعد الحرب (راجع : علاءالدين سجادي ، المصدر السابق ، الص ٢٦٦) .

بمساعدة أفراد عشيرة سنجاوي الكردية[٣٦] ، أما بقية أعضاء البعثة ، بما فيهم زوجة كليميتسيف ، فقد تفاهم الانكليز عن طريق بغداد الى الهند . ولا يخلو من معنى أن لسان حال القوات البريطانية العاملة في العراق ، الجريدة الكردية «تيگه‌يشتنى راستي» ، بدأت مباشرة بنشر أخبار ومواضيع معادية لروسيا السوفيتية وبأسلوب من شأنه اثارة الحذر والريبة في نفوس الناس البسطاء فوصفت السلطة الجديدة بأنها « حكومة غير شرعية » وادعت أن « سكان روسيا استنجدوا بالحلفاء » ، فأعطت على هذا الأساس صوراً مغايرة للواقع عن حرب التدخل التي اشتركت فيها قوات ١٤ دولة رأسمالية[٣٧] وقاومتها شعوب روسيا السوفيتية بشدة مما أجبرها على التقهقر ، بينما كانت « تيگه‌يشتنى راستي » تؤكد « استقبال أهل روسيا لعساكر الحلفاء بكل ترحاب » لكونهم «حماة حريتهم واستقلالهم »[٣٨] . ان مثل هذا الموقف لم يكن يعكس فقط ما أثاره

(٣٦) راجع :

Мирошников Л.И., Английская экспансия в Иране (I9I4-I920), Москва, I96I, стр.I45.

ل. أ. ميروشنيكوف ، التغلغل الانكليزي في ايران (١٩١٤ ــ ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦٠ ، الص ١٤٥ . (في الهوامش القادمة :
L. Miroshnikov ...).

(٣٧) تحولت بغداد الى احدى قواعد حرب التدخل الرئيسة ، اذ ان القوات البريطانية بقيادة الجنرال دنسترفيل توجهت من بغداد الى مناطق القفقاس ، كما تم ارسال العديد من رجال الاستخبارات الانكليز عن طريق العراق ، منهم ــ كما ذكرنا ــ المتخصص في الشؤون الكردية الكابتن نوئيل .

(٣٨) « تيگه‌يشتنى راستي » ، العدد ٢١ ، ٢٥ آذار ، العدد ٤٤ ، ٢ أيلول ، العدد ٤٥ ، ٩ أيلول ، العدد ٦٠ ، ٢٣ كانون الأول ١٩١٨ . يجدر بنا أن نشير الى أن « تيگه‌يشتنى راستي » تحتوي في الوقت ذاته على اتجاهات =

انتصار أول ثورة اشتراكية من مخـاوف في العالم الرأسـمالي فحسب ، بل كان أيضاً بمثابة خطوة وقائية كان لها موقعها ، بالرغم من صغر حجمها ، في حسابات الانكليز بالنسبة لمستقبل المنطقة . وعلى أي حال لم يكن قد مضى سوى وقت قصير للغاية على انتهاء الحرب عندما كتب حاكم مدينة السليمانية الميجر سون ضمن تقرير سري رفعه الى وكيـل الحاكم العام البريطاني في العراق يقـول « ان الناس هنا بـدأوا ، لسوء الحظ ، يتفهمـون أفكار البلاشفة »[٣٩] . وقد وضع كل ذلك بدايات لأحداث أهم وأبرز بدأت تظهر على المسرح السياسي في كردستان بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى[٤٠] .

من كل ما سبق يبدو واضحاً أن أحداث الحرب ومآسيها والسياسـة الدكتاتورية التي انتهجها الاتحاديون وألاعيب المحتلـين لم تؤد الى وقف نضال الشعب الكردي في سنوات الحرب . ومع ذلك فان هذا النضال لم يحقق أيا من أهدافه الكبرى ، ففضلا عن الوضع السياسي الدولي آنئذ ، حالت أسباب عديدة أخرى دون ذلك . وتعود تلك الأسباب في الواقع الى تخلف سكان كردستان في تلك الأيام وانخفاض مستوى وعيهم السياسي .

= مضادة ايضا ، لأنه كان من شأن هذه الاتجاهـات المضـادة فضح اعداء الانكليز من الالمان والعثمانيين ، لذا نرى الجريدة تتحدث عن احتجـاج السلطة السوفيتية على سياسة الاتحاديين تجاه الارمن وتشير الى التحاق جنود المان ونمساويين بالبلاشفة وغير ذلك من المواضيع (راجع : العدد ٢٥ ، ٢٢ نيسـان والعدد ٣١ ، ٣ حزيران ١٩١٨) .

(٣٩) مقتبس من : A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 — 1920, P. 145.

(٤٠) للتفصيل راجع : الدكتور كمال مظهر احمد ، اكتوبر والمسألة الكردية ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، «الثقافة الجديدة» ، العدد ٢٩ ، ــ تشرين الأول ــ ١٩٧١ ، الـص ١٥٢ ــ ١٦٢ ، أو الأصـل الكردي للمقـال : « برايەتی » العـدد ٩ ، السـنة الأولى ، الدورة الثانية ، كانون الأول ١٩٧٠ ، الص ٤ ــ ١٢ .

فقبل كل شيء لم تنصب الانتفاضات التي قام بها الشعب الكردي في تلكم السنوات في مجرى واحد لتستطيع الصمود وتتمكن من خلال ذلك من تحقيق نتائج ملموسة . فبالرغم من حدوث العديد من تلك الانتفاضات في وقت واحد في أنحاء مختلفة من كردستان ، لم يفكر قادتها في أن يقيموا صلات معينة فيما بينهم يتوحدون من خلالها . وفضلا عن ذلك لم يكن لأي من تلك الانتفاضات تاكتيك وستراتيج محددان . فعلى سبيل المثال كان الشعور الديني يكفي بالنسبة للشيخ محمود ليحمله على حمل السلاح في سبيل أعدائه هو ضد الانكليز ، هذا فضلا عن أنه كان يهاجم قوات الروس بالسلاح في نفس الوقت الذي كان يراسلهم فيه ويطلب منهم المساعدة . ثم ان العديد من رؤساء العشائر الكردية كانوا يحاولون استغلال ظروف الحرب من أجل مصالحهم الذاتية فكانوا يدخلون سوح المساومات ويغيرون المواقف بسرعة ، فمنهم من تعاون مع الروس والانكليز والألمان والعثمانيين ، وفي بعض الأحيان كان يحتفظ بالعلاقات مع أكثر من جهة في وقت واحد ، وقلما أعار هؤلاء حقوق الجماهير القومية والاجتماعية أي اعتبار يذكر ، بل وان معظمهم لم يستطيعوا ادراك كنه ذلك وتقييم أهميته .

ومن العوامل الأخرى التي أثرت سلباً على تطور النضال الكردي في هذه المرحلة أن الجهات المتصارعة المختلفة كانت تحاول بأساليب شتى دفع استياء الجماهير الكردية في مجرى يخدم مصالحها هي ، بتحويل ذلك الاستياء الى رأس حربة موجهة الى أعدائها ، مما كان يحول حتماً دون تعميق محتواه القومي بنفس المستوى الذي حدث بين العرب والأرمن مثلا . ففي هذا الاتجاه عمل كل من الروس والانكليز والألمان وحتى الاتحاديون ، وفي مضامين جريدة « تيگەيشتنى راستي » دلائل مقنعة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة . كما لم يكن من العبث أن نشاطات الروس بين الأكراد بلغت في

سنوات الحرب حد أنهم نظموا عقد مؤتمرات كبيرة ضمت أعداداً غفيرة من الرؤساء الكرد وغيرهم كالمؤتمر الذي عقـد في كردستان ايران في أواسـط تموز من العام ١٩١٧ والذي استمر ثلاثة أيام واشترك في أعمـاله آكثر من ألفي كردي فضلا عن ممثلـين عن روسيـا وانكلترا وايران ، والمؤتمر الذي عقد بعد ذلك بأقل من شـهرين بالقرب مـن مدينة سـنندج والذي حضره الجنرال باراتوف شخصياً وحدد أهدافه في « توحيد جميع العشائر الكردية وفسح المجال أمام قواها للدفاع عن الوطن » (!) وهو ما أدرك الروس أخيرا كنهه ، بعد المرور بطريق مليء بالأخطاء ، كخير وسيلة لضمان مصالحهم في المنطقـة مما أعطاهم نتائج ايجابية كثـيرة يراها الدكتور لازاريف امرا منسجما مع المنطق ، فكما يقول في تعليقه على ذلك : « كان يكفي الاستجابة للمطاليب القومية للشعب الكردي وتأييد فكرة الحكم الذاتي أو حق تقرير المصير للأكراد ورفض أسلوب الحملات لتغير العشـائر مواقعها في الجبهة وتوافق على التعاون مع روسيا »(٤١) .

وبالرغم من جميـع النواقص والثغرات التي نوهنا عنهـا فانه يجب الاقرار بأهمية نضال الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى والذي تحول الى أحد العوامل المساعدة لانهيار أسس النظام العثماني وذلك ضمن اطار أشمل حددت السياسة القومية للاتحاديين بعده الواقعي ، حتى ان المؤرخ الآذربيجاني الدكتور حميد عليف يعطي هذه القضيـة في دراسـته الواسعة عن تركيا في عهد الاتحاديين المقام الأول بين عوامل انهيار الأمبراطورية العثمانية فيقول : « يمكن القول بدون مبالغة ان الاضطهاد القومي لشعوب البلدان الخاضعة والنضال ضده يحتلان المكان الأول بين الأسباب التي أدت

(٤١) للتفصيل راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , PP. 362 — 364.

الى سقوط الأمبراطورية العثمانية »[٤٢] .

ومن جانب آخر ساعد نضال الأكراد في سنوات الحرب على رفع الوعي القومي بينهم والاحساس بالغبن الذي لحقهم ، شأنهم شأن القوميات الأخرى الداخلة في الأمبراطورية ، مما أدى الى رسوخ شعار الحكم الذاتي لكردستان بل وحتى شعار حق تقرير المصير أكثر فأكثر في نفوس الناس والمثقفين منهم بوجه خاص ، وهذا تحول بدوره الى عامل مساعد للانتقال الى مرحلة جديدة من النضال التحرري فيما بعد الحرب . كما أن ذلك النضال لعب دوره كذلك في لفت نظر أوساط مختلفة الى المسألة الكردية أكثر من السابق وتقييم أبعادها بشكل أكثر واقعية . فليس مجرد صدفة مثلا أن أقرت أعلى المستويات المسؤولة في بطرسبورغ اقتراح مينورسكي في العام ١٩١٧[٤٣] حول ضرورة وقوف روسيا بشكل رسمي الى جانب طموحات الشعب الكردي[٤٤] . ولم يكن أيضاً مجرد صدفة أن جريدة « تيگەيشتنى راستي » كانت تؤكد باستمرار استعداد الانگليز الكامل للوقوف الى جانب طموحات الشعب الكردي و « العمل من أجل اسعاده » كما « يفعلون ذلك مع الشعوب الأخرى » بل « وحتى أكثر مما يفعلون للاخرين » لأن « انگلترا تعرف الأكراد أكثر مما تعرفهم الدول الأخرى »[٤٥] .

---

(٤٢) G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 275.

(٤٣) قبل انتصار ثورة اكتوبر .

(٤٤) ورد ذلك ضمن الوثائق الدبلوماسية الروسية الخاصة (للتفصيل راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question..., PP. 351, 451).

(٤٥) الجريدة طافحة بمقالات حول هذه المواضيع وبتحريض واضح لاثارة الشعور القومي الكردي ضد العثمانيين وبالاستناد الى الوقائع التاريخية (راجع على سبيل المثال : « تيگەيشتنى راستي » ، العدد ٣ ، ٨ كانون الثاني والعدد ٤ ، ١٢ كانون الثاني والعدد ١٥ ، ١٩ شباط والعدد ١٩ ، ٥ آذار ١٩١٨ واعدادا أخرى كثيرة) .

أثار استمرار النضال التحرري لشعوب الأمبراطورية ، والذي اتخذ بالنسبة لعدد غير قليل منها طابعاً في غاية الجدية ، حقد الحكام العثمانيين أكثر من ذي قبل وألهب فيهم روح التعصب العنصري في أسوأ أشكاله • وبالنسبة للأكراد فقد اتخذ هذا الأمر طابعاً خاصاً بعد أن فشل الحكام العثمانيون في تحويلهم الى عنصر مؤثر في الحرب الجارية كما كان عليه الأمر في الماضي ، اذ بدأ الجنود الأكراد يتركون صفوف الجيش العثماني أفواجاً[٤٦] وكثيراً ما كانوا ينضمون بكامل أسلحتهم الى جانب الثوار من أبناء شعبهم • ويعلق الأكاديمي گردليفسكي على هذه الحقيقة قائلا : « ثارت ثائرة الترك ضد الكرد لأنهم لم يشتركوا في الدفاع عن الوطن[٤٧] ، أما الكرد فقد ثارت ثائرتهم ضد الترك لأنهم عانوا من الجوع بسببهم »[٤٨] •

ومما كان يثير العثمانيين أيضاً أنهم لم يستطيعوا ، كما سنتحدث عن ذلك في مجال آخر من هذا البحث ، جعل أبناء الشعب الكردي آلة في أيديهم ضد الأقليات الدينية في الدولة العثمانية ، وبشكل خاص ضد الشعب الأرمني المجاور • وأخيراً فان الاتحاديين كانوا مستائين جداً من اتصالات الرؤساء الأكراد بالروس والانكليز من جهة وبالزعماء العرب والأرمن المناوئين لهم من جهة أخرى • لهذه الأسباب باتت الفئات العثمانية الحاكمة واثقة من أنها خسرت عواطف الشعب الكردي نهائيا ، لذلك فانها بدأت تعمل في المرحلة الأخيرة من الحرب بقسوة وفظاظة لصهر الشعب الكردي وأطلقت يدها فيه واهمة أن ذلك خير سبيل للحفاظ على كردستان • ومما يجدر

(٤٦) بلغ الأمر في أواخر الحرب حد أنه نادرا ماكان يعثر على جندي كردي أو عربي في صفوف الجيش العثماني •

(٤٧) يقصد المطلق انهم لم يشتركوا الى جانب العثمانيين في الحرب الجارية [آنئذ] •

(٤٨) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 121.

بالذكر أن حلفاءهم الألمان كانوا يشاركونهم رأيهم هذا. ولتحقيق هذا الغرض أصدر الاتحاديون قبيل انتهاء الحرب سلسلة من المراسيم والفرمانات تقضي بتشتيت الأكراد في القرى التركية على أن لا تتجاوز نسبتهم في أي مكان ٥ ــ ١٠٪ من السكان الأصليين للمناطق التي يعاد توطينهم فيها ، وكان من المقرر اسكان الشخصيات ورؤساء القبائل الكردية في مدن الأناضول الغربية ووضعهم هناك تحت الاقامة الجبرية ومنعهم من الاتصال فيما بينهم أو برجالهم الموزعين في القرى[٤٩] . باشر الاتحاديون قبيل انتهاء الحرب تنفيذ خطتهم هذه بنشاط ، بادئين بالقبائل « الجامحة » والرؤساء « الجامحين » الذين ما كان بوسع الحكام ترويضهم ، وقد استطاعوا ابعاد الألوف منهم بقوة السلاح الى المناطق النائية والقصية من غربي الأناضول . وهكذا تمكن الحكام الاتحاديون من ابعاد عدد كبير من الأكراد خلال الفترة الأخيرة من الحرب ، فمات أكثر من نصفهم في الطريق جوعاً ومن شدة البرد أو فتكت بهم الأمراض ولم يستطع الا قلة منهم العودة الى أماكنهم الأصلية ، وذلك بعد انتهاء الحرب . أما الذين استقروا منهم في مهاجرهم فقد عاشوا في ظروف بالغة القسوة من البطالة والأمراض ، مما أدى الى أن يموت من هؤلاء أيضاً خلق كثير[٥٠] . وهكذا أعاد العثمانيون بعد مرور

(٤٩) الدكتور بلهج شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٦٠ .

(٥٠) تقدر مصادر مختلفة عدد المهجرين بما لايقل عن ٧٠٠ الف شخص (راجع على سبيل المثال :

((Memorandum sur la situation des Kurdes. . .)), P. 11 ; A. Safrastian, Op. Cit., PP. 76, 81 ; M. S. Lazarev, The Kurdish Question . . . , P. 309 ; ((The massacres of Kurds in Turkey)), Cairo, 1928, P. 9 ; D. A. Shmidt, Journey among brave men, Toronto, 1964, P. 52).

ومع ذلك فان المؤلف يشك في صحة هذا الرقم ويراه اكثر من الواقع مع =

ثلاثة قرون ونيف صورة أخرى للمآسي التي شهدتها اسپانيا والتي أدانها التأريخ(٥١) ، بل أعادوا صورة مصغرة لمآسي الأرمن التي بقيت ذيولها حتى

ان الدكتور بلهچ شيركوه يؤكد أن هذه الاحصائية مثبتة في ملفات «مهاجرة ادارهسى» (دائرة الهجرة في استانبول) (الدكتور بلهچ شيركوه؛ المصدر السابق ، الص ٦٢) . وأيا ما كان الامر فان جريدة « سربستي » (الاستقلال أو الحرية) التي كانت تصدر في استانبول تحدثت في عددها الصادر في الثلاثين من نيسان من العام ١٩١٩ عن عدة الوف من الاكراد ابعدوا قسرا في سنوات الحرب الى بعض المناطق غربي الأناضول . كما اكدت جريدة « مشاك » الأرمنية ان المنطقة الممتدة الى الجنوب والغرب من بحيرة وان كانت خالية من السكان بعد الحرب بعد أن كان يقطنها في السابق ما لايقل عن ٨٠٠ ألف كردي (راجع :
M. S. Lazarev, Kurdistan..., P. 314).

وبعد انتهاء الحرب طالب هؤلاء ، المسؤولين بالسماح لهم بالعودة الى ديارهم ، واستغل عدد غير قليل منهم ظروف انهيار الامبراطورية فعادوا الى مواطنهم الاصلية دونما اخذ أي رخصة بذلك .

(٥١) للعرب ، كما هو معروف ، تأريخ سياسي ـ حضاري حافل في اسپانيا فأصبح استيطان قسم منهم في تلك البلاد نتيجة ملازمة لذلك التاريخ . وباعتراف المؤرخين الغربيين انفسهم لعب العرب هناك دوراً بارزاً في تطوير الانتاج الزراعي والحرفي وفي تشييد صرح حضاري شامخ بقيت آثاره حتى اليوم . وبعد سقوط آخر معاقلهم في غرناطة في العام ١٤٩٢ ساءت أوضاعهم الى حد كبير ، وبلغ سوء معاملتهم منذ عهد فليپ الثاني (١٥٥٦ ــ ١٥٩٨) الذروة ، فقد اتبع أبشع الأساليب معهم لاجبارهم على ترك لغتهم القومية ومعتقداتهم الدينية وعاداتهم الموروثة ومنعوا حتى من استخدام الأسماء العربية وأصبح العديد من المخطوطات والمؤلفات الاسلامية القيمة طعمة لنيران محاكم التفتيش في عهده ، وأصدر خلفه فليپ الثالث في العام ١٦٠٩ مرسوماً يقضي بابعاد جميع المسلمين [اكثر من نصف مليون نسمة] من اسپانيا فتوجهوا تحت تهديد السلاح الى اقطار المغرب العربي مما أضر الى حد كبير باقتصاديات البلاد ، لأنهم عرفوا بمهارتهم الحرفية وخبراتهم الزراعية . وقد اتبع العثمانيون سياسة مشابهة لتلك مع الاكراد ومع الأرمن بشكل خاص . ولئن كان

اليوم[٥٢] ، وكان ذلك في الوقت نفسه جزءاً من سياسة عامة عانت منها جميع شعوب الأمبراطورية وتمكن أعداء العثمانيين من استغلالها بسهولة لصالحهم.

وفضلا عن كل ذلك فان الجيش العثماني شرد وطرد معظم سكان مناطق دياربكر وموش وبدليس من مواطنهم تحت ستار متطلبات القتال ، فاضطر الكثير من هـؤلاء للجوء الى مدن كحلب والموصل يعيشـون فيها في حر الصيف وبرد الشتاء على أرصفة الشوارع ويأكلون تحت وطأة الجوع جيف الحيوانات الفاطسـة في تلك الأنحـاء بل وحتى جثث الموتى من ذويهم[٥٣] الذين هلكوا بدورهم من شدة الجوع .

ومن جانب آخر أدت السياسة الاقتصادية للاتحاديين في سنوات الحرب الى الحاق الدمار بجميع أصقاع الأمبراطورية بما فيها المناطق الكردية . ففي تلك السنوات تضاعفت الديون الخارجية للدولة العثمانية بمقدار ثلاث مرات (من ١٥٣٫٦ مليون ليرة الى ٤٦٥٫٧ مليون) ، والأنكى من ذلك أن أكثر من نصف هذه المبالغ جاء من ألمانيا على شكل معدات حربية بالأساس . وتعطي ميزانية الدولة في سنوات الحرب صورة أكثر قتامة . فقد كان المتوقع أن تبلغ واردات الدولة للسنة المالية ١٩١٦ ــ ١٩١٧ ، ٢١ مليون ليرة على

=

حكام اسبانيا اتخذوا من الحرص على الديانة المسيحية حجة لما اقدموا عليه ، فان حكام الأمبراطورية العثمانية قلبوا العملة نفسـها وجعلوا من الحرص على الاسلام حجة رئيسة لهم في تعاملهم مع الأرمن .

(٥٢) للتفصيل راجع الفصل الخامس .

(٥٣) تحدث عدد من المؤرخين عن المحن والمصائب الكثيرة التي اصابت الشعب الكردي في سنوات الحرب ، ومن هؤلاء الأسـتاذ محمد امين زكي الذي شاهد الكثير منها بام عينيه (راجع : محمد امين زكي ، المصدر السابق ، الص ٢٧٣ ــ ٢٨٠) .

أن لاتزيد مصروفاتها عن ٣٢ مليون ليرة،بينما لم تتجاوز الواردات في الواقع ١٩ مليون ليرة وارتفعت المصروفات بالمقابل الى ٧٥ مليون ليرة ، وهذا يعني أن العجز السنوي للميزانية خلال الحرب بلغ ٥٦ مليون ليرة بدل ١١ مليون ليرة حسب « تخطيط » وزارة المالية[٥٤] .

وقد تحول الغلاء الفاحش الى أسوأ ظاهرة للأزمة الخانقة التي بدأ يعاني منها الاقتصاد العثماني طيلة سنوات الحرب ، ومن شأن نماذج قليلة اعطاء صورة واضحة عن مدى عمق المأساة التي بدأ يعيشها سكان الأمبراطورية . فحتى العام ١٩١٧ ارتفع سعر الخبز أكثر من اثنتي عشرة مرة بالقياس مع العام ١٩١٣ ، وارتفع سعر اللحم خلال الفترة نفسها بمقدار ثلاث مرات والرز بمقدار خمس عشرة مرة والدهن بمقدار يزيد عن اثنتي عشرة مرة وارتفع سعر النفط بمقدار يزيد عن خمس عشرة مرة . وفي العام ١٩١٨ أصبحت لوحة الأسعار بهذا الشكل المفزع : حقة[٥٥] اللحم أصبحت تباع بـ ١٣٠ قرشاً بدل ٣٠ قرشاً كان سعرها في العام ١٩١٧ ، وخلال السنة نفسها ارتفع سعر حقة الرز من ٤٥ الى ٩٠ قرشاً والدهن من ٢٠٠ الى ٤٠٠ قرش بعد ان كانت الحقة تباع في العام ١٩١٣ بـ ١٦ قرشاً فقط[٥٦] . ولم يقتصر ارتفاع الأسعار في الواقع على الحاجيات الحياتية الضرورية كالخبز واللحم فحسب ، بل ان آثاره امتدت الى حاجيات أخرى أصبحت تدخل في عداد الكماليات النادرة بسبب ارتفاع أثمانها الفاحش ، فقد ارتفع سعر القهوة مثلا

(٥٤) للتفصيل راجع : A. F. Miller, Op. Cit., P. 70.

(٥٥) الحقه تعادل ١ر٢٥ كيلو غراماً .

(٥٦) الأرقام والنسب المذكورة احتسبت بالاستناد الى المعلومات التي أوردها البروفيسور ميللر في كتابه (A. F. Miller, Op. Cit., PP. 70 — 71).

بمقدار ٧٠ مرة عما كان عليه قبل الحرب[٥٧] . والى جانب الأسعار الخيالية هذه كانت الحاجيات نفسها غير متوفرة بشكل يمكن من تلبية الحد الأدنى من طلبات الناس ، لذا صار وقوف الطوابير الطويلة أمام المخابز والمخازن وكذلك تدخل رجال الشرطة من المظاهر المألوفة منذ الأيام الأولى لاعلان الحرب[٥٨] .

وزاد الركود الذي أصاب تجارة تركيا الخارجية من ثقل الضائقة المالية في كل البلاد . فقد انخفضت وارداتها من ٤٢ مليون ليرة في العام ١٩١٣ الى ٧ر٤ مليون ليرة فقط في العام ١٩١٨ ، أما صادراتها فقد انخفضت خلال الفترة نفسها من ٢١ مليون ليرة الى ٥ر٥ مليون فقط[٥٩] . وقد دفع هذا الهبوط الكبير معظم التجار الكومبرادور الى سوح السوق السوداء للتعويض بذلك عن جانب من خسائرهم الكبيرة فتحول الأمر بشكل غير مباشر الى عبء جديد على كاهل فقراء الناس وذوي الدخل المحدود .

ومما زاد أكثر فأكثر آثار هذه الأوضاع المؤلمة ونتائجها موقف القسم الأعظم من المسؤولين الاتحاديين الذين استغلوا ظروف الحرب للاثراء بأساليب جد رخيصة على حساب الشعب والوطن ولقمة عيش الأطفال الذين كان آباؤهم يخرون صرعى بالآلاف في جبهات القتال المختلفة دفاعا عن الوطن في أحرج مراحل تأريخه . وهنا أيضاً يمكن الركون الى نماذج قليلة لتقديم صورة مجسمة عن الواقع المخزي . فمثلا تم في العاصمة استانبول

---

(٥٧) راجع :
Ahmed Emin, Turkey in the World War, New Haven, 1930, PP. 147 — 148.

(٥٨) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 86.

(٥٩) A. F. Miller, Op. Cit., PP. 71 — 72.

تأسيس ما سمي بـ « جمعية الأصـناف » لتنظيم شؤن الحاجيات الحياتية الضرورية وعلى رأسها المواد الغذائية في ظـل الظروف الجديدة ، الا أنها تحولت في الواقع الى مؤسسة احتكارية أو سوق سوداء « رسمية » ضمنت أرباحاً خيالية لعدد قليل من المسؤولين على حساب جماهير الشعب ، وكان في مقدمة المستفيدين من الجمعية قره كمال الذي لم يكن سوى أحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب الاتحـاد والترقي وقد نظم الأمور بشكل يؤدي الى انتقال مئات الألوف من الليرات من أرباح الجمعية الى خزينة الدولة العامة وتذهب الملايـين الى بعض الجيوب الخاصة . كما تحـولت ألاعيب وزير التموين اسماعيل حقي توپال (الأعرج) ومحرر جريدة الاتحاديين « تنين » حسين جاهد والصحفي المعروف أحمد أمين وغيرهم من الشخصيات الاتحادية البارزة وصفقاتهم الى حديث مجالس الخواص والعوام . ولم يكن غريباً أن تظهر في سـنوات الحرب العصيبـة ، ولكن بفضـل هذه الظروف ، محلة راقية جديدة في استانبول اختارت حكمة الناس لقصورها أسماء معبرة تدل على مصادرها مثل « شكر پالاس » (قصر السكر) و « كيميور پالاس » (قصر الفحم) و «جوال پالاس » (قصر الأكياس)[٦٠] وما شابه ومنح الناس البسطاء قره كمال لقباً جاء في مكانه ــ « دكتاتور المؤن » (!!) . فمن ذا كان يجد في نفسه الشجاعة الكافية ويتجـرأ أن يقف بوجه هؤلاء بعد الدرس القاسي الذي تعلمه المخلصون من الاتحاديين من تجربة أحد رواد حزبهم أحمد رضا الذي كان يشغل منصب رئيس مجلس الأعيان في سنوات الحرب[٦١] . فعندما بلغ السيل الزبى ، وبعد أن تحولت صورة النظام الذي

---

(٦٠) حتى الاكياس الفارغة تحولت الى مصـدر رزق حرام بالنسبة لعدد من المتنفذين .

(٦١) بعد انتصار ثورة العام ١٩٠٨ عين احمد رضا أول رئيس لمجلس النواب ــ

كان يحلم به الى صفحة قاتمة في تأريخ بلاده الحافل تجرأ أحمد رضـا واتهم الجهاز الاداري في العاصمة بالفساد فما كان عليه الا أن ... يقضي ٢٤ ساعة فقط في التوقيف ، فكان طبيعيا أن لايكرر هو أو غيره مثل « خطيئته »[٦٢].

أدت المشاكل الاقتصادية ومآسي الحروب المتكررة التي خاضتها الدولة الى تفاقم المشاكل الاجتماعية في طول البلاد وعرضها ، وكان بسطـاء النـاس ضحاياها الأبرياء . وها نحن ننقل هنـا صورة على لسـان واحد من هؤلاء الضحايا بسيطة في مظهرها الا أنها عميقة في محتواها . ففي حديث جرى بـين الروسي گردليڤسكي وجندي أسير من الجيش العثماني ، قال الأخير :

« انك تسألني لماذا لم أتزوج ، وأنـا أقول : وهل كان لدي وقت لذلك ؟ . بدأت حرب طرابلس فوقعـت في أسر الطليـان ، ثم في حرب البلقـان وقعـت في أسر البلغـار ، وها أنـا الآن في أسر الروس »[٦٣] .

وبالرغم من أن آثار هذه المآسي كانت عـامة بالنسبـة لجميـع أجزاء الأمبراطورية العثمانية ، الا أن ظروفاً خاصة جعلت من بعض أقسامها تعاني من ويلات الحرب أكثر من غيرها . وتدخل كردستان ضمن هذه الأخيرة ، ذلك لأنها تحولت ، كما رأينا ، الى أحد ميادين القتال الرئيسة في الشرق الأوسط . ثم انها بالاضافة الى ذلك كانت متخلفة أكثر من غيرهـا فلم تكن اقتصادياتها

=

الجديد ، الا انه عرف بضعف شخصيته وبقلة تأثيره على سير الأحداث (للتفصيل عنه راجع :

E. E. Ramsaur, Op. Cit., PP. 22 — 26, 35 — 40, 94, 129).

(٦٢) للتفصيل راجع : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 70 — 71.

(٦٣) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 107.

تتحمل ضربات كتلك التي جلبتها أحداث الحرب معها • كما أن وجود قطعات من جميع الجيوش المتحاربة تقريباً على أرض كردستان زاد تفاقم وضعها الاقتصادي ، وكانت القطعات العثمانية نفسها تشكل أكبر عبء على كاهل الناس ، ولاسيما وأن الجيش أعطي حق جمع ضريبة العشر من الناس منذ بداية الحرب[٦٤] وذلك من أجل سد جانب من احتياجات قطعاته •

يمكننا في الواقع عرض مئات الصور المؤلمة عن آثار مآسي الحرب في كردستان حيث راحت عشرات الألوف من أبنائها كبوش فداء للجوع والأمراض والدمار • وعلى سبيل المثال فمن مجموع اثني عشر ألف شخص كانوا يقطنون عشرين قرية في احدى مناطق كردستان الشمالية مات في الأشهر الستة أو السبعة الأولى من الحرب حوالي ثمانية آلاف شخص[٦٥] • بل ان منطقة مثل كردستان الجنوبية التي كانت من أبعد المناطق الكردية عن لظى الحرب ومآسيها ، أصابتها ويلات كثيرة تنقل فيما يلي نماذج قليلة منها : انخفض عدد السكان في مدينة السليمانية حتى نهاية الحرب الى الثلث • وبنفس النسبة بل وأكثر منها انخفض عدد السكان في القرى المحيطة بها[٦٦] ، واضطر أكثر من نصف السكان في بعض المناطق الأخرى الى ترك بيوتهم بسبب الجوع والأمراض ومظالم المحتلين[٦٧] واضطر قسم كبير منهم للانتقال الى ضواحي ديالى والخالص والمقدادية وغيرها[٦٨] ، ولم يكن الوضع في

(٦٤) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., p. 258.

(٦٥) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 314.

(٦٦) راجع : C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 81.

(٦٧) راجع : A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, P. 266.

(٦٨) راجع : « تيكه‌يشتنى راستي » ، العدد ١٥ ، ١٩ شباط ١٩١٨ •

رواندوز أحسن بحال من الأحوال[٦٩] .

شهدت المناطق الكردية موجة غلاء لم تر لها مثيلاً من قبل ، وقد شملت حتى المنتوجات المحلية التي كانت الى ما قبل الحرب تفيض عن حاجة السكان، كما امتدت أيضاً الى المناطق التي لم يكن ضغط المحتلين عليها كبيراً . ففي كردستان العراق ارتفع سعر القمح بما يزيد سبع مرات بالمقارنة مع ما كان سائداً في أسوأ فترات المجاعة التي مرت بها المنطقة في أواخر القرن الماضي[٧٠] . ومن الجدير بالذكر أن الانكليز حاولوا استغلال هذه الأوضاع بذكاء ، فقد قاموا، من جهة، بتشغيل المشردين حيثما كانوا بحاجة الى الأيدي العاملة لانجاز الأعمال الضرورية لتحركات قطعاتهم نحو الشمال والشمال ــ الشرقي من البلاد بل وحتى في أعمال السكك والميناء في أقصى الجنوب ، كما أبدوا بعض المساعدات لغيرهم. وجعلوا ذلك ، من جهة أخرى ، موضوعاً مهماً ضمن حملتهم الدعائية لكسب الأكراد واثارتهم ضد العثمانيين . كتبت جريدة « تيگەیشتنی راستي » في تعليق لها على تشغيل الأكراد ، تقول : « كم من المرات أكدنا أن الاتراك ينوون ابادة العرب والكرد والأرمن والروم (!)[٧١] ، فعلى كل من له عقل أن ينقذ نفسه من هؤلاء الظالمين قبل أن يقوموا هم بالقضاء عليه »[٧٢] . وفي عدد آخر حرضت الجريدة الفقراء على الانتفاض

(٦٩) للتفصيل راجع : حسين حزني المكرياني ، موجز تاريخ امراء سوران ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، بغداد (بلا) ، الص ٨٣ ، او الأصل الكردي : بەكورتي ميژوى ميرانى سوران ، هەولير ، ١٩٣٥ ، ل ١٠٢ ــ ١٠٣ .

(٧٠) اشارت الى ذلك « تيگەیشتنی راستي » واعطت بعض الأرقام المقارنة حول الموضوع (« تيگەیشتنی راستي » ، العدد ١٥ ، ١٩ شباط ١٩١٨) .

(٧١) علامة التعجب وضعت من قبلنا .

(٧٢) « تيگەیشتنی راستي » ، العدد ١٤ ، ١٦ شباط ١٩١٨ .

« أسوة بفقراء النمسا وألمانيا » ودعت الجنود الأكراد للالتحاق مع أسلحتهم باخوتهم واستغلال فرصة انشغال القوات العثمانية في الجبهات الأخرى « لاثارة حركة واسعة » من أجل الانعتاق ، فمن الأفضل « أن يموت الانسان في سبيل الوطن بدلا من أن يقتله العدو جوعاً » ، ولم يفت الجريدة بالطبع تحديد مفهوم ذلك الانعتاق في عدد آخر عندما أكدت أنه « في كردستان والموصل يموت عدد كبير من الناس جوعاً » بسبب العثمانيين والألمان ، بينما « جيوب الجميع مليئة وبطونهم شبعى » في بغداد بفضل الانكليز[٧٣] .

هكذا بات الألوف وعشرات الألوف من أبناء الشعب الكردي ضحايا للحرب العالمية الأولى . وقد قدر الأستاذ محمد أمين زكي عدد هؤلاء بحوالي نصف مليون شخص ، ولايستبعد أبداً أن يكون العدد أكبر ، فحسب المعلومات التي وردت في كتاب الدكتور م. س. لازاريف والتي استخلصها من الوثائق الدبلوماسية للعهد القيصري ، انخفض عدد أفراد الأسر المتكونة من ٢٠ ــ ٣٠ شخصاً ، الى ثلاثة أو أربعة اشخاص في سني الحرب في العديد من المناطق[٧٤] . وفضلا عن ذلك ، فقد أدت الحرب الى تدمير الحياة الاقتصادية للمناطق الكردية من أساسها وكان أحد الأسباب الرئيسة لذلك ، الشلل الذي أصاب قوة العمل فيها . فمن جهة سيق كل القادرين على العمل الى سوح القتال أو انهم هربوا من مواقع أعمالهم والتجأوا الى الجبال ، ومن جهة أخرى وضع الجيش العثماني اليد على معظم الدواب في هذه المنطقة والتي كان قسم كبير منها يستخدم في مجال الانتاج الزراعي ، لذلك لم يبق من يعمل في الحقول الا الشيوخ والنساء والأطفال ، بل ان كثيراً ممن كانوا مايزالون

(٧٣) « تيگەیشتنی راستی » ، العدد ١٤ ، ١٦ شباط والعدد ١٥ ، ١٩ شباط والعدد ١٩ ، ٥ آذار والعدد ٢٠ ، ١١ آذار والعدد ٢٨ ، ١٣ أيار ١٩١٨ .

(٧٤) M. S. Lazarev, Kurdistan . . . , P. 314.

يطيقون العمل الى حد ما تركوا قراهم لأن مـا كان يبقى لهم من نـاتج عملهم لم يكن يكفي لسد رمقهم فساروا الى المدن الكبيرة أو القواعد العسكرية او المنشآت التي كانت تبنى لأغراض الحرب ، بحثاً عن لقمة العيش • ونتيجـة لهذه العوامل كلها فقد أهملت أراض واسعة في سني الحرب ، ففي كردستان الجنوبية أهمـل أكثر من ٥٠٪ من الأراضي التي كانت تزرع قبـل الحرب • وهكذا هبط انتاج المحاصيل الزراعية في المناطق الكردية هبوطـاً تاما • أما النزر اليسير من المحاصيل والذي كانت تنتجه البقية الباقية من الأيدي العاملة بصعوبة بالغة ومشقات لاتتصور ، فقد كان محرما على المواطن العادي مادام هناك الجيش العثماني الذي لم يكن يتردد في نهبه أو كان يفرض على أصحابه بيعه له مقابل أسعار بخسة ويدفع لهم في الغالب نقوداً لارصيد لها(٧٥)• وكان وضع المواشي أكثر سوءا فقد هلكت أو استولى عليها الجندرمـة والجنود ، حتى ان القبائل الكردية من المناطق الشمالية والتي التجأت بمواشيها الى مراعي منطقة أربيل والموصل ، لم تتحمل مواشيها الظروف المناخية الجديدة ، فنفق الكثير منها(٧٦)• وتضررت غابات مناطق عديدة من كردستان من جراء تصرفات

---

(٧٥) اضطرت بعض الدول ، تحت وطأة الوضع الاقتصادي المرهق ، الى اصدار الأوراق المالية دونما رصيد مما ادى الى انخفاض اسـعار عملتهـا بدرجة كبيرة . فقد انخفض سعر الأوراق المـالية العثمانية بالقيـاس الى العملة الذهبية بمقدار خمس مرات حتى العام ١٩١٧ •

(٧٦) راجع :

((League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq)), Geneva, 1924, P. 42.

لا تتوفر احصاءات كافية لتحديد خسائر المناطق الكردية بشكل دقيق، ولكن يمكن تكوين فكرة واضـحة عن الموضـوع من خلال القاء نظرة على خسـائر تركيا نفسـها . فاذا كانت الثروة الحيوانية في تركيا بلغت في العام ١٩١٣ ، وبالرغم من جميع النكسـات التي أصابت البلاد قبيل الحرب ، حوالي ٤٠ مليون رأس ، فانها انخفضت في نهاية الحرب الى ما لايزيد عن

أفراد الجيش الذين لم يترددوا في قطع أثمن اشجارها لأغراض الطبخ والتدفئة بشكل خاص ، ولم يكن أمـــام هؤلاء البؤساء مخرج آخر في واقـــع الأمر في ظروفهم الصعبة للغاية تلك[٧٧] .

أدت العوامل المذكورة مجتمعة الى أن يعم المناطق الكردية قحط شديد شمل كل مدينة وقرية ومنزل ، واضطر الناس للاقتيات بأعشاب البراري. وكما يروي الأستاذ رفيق حلمي ، وهو شاهد عيان ، فـــانه « حتى الخبز اليـــابس والباقلاء المسلوقة باتا نادرين كالدواء، ولم يكن يحصل عليهما الا المحظوظون،

=

١٩ مليون راس فقط. ومما زاد آثار هذا النقص الكبير أن دواب العمل (الثيران والجواميـــس) هي التي قلت أكثر من غيرها ، بحيث انخفض عددها من حوالي ثلاثة ملايين في العام ١٩١٣ الى حوالي ٣٨٠ الف راس فقط في نهاية الحرب .

اما فيما يخص الأرض الزراعية فانها تقلصت على صعيد الامبراطورية (بدون البلدان العربية) من ٦٤ مليون دونم في العام ١٩١٣ ــ ١٩١٤ الى ٢٥ مليونا في العام ١٩١٦ ، وبصعوبة بالغة أصبح بالامكان رفع هذا الرقم الى ٣٠ مليونا في العام ١٩١٧ . فكان من الطبيعي بالتالي ان ينخفض انتاج التبغ مثلا من ٤٩ الف طن الى ١٨٫٥ الف طن ، وانتاج القطن من ٢٤ الف طن الى الفي طن فقط ، كما تقلص انتاج الفواكه بالنسبة نفسها او اكثر (للتفصيل راجع : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 69 — 70)

(٧٧) لا تتوفر احصاءات عن الخسائر التي اصابت غابات كردســتان ، ولكن الجنود لجأوا الى العملية نفسها في مناطق أخرى كثيرة مما ادى الى تدمير غابات وبسـاتين واسعة ويمكن قياس ما جرى في كردستان عليها للحصول على صورة مقاربة . ففي سوريا مثلا تم حتى نهاية الحرب قطع أشجار حوالي ٦٠٪ من بساتين الزيتون فيها . لم يكن أمام الجنود العثمانيين مخرج آخر في ظروفهم القاسية تلك ، كما ذكرنا ، فان الواحد منهم كان يتسلم في جبهة العراق مثلا ما لا يزيد عن ٣٥٠ غراماً من الخبز في اليوم، ولم يكن في الامكان كذلك اعطاء أكثر من كيلوين ونصف الكيلو من العلف للدابة الواحدة في اليوم (للتفصيل راجع :
G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 263 — 264).

بل حتى ان ذلك أيضا كان أمراً بعيد المنال » و « لم يعد بوسع الدوائر البلدية دفن الموتى » وقلة من النسوة كن يستطعن أن يعشن عيشة ضنكة بعض الوقت وذلك « عن طريق الاتجار باجسادهن »(٧٨) .

وقد حاولت فئات كردية معينة استغلال ظروف الناس القاسية للاثراء على حسابهم ، فحقق بعض رؤساء العشائر والتجار الأكراد، مثل سواهم، مكاسب مادية ملموسة في سنوات الحرب . كما أن السلطـة العثمانية نفسهـا اتبعت سياسة كان من شأنها فسح المجال أمام رؤساء العشائر وكبار الملاكين لتوسيع امكاناتهم(٧٩) ، ولئن ظلت آثار اجراءات السلطة في هذا المجال محدودة بالنسبة لكردستان ، فان عاملا آخر لعب دوره في اثراء عدد من المتنفذين الأكراد . فقد حاولت جميع الجهات المتنازعة كسب ود هؤلاء ولم تبخـل أي منهـا في صرف الأموال من أجل تحقيق ذلك ، حتى ان هذا الأمر تحول الى عامل فعال جديد لتعميق التناقضات القبلية في كردستان . فعلى سبيل المثال احتدم النزاع في العام ١٩١٧ بين العشائر الكردية الايرانية الموالية للانگليز وتلك التي كانت تؤيد الألمان والعثمانيين ، فقامت عشيرة كلهور وعشـائر غيرها بالاعتداء على عشائر كردية أخرى منها عشيرة سنجاوي وذلك بتحريض من الانگليز الذين تمكنوا من شراء ذمم رؤساء العشائر المعتديـة(٨٠) . وحقق بعض التجار

(٧٨) رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، الص ٣٠ — ٣١ .

(٧٩) منح الاتحاديون كبار الملاكين بعض الامتيازات الجديدة في سنوات الحرب (للتفصيل راجع :

Новичев А.Д., Крестьянство Турции в новейшее время, Москва, 1959, стр.13.

أ. د. نوفيچيف ، فلاحو تركيا في العصر الحاضر، موسكو ، ١٩٥٩ ، الص ١٣ .

(٨٠) للتفصيل راجع : Kurd — Oghlu, Op. Cit., P. 110.

الأكراد وبأساليب مختلفة مكاسب مادية في سنوات الحرب ظلت محدودة بالمقارنة مع ما حققه غيرهم في معظم المناطق الأخرى وذلك بحكم انخفاض مستوى المعيشة في كردستان أكثر من غيرها . وعلى أي حال فقد أسهمت هذه الظروف في تعميق التناقضات الاجتماعية بشكل أو بآخر في المناطق الكردية . ومن الطريف أن نذكر أن جريدة « تيگەيشتنى راستي » اعترفت بهذه الحقيقة بكل صراحة فرأت من الواجب التوجه الى الفقراء لحثهم على الانتفاض ضد الاتحاديين حيث « ان الاغنياء بلغوا مآربهم » ولذا فانهم «يحبون أرواحهم أكثر من الشعب الكردي ، بل أكثر من الدنيا بأسرها»(٨١) .

ولم يكن دور السياسة الضريبية للدولة في تردي الوضع الاقتصادي للفئات الاجتماعية الكردية الدنيا ، شأنها في ذلك شأن الفئات الشبيهة لها في كل الأمبراطورية العثمانية ، دورا ثانويا . فبالرغم من صعوبة الظروف المعاشية للناس ، وبالرغم من تذمر الناس أصلا من الضرائب القائمة ، لجأ الاتحاديون في سنوات الحرب الى وضع ضرائب جديدة طارئة والى زيادة القديمة منها ، فضريبة الأغنام مثلا زيدت بمقدار أربع مرات(٨٢) وكان هذا بحد ذاته كافيا ليدفع العديد من أصحاب الحيوانات الأكراد للانتقال الى المناطق التي لم تكن تخضع لسيطرة القوات العثمانية .

ومما كان يزيد وطأة هذه الأوضاع الأسلوب الفظ الذي غالبا ماكان المحتلون يلجأون اليه في تعاملهم مع بسطاء الناس ومع أولئك الذين كانوا يرفضون التعاون معهم . ففي كثير من المناطق الكردية الايرانية أطلق الجندرمة العثمانيون أيديهم في حياة الناس دونما رحمة أو شفقة . وعلى سبيل المثال

(٨١) « تيگەيشتنى راستي » ، العدد ١٥ ، ١٩ شباط ١٩١٨ .

(٨٢) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., PP. 264 — 265.

شنقوا في احدى المناطق الكردية اثنين من الرؤساء هما محمد حسين خان سقزي وابنه سيفالدين خان وذلك بعد اعلان الحرب مباشرة وتركوا جثتيهما معلقتين عدة أيام ارعاباً للناس في تلك المناطق . ولم يقم الروس بأقل مما قام به العثمانيون . ان كلمة « مسقوف »[٨٣] انما هي من مخلفات تلك الأيام المظلمة[٨٤] .

وقبل أن نأتي على نهاية هذا الموضوع من الضروري أن نشير كذلك الى أنه كان للكرد أيضا نصيبهم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بالجيش العثماني في سنوات الحرب من جراء أحداثها المؤلمة ومعاركها الطاحنة ، فبالرغم من أن قسماً كبيراً من الجنود الأكراد تركوا صفوف الجيش ، ولاسيما عندما أوشك أن تنتهي الحرب ، الا أنهم تمتعوا مع ذلك بحق المساواة في تقديم الضحايا ، وخاصة لأن القطعاتالتي كان الجنود الأكراد يؤلفون نسبة كبيرة فيها خاضت معارك حاسمة في بداية الحرب ، وأن العديد من العشائر الكردية اشتركت في الكثير من تلك المعارك كما جرى في موقعة ساري قاميش التي تطرقنا الى تفاصيلها في الفصل السابق . أما خسائر القوات العثمانية في الحرب فتقدر

(٨٣) الكلمة ماخوذة من (مسكوفي) أي المنسوب الى موسكو . ماتزال العجائز الكرديات في العديد من مناطق كردستان يتذكرن كيف أن الروس ماكانوا يسمحون بأكثر من سكينة واحدة لكل سبع أسر. وقد سجل ارنولد ولسن في الجزء الأول من كتابه ان أي منطقة دخلها الجيش الروسي بات سكانها حاقدين عليه (راجع :
A. T. Wilson, Loyalities Mesopotamia, P. 162).

(٨٤) يذكر الأستاذ حسين حزني المكرياني أن الجيش الروسي لم يبق الا على منازل قليلة في مدينة رواندوز ، وتلك هي المنازل التي كان يحتاج اليها لأغراضه الخاصة ، واحرق ماعداها دفعة واحدة (راجع : حسين حزني المكرياني ، المصدر السابق ، الص ٨٣) . اغلب الظن أن مايذكره المؤلف انما كان من عمل المتطوعين الارمن الذين رافقوا القطعات الروسية .

بحوالي ٦٠٠ ألف شخص بما في ذلك حوالي ٤٠٠ ألف من القتلى أو من الذين ماتوا متأثرين بجروحهم ، وحوالي ١٠٠ ألف من الجرحى و ٨٠ ألف من الأسرى والمفقودين(٨٥) .

يعطي كل ما سبق امكانية القول ان سنوات الحرب العالمية الأولى الأربع لم تجلب للجماهير الكردية ولبلادها بل وحتى لعدد غير قليل من الملاكين والتجار الأكراد سوى الدمار والتشرد والأمراض والهلاك. ولا نجانب الحقيقة اذا ما أكدنا أن أيا من شعوب الشرقين الأدنى والأوسط لم يعان من جراء الحرب ما عاناه الأرمن والآثوريون والكرد من بؤس وشقاء وتعاسة . والأنكى من ذلك أن المسؤولين العثمانيين كانوا يسعون بكل وسيلة لأن يمسحوا أيديهم الملطخة بدماء الأرمن بأيدي الكرد المشدودة الوثاق وهو ما نتحدث عنه في الفصل التالي بشيء من التفصيل .



(٨٥) راجع : A. Emin, Op. Cit., P. 252. بعض المصادر تعطي ارقاما اقل من تلك (راجع مثلاً : A. D. Novichev, Turkey..., P. 130).

الفصل الخامس

الكرد والدم الارمني المراق

يؤلف الأرمن واحدا من أقدم شعوب منطقة الشرق الأوسط . وتقع بلاد الأرمن ، أرمينيا أو أرمنستان ، الى الشمال من منابع الفرات عند بحيرة وان ، أي أنها تحادد كردستان . كان للشعب الأرمني ، منذ الأزمنة السحيقة في القدم ، دولته المستقلة وحضارته المتقدمة[1] . وقد انتشر الدين المسيحي بين الأرمن منذ القرن الرابع . واللغة الأرمنية واحدة من اللغات الهندو ـ أوروبية المستقلة القديمة .

يتشابه تأريخ الأرمن والكرد والأحداث التي مرت على الشعبين من عدة وجوه . فلم يستمر استقلال الشعب الأرمني أيضا أمدا طويلا . ومنذ أن خسر سيادته على أرض بلاده وقع هو الآخر في قبضة الأجانب وغدا وطنه جزءا من مملكة الرومان . كما أنه وقع كذلك في أيدي الايرانيين مرات عديدة . وفي العام ٣٨٧ ب. م قسمت بلاده بين الدولتين الساسانية الايرانية والبيزنطية . وفي بداية القرن الثامن صارت أرمينيا جزءا من الأمبراطورية

(١) تأسست اول دولة ارمنية مستقلة في القرن السادس ق. م. كان للارمن في العصور القديمة والوسطى حضارتهم الزاهرة،ولهذه الحضارة مكانة بارزة في تأريخ الشرق الأوسط .

العربية ــ الاسلامية • وفي منتصف القرن الحادي عشر وقعت من جديد في قبضة البيزنطيين ثم السلاجقة الذين تسببوا للشعب الأرمني في محن كثيرة• وحمل اليه التتر والمغول في أواسط القرن الثالث عشر قدرا غير يسير من الدمار والخراب والمصائب • وفي الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر كانت أرمينيا احدى أهم ميادين التوتر والحروب العدوانية بين الدولتين العثمانية والصفوية ، مما جلب للأرمن مزيدا من التخلف • وقد شرد الشاه عباس الصفوي وحده عشرات الألوف من الأرمن من أرض آبائهم وأجدادهم[٢] • وفي العام ١٦٣٩ قسمت أرمينيا نهائيا ، وألحق القسم الشرقي منها بالدولة الصفوية ، كما أعطي قسمها الغربي للدولة العثمانية[٣]• وتتيجة لهزيمة الايرانيين في حربهم مع الروس في الأعوام (١٨٢٦ ــ ١٨٢٨) التي أسفرت عن عقد معاهدة (تركمان چاى) بين الطرفين في العام ١٨٢٨ ، أصبحت أرمينيا الشرقية جزءا من روسيا[٤] •

تعود العلاقات بين الأرمن والكرد ، بوصفهما شعبين يعيشان في وطنين متجاورين ، الى عهد قديم ، عهد الميديين • الا أن تلك العلاقات كانت منذ الفتح الاسلامي ، وبصورة خاصة منذ أن صارت أرمينيا ، شأنها شأن كردستان ، جزءاً من ايران والدولة العثمانية ــ عرضة لتغيرات ايجابية أو سلبية مستمرة •

---

(٢) شرد هذا الشاه نفسه ، العديد من القبائل الكردية عن بلادها (للتفصيل راجع : محمد امين زكي ، المصدر السابق ، الص ١٥) .

(٣) قسمت كردستان قبل ذلك بحوالي قرن ، اي في العام ١٥١٤ ، بين ايران الصفوية والدولة العثمانية .

(٤) في تلك السنة نفسها انضم جزء من الشعب الكردي الى روسيا ، ومعظم اكراد الاتحاد السوفياتي اليوم هم احفاد هؤلاء .

فقد كانت هناك عوامل تبعد الشعبين ، أو بتعبير أدق بعض الطبقات من الشعبين ، عن بعضهما . كما كانت هناك عوامل أخرى تقرب بينهما . كان الدين أحد العوامل المفرقة أو الفاصلة بينهما على الأقل . الا أن اختلاف الدين لم يصبح ، و الى فترة طويلة ، وفي الحقيقة حتى ظهور عوامل أخرى مساعدة ، سببا لظهور الخلافات والتناقضات بين الأرمن والكرد ، أو بين الكرد والشعوب المسيحية الأخرى في المنطقة[٥] .

كان هناك سبب آخر يفصل الشعبين عن بعضهما ، ألا وهو تقدم الأرمن بالقياس الى الكرد . لقد مر هذا الشعب بمرحلة العبودية منذ زمن بعيد وأقام أسس حضارته واستقلاله في هذه المرحلة ، واجتاز عهد الاقطاع قبل الكرد بمدة طويلة وسنحت له الفرصة في القرون الوسطى أكثر من مرة للتمتع بالاستقلال ، وكان له أدبه المتطور وأبجديته المتميزة[٦] . ووقع جزء من وطنه تحت سيطرة دولة أوروبية متقدمة ، بدلا من أن يكون جزءا من بلد آسيوي متخلف . ولأسباب عديدة سبقت أرمينيا كردستان في الاندماج بالسوق الرأسمالية ، ولذلك فقد ظهرت العلاقات الجديدة في المجتمع الأرمني قبلها في المجتمع الكردي وتسببت له في حدوث تغيرات كبرى داخله .

(٥) اكد العديد من الكتاب الأجانب الذين تحدثوا عن الكرد ، بصورة خاصة، انهم ـ اي الكرد ـ قوم بعيدون عن التعصب ، مما ادى ، في رايهم ، الى أن يستطيع الآثوريون مئات السنين الحفاظ على دينهم وتقاليدهم في قلب كردستان .

(٦) ظل الأرمن يستعملون ابجديتهم الخاصة حتى بعد أن تعلموا اللغة التركية واخذوا يستخدمونها للكتابة ، فكانوا يكتبونها بالحروف الارمنية . ويذكر الدكتور استارجيان انه بصدور اول جريدة ارمنية في العام ١٧٩٤ اصبح الارمن عاشر شعب له صحافته . وبذلك سبقوا حتى الامريكان والأتراك (راجع : الدكتور ك. استارچيان ، تأريخ الثقافة والأدب الارمني ، الموصل ، ١٩٥٤ ، الص ١٣١) .

وبسبب من توطن الأرمن وسد أبواب الزراعة بوجههم الى حد ما منذ زمن بعيد[٧] ، فان الصناعات الحرفية المحلية ، شأنها شأن التجارة ، في كردستان، وقعت في أيدي الحرفيين الأرمن المعروفين بمهارتهم وخبراتهم الواسعة[٨] •

وكان عدد كبير من الاقطاعيين وملاك الأراضي والفلاحين الكرد يلجأون للحصول على أدواتهم الزراعية ووسائل انتاجهم الأخرى ولشراء البضائع الضرورية لهم الى أولئك الحرفيين • وعندما اندمجت كردستان بالسوق الرأسمالية وصارت النقود الواسطة الرئيسة لتنظيم العلاقات أصبح الأرمن الأثرياء أكبر مصدر للاستدانة والاستلاف • فكان الاقطاعيون والكادحون الفقراء في كردستان يتوجهون سوية ، عندما كان المال يعوزهم ، الى أولئك• وبديهي أنه لا يحدث قط أن يحب مدين دائنا من هذا النوع • كما لم يكن بوسع الحرفي الكردي الذي لم يستطع أن ينافس في عمله منتجات الحرفيين الأرمن، أن ينظر اليهم بعين المودة• وكثيرا ما كان يحدث أن ينهب الاقطاعيون الأكراد بطرائق لصوصية التجار الأرمن ويسلبوهم بضائعهم خشية أن يقعوا تحت أعباء ديونهم •

وفضلا عن ذلك فان الحركة التحررية العادلة للشعب الأرمني أصبحت

---

(٧) يتحدث المؤلف ، فيما بعد ، عن أسباب انسداد ابواب الزراعة بوجه الارمن ــ المترجم .

(٨) في مدينة كيواس ، مثلا ، حيث كان الارمن يشكلون قبل مذابحهم ٣٥٪ من السكان ، كان ١٢٥ تاجرا كبيرا مستوردا من مجموع ١٦٦ تاجرا [أي حوالي ٧٥٪ منهم] من الارمن . كما كان ٦٨٠٠ تاجر صغير من مجموع ٩٨٠٠ تاجر في هذه المدينة من الارمن ايضا . وكان ١٣٠ محلا حرفيا من مجموع محلاتها الحرفية البالغة ١٥٣ محلا ، يعود لحرفيين ارمن كذلك . اما في مدينة وان ، فكانت النسبة اكثر (راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan... , P. 36).

لأسباب عديدة ، ولفترة من الزمن ، سببا لأن يتوجس الأكراد بعض الخوف من نتائجها المتوقعة حسب مخططات الجنـاح المتطرف في الحركة المذكورة ، كما سنتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد •

الا أنه كان هناك ، بالمقابل ، بعض العـوامل الفعالة التي تقرب الكرد والأرمن عن بعضهم ، ولاسيما الجماهير الشعبية منهم • كان العامل الأكبر والأهم في هذا المجال وحدة الجهة التي تضطهد الشعبين معا وتحتل بلادهما ، فقد كان الكرد والأرمن يئنون سوية وبصورة متشابهة الى حد بعيد ، تحت وطأة حكم الشاهات الصفويين[٩] من جهة والسـلاطين العثمانيين من جهة أخرى • فالشاه عباس نفسه الذي حرم ألوف الأرمن من وطنهم ، هو نفسه الذي فعل بالكرد ما هو أدهى وأمر[١٠] • والسلاطين الذين سدوا كل أبواب الرقي والتقدم بوجه الكرد هم أنفسـهم الذين كانوا يوقفون عجلة التقدم بالنسبة للأرمن كذلك • ولاشك في أن هذا الوضـع كان مما يوحد مشاعر الكرد والأرمن ، وان كان قصـر النظر قـد حال في بـادىء الأمر دون أن يستوعب زعماء الشعبين أهمية تلكم الظروف التأريخية • غير أن هذه الحقيقة أخذت بعد حين تلعب دورها بصورة تدريجية في تقريب الشـعبين عن بعضهما كما نتحدث عن ذلك أيضا فيما بعد •

كان هناك عامل مهم آخر في هذا المجـال يترك أثره ويقرب الجماهير الشعبية في أرمينيا وكردسـتـان من بعضهـا • فقد كان الفلاحون وسـائر الكادحين الزراعيين من الشعبين يدفعون الضرائب الى خزانة واحدة ، وكانت وطأة هذه الضرائب تشتد عليهم يوما بعد آخر • وخير تعبير عن هذه الحقيقة

(٩) قبل أن تصبح ارمينيا الشرقية جزءا من روسـيا •

(١٠) راجع الهامش ٢ •

ما ورد في احدى الوثـائق التأريخية التي تعود الى ذلك العهد • ففي رسالة سرية أرسلها أحد زعماء الأرمن الدينيين من موش في الثالث عشر من تشرين الأول من العام ١٩١٢ الى الحبر الأعظـم للأرمن الكاثوليك ، تحدث ، ضمن ما تحدث عنه ، عن أن الكادحين الأرمن والكرد كانوا يعانون معا من وطأة جباة الضرائب ، فيقول في رسالته انه « فضلا عن كل ما نحن فيه من بؤس وشقاء ، فان قضية المظالم التي يرتكبها بحقنا الملتزمون قد أرهقتنـا الى حد كبير •• انهم ينهبون الفلاحين الأرمن والكرد معا بحجة (ضريبة العشر)[11]• فعندما يأتون الى الحقول لعدة أسابيع ، يأخذون الحنطة المدروسة لهم دون أن يكيلوها ويطالبون بضرائب أكثر حتى يأخذوا حصتهم »[12] • وهذا يعني أن الضريبة المجباة كانت تذهب ، عمليـا ، الى ثلاث جهات : خزينة الدولة وجيوب الملتزمين الكبار وجامعي الضريبة الصغار الذين كانوا يلتجئون الى

---

(١١) كان اطلاق اسم (ضريبة العشر) على هذه الضريبة مجرد تسمية . ففي حين كان المقدار الرسمي للضريبة ٦٣ر١٢٪ ، كانت في الواقع أكثر من ذلك ، وكان قسم كبير من اولئك الملتزمـين الذين يجمعـون العشر في كردستان وارمينيا من الأكراد .

(١٢) كانت هذه الرسالة رسـالة سرية وقد كتبت باللغة الأرمنيـة ، وكانت مكرسة للحديث عن حياة الأرمن . ومع ذلـك فلم يكن بوسـع كاتبها التمييز بين الفلاحين الأرمن والكرد (بشأن هذه الرسالة راجع :

"Геноцид Армян в Османской Империи", (Сборник документов и материалов под редакцией проф. М. Г.Нерсисяна), Ереван, 1966, стр.209-210.

« ابادة الأرمن في الأمبراطورية العثمانية . مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت اشراف البروفيسور م. گ. نيرسيسيان » ، يريڤان ، ١٩٦٦ ، الص ٢٠٩ ــ ٢١٠) (في الهوامش القادمة :

The Genocide of the Armenians ...).

أبشع الأساليب وأفظعها لجمع أكبر مقدار يزيد عن حصة الدولة المقررة • وهؤلاء الجباة كانوا اما من الشقاة أو يحيطون أنفسهم بعددٍ منهم •

وفي القرون الأخيرة بلغ الأمر حد أن الاقطاعي الذي كان يستغل الفلاح الكردي كان هو الذي يضطهد الفلاح الأرمني أيضا • فقد صارت الظروف موآتية بالنسبة للاقطاعيين الأكراد للاستحواذ ، بالتدريج ، على أراضي الفلاحين وحتى المتنفذين من الأرمن ، بحيث ان بعض المصادر الأرمنية تؤكد أن الآغوات الأكراد كانوا يشكلون الأكثرية من بين ملاكي الأرض في أرمينيا الغربية كلها التي لم يبق فيها ـ كما تؤكد المصادر نفسها ـ ملاكون أرمن متنفذون[١٣] • وفي ظل الحكم العثماني ، وبصورة خاصة بسبب من السياسة المتخلفة التي كان ينتهجها السلطان عبدالحميد الثاني ، كانت قبضة الاقطاعيين الأكراد على القرى الأرمنية تشتد وتتقوى • فكانوا يستوفون منهم الضرائب ، وكانوا يسمون هذه الضرائب ، بكل بساطة ، « ضريبة الكفر ! » ، وكان معظم الفلاحين الأرمن في أرمينيا الغربية مضطرين ليدفعوا ، فضلا عن الضرائب الحكومية الكثيرة ، اتاوات الى الاقطاعيين

(١٣) راجع على سبيل المثال :

Амбарян А.С., Аграрные отношения в Западной Армении (1856-1914), авт. док. дисс., Ереван, 1965, стр.15-16.

أ. س. امباريان ، العلاقات الزراعية في أرمينيا الغربية (١٨٥٦ ـ ١٩١٤) ، ملخص رسالة لنيل دكتوراه العلوم ، يريفان ، ١٩٥٦ ، الص ١٥ ـ ١٦ . من الضروري أن نلفت الأنظار الى أن المؤلف يدخل مناطق كردية كثيرة مثل خربوط ودياربكر وهكاري ضمن ارمينيا الغربية ، الا ان ذلك لايغير من حقيقة تغلغل المتنفذين الكرد في المناطق الارمنية نفسها .

الأكراد ، بل بلغ الأمر حد أن القساوسة وسائر رجال الدين كانوا مضطرين كذلك لدفع هذه الاتاوات . لم تقف مظالم الآغوات والاقطاعيين الكرد تجاه الفلاحين الأرمن عند هذا الحد ، فقد كان على أولئك الفلاحين البائسين أن يدفعوا ، علاوة على « ضريبة الكفر » ، ضروبا أخرى من الضرائب والاتاوات ، بل ان بعض المصادر تروي كيف كانت العروس الأرمنية في بعض المناطق ، تؤخذ في ليلة الدخول الى الاقطاعي الكردي أولا[١٤] .

والواقع أن المظالم التي كان ينزلها الآغوات الأكراد بالفلاحين الأرمن، كانت أكثر بكثير مما كان يتعرض له الفلاح الكردي المسلم ، مما غدا عبئا ثقيلا على عاتق الفلاحين الأرمن . كانت الظروف تساعد الآغوات الأكراد في هذا المجال مساعدة كبيرة ، خاصة وأن السلطان عبدالحميد كان يحرضهم جهارا ويغض الطرف عن مظالمهم بل ويقدم اليهم المساعدات النقدية والعينية للاستيلاء على أراضي الآخرين[١٥] . وكان اختلاف الدين ، أي كون الأرمن « كفارا » ، وفر لهم التبرير المقبول في نظرهم ونظر الناس البسطاء لاضطهاد الأرمن . كانت هناك عبودية حقيقية في بعض المناطق ، وكان الفلاحون الأرمن قد سجلوا كممتلكات للملاكين الأكراد ، كما كانوا يباعون ويشترون كأقنان. كتب الأكاديمي ف. گردليفسكي[١٦] الذي طاف عدة مرات قبل الحرب

(١٤) راجع :
M. S. Lazarev, The Kurdish Question... , PP. 40, 381 ; M. S. Lazarev, Kurdistan... , P. 33.

(١٥) كان هناك اكراد متمكنون يتعاطون السلم والربا ويستولون عن هذا الطريق على أراضي الأرمن .

(١٦) لتقييمات الاكاديمي ف. ا. گردليفسكي اهميتها في كل مجال وفي هذا المجال على وجه الخصوص لا لكونه متخصصا كبيرا في الدراسات التركية وحسب ، بل ولأنه تتبع كذلك احداث المسألة الأرمنية وراقبها عن كثب ، كما كان على اتصال مباشر بالعديد من الأرمن المنتمين الى أوساط مختلفة .

وخلالها بالعديد من المناطق في أرمينيا وكردستان ورأى بأم عينيه الوضع السيء الذي كان يعيشه الأرمن والمظالم التي تجاوزت الحدود والتي كان الاقطاعيون الكرد ينزلونها بالفلاحين الأرمن ، كتب يقول : « كان الأرمني الذي يعيش في أراضي الكرد يباع ويشترى كالقن ••• كان عليه أن يعمل للاقطاعي الكردي ، ولم يكن يتصور أن هناك أرضا تتوفر فيها الحرية ••• حتى ان العبودية والخضوع باتا من الأمور المألوفة في نظره »(١٧) •

بديهي أن كل هذه المظالم والاستعباد وسلب الأراضي ونهب المحاصيل قد أولدت كرها شديدا ومشروعا في قلوب الناس في أرمينيا تجاه الاقطاع الكردي والاقطاعيين الأكراد • وكانت شرارات هذا الكره تصل أحيانا ، اذ ينفخ في ناره المحرضون ودعاة السوء ، الى العلاقات بين الشعبين الأرمني والكردي كذلك • يقول گردليفسكي نفسه بهذا الصدد : « كان الحكام يعلمون الاقطاعيين الأكراد أن ينظروا الى الأرمني بمثابة (بقرة حلوب) ، وكانوا يتفرجون بأنفسهم على مايجري على المسرح ، من وراء حجاب • فقد كان العداء بين الأرمن والكرد في صالحهم هم • ولذلك فقد كانوا يتبعون معهم دوما ـ كما يؤكد گردليفسكي وغيره ـ سياسة (فرق تسد)»(١٨) •

لاشك في أن أي تحليل علمي للعلاقات الكردية ـ الأرمنية في المرحلة الجديدة والتي تلتها ، يجب أن يأخذ هذين الجانبين بنظر الاعتبار ، أعني الأسباب التي كانت توحد الشعبين ، والتي كانت تفرق بينهما • ولدراسة دور الكرد في مذابح الأرمن يجب ملاحظة تلكم الأسباب مجتمعة قبل أي شيء آخر • فهناك أسباب ، كما سنذكر ذلك فيما بعد بالتفصيل ، أدت الى

(١٧) راجع : V. A. Gardlevski, Op. Cit,. Vol. III, P. 127.

(١٨) Ibid, PP. 126 — 127.

أن يشترك الأكراد الى حد غير يسير في تلك المذابح . ولدراسة هذه القضية التي بلغت في سنوات الحرب العالمية الأولى ذروتها ــ أهمية تاريخية كبيرة ، ان لم يكن لشـيء فلأن الكرد أدينـوا أكثر مما يستحقـون وعن أكثر مما ارتكبوا في الواقع . وقد تسببت تلك المذابح في الحقيقـة ، والى حد كبير ، في تشويه سمعة الكرد في أوروبا . ان معظم الكتاب الغربيين الذين تحدثوا عن تعطـش الكرد « لسفك الدمـاء » ورغبتهم في « السـلب والنهب » و « ميولهم الغريزية للاعتداء » ، انمـا تأثروا ، على الأغلـب ، بوقـائع تلك الأحداث ، ذلك لأنها لم توضع حتى الآن في اطـارها الحقيقي السليم[١٩] . ومن هنا فاننا نتحدث عنها في هذا المجال لعلنا نجلو الغطاء عن المسألة بمقدار ما في وسعنا .



أخذت أرمينيا الشرقيـة ، منذ أن صـارت جزءا من روسـيا ، تتطور بوتائر أسرع من أرمينيا الغربيـة بل ومن أجزاء الدولة العثمـانية الأخرى أيضا . وقـد كان ذلك أمرا طبيعيـا ، ذلك لأن مجـال التطور في ظل دولة أوروبية أكثر بكثير منه في ظل دولة آسيوية متخلفة . لقد اتجهت الحيـاة الثقافية في هذا الجزء من أرمينيا طريق الازدهار أسرع بكثير مما في أرمينيـا الغربية[٢٠] واندمج بالسوق الرأسمالية العالمية قبل الجزء الغربي بوقت غير

(١٩) تستثني من ذلك بعض الدراسـات السوفيتية التي حـاول أصحابها عرض المسـألة في اطارها الموضوعي وحالفهم النجاح الى حد كبير لتوفر وثائق مختلفة ومهمة بين ايديهم تتعلق بدقـائق الأحداث التي رافقت مذابح الأرمن في جميع مراحلها .

(٢٠) وضعت أسس الكثير من دور الأوبرا والمتاحف والمكتبـات وغـيرها من المؤسسات الثقافية في ارمينيا و آذربايجان السوفياتية قبل انتصـار ثورة اكتوبر الاشتراكية .

قبل ونشأت العلاقات الانتاجية الجديدة والطبقات والفئات الجديدة داخل تعدة الاجتماعية ولاسيما وأن الزراعة والصناعة أخذتا تنموان في هذا الجزء وتزدهران بصورة أسرع • وعلى سبيل المثال فخلال السنوات (١٨٨٠ ـ ١٨٩٠) تضاعف انتاج النحاس في أرمينيا الشرقية خمسة أضعاف ونصفا ، وتضاعف في الستة عشر عاما التي تلت هذه الفترة ست مرات أخرى ، وازداد تاج الكونياك في فترة وجيزة حوالي أربعين ضعفا وأخذ يغزو ، الى جانب خمر الأرمني ، العديد من الأسواق الأجنبية ، وتطورت صناعة الأقمشة وطنية بسرعة[٢١] • أما من الناحية الادارية فقد تحسنت حياة الأرمن بعد تأسيس حاكمية يريڤان ، وتعزز دورهم أكثر بكثير من ذي قبل •

وهكذا فمنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر عامل محرك آخر مهم فضلا عن الدين ، يدفع الأرمن الى التطلع نحو روسيا والنظر بحقد أشد من ذي قبل الى سياسة السلاطين العثمانيين • فلم يكن قد مضى أكثر من سنة على انضمام أرمينيا الشرقية الى روسيا عندما عبر حوالي ٩٠ ألف أرمني حدود الدولة العثمانية الى الجانب الآخر • وكان عدد كبير من رؤساء الأرمن يطالبون قياصرة الروس منذ زمن بعيد بمد يد المساعدة بمختلف أشكالها الى الأرمن في صراعهم ضد العثمانيين • وخلال الحروب التي كانت تقع بين روسيا والدولة العثمانية ، كان الأرمن يقفون دوما الى جانب الجيوش الروسية[٢٢] ، فأثناء حرب العام ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ مثلا انضم أرامنة كثيرون

(٢١) واضح ان هذا لا يعني بأي حال ان وضع الارمن في ظل حكم القياصرة الروس كان وضعا جيدا . الا انه كان احسن بكثير ، على كل حال ، من وضعهم داخل الدولة العثمانية . وهذه الأدلة انما نوردها لايضاح تلك الحقيقة التي لعبت دورها في الاعداد لمذابح الأرمن .

(٢٢) كثيرا ما انضمت القبائل الكردية المسلحة كذلك الى جانب الجيش الروسي وتودد العديد من الزعماء الكرد الى روسيا وطلبوا منها

بأسلحتهم الى الجيش الروسي وقدموا له مساعدات مفيدة كثيرة •

ولم تقصر روسيا أيضا من جانبها ، فقد كانت تنظر بعيون طامعة الى القسم الآخر من أرمينيا ، وكانت تستخدم كل وسيلة لجلب عطف السكان هناك الى جانبها • وفي حرب العامين ١٨٢٨ ــ ١٨٢٩ بين الأمبراطورية العثمانية وروسيا احتل جيش الأخيرة قسما كبيرا من أراضي أرمينيا الغربية بما فيها قارص وأرضروم ، ولكنه اضطر الى اعادة هذه الأراضي المحتلة الى الدولة العثمانية وفقا لمعاهدة أدريانوبول للعام ١٨٢٩ • ولم تمض فترة طويلة حتى سنحت فرصة جديدة لروسيا ، فبعد حرب العامين ١٨٧٧ ــ ١٨٧٨ أعطيت قارص ومناطق أخرى من أرمينيا الغربية ، وكان قد تقرر تخصيص أرمينيا الغربية كلها لها وفق معاهدة «سايكس ــ پيكو» السرية للعام ١٩١٦ •

أثار ميل الأرمن الى روسيا ومساعي الأخيرة لاحتلال أرمينيا الغربية حقد الحكام العثمانيين ضد الأرمن الى أقصى حد • وبدلا من أن يفعلوا شيئا يجلب لهم عطف الأرمن بهدف وضع حد لتغلغل النفوذ الروسي على أقل تقدير ، فانهم كانوا يبحثون عن فرصة يغتنمونها للقضاء عليهم نهائيا • وقد أدى نشوء الحركة التحررية الأرمنية وتطورها الى تعمق كره العثمانيين للأرمن ، مما انعكس أكثر فأكثر في ترسخ جذور سياستهم المتخلفة ازاءهم والتي تحولت الى عنصر مهم في نمو الحركة الأرمنية •

تضافرت في جانبي أرمينيا عوامل ومبررات موضوعية لميلاد الحركة الوطنية التحررية ونموها وانتشار أفكارها بين أوساط الشعب بقوة • ففي النصف الثاني من القرن التاسع‌عشر كانت هذه الحركة قطعت شوطا بعيدا في

= المساعدة ضد الدولة العثمانية ، وقد أعطينا بعض الشواهد على ذلك في اطار بحثنا ضمن الفصول السابقة .

الجانب الغربي من أرمينيا بحيث عبرت عن نفسها في انتفاضات مسلحة . فقد انتفض الفلاحون في العام ١٨٦٢ في منطقة زيتون ضد مظالم العثمانيين . وفي العامين ١٨٧٨ و ١٨٨٤ انتفض سكان هذه المنطقة مرتين أخريين . كما انتفض سكان وان الأرمن في العام ١٨٨٦ . وقد قمع العثمانيون هذه الانتفاضات وسائر انتفاضات الأرمن ، كما كانوا يقمعون انتفاضات الشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرتهم ، بكل قسوة وشدة .

كان من الأسباب التي تسهل مهمة قمع هذه الانتفاضات ضعفها التنظيمي . وهذا ماحدا بالمثقفين الأرمن البعيدي النظر الى أن يفكروا في أمر اقامة منظمات خاصة بهم . وقد لعب النهج الذي سلكته الشعوب الأخرى ، دوره الى حدما في هذا المضمار . وهكذا فقد تأسس في العام ١٨٨٧ حزب «هنجاك» ويعني (الناقوس) . وبعده بثلاثة أعوام تأسس حزب «داشناق» أي (الاتحاد) . وقد لعب هذان الحزبان دورا بارزا في تأريخ أرمينيا الحديثة ، كما نتحدث عن ذلك فيما بعد .

وبالرغم من الفشل الذي آل اليه أمر انتفاضات الشعب الأرمني في تحقيق أهدافها النهائية ، الا أنها لم تكن دون جدوى . فقد أدت ، من جهة ، الى اشتداد الاحساس القومي لجماهير الشعب الأرمني . ومن جهة أخرى أخرجت المسألة الأرمنية من اطار الأمبراطورية العثمانية لتصبح قضية دولية حساسة ، خاصة وأن الدول الكبرى الطامعة في الممتلكات العثمانية عرفت كيف تستغل بدهاء مآسي الأرمن للتدخل من خلالها في شؤون الدولة العثمانية أكثر فأكثر . ومن هنا فقد غدت المسألة الأرمنية مسألة تبحث في المؤتمرات والمعاهدات الدولية . وعلى سبيل المثال فان المادة السادسة عشرة من معاهدة (سانستيفانو) المعقودة في شباط من العام ١٨٧٨ والتي وضعت حدا للحرب

الروسية العثمانية ، خصصت للمسألة الأرمنيــة . لقد نصت هذه المــادة ، بصورة خاصة ، على ضرورة تحســين الشؤون الادارية في هذا الجزء من الدولة العثمانية(٢٣) . وعندما عقد فيما بعد مؤتمر برلين في حزيران ـ تموز من العام نفسه والذي اشــترك فيه الكثـير من الدول الأوروبيــة الكبرى (بريطانيا وروسيــا وألمانيا وفرنسا والنمسا) والدولة العثمانية وممثلو عدد من دول البلقان وشعوبه ، قدم رئيس عموم الكنائس الأرمنية الى برلين بقصد الاشتراك في هذا المؤتمر بصورة خاصة(٢٤) . ومع أنه لم يســمح لهذا الممثل الأرمني بحضور جلسات المؤتمر ، فقد خصص البند الواحد والســتون من الاتفاقية التي وقع عليها بعد انتهاء أعمال المؤتمر ، للمسألــة الأرمنية . وقد كان ينبغي على الدولة العثمانية بموجب هذا البند أن تنفذ اصلاحات اداريــة في أرمينيا وتعطي سكانها حريات أكثر لادارة شــؤون منطقتهم بأنفسهم وأن تقضي على الفروق بين الأرمن والمسلمين . ومع أن معاهدة برلين لم تلغ حتى العام ١٩١٢ ، الا أن بندها الواحد والستين كان بين بنودها التي لم تنفذ أبدا. وبعد معاهدتي سان ستيفانو وبرلــين أثارت الدول الكبرى مســألة الأرمن

---

(٢٣) عقدت معاهدة سان ستيفانو بين روسيا المنتصــرة والدولة العثمانية المهزومة فقط وادت الى اشتداد نفوذ الأولى ولاسيما في مناطق البلقان. ولاريب في أن الدول الكبرى الأخرى استاءت من ذلك مما جعلها تضغط على روســيا للاشتراك في مؤتمر برلين الذي أفضــى الى عقد معاهدة جديدة وضعت بنودها حدا للمكاسب الكثيرة التي تضــمنتها معاهدة سان ستيفانو لروسيا . والمهم في مجال بحثنا هو ان المسالة الارمنية بحثت كموضوع مستقل وبنفس المستوى تقريبا في هاتين المعاهدتــين ، مما اعطاها بعدا جديدا على الصعيد الدولي .

(٢٤) مثلما لم يسمح لممثل الأرمن بالاشتراك في جلسات المؤتمر ، لم يــسمح لممثلين آخرين أيضا بذلك . الا أن قدوم الممثــل الأرمني والاتصالات التي أجراها في برلين كانت في حد ذاتها مكسبا كبيرا بالنسبة للقضية الأرمنية على الصعيد الدولي .

مرات عديدة أخرى ، وكانت تبغي من وراء ذلك ـــ كما أسلفنا القول ـــ أن تتدخل أكثر فأكثر في شؤون الدولة العثمانية ، وهو ماتحول الى عامل جديد لتشجيع الأرمن على الوقوف بوجه سياسة العثمانيين والاصرار على نيل الاستقلال واقامة العلاقات مع العديد من الجهات ٠

وهكذا برزت مخاطر انفصال أرمينيا الغربية عن الدولة العثمانية وخروجها من طوقها ٠ كان ذلك يثير الحكام العثمانيين الى حد بعيد ، ولاسيما وأن الشعوب المسيحية الأخرى التي كانت تحت سيطرتهم من قبل ، قد استطاعت بنضالها هي وبمساندة الدول الكبرى أن تنتزع حريتها من قبضة حكمهم المتخلف ٠ غير أن الحكام العثمانيين لم يتعظوا بعبر التأريخ ولم يكونوا مستعدين في الواقع للاتعاظ بها ٠ ولذلك فانهم بدلا من أن يحسنوا أحوال الأرمن المعيشية ويقضوا على الظلم والاضطهاد القومي والديني الذي كانوا يئنون تحت وطأته ، اتبعوا ازاءهم سياسة أشد وأقسى من ذي قبل ٠ وقد تجلت هذه السياسة بوضوح ابان حكم السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ ـــ ١٩٠٩) وبشكل خاص منذ أن اتخذ من فكرة (الجامعة الاسلامية) ـــ حسب مفهومه لها ـــ أساسا لسياسته ٠ ولهذا السبب بالذات ، فضلا عن جملة أسباب أخرى ، كان يحاول احاطة الأرمن القاطنين على الحدود الروسية بحزام « اسلامي »[٢٥] ٠

ولم يمض زمن طويل حتى وجدت هذه السياسة ترجمتها الحقيقية في

(٢٥) بذلت جهود في عهد السلطان عبدالحميد نفسه لتحقيق هذا الحلم ٠ وقد تحدث القنصل الروسي العام في بيروت في رسالة سرية له ارسلها في الثاني عشر من ايلول من العام ١٨٩٨ الى السفير الروسي في استانبول عن هذا الموضوع (راجع :
((The Genocide of the Armenians ...)), P. 140).

سلسلة من المذابح التي أقيمت للأرمن . حدثت المذبحة الأولى في آب وأيلول من العام ١٨٩٤ في منطقة ساسون عندما أخذ الجنود والجندرمة وبعض الشقاة يفتكون بالناس القاطنين في تلك الديار كبارا وصغارا ، نساء ورجالا ، ودمروا في فترة وجيزة ٤٠ قرية وقتلوا حوالي ١٠ آلاف شخص[٢٦] . وبعد « النجاح » الأول بسنة بدأت مذبحة ثانية كان من الطبيعي أن تكون حسب «قانون التطور» شاملة .. ففي أيلول من العام ١٨٩٥ بدأ رجال السلطان في العاصمة استانبول يفتكون بالأرمن فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، أما « المحظوظون » منهم فقد كانوا هم الذين زج بهم في السجون . ثم انتقلت المذبحة الى مدن أرمينيا الغربية والمدن الأخرى التي كان يقطنها أرمن مثل مرعش ودياربكر ومدن كثيرة أخرى غيرهما . وها نحن نذكر هنا نماذج قليلة لها تكفي وتزيد لاعطاء صورة واضحة لعمق المأساة . ففي مدينة استانبول ، أبيد خلال يومين فقط ، حوالي ٥٠٠ر٥ أرمني[٢٧] ، بل ان مسيحيين آخرين كثيرين قتلوا كذلك باعتبار أنهم أرمن . وطبقا لما جاء في الكتاب الفرنسي الأصفر فقد استمرت مذبحة الأرمن في دياربكر ثلاثة أيام (من أول تشرين الثاني من العام ١٨٩٥) . لقد قتل في هذه المدينة على ايقاع «التصلية والتسليم» حوالي ثلاثة آلاف شخص ، كما دمرت حوالى ١٢٠ قرية واغتصبت في المدينة وحدها عشرات الأرمنيات . أما خارجها فقد تعدى الاغتصاب هذه الحدود . وكان القتلة واللصوص قد خصصوا واحدا من تلكم الأيام الثلاثة لنهب المتاجر والدكاكين العائدة للأرمن وقتلوا وجرحوا

---

(٢٦) Ibid, P. VII.

(٢٧) تقدر بعض المصادر قتلى استانبول بـ ١٥ الف شخص (راجع على سبيل المثال : فائز الغصين ، المذابح في ارمينيا ، الطبعة الثانية ، بيروت ، بلا ، الص ١٠) .

منهم ماشاء لهم هواهم . ويقدر الكتاب الأصفر نفسه خسائر الأرمن المادية بمليوني ليرة عثمانية . ويتحدث الكتاب المذكور كذلك عن مذبحة مدينة سيواس التي بلغ عدد القتلى فيها حتى الثاني عشر من تشرين الثاني حوالي ألف شخص . وكانت جثث مئتين الى ثلثمائة منهم قد ألقيت في احدى خانات المدينة . وكما ذكر شاهد عيان فان معظم الضحايا في سيواس كانوا قتلوا بالساطور وقضبان الحديد والعصي الغليظة والخناجر وماشاكل ، ربما لأن القتلة كانوا يضنون بطلقات بنادقهم ! وقد شملت المذابح وأعمال النهب والسلب والتخريب الوحشية هذه مناطق كثيرة أخرى كذلك وتكررت في السنة التالية أيضا . ووفقا لما جاء في رسالة سرية للقنصل الروسي في استانبول أرسلها الى وزير خارجية بلاده ، فان عدد الأطفال الذين تيتموا نتيجة لتلك الأحداث المفجعة ، بلغ ما لايقل عن ٥٠ ألف طفل[٢٨] .

هذه الأعمال التي قلما يذكر لها نظير في التأريخ ، أثارت لحد الغاية قلوب الأرمن ضد النظام العثماني عموما وضد حكم السلطان عبدالحميد بصورة خاصة ، فأخذ الوطنيون الأرمن يساندون ، بحماس ، المنظمات السياسية المناوئة لنظام عبدالحميد وبدأ كثيرون منهم في ابداء العون لحركة الاتحاديين[٢٩] الذين اتخذوا من (الحرية والعدالة والمساواة) شعارا رئيسا

(٢٨) للتفصيل راجع : ((The Genocide of the Armenians...)), PP. 95, 107, 115 — 122, 137, 139.

في هذا الكتاب عشرات الأمثلة الأخرى عن المآسي التي رافقت هذه المذبحة . وقد ورد معظمها ضمن وثائق تعتبر من أهم المصادر الأصيلة حول هذا الموضوع .

(٢٩) اشترك ممثلون عن الارمن في اول مؤتمر عقده الاتحاديون في باريس في اوائل شباط من العام ١٩٠٢ (راجع :

E. E. Ramsaur, Op. Cit., PP. 66 — 67 .

راجع كذلك جريدة «كردستان» ، جنيف ، ٦ محرم ١٣٢٠ ، ١٤ نيسان ١٩٠٢) .

لنضالهم وتمكنوا من خلال ذلك من تحشيد طاقات قوى وطنية لشعوب مختلفة ضد حكم السلطان عبدالحميد الدموي[٣٠] . وكثيرا ما حدث أن اختبأ أولئك الزعماء عن أنظار عيون السلطان عبدالحميد ورقبائه بين الأرمن. لقد استقبل الشعب الأرمني ، شأنه شأن الشعوب العثمانية الأخرى ، بحرارة ، انتصار ثورة الاتحاديين (في تموز من العام ١٩٠٨) ، ولكنه لم يمض وقت طويل حتى انكشف الوجه الحقيقي للنظام الجديد كذلك وصار الأرمن أنفسهم أول ضحاياه . فلم يكن قد انقضى عام واحد على انتصار هذه الثورة ، حتى التجأت وبصورة أسوأ من ذي قبل الى السياسة نفسها التي كان يسير عليها السلطان عبدالحميد . وفي نيسان من العام ١٩٠٩ أقام النظام الجديد مذبحة جديدة في مدينة أطنة أدت الى مقتل ٣٠ ألف انسان بريء فقط ! .

ومن الطريف أن الحكام شنوا بعد المذبحة حملة اعتقال وتحقيق بحجة معاقبة المجرمين الذين دبروا المذبحة ، كما ادعوا . وكانت نتيجة تلك الاعتقالات والتحقيقات أن شنق ١٥ شخصا كان ستة منهم من الأرمن . والأغرب من كل تلك أن المسلم الوحيد بين المتهمين حكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر ، في حين حكم على الأرمن الثمانية بالسجن من ٥ سنوات الى ١٠

(٣٠) حدد ريتشارد روبنسن باختصار وبدقة البعد الواقعي لهذه القضية حيث قال : « كانت جماعة تركيا الفتاة تلقى المساعدة والعون من قبل الجمعيات الثورية الأرمنية والكردية وغيرها . فقد كان يهم الجميع سواء سقوط السلطان التركي، وان أمكن اختلاف الدافع لدى كل منها عنه لدى غيره » . وذهب أرنست رامزور الى استنتاج مشابه (راجع :
P. O. Robinson, The First Turkish Republic. A case study in national development, Cambridge, 1963, P. 6 ; E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 67).

سنوات ، ثم اعتقل ٣٦٢ شخصا آخر كان ٣١٢ منهم (فقط !) مسيحيين[٣١]!

كانت تلك كلها باكورة العمل وبادرة النوايا الخفيـــة التي كان يحملها النظام الجديد ازاء شعوب الأمبراطورية العثمـــانية • غير أنها ، ولأسبـــاب عديدة ، ظهرت بالنسبة للارمن بصورة أقسى وأشـــد • لقد اغتنم الأرمن ، كسائر شعوب الأمبراطورية العثمانية ، فرصة اندلاع الحرب العالمية الأولى ، لينالوا من خلالها أهدافهم ، فأخذوا يعملون لهذا الغرض بنشـــاط ، تدفعهم صور الماضي المليئة بالمآسي والخوف المشروع من تكررها أولا ومن ألاعيب الطامعين ثانيا ، الى التسرع في بعض من خطواتهم ، كما نلاحظ ذلك من خلال أحداث معينة نستعرضها ضمن هذا الفصل • وعلى أي حـــال فما ان امتدت نيران الحرب الى الشرق الأوسط حتى بدأ شباب الأرمن المتحمسون ينظمون صفوفهم وقد حمل كثيرون منهم الســـلاح وانضموا الى الجيوش الروســـية المقاتلة في مناطق القفقاس وتركيا وايران ، وكما ذكرنـــا من قبل فقد دحرت القوات العثمانية في جبهات عدة ، وكان على القائد العام أنور باشـــا ورفيقه طلعت باشا أن يجدا « المجرم المسؤول » عن هذه الهزائم • ولم يكن هنـــاك من «يصلح» لالصاق هذه التهمة به أكثر من الأرمن ، فجاء العقاب صارمـــا كلف من الضحايا أضعاف أضعاف ما كلفته خطط أنور باشا الفاشلة في ميادين القتال• فقد أصدر الاتحاديون قرارهم غير المعلن بتنظيم مذبحة أرمنية جديدة بدأت حلقاتها الأولى في ربيع العام ١٩١٥ وانتهت في السنة التالية • وفيما يلي نماذج قليلة من أحداث مرحلتها الأخـــيرة ، وهي الحلقة الختـــامية في سلسلة المذابح الأرمنية •

---

(٣١) للتفصيل راجع :
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. VIII, 172 — 173, 221.

كتب المؤلف والسياسي العربي فـائز الغصـين[٣٢] الذي كان في تلك الأيام في تركيا ، يقول : « أما في موش ، فقسـم من الأرمـن أتلف بالمتابن والقسم الأعظم أتلف رميا بالرصاص وطعنا بالسكاكـين . وكانت الحكومة تستأجر قصابين ، تعطي لكل واحد منهم ليرة عثمانية يوميا . وقد قص عليّ أحد الأطباء ويسمى عزيزبگ أنه كان في قضـاء مرزيفون من أعمـال ولاية سيواس وعلم أن قـافلة من الأرمن سترسـل للقتل ، فذهب لعند القائممقام وقال له ... أرجو أن تأذن لي بالذهاب لأرى هذه العمليـة التشريحية بأم عيني . فرخص لي وذهبت فوجدت أربعة من القصابين ، بيد كل واحد منهم مدية طويلـة وأفراد الدرك يفرقون كل عشرة من الأرمن على حدة ويرسلون الواحد بعد الآخر لعند القصابين، فيقول القصاب للارمني: مد رقبتك، فيمدها، فيذبحه ذبح الغنم . وكان يتعجب هذا الطبيب من اقـدام الأرمن على الموت دون أن يتكلموا بكلمة أو يظهروا خوفا . وكان أفراد الدرك يربطون النساء والأطفال ويلقونهم من محل عـالٍ جدا الى أسـفل ، فلايصلون الأرض الا قطعا واربا »[٣٣] .

وتحدث أحد الصحفيـين في أوائل أيلول من العـام ١٩١٥ عن مذبحة مدينة وان ، وكيف أن القطع العسكرية الروسية التي جاءت لاحتلال المدينة

(٣٢) سياسي سوري معروف تعاون مع الأمير فيصل وحكمه في سـوريا . كان واحدا من الاعضاء الاربعـة في الوفد الذي رافق الأمير الى مؤتمر الصلح في باريس . طبع كتابه «المذابح في ارمينيا» في العام ١٩١٧ واعيد طبعه من قبـل « مكتب المعلومات الأرمني » في لبنـان في أواسـط الستينيات ، ويحتوي على معلومات تكمن اهمية بعضها في ان المؤلف كان شاهد عيان لها او سمعها من اناس شاهدوها .

(٣٣) فائز الغصـين ، المصـدر المذكور ، الص ٢٨ (نقلنا النص كما هو في الكتاب دون تصرف) .

لم تستطع دخولها بسبب من الرائحة العفنة التي كانت تفوح من جثث القتلى . كما نشر هذا الصحفي نص البرقية التي بعث بها قائد تلك القطع حيث كتب فيها يقول : « لقد دمرت مدينة وان بأكملها . أحرقت مبانيها الجيدة ، أما منازلها المبنية من الطين فقد هدمت . الشوارع وأفنية المنازل مليئة بجثث الأرمن والمواشي ، والأمتعة نهبت وأخذت »[٣٤] .

في مدينة بدليس لم يبق على قيد الحياة من ١٨ ألف أرمني ، الا ٣٠٠ — ٤٠٠ امرأة وطفل . ومن ٢٥ ألف أرمني في أرضروم نجا من القتل حوالي ٢٠٠ شخص فقط . أما في موش والقرى الثلاثمئة المحيطة بها ، فمن ٢٥ ألف أرمني كانوا يسكنون المدينة وألوف غيرهم كانوا يسكنون القرى المجاورة لها ، لم يعثر بعد المذبحة على رجل واحد بين الذين بقوا على قيد الحياة[٣٥] . وفي العديد من المناطق انتحلت النساء والأطفال الذين لم يقتلوا ، الاسلام خوفا على حياتهم . وكانت هناك عوائل فقيرة مسلمة «قيض الله» لها خادمات من بنات الأرمن ثلاثا أو أربعا[٣٦] .

(٣٤) مقتبس من : ((The Genocide of the Armenians ...)), P. 316.

(٣٥) Ibid, PP. 220 — 221, 280 — 281, 285, 315 — 316, 352 — 387, 410.

من الممكن ايراد عشرات بل ومئات النماذج الأخرى من هذا النوع . الا اننا نرى ان ما اوردناه يكفي لتقديم صورة واضحة عن عمق المآسي التي رافقت المذابح الارمنية في سنوات الحرب . وسوف نذكر نماذج اخرى عندما نعود الى البحث عن دور الكرد في تلك المذابح .

(٣٦) في كتاب « ابادة الأرمن في الامبراطورية العثمانية » بعض النماذج لهذا الموضوع . وبهذا الصدد يقول فائز الغصين : « انك لاتدخل دارا في دياربكر الا وتجد من الخادمة الى الخمس خادمات من بنات الأرمن في تلك الدار ، وكنت ترى احقر الباعة اصبح عنده خادمة أرمنية . وربما كانت تلك الأرمنية في حياة والدها وامها لا ترضى ان تكلم ذلك البائع كلاما ... وقد قيل ان مقدار النساء والبنات الخادمات في دياربكر —

يقدر الأكاديمي ف. تارلييه بعد دراسات ومقارنات دقيقة وعلى أساس اختيار الحد الأدنى، الرقم الأخير لخسائر الأرمن كما يلي : ١٨٢ ألف هربوا الى مناطق القفقاس والحدود الروسية، ٤٢٠٠ منهم التجأوا الى مصر[٣٧]، ربع مليون منهم اعتنقوا الاسلام، وقتل منهم حوالي المليون[٣٨]. هذه الأرقام، كما ذكرنا، أخذت على أساس الحد الأدنى. الا أن معظم المصادر

=

يربو على الخمسة آلاف واكثرهن من بنات الأرمن من ارضروم وخربوط والولايات الأخرى » (فائز الغصين، المصدر السابق، الص ٣٧ — ٣٨).

(٣٧) يعيش الآن حوالي ثلاثة ملايين ارمني في الاتحاد السوفيتي. وعدا هؤلاء يعيش الارمن كذلك في اكثر من ستين بلدا من بلدان العالم. ففي الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٤٥٠ الفا، وفي فرنسا ٢٠٠ ألف، وفي ايران ٢٠٠ الف، وفي لبنان ١٨٠ الفا، وفي سوريا ١٥٠ الفا، وفي الأرجنتين ٦٠ الفا، وفي العراق ومصر والبرازيل وكندا واليونان وبلغاريا والهند وعشرات البلدان الأخرى يعيش الوف الارمن. ان قسما كبيرا من هؤلاء الارمن هربوا خوفا من البطش والمظالم والمذابح، ولكن ابناء هذا الشعب الموهوب يظهرون في كل مكان قدراتهم الخلاقة وابداعاتهم الرائعة. ان اسماء العلماء والفنانين الارمن تلمع في العديد من المجالات، بل وقد أصبح لهم دورهم حتى في غزو الفضاء الخارجي. وارمينيا السوفياتية اليوم احدى اكثر بلدان الشرق تقدما، وقد صاغ احد الكتاب الأرمن هذه الحقيقة في المقولة التالية « لقد صغر حجم الشعب الأرمني تحت الضغط حتى بات كحجر الألماس ».

(٣٨) راجع :

Тарле Е.В., Европа в эпоху империализма, 1871-1919, Москва-Ленинград, 1928, стр.388-393.

الاكاديمي ي. ف. تارلييه، اوروبا في عصر الأمبرياليزم، موسكو — لينينغراد، ١٩٢٨، الص ٣٨٨ — ٣٩٣ (في الهوامش القادمة :
V. Tarle ...).

لأخرى تعطي أرقـاما أعلى ، فالبروفيسور نيرسيسيان يعطي ، استنادا الى دراسته لمئات الوثائق والأدلة التأريخية المهمة ، الأرقام التالية : قتلى مذابح السلطان عبدالحميد ٣٠٠ ألف شـخص ، قتلى مذابح الاتحـاديين : مليون ونصف المليون • الهاربون الى القفقاس والبلاد العربيـة : ٨٠٠ ألف[٣٩] • وكيفما كان الأمر ، فان الشقاء الذي عاناه الأرمن والخسائر التي لحقت بهم هي مما تندر نظائرها في التأريخ •

ومما يؤسف له أشد الأسف ، أن الكرد أسهموا قليلا أو كثـيرا ، عن وعي أو دونه ، بتحريض من الآخرين أو عن عمد ، في مذابح الأرمـن هذه • فنذكر نماذج قليلة لهذا الاسهام ، قبل أن نأتي على تقييم الموضوع نفسـه ضمن اطاره الواقعي •

خلال المذبحة الأولى افتتح أحد مشايخ الطرق واسمه الملا سعيد أحمد، حملية بنفسه في مدينة أورفه في الثامن والعشرين من كانون الأول من العام ١٨٩٥ حيث أمر باحضار أرمني بريء أمامه فبطحوه على الأرض وفصل رأسه عن جسده بيده على مرأى من الجمهور[٤٠] • وقبل ذلك بأيـام جمع وجهاء المدينة وحرضهم على قتل الأرمن لأنهم « لايخضعون لسلطان الخليفة »•

وفي المذبحة الأولى أيضا قتل شقيقان سوية في منطقة وان كانا يسميان عبدالحميد وعبدالغفور ٢٠٠ أرمني ، وكان هناك كثيرون من أمثـال هذين الأخوين في خربوط • فهناك أيضا قتل شقيقان سوية أكثر من ٣٠٠ شخص ، وقتل شخص كان يسمى حـاجي بكو ، وحده ، مئة شـخص • وكان أحد

---

(٣٩) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)), PP. XI — XII.

(٤٠) ورد ذلك في رسالة خاصة من القنصل البرتغالي في حلب الى السفير الايطالي في استانبول .

الخبازين يتباهى بأنه قتل بنفسه ٩٧ شخصا ، وكان قد قطع عهدا على نفسه أن يبلغ عدد ضحاياه مئة شخص .. فقط[٤١] .

كان هناك آغوات أكراد يشترون قوافل الأرمن من الجندرمة ، وبعد أن يسلبوا منهم كل ما معهم كانوا يقتلونهم [كان ذلك الشرط الذي يشترطه الجندرمة مقابل بيع أفراد القوافل الأرمنيـة لأولئك الآغوات] . وبعد القتل كانوا يبقرون بطونهم بحثا عن الليرات والذهب . والويل لمن كان يملك منهم سنا ذهبية ، فقد كان يرى العالم الآخر بعينه قبل أن يموت حقا[٤٢] .

كتب ف. گردليفسكي بهذا الصدد يقول : « رأيت بأم عيني في صيف العام ١٩١٦ كيف كان الأكراد يسوقون الأرمن جماعات الى بدليس .. يبدو أنهم كانوا متشوقين للمنح النقدية التي كانت تمنحها لهم لجنة اللاجئين[٤٣]. كان الأكراد يخفون الأرمن لديهم عن أعين الأتراك ، ولكنهم كانوا يسوقونهم فيما بعد الى بدليس وكأنهم يأخذونهم الى سوق العبيد . كان يبدو أن الأرمن المرعوبين فقدوا ارادتهم ، أو أنهم لا يعرفون طريق بدليس دون أن يدلهم عليها الكرد . حقا كان الأرمن المنهكون ذوو الثياب الرثة موضع رأفة. كان يبدو على محياهم البؤس الذي رأوه قبل هنيهة وراء الجبال[٤٤] . وفي حالات معينة كان الرؤساء الأكراد يتممون ما بدأه غيرهم . فان زعيم الشكاك

---

(٤١) راجع :
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 31, 99 — 100, 105.

(٤٢) فائز الغصين ، المصدر السابق ، الص ٢٩ — ٣٠ .

(٤٣) كان في بدليس لجنة تسمى (لجنة اللاجئين) . ويبدو ان الآغوات الاكراد كانوا يأخذون الارمن ك (هدايا) الى هذه اللجنة ويقبضون عوضا عنهم نقودا ، فاللجنة كانت تعطي تعويضا ماليا عن ذلك . ولكن المبلغ خفض فيما بعد نظرا لأن الأرمن كانوا كثيرين الى حد كبير .

(٤٤) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 129 — 130.

سمكو ، مثلا ، وضع كمينا في مضيق «قوتور» لجماعـات من الأرمن الذين جوا من الموت ، فباغتهم رجاله وأقاموا لهم مذبحة جديدة(٤٥) .

في الامكان عرض نماذج كثيرة أخرى في هذا المجال ، الا أن « حفنـة واحدة تنبىء عما في الحمل » ، كما يقول المثل الكردي ، واذا كانت الحفنـة متعفنة ، فان الحمل يكون أشد عفونة بكثير .



كانت تلك خلاصـة مركزة لما يتعلق بقضية المذابح الأرمنيـة وموقع الأكراد فيها، كما كانت كذلك صورة مقتضبـة عن اسـهام الكرد في تلك المذابح . ولكن الموضوع الثاني ، وأعني اسهام الكرد في تلك المذابح ، بحاجة الى دراسة أعمق ، ليكون بوسـعنا أن نضع اليد على مختلف أوجـه هذه القضية ومداها وعواملها المحركة . وللموضوع أهميته التأريخية من نـاحية أخرى . ذلك لأن المسـؤولين العثمانيين ، ولاسيمـا ابان حكم السلطـان عبدالحميد ، كانوا يريدون القاء الجريرة عن كل تلك المذابح على عاتق الكرد وربطها بتخلف الكرد وتعصبهم الديني الأعمى . وهو مايستحق وقفة خاصة منـا .

يجب الاعتراف ، بادىء ذي بدء ، بأن التعصب الديني الأعمى والتخلف الحضاري كانا سببين رئيسـين دفعا الكثيرين من الكرد للسعي لتحل عليهم «بركة» الرب عبر الاسهام في قتل «الكفار». وكما ذكرنا فقد كان هناك أكراد

(٤٥) راجع : علاءالدين سجادي ، المصدر السابق ، الص ٢٥٤ . هنا أيضا لا يمكننا الاتفاق مع راي الأستاذ الفاضل في أن ماحدا بسمكو للاقدام على هذا العمل هو اتخاذ الاحتياطات من المخاوف المتوقعة من الأرمن في المسـتقبل .

يذبحون الأرمن وهم يصلون على النبي . وهنا تعرض مقارنة تأريخية بسيطة ومنطقية نفسها بالحاح ، فان الكرد والترك وغيرهم من ابناء شعوب المنطقة ، كانوا قبل ظهور بدعة المذابح ، أكثر تخلفا ، ولم يكونوا بالطبع أقل تمسكا بالاسلام ، ومع ذلك فلم تقع خلال مئات السنين مأساة دامية بين الكرد والأرمن أو الكرد والآثوريين ، بله مذبحة بمثل هذه القسوة(٤٦) . ليس ذلك وحسب ، بل وان كثيرا من الكتاب الأجانب لفتوا الأنظار ، بصورة خاصة ، الى العلاقات الطيبة بين الأكراد ومسيحيي كردستان ووصفوها بأنها أحسن العلاقات التي سادت بين شعوب الشرق الأوسط . وبهذا الصدد يقول الميجر ك. ماسون في محاضرة له ألقاها أمام الجمعية الجغرافية الملكية في لندن :«قد يكون لأي منا فكرة غامضة عن كون الأكراد مسؤولين عن مذابح الأرمن ، ولكن قليلا منا يعرف أن الغالبية العظمى من المسيحيين كانوا يعيشون في سعادة كبيرة في كردستان قبل سنوات الحرب»(٤٧). وقد اعترفت بهذه الحقيقة بصورة خاصة اللجنة التي شكلتها عصبة الأمم لدراسة مشكلة الموصل . وأكثر من ذلك أن ف. گردليفسكي يقول : « لم يلعب اختلاف الدين بين الأكراد المسلمين والأرمن المسيحيين أي دور » ، بل انه يؤكد كذلك أن تردد الأرمن على مساجد المسلمين وتردد الكرد على كنائس الأرمن كان أمرا طبيعيا(٤٨) .

---

(٤٦) اهم حادث وقع من قبل ولفت اليه الأنظار هو ضرب الآثوريين من قبل بدرخان ، وكان ذلك بسبب أن هؤلاء كانوا يرفضون ، بتحريض من بعض الجهات ، دفع الضرائب للمؤسسات التي أقامها هو .

(٤٧) Major Kenneth Mason, Central Kurdistan, - ((The Geographical Journal)), Vol. LIV, No. 6, December 1919, P. 329.

V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, PP. 126 — 127.

(٤٨) لعب المتنورون الأرمن دورا ايجابيا في احترام كلا الجانبين الأرمني =

اذاً ، فان العوامل المحرضة الجديدة هي التي أسدلت ، كما ذكرنا ذلك من قبل ، ستارا أسود من التعصب الأعمى على أحاسيس الكرد الدينية إزاء الأرمن • وهناك من الأدلة بهذا الصدد ما يكفي • ففي العديد من المناطق كان الملالي والمفتون ورجال الدين الآخرون يثيرون ، ووفق أوامر صادرة لهم من الحكومة ، مشاعر الناس ويحرضونهم جهارا على قتل « الكفار » • فخلال المذبحة الأولى كان مفتي (پالو) يدفع الناس للقتل ويطلب منهم أن لا يلتهوا أولا بالسلب والنهب • وكان المسؤولون في أرضروم يصرخون فيهم علانية «أقتلوا المسيحيين ولا تخشوا شيئا» و «ألموت للمسيحيين والحياة للمسلمين » • تلك كانت شعارات الملالي والدراويش في سيواس وأورفه • أما في عربكير فقد أدخلوا في روع الناس البسطاء أن قتل الأرمن « مهمة في عاتق أمة محمد » • مثل هذه التحريضات جعلت الكثيرين ينطلقون بصورة عشوائية لتقتيل رجال الدين من الأرمن ولتهديم كنائسهم القديمة الأثرية[٤٩] •

كان العديد من الأكراد البسطاء ينظرون الى قتل الأرمن وكأنه «جهاد» في سبيل الله • وليس أدل على ذلك من أنهم كانوا يتركون أي أرمني يعتنق

=

والكردي المشاعر الدينية للجانب الآخر، فقد كان كثير منهم ينظرون الى الموضوع نظرة بعيدة عن التعصب الديني الأعمى ، وكانوا يدركون أن مصلحة الطرفين تكمن في الاحترام المتبادل للمشاعر الدينية لبعضهما ، بل ان صلات الأرمن والكرد كانت جيدة في روسيا أيضا . وما كان يحدث بين الأرمن والأذربايجانيين قبل ثورة أكتوبر ، انما كان يحدث، في الأغلب، بدوافع قومية ضيقة وليس من جراء تناقض ديني.

(٤٩) راجع :
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 126, 137, 143, 225, 241 — 242, 247, 315.

الاسلام ولا يمسونه بأذى • وهكذا فان المشاعر الدينية العمياء لدى الأكراد البسطاء والتي كانت هامدة في النفوس حتى ذلك الحين ، أوقظت من غفوتها وفق خطة مرسومة وبصورة متعمدة ، سيق اليها الأكراد سوقا • ويقع وزر ذلك ، أول ما يقع ، على عاتق الذين كان يهمهم أن يحدث ما حدث فعلا •

ينبغي علينا في هذا المقام أن نلفت النظر الى أن معظم الأكراد الذين أسهموا في مذابح الأرمن كانوا من « الفرســان الحميدية » ، هذه التشكيلة العسكرية التي أنشئت في الأساس للقيام بمثل هذه الأعمال ولالهاء الكرد[٥٠]• وعلى سبيل المثال ، فان معظم الحوادث التي وقعت في دياربكر أثناء المذبحة الأولى انما جرت على أيدي هؤلاء الفرسان الذين جلبوا الى المدينة خصيصا لهذا الغرض • وفي المذبحة الثانية كان المسؤولون في أرضروم يحثون رجال العشــائر غير النظاميــة علنا على تقتيــل الأرمن وعلى مرأى من اطفالهم وعوائلهم[٥١] • وبديهي أن حصيلة مثل هذه التحريضات لم تكن قليلة ، الا أنه ينبغي النظر الى اشــتراك « الفرســان الحميدية » في المذابح كتشكيلة حكومية ، شأنه شأن اشتراك الجنود والجندرمة ، وليس باعتبار أفراد تلك التشكيلة أكرادا وأن اشتراكهم يعني اشــتراك الكرد ، رغم ان رجعية عدد من الاقطاعيين الأكراد وتخلفهم لعبا كذلك دورهما في الأمر • وجدير بالذكر أن قادة الفرسان الحميدية وعددا من الاقطاعيين والآغوات الآخرين كانوا يعتبرون تقتيل الأرمن فرصة ســانحة لهم ليملأوا خلالها جيوبهم ولينهبوا أراضي أولئك الأرمن وممتلكاتهم • وعلى سبيل المثال فان المدعو ابراهيم بگ ، وكان مالك قرية (سكرات) في (پالو) ، أخفى لديه عددا كبيرا من الأرمن على أســاس أنه يحميهم من القتــل ، ولكنه وبعد أن نهب امتعتهم

(٥٠) اوضحنا ذلك بشيء من التفصيل ضمن الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٥١) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 93, 277.

ومواشيهم ، تخلى عنهم وأطلقهم ليواجهوا مصيرهم بأنفسهم • وفي كثير من المناطق الأخرى كان الآغوات يضعون أيديهم على أراضـي الأرمن القتلى والهاربين ، وكانت الـسـلطات الحكومية تحرضـهم بدورها على مثل تلك الأعمال بل كانت تساعدهم أحيانا •

ولننتقل الآن الى موضوع جد مهم ألا وهو دور الحركتين القوميتين الكردية والأرمنية اللتين كان ينبغي لهما في ظروف الدولة العثمانية آنذاك أن تعملا في سبيل تقارب الشعبين ووحدتهما وليس لابتعادهما عن بعضهما • وبمزيد الأسف فان بعض الأخطاء وبعض الأسباب الأخرى والى حد ما قصر نظر رجال السياسـة لدى الطرفين وتدخل الـسـلطات الحكومية والأيدي الأجنبيـة ، كل تلك أدت الى أن تؤتى بذور الشـقاق القومي بين الأرمن وجيرانهم الكرد أكلها ليجنيها أعداء الشعبين •

تحدثنا في مجال آخر من هذا الفصل بايجاز عن ظهور الحركة القومية الأرمنية وتأسيس حزب الـ «هنچاك» (١٨٨٧) وحزب الـ «داشناق» (١٨٩٠)• تأسس حزب الـ «هنچاك» من قبل لفيف من الطلبـة الأرمن في جنيف • كان الـ « هنچاك » حزب البورجوازية الأرمنية الصغـيرة وكان قد اتخذ الحرية والوحدة لأرمينيا واقامة الدولة الأرمنية المستقلة عن طريق الكفاح المسلح شعارا أساسيا له • أما الـ «داشناق» المعروف فقد كان حزبا بورجوازيا قوميا يسعى لتحرير الأرمن من مظالم الدولة العثمانية ، وكان يبغي ، آنئذ ، تحقيق الحكم الذاتي لأرمينيا في اطار الدولة العثمانية عن طريـق الكفاح المسلح أيضا ، وكان يعتقد أن بوسع الشعب الأرمني أن يحقق هدفه هذا بمساعدة الدول الأوروبية الكبيرة •

ولكن أيا من الـ « هنچاك » (الذي كان يعتبر نفسه حزبـا ماركسيا)

وال « داشناق » لم يستطيعا أن يقيما علاقات الشعوب الجارة في المنطقة ومصالحها المشتركة ، ولاسيما علاقات الكرد والأرمن ، تقييما صحيحا ، ويعملا ما من شأنه توحيد مشاعر الشعبين ونضالهما . يقول م. س. لازاريف بهذا الصدد : «وفي تلك الأيام (أيام المذابح ـ ك. م.) قدم الداشناقيون خدمة سيئة الى الشعب الأرمني ، حيث كانوا يدفعونه الى انتفاضة لم يحن أوانها بعد ويثيرون في نفوس أبنائه روح الكره والحقد ضد الأكراد والأتراك كلهم »(٥٢) . وقد حدد بعض المؤرخين الأرمن اطار هذا الموضوع الخطير بشكل موضوعي . يقول الدكتور أروتونيان بهذا الصدد :

« بدلا من جذب القوى الديموقراطية للشعب الكردي كحلفاء والقيام معها بنضال تحرري مشترك ضد الاقطاعين الأتراك والأكراد ، حاولت الأحزاب القومية ـ الديموقراطية الأرمنية ، بدعواتها الى الكره العنصري والديني ، أن تفعل كل شيء من أجل اقامة جدار بين الشعبين (الأرمني والكردي ـ ك. م.) . وقد كان من شأن سياسة لاشعبية واتجارية كهذه أن تخدم ، كما خدمت فعلا ، الطبقات الاقطاعية التركية والكردية لاغيرها »(٥٣) .

(٥٢) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan ... , P. 57.
مما يجدر بالذكر ان حزب الداشناق كان يعمل منذ البداية باسلوب متعصب منغلق ، وكان يقود كفاح الارمن في طريق غير صحيح . وقد وقف في ارمينيا الشرقية ضد الكفاح الثوري المشترك مع الشعوب الاخرى في المنطقة ، كما كان له دور في اثارة المذابح بين الارمن والتتر في منطقة القفقاس .

(٥٣) راجع :

Арутюнян Г.М., Реакционная политика английской буржуазии в армянском вопросе в середине – 90-х годов XIX века, Москва, 1954, стр.116.

وفضلا عن ذلك فانه سواء الـ «هنچاك» أو الـ « داشناق » أو رجال السياسة والمتنورون الأرمن ، قبل تأسيس الحزبين المذكورين أو بعده ، كانوا يقصدون بحديثهم عن « أرمينيا الكبرى » أو « استقلال أرمينيا » أو « الحكم الذاتي لأرمينيا » كل المنطقة التي كان معظم سكانها في يوم من الأيام السحيقة في القدم من الأرمن أو كانت تحت سيطرة الدول التي أسسوها يوماما . وعلى سبيل المثال كانت مدينة دياربكر وما والاها في نظرهم جزءا من صميم أرمينيا . وقد انعكست هذه الأفكار في مطبوعات الأرمن آنئذ وفي أدبهم ونضالهم اليومي بصورة صارخة وبشكل يستلفت الأنظار[٥٤] .

ولا شك في أن هذا كان يلقي في روع الأكراد مخاوف مشروعة ، خاصة وأنهم كانوا يحسون أن الدول الكبرى تساعد ، كيفما كان الأمر ومهما كان الدافع ، الأرمن الذين يتفقون واياهم في الدين ، على بلوغ أهدافهم أو على الخلاص من الظلم العثماني على الأقل . واذا عرضنا هذا الموضوع في اطار آخر ، فان النتيجة تكون كما يلي : كان المتنور الكردي يخشى تضاؤل حجمه ، والفلاح الكردي يخاف أن يفقد أرضه . أما الآغوات والاقطاعيون الكرد فقد كان يهمهم أن يحافظوا على سيطرتهم . وواضح أن هذا هو الذي حدا بشاعر متنور وبعيد النظر مثل الحاج قادر الكويي [توفي في العام١٨٩٧]

=

گ. م. اروتونيان ، السياسة الرجعية للبورجوازية الانكليزية في القضية الارمنية في أواسط تسعينيات القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٥٤ ، الص ١١٦ .

(٥٤) وعلى العكس من ذلك كان معظم رجال السياسة الأكراد يعتبرون ارمينيا الغربية كلها ضمن كردستان . غير ان ضعف الحركة القومية الكردية ، بالقياس الى مثيلتها الأرمنية ، لم يتح المجال لان يكون لادعاءات الكرد صدى كبير ، بل انها لم تتأطر في صيغة محددة ، شأنها شأن الادعاءات الأرمنية ، ولذلك فانها لم تلعب في الواقع دورا ما .

ليطلق قبل المذبحة الأولى بعدة سنوات صرخات التحذير عاليا ويقول :

« واأسفاه ! ان بلاد الجزيرة وبوتان ، أعني بلاد الكرد ،

يحولونها الى ديــار أرمنية ›› »(٥٥)

(٥٥) راجع : كومــه‌له شــيعرى حاجى قادرى كويى ، چــاپ و بلاوكه‌ر : عبدالرحمن سعيد ، بغدا ، ١٩٢٥ ، ل ٥١ . [مجموعة أشعار الحاج قادر الكويى، طابعها وناشرها عبدالرحمن سعيد ، بغداد، ١٩٢٥ ، الص ٥١] .

القصــيدة التي يدخل ضمنها هذا البيت ، من أهم نتاجات الحاج قادر . وهي حافلة ، في الواقع ، بالحديث عن القضايا المهمة التي كانت دائرة في عصره . وقد لفتت اليها أنظار عدد من الكتاب الأكراد ولاسيما الأســاتذة مسعود محمد وجلال‌الطالباني والدكتور احسان فؤاد والدكتور عزالدين مصــطفى رسول ومحمد الملا عبدالكريم . فالدكتور احسان فوآد الذي قدم أطروحــة للدكتوراه عن حياة الحاج قادر وابداعــه ، يقول ان الحاج قادر ســاند ، مع «عميق» الأحاسيس « نضــال ... الأرمن في أراضي الجزيرة وبوتان » (احسان فوآد ، نتاج الحاج قادر الكويى ومكانته في الأدب الكردي [ملخص اطروحــة الدكتوراه باللغة الروسية] ، موسكو، ١٩٦٦ ، الص ١٢) . أما الدكتور عزالدين مصطفى رسول فقد تحدث باقتضــاب شديد ، وفي ســطور قلائل ، عن هذه القصيدة، فقال ان الحاج قادرا توجه بها الى الكرد ينبههم الى المساومة التي حصلت بين الاستعماريين والحركة الوطنية الأرمنية على حساب اعطاء اراضٍ كردية للأرمن (راجع : الدكتور عزالدين مصطفى رسول ، الواقعية في الأدب الكردي ، بيروت ، بلا ، الص ٨٦). أما الأستاذ محمد الملا عبدالكريم فقد راى من القضــية جانبا واحدا فقط . وعلى هذا الأساس فقد انتقد الحاج قادرا بشدة باعتبار أنه نهض « بوجه كفاح سكان أرمنستان » ودعا الشعب الكردي « بكل قوة » لمقاومــة « منح هذا الشعب حقه في الاستقلال » (راجع : محمدى مه‌لاكريم ، حاجى قادرى كويى شاعيرى قوناغيكى نوى‌يه له ژيانى نه‌ته‌وه‌ى كورد، به‌غدا، بى ، ل٦٢ ــ ٦٦ [محمد الملا عبدالكريم ، الحــاج قادر الكويى شاعر مرحلة جديدة من حياة الشعب الكردي ، بغــداد ، بلا ، الص ٦٢ ــ ٦٦]) ✽ .

=

أما الأستاذ جلال الطالباني الذي رد على الأستاذ محمد الملا عبدالكريم باسم بيروت (راجع : « خەبات = النضال » ، ٢٦ تموز ١٩٦٠) فقد رأى الوجه الآخر للقضية واعتبر أن الدول الامبريالية « ولا سيما روسيا وبريطانيا » كانت تريد أن تقيم دولة رجعية للأرمن وتلحق بها جزءاً من أراضي كردستان . علما بأنه لحين التوقيع على معاهدة سيفر لم يدر أي حديث في المعاهدات والاتفاقيات الدولية عن استقلال أرمنستان . فالبند السادس عشر من معاهدة سان ستيفانو والبند الواحد والستون من معاهدة برلين اللذان يعتبران لحين التوقيع على معاهدة سيفر ذروة اهتمام الدول الكبرى بالأرمن ، لم يتطرقا حتى الى حكم ذاتي لهم ، فالحديث فيهما انما يدور عن « الاصلاحات » و « حماية الأرمن من الجركس والكرد » . ويبدو انه لهذا السبب بالذات صرح ممثل الأرمن الى مؤتمر برلين بعد عودته منها بقوله « طبخت الحرية في برلين ، ولكننا لم نستطع ان نتناول منها لقمة واحدة . اولادي ! (يقصد الأرمن ـ ك. م.) لا تعقدوا اي أمل على الأجانب . دبروا شؤونكم بانفسكم » .

أما الأستاذ مسعود محمد فلم يبلغ في الجزءين الأول والثاني من كتابه حول الحاج قادر الكويي حد الحديث عن نتاجاته في استانبول ، التي يبدو انه يخصص لها الجزء الثالث من الكتاب ، [ومن المعلوم أن القصيدة موضوعة بحثنا هذا من قصائده التي نظمها في استانبول . وقد صدر الجزء الثالث أيضا من الكتاب ، وليس فيه كذلك شيء عن نشاط الحاج قادر ونتاجاته في استانبول ـ المترجم] . الا انه يرى ، كما تبين لي من حديث خاص دار بيني وبينه بهذا الشان ، ان الحاج قادرا نظم هذه القصيدة ، ردا على معاهدة برلين للعام ١٨٧٨ . من الواضح ، وكما يبدو من فحوى هذا البحث، ان لا معاهدة برلين وحدها بل هي ، ومعاهدة سان ستيفانو ، واهتمام الدول الكبرى بالأرمن ، كل هذه جميعا كانت ضمن الشروط الضرورية لتوفر المناخ الذي انتج قصيدة الحاج قادر هذه . فهي (اي القصيدة) نفسها تحتوي على دليل مهم يظهر انها اقل عمرا من معاهدة برلين بعدة سنوات على الأقل . لقد نظم الحاج قادر هذه القصيدة اما في أواسط الثمانينيات أو قبل مذبحة الأرمن الأولى بسنوات قليلة ، فهو يقول فيها :

=

بالامس ، لا قبله ، نهض سكان السودان كالاسود
وهم الآن مستقلون ، يغبطهم اتباع كل دين

جلي انه يجب أن يكون حدث كبير وقع في السودان قد لفت انتباه الحاج قادر والذين كانوا يفكرون مثله عندما نظم هذه القصيدة . وما من حدث سوداني في تلكم الفترة لفت الانظار الا انتفاضة المهدي . وقد بدأت هذه الانتفاضة في العام ١٨٨١ ، غير انها استمرت ١٧ عاما ولم تبلغ مستوى يجذب اليها انظار مفكري الشعوب الأخرى الا في أواسط الثمانينيات ، ولاسيما بعد ان تمكن الثوار في تشرين الثاني من العام ١٨٨٣ من دحر الجيش الانكليزي الذي كان قوامه ١٠ آلاف مقاتل . وكان ذلك حدثا كبيرا في تلكم الأيام ، واستطاعوا بعد ذلك تحرير الخرطوم في كانون الثاني من العام ١٨٨٥ وقتلوا الحاكم الانكليزي في السودان واعلنوا استقلال بلادهم . والحاج قادر يتحدث عن انتصار السودان « بالأمس » واستقلاله « اليوم » .

ومادمنا بصدد الحديث عن الحاج قادر الكويي وقصيدته هذه ، فاني لا ارى ضيرا في ان الفت انظار المتخصصين منا في الأدب الى نقطة مهمة أخرى وردت في قصيدة الحاج قادر هذه . يخاطب الحاج قادر في بيت آخر من هذه القصيدة الشعب الكردي قائلا :

تجمعوا دفعة واحدة كالنحل ، تشاوروا فيما بينكم بصمت
احصلوا لكم على عدد الحرب من مدافع وبنادق و (هاون)

هنا تلفت كلمة (هاون) الانظار . صحيح أن المدفع الهاون **Mortar** اخترع بصورة جد بدائية في القرون الوسطى واستخدمه العثمانيون لأول مرة في أواسط القرن الخامس‌عشر ، الا أن تخلف التكنيك كان يؤدي الى أن تكون اضرار استعمال مثل هذا المدفع اكثر من فوائده . ولذلك فسرعان ما أهمل ولم يعد له من ذكر حتى أوائل القرن العشرين وبعد وفاة الحاج قادر بحوالي عشر سنوات [توفي الحاج قادر في العام ١٨٩٧] حيث بدىء بانتاجه من جديد . وفي هذه الدورة أستخدم المدفع الهاون لأول مرة في الحرب الروسية ـ اليابانية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) ؛ تلك الحرب التي لفتت اليها انظار شعوب الشرق كلها ، وبصورة خاصة شعوب الامبراطورية العثمانية . وقد بدأ الألمان بعد هذه الحرب ، وبالتحديد منذ العام ١٩٠٨ ، بانتاج مدافع هاون من نوعية جيدة .

=

وهكذا فان سوآلا يفرض نفسه هنا وهو الا يمكن القول ان تحريفا جرى في هذا البيت أو أن اضافة قد حدثت في القصيدة نفسها بعد وفاة الحاج قادر من قبل آخرين ! هذا أمر كثيراما تحدث نظائره ، والا فمن اي (هاون) يتحدث الشاعر ؟ كيفما كان الأمر فان الموضوع بحاجة الى دراسة من قبل المختصين . [من الممكن ان يكون اسم الـ (هاون) القديم قد بقي على الالسن ، أو كان يطلق خطأ على المدافع الأخرى ، واحتاج اليه الشاعر لضرورة القافية ولاسيما وانه كلمة مناسبة في هذا المقام ، فضلا عن أنه لم يكن على علم بالمصطلحات العسكرية بالطبع ـ المترجم].

* لست انفي صحة النقد الذي ذكره المؤلف من انني في عرضي لأفكار الحاج قادر الكويي ازاء المسالة الأرمنية وارتباطها بالمسالة الكردية ، رايت جانبا واحدا فقط في القضية ، فقد كنت ـ وانا أول من يتصدى ليس لهذا الموضوع وحسب ، بل ولدراسة موقع الحاج قادر الكويي في الفكر الكردي على وجه العموم ، على ما أعلم ، ولاسيما بالنسبة لاولئك المثقفين الأكراد الذين أورد المؤلف أسماءهم ـ أدرس الفكرة من وجهة نظر سياسية صرفة ، ولم تكن لدى معلومات مفصلة عن الجانب التأريخي الواقعي للفكر السياسي الأرمني . كنت أعلم ، كأي تقدمي يهتدى بالفكرة السياسية القائلة بحق الشعوب ، صغيرها وكبيرها ، في تقرير مصائرها بأنفسها ، أن للأرمن كذلك ، كما للكرد ، قضية عادلة هي قضية الحرية والسيادة الوطنية . ولأنني لم أكن على بينة من أمر التشابك المعقد للحدود الجغرافية القومية بين ارمينيا وكردستان ، لم تكن لدىّ كذلك فكرة واضحة عن الشعارات الشوفينية التي كانت البورجوازية الأرمنية الناهضة ترفعها ، ولابد من ذلك ، كأي بورجوازية شوفينية في اي أمة .

الا أن الجانب المهم في نظري في افكار الحاج قادر في هذا الموضوع ، هو انه تأثر في معالجة القضية بالفكر المتخلف السائد في الأمبراطورية العثمانية ولم يستطع صفاء ذهنه أن يحرره منه ، وان مشاعره الدينية كمسلم ـ وهو القومي الذي كان شعبه بالذات يعاني من الاضطهاد القومي على يد الدولة العثمانية المسلمة ـ لعبت دورها في تحديد موقفه السياسي ، رغم انه ينبه في القصيدة موضوعة البحث نفسها الى أن الدولة العثمانية لايمكن الركون اليها في اتخاذ موقف حازم لحماية كردستان من أن تصبح جزءا من ارمينيا وأن يفقد الشعب الكردي

=

حقوقه القومية وحرياته الدينية بل ووجوده وكيانه . لقد دعا الحاج قادر في هذه القصيدة الى اتخاذ أساليب سياسية وعملية جد صائبة ، بل انه دعا الى حرب قومية شاملة تشترك فيها كل طبقات الشعب الكردي ، مما يشبه شعارات الدعوة الى الجبهة العريضة والتي ترفعها العناصر الواعية اليوم في الشعوب التي تتعرض الى العدوان الأجنبي .
ولكن الغرض من حربه التي دعا اليها ، كان، وياللأسف، الوقوف بوجه استقلال الأرمن في الجوهر . انه يطرح القضية ، مثيرا الحماس القومي والديني بل وحتى المصالح الحيوية اليومية للشعب الكردي في آن واحد ، دون أي اشارة الى عدالة جوهر القضية الأرمنية ووجود مصالح حقيقية مشتركة بين الأكراد والأرمن . بل أن اشادته بدأب الأرمن وجلدهم ، حيث يبرهن بذلك على أنهم يستحقون ما يريدون ، انما يريد بها مزيدا من اثارة الحمية لدى الأكراد . ولو كان الحاج قادر على قدر كاف من الوعي السليم بأبعاد المسألة ، لأقر حق الأرمن في تقرير مصيرهم وعارض في الوقت نفسه الجوانب الضارة الشوفينية في سياسة أحزابهم القومية ودافع عن الكيان الجغرافي الطبيعي لوطنه كردستان . لكنه لم يتطرق الى شيىء من هذا القبيل وخلط بين العادل والظالم في مسالة الأرمن القومية كما كانت تطرح آنذاك . غير أن هذه الحقيقة يجب النظر اليها ، رغم كل شيىء ، في اطار الشروط الاجتماعية والفكرية التي كان يعيش فيها الشاعر الكبير . طبيعي انه لا يحق لنا نحن أن نحاسب الحاج قادرا لأنه لم يكن يدرك ابعاد المسألة القومية وعلاقات الأمم كما نفهمها نحن اليوم ، ولكن هذا لا يعني كذلك أن لا نضع النقاط على الحروف ببيان أوجه الصواب والخطأ في تفكيره .
ان النقاط التي يوردها المؤلف في بحثه هذا بشأن مواقف الأكراد السياسية آنئذ ، تدل بوضوح على أن معظمهم لم يكونوا يمتلكون الحد الأدنى من الفهم الصحيح للعلاقة الجدلية بين المسألتين القوميتين الكردية والأرمنية ازاء الدولة العثمانية ، وأنهم ، بوجه عام ، كانوا ازاء الأرمن مسلمين وعثمانيين اكثر من أن يكونوا اكرادا وقوميين ، ولم يشذ عنهم حتى الحاج قادر في هذا الموقف في أطاره العام . فلو كان له ، وهو القومي المخلص للغاية لشعبه ، موقف قومي متنور من المسألة الأرمنية ، وهو ما يلتقي بالموقف الأممي في التحليل الاخير ، لكانت له وجهة نظر اكثر شمولية ، ولقال شيئا ضد مجزرة الأرمن التي ساقت التضليلات العثمانية قطاعا غير قليل من ابناء شعبه الكردي سوقا للاسهام فيها ،

والشعارات التي كانت ترفعها القوى السياسية وقادة الرأي بين الأرمن وأساليب النضال التي كانوا ينتهجونها والاستراتيجي والتاكتيك اللذان كانوا يسيرون وفقهما ، هي كذلك ما دفع الحاج قادرا للقول :

« قسما بالقرآن ، لم تبق هناك غيرة •
ان تظهر أرمنستان للوجود فلن يبق أحد من الأكراد »[٥٦]

كما أشار الى الموضوع نفسه، ولكن بأسلوب آخر ، عدد من السياسيين الكرد العاملين في المهجر • فجريدة « كردستان » التي كرست جانباً كبيراً من أعدادها الصادرة في العامين ١٩٠١ و ١٩٠٢ للدفاع عن الأرمن ولادانة المذابح التي ارتكبت بحقهم[٥٧] ، أشارت أكثر من مرة الى مخاطر ما وصفته بـ « النوايا العدوانية » لـ « قلة من الأرمن »[٥٨] ، لكنها وضعت مقابل ذلك في الوقت نفسه الأعمال والنوايا العدوانية لـ«قلة من الأكراد»[٥٩].

=

وقد وقعت الحلقة الأولى من هذه المجزرة قبل وفاته هو بثلاثة اعوام .
واخيرا ، اود ان اشير كذلك الى ان الدكتور عزالدين مصطفى رسول ، رد عليّ ، هو الآخر ، بشأن هذه القضية ، شأنه في ذلك شأن (بيروت) ، ولكنه كان يبحث في رده عن مبررات لقصر النظر السياسي لدى الحاج قادر في تفهم المسألة (راجع : الدكتور عزالدين مصطفى رسول ، المصدر السابق) . (لمزيد من التفاصيل حول القصيدة وطريقتي في عرض أفكار الحاج قادر الواردة فيها ، راجع كتابي المشار اليه في بداية هامش المؤلف ، الص ٦٢ ـ ٦٦) ـ المترجم .

(٥٦) « كومه‌له شيعرى حاجى قادرى كويى » ، الص ٥١ .

(٥٧) نعود الى هذا الموضوع فيما بعد .

(٥٨) راجع على سبيل المثال : « كردستان » ، العدد ٢٦ ، ٢٢ رمضان ١٣١٨ ، ١٤ كانون الثاني ١٩٠١ .

(٥٩) لم تبلغ الصحيفة في جميع تقييماتها السابقة للمسألة الارمنية ، وما كان بامكانها ان تبلغ ، مثل هذا المستوى الموضوعي .

ان ما ضخم هذه المخاوف في نظر الكرد أكثر، هو ، كما سبق لنا القول، أن الدول الأوروبية كانت تولي المسألة الأرمنية اهتمامها • صحيح أن القسم الأكبر من ذلك الاهتمام كان نابعا من المصالح الخاصة لتلك الدول نفسها كما سنذكر ذلك فيما بعد ، الا أنه كان قد أرعب ليس مسؤولي الدولة العثمانية وحدهم بل والكرد كذلك ، حيث كان يشاع في أوساطهم أن دولة ستقام للأرمن بمساعدة روسيا وبريطانيا وفرنسا وأن الأكراد المسلمين سيقعون تحت سيطرة هذه الدولة المسيحية • وفي الحقيقة فان قسما من الأرمن ، ولاسيما الداشناقيين منهم ، كانوا يأملون ذلك ، وكانوا متفائلين الى حد كبير ويتوقعون الخير من الدول الكبرى ، وذلك لفرط ما عانوه من الاضطهاد الديني والقومي على أيدي العثمانيين • ومن هنا كان توسل المثقفين ورجال الدين والقوى السياسية الأرمنية بين حين وآخر الى الدول الكبرى ، التي كثيرا ما كانت تهب لنجدتهم لأغراض خاصة بها • وهذا ما كان قد أخاف الكرد الى حد ما ، خاصة وأن تدخل الدول الكبرى في المسألة الأرمنية كان يؤثر على أوضاعهم ، أي أوضاع الكرد ، الحياتية والمعيشية • وعلى سبيل المثال قابل سفراء الدول الكبرى المسؤولين العثمانيين قبل المذبحة الأولى أكثر من مرة بشأن حياة الأرمن ، ونتيجة لتلك المقابلات ، فقد وعد أولئك المسؤولون باتخاذ بعض الاجراءات بشأن الأرمن وأرمينيا ، كان بعضها يتعلق بالكرد وكردستان فقط ، منها ما تقرر من فرض الرقابة على تنقلات القبائل الكردية الرحالة وعدم السماح للفرسان الحميدية بحمل السلاح بدون موافقة خاصة(٦٠) وتقديمهم كغيرهم الى المحاكم الحكومية(٦١)•

(٦٠) كان السلاح آنئذ بالنسبة للكرد والشعوب التي كانت تعيش في ظروفهم يعد ضمن الضرورات الحياتية •

(٦١) راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 71, 388.
كان الارمن حضريين ، اما الكرد فكان قسم كبير منهم مايزالون
=

مثل هذه المواضيع كانت تشيع بين النـاس بسرعـة • ورغم أن الكثير منها لم يكن يجد طريقه الى التنفيـذ ، الا أنها كانت تلقي المخـاوف في النفوس ولاسيما القضايا المهمة منها كتنقل القبائل الرحالة التي كانت حقا قضية حياة أو موت بالنسبة لتلك القبائل • وواضح أن هذا هو ما حدا كذلك بالحاج قادر ليقول في بالغ الاهتمام :

« ها ان طريقكم يسد بوجوهكم ، يا قبائل الجاف والبلباس !
فحتى اذا متم من الحر ، لن يسمح لكم بالرحيل الى المصائف »(٦٢)

وتتيجة لقصر نظر العثمانيين ، كان اعتماد الأرمن على الدول الكبرى يشتد يوما بعد يوم ، مما كان يلقي روعا أشد في نفوس الحكام وفي نفوس الكرد كذلك الى حد ما • ذكر گردليفسكي قبل بداية الحرب العالمية الأولى وبعد المذبحة الأخيرة بفترة وجيزة كيف أن « السياســة الشوفينية لتركيا الفتاة لم تلبث أن أصابت الأرمن بخيبــة أمل جعلتهم يعقدون الرجـاء على التدخل الخارجي فقط ، فعندما كنت أجوب مناطق آسيا الصغرى في العام ١٩١٣ كان الناس ينظرون اليّ ، أنا الرحالة الروسي ، وكأني منتدب لدراسة

=

يعيشون حياة التنقــل ، وكان فيهم قبائل تصــل في رحلاتها الشتوية والصيفية الى مناطق ارمينيا وقرهباغ . وكما هو معروف ، فان القبائل المتنقلة تشكل دوما مصدرا للمحن والصعاب للحضريين . ولذلك فليس الأرمن وحدهم ، بل والأكراد الحضريون كذلك ، كانوا يعانون الكثير على ايدي الأكراد الرحالة . غير ان محنــة الأرمن كانت قد اتخذت لها طابعا مختلفا نوعا ما لأنهم كانوا يشكلون فريسة اسهل بالنسـبة للقبائل الرحالة القوية الشكيمة ، مما جعل حياة الترحل لهذه القبائل عامل تذمر شديد بين الارمن الذين غالبا ما كانوا يطالبون السلطةالعثمانية والدول الاجنبية بالعمل من أجل وضع حد لها .

(٦٢) « كومهله شيعرى حاجى قادرى كويى » ، الص ٥١ .

الأوضاع الداخلية (للمنطقة ـ ك• م•)»[٦٣] • ولذلك فقد استقبله الأرمن بحرارة وأخذوه الى أماكن عديدة •

كان للمسؤولين العثمانيين اليد الطولى في نشر المخاوف بين الأكراد وفي تخريب العلاقات الكردية ـ الأرمنية ، فقد كان ذلك في مصلحة دولتهم ، ولذلك كانوا يسعون بكل وسيلة لاشعال نار الشقاق والخلاف بين الشعبين الجارين ، وكانوا يبادرون الى سد أي منفذ يمكن أن تهب منها رياح التقارب بينهما • فقد كانوا يخشون مثل هذا التقارب أكثر من أي شيء آخر ، خاصة وأنهم كانوا يعلمون أن الرجال بعيدي النظر وذوي الأحاسيس الديموقراطية في الشعبين يقيمون مثل ذلك التقارب تقييما صحيحا ، رغم أن أمثال هؤلاء كانوا قلة • ومما يروى أن الشيخ عبيدالله النهري قائد انتفاضة العام ١٨٨٠ رفض منذ البداية أن يعير أذنا صاغية لتحريضات العثمانيين الهادفة الى اقامة مذبحة بين مسيحيي ورمى حيث كانوا يريدون تحقيق مخططهم على يدي الشيخ المذكور[٦٤] • وكما كتب الدكتور أ• أستارچيان ، فان زعيم الداشناق التقى في أواسط التسعينيات من القرن الماضي بعبدالرحمن بدرخان في جنيف وتحادث معه حول توحيد مساعي الكرد والأرمن ، ونشر بدرخان مقالا باللغة الكردية وبالحروف العربية في جريدة « تروشاك »

(٦٣) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 83.

(٦٤) راجع : B. Nikitine, Op. Cit., P. 189.

من المهم ان نشير بهذا الصدد الى ان جريدة « كردستان » التي كان يصدرها البدرخانيون في الخارج اشارت الى هذا الموقف باعتزاز وأبدت أملها في ان يتحول الى نموذج يحتذيه احفاد الشيخ في تعاملهم مع الارمن. كان هذا جزءا من حملة الجريدة ضد مذابح الارمن ، وسنعود الى هذا الموضوع في مكان آخر من هذا الفصل (راجع : «كردستان» ، فولكستون، العدد ٢٧ ، ٢٢ ذي القعدة ١٣١٨ ، ١٤ آذار ١٩٠١) .

(الراية) لسان حال الداشناقيين[٦٥] ، وبذلت مساعٍ أخرى أيضا بعد ذلك ، للتقريب بين الأكراد والأرمن ، كما سنتحدث عنها فيما بعد .

كان من الطبيعي أن يبدأ المسؤولون العثمانيون ببذل الجهود النشطة للحيلولـة دون أن تثمر تلك المسـاعي الحميدة ، فـأخذوا يبثـون بذور الشقاق والنزاع بين الأكراد والأرمن ويلهبون نار الخلاف من كل الجهات . وكانوا في الوقت نفسه يخشـون للغاية أن يدفع النضال الحازم والعادل الذي كان يخوضـه الأرمن ، جماهير الشـعب الكردي أكثر فأكثر لتناضل هي الأخرى في سبيل حقوقها ، وكان نضال الأرمن حقيقة تأريخية مطروحة على بساط التطبيق . ورغم كل المخاطر التي تحدث عنها الحاج قادر في شـعره بشأن مستقبل الكرد وكردستان اذا قدر للمسألة الأرمنية أن تتكلل بالنجاح والتي نبه الكرد من خلالها ، فانه يرى في الموضوع (أي في نضال الأرمن) حقيقة مهمة يتمنى أن تصبح مثالا للكرد وقدوة ، وها هو يقول :

« ومع ذلك فان للارمن الحق .
انهم غيارى ، أفرادا وجماعات ..
انهم ليسوا مثلنا ، فيقاتل بعضهم بعضا بالسيوف »[٦٦] .

مثل هذه الأفكار كانت مطروحـة قليلا أو كثـيرا[٦٧] ، وكانت تدفع

(٦٥) الدكتور ك. أ. استارجيان ، تاريخ الامة الارمنية ، الموصل ، ١٩٥١ ، الص ٣١٥ . من الجدير بالذكر أن جريدة « تروشاك » هذه نشرت في حينه بعض الرسائل والمقالات المهمة للشخصية الوطنية الكردية الأستاذ اسماعيل حقي شاويس (راجع : « التآخي » ــ صفحة الثقافة الكردية ١٥ ــ ١٢ ، كانون الثاني ١٩٧٤) .

(٦٦) « كومه‌له شيعرى حاجى قادرى كويى » ، الص ٥٤ .

(٦٧) كان مصطفى باشا ياملكي، وهو احد الضباط الكبار في الدولة العثمانية، يحث الأكراد في كتاباته بعد انتهـاء الحرب العالمية الأولى وعودتـه الى

الحكام العثمانيين ليبذلوا مزيدا من الجهد لتشويه سمعة الأرمن لدى الكرد لئلا تصبح حركتهم القومية العادلة قدوة لهم • وفضلا عن ذلك كان العثمانيون يدركون أنهم بذلك يرمون « عصفورين بحجرة واحدة » اذ يضربون الحركة الأرمنية من جهة ويوجهون الحركة الكردية في مسار خاطيء من جهة أخرى ، وهو ماكان يؤدي حتما الى أن يصيبها الضعف والهزال • ومن المفيد أن نشير هنا الى وثيقة تأريخية مهمة تلقي الضوء على مسائل كثيرة بهذا الصدد. فقد تحدث القنصل الروسي العام في أرضروم آداموف في رسالة رسمية له بعثها الى السفير الروسي في استانبول بشأن الأرمن ، عن العلاقات الكردية ـ الأرمنية ، على لسان أحد زعماء الأرمن • كتب آداموف يقول :

« دعوت البطريرك الي للافطار ، وحاولت جره الى الحديث عن العلاقات بين الكرد والأرمن • كان رأي نيافته كما يلي : اذا كان بين القبائل الكردية ، ولاسيما في ولاية بدليس ، من يعتبر عدوا للأرمن ، فان الآخرين ينظرون الى الأرمن كأصدقاء ، وهم على استعداد ليضعوا أيديهم في أيدي الأرمن • واليوم حيث تظهر في صفوف الأكراد حركة ، فان الحكومة التركية التي تنظر منذ زمن بعيد نظرة شك وريبة الى الصداقة الأرمنية ـ الكردية ، والتي سعت على الدوام لتحريضهما ضد بعضهما ، تبذل جهودا خاصة لتوجيه رأس رمح هذه الحركة ضد الأرمن »[٦٨] •

=

السليمانية على الاقتداء بالأرمن في النضال والاتحاد (راجع على سبيل المثال : جريدة « بانگ كردستان » (نداء كردستان) ، السليمانية ، العدد ٣ ، ٢١ آب ١٩٢٢) •

(٦٨) مقتبس من :
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 236 — 237.

وهكذا فان قصر نظر الحركة القومية سواء لدى الأرمن أو لدى الكرد وتدخل الدول الكبرى ومساعي الدولة العثمانية لتخريب العلاقات ـ الكردية ـ الأرمنية وتضليل الكرد ، كل تلك لعبت دورها في اثارة قطاع من الأكراد ضد الأرمن . وبديهي أنه هنا أيضا تقع الجريرة الكبرى على عاتق تلك الجهة التي كانت تبذر حثيثا وعلى الدوام بذور الشقاق . ان كل تقييم دقيق لدور الكرد في مذابح الأرمن ، ينبغي أن يأخذ هذه الحقيقة التأريخية المهمة كذلك بنظر الاعتبار .



من كل ماسبق يبدو واضحا أن مذابح الأرمن وأحداثها الدامية كانت أعمق من أن تفسر بكونها حصيلة المشاعر العمياء للكرد أو نتيجة لتخلفهم . كانت القضية عبارة عن عمل نظم بدقة واشتركت في اعداده أطراف مختلفة ولدوافع كانت في الغالب متباينة . لم يكن بوسع الحكام العثمانيين أن يحلوا المشكلة الأرمنية ، وكانوا في الوقت نفسه يخشون أن تفلت أرمينيا من قبضتهم ، كما أفلت البلقان من قبل . تلك هي البؤرة الأساسية للمذابح التي صار قسم قليل من الشعب الكردي احدى الأدوات التي استخدمت في تنفيذها ، بل انه بالنسبة للمرحلة الأولى من هذه المذابح والتي سعى السلطان عبدالحميد وأعوانه كثيرا لالقاء المسؤولية عنها على عاتق الشعب الكردي ، هناك وثائق تأريخية تثبت بوضوح أن الباب العالي هو الذي نظمها وعلى عاتقه تقع مسؤولية أحداثها المفجعة . ففي بعض المناطق كانت المذبحة تبدأ على أيدي الجنود والجندرمة وتنتهي على أيديهم ، فقد كلف ٣٠ ألف جندي ودركي في أورفه و ١٦٠٠ آخرون في عربكير للقيام بابادة الأرمن الموجودين فيهما[٦٩] .

(٦٩) Ibid, P. 129.

وتجلت الحقيقة نفسها في مذابح الحرب الأولى بصورة أكثر سطوعا ، فقد زالت البراقع عن وجوه الجميع في ظروف الحرب وتكشفت على حقيقتها أمام الأنظار ٠ فالدولة العثمانية التي كانت تحلم بالفوز في الحرب العالمية الأولى ، لم تكن تحسب حسابا للرأي العام الأوروبي ٠ صحيح أن قسما من المسؤولين كانوا يحاولون اخفاء جرائم السلطة[٧٠] ، الا أن معظمهم كانوا يتباهون بها علنا ٠ وفضلا عن ذلك فهناك عدة وثائق مهمة سرية وعلنية تدلنا على جريمة السلطة ومسؤوليتها من كل الوجوه ٠ ومن الضروري القاء نظرة سريعة على بعض من هذه الوثائق ، لأن من شأن مضامينها تحديد أبعاد الاطار العام للقضية بشكل موضوعي مما يعطي المؤرخ امكانية أكبر لتحديد الموقع الحقيقي للأكراد ضمن ذلك الأطار ٠

تنقل في البداية برقية لوزير الداخلية طلعت باشا أرسلها الى والي حلب، وقد جاء فيها مايلي بالنص :

« لقد أبلغتم من قبل أنه تقرر نهائيا ، حسب أوامر الجمعية[٧١] ، ابادة الأرمن الذين يعيشون في تركيا ، والذين يقفون ضد هذا القرار (يقصد من المسؤولين ـ ك٠ م٠) لايسعهم البقاء في وظائفهم ٠ ومهما تكن الاجراءات التي ستتخذ شديدة وقاسية ، ينبغي وضع نهاية للارمن ٠ لاتلقوا بالا ، بأي

(٧٠) فمثلا كان التقاط الصور للجرائم المرتكبة ممنوعا في بعض المناطق . وكثيرا ما كانت تلك المآسي تخفى عن انظار الراي العام في الخارج ولاسيما في البداية . ويتحدث فائز الغصين عما قيل من ان المسؤولين كانوا يكسون قتلى الأرمن الملابس الكردية ثم يلتقطون لهم الصور للايهام بأن تلك الجرائم من صنع الأرمن (راجع : فائز الغصين ، المصدر السابق ، الص ٣٨ ـ ٣٩ . راجع كذلك :
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 287 — 323).

(٧١) يقصد « جمعية الاتحاد والترقي » .

صورة ، للعمر والوجدان والرجال والنساء »[٧٢] .

كان طلعت باشا يعرف جيدا مايريد ، وكان ينفذ بدقة ما يقول . وها نحن نثبت صورة لبرقيتين أخريين له أرسلهما الى حاكم حلب[٧٣] :

يقول في برقيته الأولى :

علمنا أن عددا من الموظفين قد أحيلوا على المحكمة العسكرية بتهمة السلب والنهب واستعمال الشدة مع الشعب المطلوم (بديهي أنه يقصد الأرمن ــ ك. م.) . من شأن اجراء كهذا ، حتى وان كان شكليا ، أن يؤدي الى تثبيط عزائم الموظفين الآخرين . لذلك فاني آمر بعدم افساح المجال لهذه المحاكمات » .

ويقول في برقيته الثانية :

« اذا أصيخ السمع للشكاوى التي يقدمها أولئك (يقصد الأرمن ــ ك. م.) حول شؤونهم الخاصة المختلفة، فان ذلك يؤدي لا الى تأخر تسفيرهم الى الصحارى وحسب ، بل ومن الممكن أن يؤدي الى ظهور سلسلة من الأعمال التي لايستبعد أن تسبب في المستقبل في ظهور بعض العراقيل السياسية . وفي ضوء هذا ينبغي اصدار الأوامر اللازمة للموظفين »[٧٤] .

(٧٢) مقتبس من :
((The memories of Naim Bey. Turkish official documents relating to the deportations and massacres of Armenians)), London, 1921, P. 64.

(٧٣) كان الأرمن الذين يبعدون عن طريق حلب، يرسلون الى سوريا والعراق.

(٧٤) تجاوزت وحشية طلعت باشا ازاء الأرمن كل الحدود . وطبقا لما ورد في مقال نشرته « التايمس » اللندنية (في التاسع والعشرين من ايلول من العام ١٩١٥) فان طلعت باشا اغتنم فرصة هزيمة رفيقه انور باشا
=

ومما يجدر ذكره أن مولان زاده رفعت وهو من كبار الاتحاديين قد اعترف بهذه الحقائق في ذلك القسم من مذكراته الذي نشره في حلب في العام ١٩٢٩ باللغة التركية فبين كيف أن قادة الاتحاديين قرروا بعد اجتماعات

=

في القفقاس فاستغلها لضرب الأرمن الذين كان يريد أن يلقي مسؤولية تلك الهزيمة على عاتقهم . ومن الجدير بالذكر أن الثالوث المتحكم طلعت باشا ورفيقيه أنور باشا وجمال باشا كانوا ينظرون الى العرب والكرد أيضا بالمنظار نفسه . وبعد خسارة الحرب وانهيار الدولة العثمانية ، أقر طلعت باشا صراحة بفشل سياسة الاتحاديين من كل الوجوه . فلم يتجرأ الثالوث على مجابهة النقمة الشعبية التي أخذت بخناقهم ، فهربوا جميعا من البلاد . ولكن القدر شاء أن يلقى ثلاثتهم مصيرا متشابها جاء بمثابة جزاء عادل لما اقترفته أيديهم من جرائم وموبقات بحق الجميع وفي مقدمتهم الشعب الأرمني . فبالنسبة لرئيس الجمعية طلعت باشا كرس الطالب الأرمني تاليريان نفسه للبحث عنه حتى التقى به وجها لوجه في أحد شوارع برلين فأرداه قتيلا ، وذلك في الخامس عشر من آذار من العام ١٩٢١ . أما جمال باشا السفاح فقد التجأ بعد الحرب الى ألمانيا ثم سويسرا . ومنذ العام ١٩٢٠ صار مستشارا عسكريا للحكومة الأفغانية ، الا أنه اغتيل في العام ١٩٢٢ على يد أحد أعضاء حزب « الداشناق » الأرمني وذلك أثناء ذهابه الى مدينة تبليس . وحاول المغامر الأول من بين زعماء الاتحاديين أنور باشا العودة من الأبواب الخلفية الى الحياة السياسية عندما أراد استغلال الظروف التي استجدت في آسيا الوسطى ومناطق ما وراء القفقاس السوفيتية من جراء تدخل جيوش الدول الاستعمارية في تلك البلاد . وبعد أن اشترك في مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في باكو في العام ١٩٢٠ ، بعد أن ادعى التأييد للكومينترن وقدم نفسه ممثلا لما أسماه بـ « اتحاد المنظمات الثورية في مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر وشبه الجزيرة العربية والهند » وتباهى بالاعتماد على « الفئات الاجتماعية الكادحة وعلى رأسها الطبقة الفلاحية » ، اغتيل الجلاد السابق و « التقدمي » اللاحق أنور باشا على يد قطعات من الجيش الأحمر ، وذلك بعد انضمامه الى الحركة المسلحة المتخلفة التي اندلعت في بعض جهات آسيا الوسطى بمساندة مباشرة من الانكليز والأمريكان .

ودراسات خاصة ابادة الأرمن عن بكرة أبيهم • ويبدو مما نشره أن سـارق فوت الشعب ، عضو اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي ورئيس « جمعية الأصناف » التي تحدثنا عنها في الفصل السابق ، قره‌كمال ، كان من بين أشد المتحمسين لخطة الابادة هذه[٧٥] • أما أنور باشا نفسه فقد صرح ، دون أدنى مواربة ، بأن « من الضروري » ازاحـة « العنصر الأرمني » في الأمبراطورية العثمانية[٧٦] •

ينبغي النظر الى مآسي الأرمن في سنوات الحرب العـالمية الأولى من هذه الزاوية • لقد كانت نوايا الحكومة واضحة وجلية • كان الجيش ورجال الادارة يقومون ، طبقا لتلك الأوامر ، بما « ينبغي » القيام به • وبديهي أنـه بدون اسهام أساسي من مدفعية الجيـش لم يكن من الممكن ابـادة مليون ونصف المليون بتلك السهولة • وعلى سبيل المثال فاننا نورد مايلي : في بداية تموز من العام ١٩١٥ توجه ٢٠ ألف جندي مسلح ومعهم أحد عشر مدفعـا من استانبول نحو مدينة موش • وفي العاشر من الشهر نفسه قصفت المدافع الأحد عشر محلات الأرمن ومنـاطق سكناهم في المدينـة المذكورة قصفـا متواصلا لعدة ساعات[٧٧] • وقد كان بعض المسؤولين ، من أمثـال متصرف موش ، يتبـاهون علنـا وعلى الملأ باسـهامهم في تلك المذابح بكل فظـاظة وغلظة[٧٨] •

(٧٥) Mevlan Zade Rifat, Türkiye inkilâbinin ic yüzü, Halep, 1929, SS. 89 — 93.

(مقتبس من كتاب :
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 362 — 366).

(٧٦) راجع : G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 276.

(٧٧) راجع :
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 255, 280 — 282.

(٧٨) Ibid, PP. 279 — 280.

فاذا نظرنا الى الموضوع من هذه الزاوية ، كما ذكرنا من قبل ، فهمنا بكل سهولة وأدركنا أن قسما من الأكراد الذين أسهموا في تلك الحوادث ، انما تورطوا فيها بدفع من المسؤولين . وفي الامكان ايراد العديد من البراهين والوثائق من مصادر جد متنوعة لايضاح هذا الموضوع . صحيح أنه كان هناك أكراد بسطاء وفقراء يرغبون في الاشتراك في نهب الأرمن بدافع من وضعهم الاقتصادي المزري وبسبب من تخلفهم الكبير ، الا أن ذلك ما كان ليرضي المسؤولين . فهم كانوا يريدون من الأكراد قتل الأرمن أولا ومن ثم نهب أموالهم . « لقد أمرناهم (أي الأكراد ـ ك. م.) بابادة الأرمن ، ولكنهم كانوا سباقين الى النهب أكثر منهم الى القتل » . هذا ماقاله أحد المسؤولين الكبار في مدينة موش ابان المذبحة الأولى[٧٩] . وكان هناك أكراد مغفلون يتصورون أنهم انما ينفذون أوامر السلطان والحكومة كواجب عليهم ، حتى انهم كانوا يصرحون بذلك لضحاياهم الأرمن في بعض الأحيان. وفي العديد من المرات لم يكن بوسع الفرسان الحميدية أو العشائر الموالية للسلطة أن يفعلوا شيئا لو لم تهب المدفعية والجيش لنجدتهم . وأسوأ من ذلك أن المسؤولين في العديد من المناطق كانوا يطلقون سراح السجناء الأكراد ومنهم لصوص وقتلة ويشترطون عليهم الاشتراك في المذابح الأرمنية ثمنا لحريتهم . لقد حدث مثل هذا العمل اللاأخلاقي في مختلف مراحل المذبحة[٨٠] . وكما يذكر الأستاذ عبدالعزيز ياملكي ، فان المسؤولين كانوا يجلبون سجناء من مناطق أخرى ويلبسونهم الزي الكردي ويرسلونهم أفواجا

(٧٩) **Ibid, PP. 88 — 89, 126.**

(٨٠) **Ibid, PP. 122 — 123, 126, 184 — 185, 210, 227, 306, 309, 321, 488.**

الى مدينتي أرضروم ودياربكر للاشتراك في عملية الابادة الجارية هناك[٨١] • وخلال المذبحة الأولى أرسل المسؤولون جنودا بملابس كردية لأداء الدور ضده[٨٢] •

وبعد أن كان يجري تجميع السجناء والأشقياء والفرسان الحميدية ، كان المسؤولون ينهضون فيهم محرضين اياهم بكل حماس على قتل الأرمن ويلعبون بعقولهم وأفكارهم ، ثم يطلقون أيديهم للبدء في ما رسم وخطط لهم • بعض الأرمن الذين رأوا مثل هذه الحوادث بعيونهم ، كتبوا في رسالة لهم مايلي : « كان المسؤولون يحيكون قبل المذابح وخلالها وبعدها بعض الاتهامات ، فيوجهونها الى الأرمن ، وأكثر تلك الاتهامات كانت تهمة العصيان والتمرد ، وذلك لايجاد مبرر ما للمذابح ولاثارة الجمهور أكثر فأكثر ضدهم »[٨٣] •

يوجد دليل تأريخي مهم آخر على أن مذبحة الأرمن كانت أبعد بكثير من أن تكون حصيلة الأحاسيس الدينية العمياء لدى الكرد ونتيجة لتخلفهم ، ويرتبط هذا الدليل مباشرة بما كان للالمان من دور رجعي في ما وقع لاخوتهم في الدين على أيدي حلفائهم المسلمين وعلى مرأى ومسمع من ضباطهم وعملائهم المنتشرين في طول البلاد وعرضها • بديهي أن الألمان كانوا يفكرون بموقفهم هذا في مصالحهم الخاصة قبل أي شيء آخر • انهم كانوا يعلمون أن الأرمن يعتمدون على روسيا[٨٤] وبريطانيا المعاديتين لألمانيا أكثر مما يعتمدون

(٨١) عبدالعزيز ياملكي ، المصدر السابق ، الص ٦٢ •

(٨٢) ((The Genocide of the Armenians ...)), P. 38.

(٨٣) Ibid, P. 126.

(٨٤) كانت العلاقات الارمنية ـ الروسية التي تحكمت فيها عوامل مختلفة سياسية وجغرافية واقتصادية ، تحفز الأوساط الألمانية الحاكمة ضد

=

عليهم ، كما كانوا يعلمون أن روسيا وبريطانيا تريدان التدخل مع فرنسا في شؤون الدولة العثمانية التي غدت في الواقع شبه مستعمرة ألمانية ، وذلك عن طريق المسألة الأرمنية . لقد كانت ألمانيا تعمل جاهدة من أجل أن تكون لها يد مباشرة في كل مايتعلق بالمسألة الأرمنية ، ولجعل المسألة محصورة في اطار الأمبراطورية العثمانية نفسها . وقد أبدى الدبلوماسيون والصحفيون الألمان قبيل الحرب وفي بدايتها نشاطا ملحوظا في هذا الاتجاه ، حيث قاموا بحملة دعاية بين الأرمن لدفعهم الى حصر مطاليبهم في الحكم اللامركزي وللتعاون مع الاتحاديين والابتعاد عن الروس ، حتى ان وكيل القنصل الألماني في الموصل هولشتين أرسل خصيصا الى مدينة وان حيث قضى ثلاثة أشهر بين الأرمن لهذا الغرض[٨٥] .

وتوجد بعض الدلائل المهمة التي تعود الى ماقبل المذابح الأرمنية في سنوات الحرب العالمية الأولى بوقت قريب ، تدين موقف ألمانيا وتوضح مخططاتها بشكل لالبس فيه . ففي محاضرة لباول روورباخ[٨٦] ألقاها في أواخر العام ١٩١٣ في اجتماع مغلق ضم ضباط الأركان الألمان ، حدد هذا

=

الأرمن اكثر فاكثر ، ولاسيما وانها كانت تخشى أن تتحول ارمينيا الغربية الى « مفتاح بيد روسيا للوصول الى آسيا الصغرى وميسوبوتاميا » (راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., P. 37).

(٨٥) راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., P. 38.

(٨٦) باول روورباخ Rohrbach واحد من الكتاب السياسيين البارزين الالمان . عبر في كتاباته عن طموحات المانيا العسكرية منذ أواخر القرن التاسع عشر ، فقبل الحرب العالمية الاولى وفي سنواتها كان يدعو الى اعادة تقسيم المستعمرات البريطانية والفرنسية والروسية بشكل لتصبح لالمانيا حصة تتناسب مع امكاناتها الجديدة . وفي دعوته الى فرض السيادة الالمانية على العالم اولى مناطق الشرق الأوسط اهتماماً خاصاً وقد زار قسماً منها .

يحكر الألماني سياسة بلاده تجاه المسألة الأرمنيـة بدقة ٠ فقد ذكر بصراحة أن على ألمانيا أن لاتسمح باجراء اصلاحات جذرية في أرمينيا الغربية ، بل انه ذهب الى مدى أبعد من ذلك بكثير عندما أكد أن على بلاده أن تعمل من أجل تهجير الأرمن من مناطق سكناهم وتشجيعهم بوسائل مختلفة للاسـتيلاء على امتداد خط سكة حديد بغـداد ومن ثم نقل عشـائر من التتر والأتراك الى أرمينيا الغربية حتى يصبح بالامكان ، حسـب قوله ، اقامة حـاجز فولاذي بوجه روسيا ٠ ولقيت الفكرة استحسان الحاضرين ، وكان بينهم عدد من كبار العسكريين الألمان ٠ وقد أكد روورباخ الفكرة نفسها في محـاضرة أخرى له ألقاها في أواخر تشرين الثاني من العـام ١٩١٣ أمـام « الجمعيـة الألمانية الآسيوية » أشـار فيها الى ضرورة بقاء أرمينيا الغربيـة داخل الأمبراطورية العثمانية لتوافق ذلك مع مصالح ألمانيا ٠ وفي محاضرته الثـانية هذه كشف عن نقطة مهمة للغـاية بالنسبة لموضوع بحثنا من شأنها القاء ضوء كاشف على خفايا معينة في مسألة المذابح الأرمنية ٠ فقد ذكر المحاضر أن أرمينيا الغربية تشكل ما أسماه « بؤرة فوضى في تركيا » « يحتاج اخمادها (وهذا هو المهم في الموضوع ــ ك٠ م٠) الى استخدام الأكراد » ٠ ثم أوضح روورباخ الأمر أكثر عندما أعلن بكل صراحة أن ألمانيا سوف لاتعارض في دفع الأكراد لضرب الأرمن[٨٧] ٠

وقد ترجم المسؤولون الألمـان كل ذلك الى مواقف عملية في سـنوات الحرب ٠ فقد تضمنت المذكرة التي رفعها السفير الألماني الى الصدر الأعظم سعيد حليم باشا في ٤ حزيران من العام ١٩١٥ تأييد ألمانيا الكامل لما وصفته بابعاد الأرمن عن شرقي الأناضول ، معتبرة مثل هذا العمل « وسـيلة شرعية

(٨٧) راجع : A. S. Avetian, Op. Cit., PP. 43 — 44.

للدفاع عن البلاد » . ورداً على احتجاج ممثلي البلدان المحايدة ، أكد السفير أن بلاده « لاتنوي التدخل في الشـؤون الداخلية لحليفتها تركيـا »[٨٨] .
ان مثل هذه الحقائق وغيرها من الدلائل والوثـائق دفعت المؤرخ الدكتور آفيتيان للتأكيد على أن ألمانيا « اشتركت بشكل فعال ومباشر في ابادة أرامنة الأمبراطورية العثمانية »[٨٩] .

وقد كان للألمـان ، بالفعل ، يد في مذابح الأرمن في سـنوات الحرب العـالمية الأولى . فقد كتبت جريدة التـايمس اللندنية في عددهـا السابق الذكر[٩٠] أنه كان لعدد من القنـاصل الألمـان يد في تحريض المسؤولـين العثمانيين ضد الأرمن . وقد خصصت بالذكر بين هؤلاء القنصل الألماني في حلب . ويبدو أن ضباطاً ألمانـا كانوا في بعض المنـاطق ، ومنهـا أورفه ، مع الجيوش العثمانية التي كانت تضرب الأرمن دونما شفقة . وفي بعض المناطق الأخرى أفاد الجنود أنهم ينفذون أوامر السلطان وأمبراطور ألمانيـا . وكان الأرمن أنفسهم يعتقدون أن ألمانيـا تنظر اليهم بعين الحقـد ، وأن لها يداً في تدبير مذابحهم وتشريدهم[٩١] .

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء محاكمة تاليريان أمام احدى محاكم برلين بتهمة قتل طلعت باشا[٩٢] ، جرى الحديث عن دور ألمانيا في مذابح الأرمن .

---

(٨٨) مقتبس من : G. Z. Aliev, Op. Cit., P. 277.
واقتبسـها هو بدوره من الص ١١٥ من كتاب أرنولد توينبي :
((Nationality and the War)), London, 1915.

(٨٩) A. S. Avetian, Op. Cit., P. 45.

(٩٠) راجع الهامش ٧٤ .

(٩١) فائز الغصين ، المصدر السـابق ، الص ٣٩ ــ ٤٠ .
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 316, 325, 340, 395.

(٩٢) راجع الهامش ٧٤ .

ولم تقتصر نتيجـة المحاكمة على اقرار المحكمة بأن لتاليريان الحـق في قتل طلعت باشا وأمرها باطلاق سراحه على هذا الأساس ، بل ان الحقـائق التي أثيرت أمام المحكمة كان لها صدى كبير في الصحف الألمانية ، وعلى أساسهـا طالبت تلك الصحف بتحديد ما أسمته بالمسؤولية الأدبية للامبراطورية الألمانية السابقة نفسها في مذابح الأرمن[٩٣] •

وفي هذا المجال نرى من المناسب أن نتطرق بايجـاز الى موقف الرأي العام العالمي والدول الكبرى ازاء مذابح الأرمن • لقد ذكرنا أكثر من مرة أن الأرمن كانوا مضطرين تحت وطأة الاضطهاد العثماني الذي تعدى الحدود الى الاعتماد أكثر فأكثر على الدول الكبرى والاحتماء بها[٩٤] • ولكن هذه الدول كانت تنظر الى الأرمن والمسألة القومية الأرمنية من زاوية مصالحها الخاصة قبل أي اعتبار آخر ، فكانت تساندهم متى مارأت ذلك في صالحها • وكثيرا ما كانت تتغافل ازاءهم أو تنتصر لهم تحت تأثير الرأي العـام ولكنها تحصر اهتمامها بهم في اطـار الأقوال ، بعيدا عن أي عمل واقعي ، ذلك لأن الموقف الرسمي للدول الأوروبية تجاه القضية الأرمنية ارتبط كليـا بأبعاد الصراع الدولي والخطط المتشعبة لتقرير مستقبل المنطقة بأسرهـا ، حتى ان انكلترا التي ارادت أن تظهر نفسها أكثر حرصا من غيرها في الدفاع عن حقوق الأرمن، كانت تخشى أن يؤثر فرض حل جذري لتلك المسألة على خططها هي بالنسبة لمناطق الشرق الأوسط الأخرى ، بأن يتحول الأمـر الى نمـوذج تحتذيـه

(٩٣) راجع : V. Tarle, Op. Cit., PP. 392 — 393.

(٩٤) ذكر لي أحد الشـيوخ الأرمن أن كل آمالهم كانت قد انحصرت في تلكم الأيام في رحمة الأوروبيين ، بحيث بلغ الامر حد انه كلما كانت سفينة تابعة لاحدى الدول الكبرى تدخل احدى الموانىء العثمانية ، كان بسطاء الأرمن واطفالهم يهبون لاستقبالها سباحة . ولكن البحارة كثيرا ما كانوا يسخرون منهم ويصبون عليهم الماء الحار .

شعوب آسيا الصغرى وســوريا وشبه الجزيرة العربيــة ، في وقت كانت جهود السياسة البريطانية مكرسة لتحويلها الى مستعمرات تابعة لها • ويبدو مثل هذا التخوف البريطاني واضحا من مذكرة سرية للسـير أدوارد گراي حول مشروع اصلاحي بصدد أرمينيا الغربية يعود تأريخها الى ما قبل الحرب بحوالي العام الواحد(٩٥) •

هنا يتبين لنا لمــاذا لم تتحرك الدول الأوروبية ابــان مذابح السلطان عبدالحميد التي أقامها للأرمن ، الا مكرهة • ففي بلاد كفرنسا لم يرفع صوت الاحتجاج الا نفر من أشد أنصار الحرية المعادين للنظام• وفي الوقت نفسه فان كثيرين كانوا يلهثون وراء ايجــاد مبررات لسـكوتهم وصمتهم ومواقفهم الانتهازية• ان أحسن تعبير عن ذلك الوضع هو ماقــاله الكاتب الفرنســي الكبير أناتول فرانس : « بما أن الغالبية تدير ظهرها ، عادة ، للمنكوب ، فان كثيرين استطاعوا أن يجدوا أساسا لادانة الضحايا » •

وعندما استيقظت أوروبا من ســباتها العميق في ســنوات الحرب ازاء ما جرى لـ « أكثر شعوب الشرق بؤسا وأقلها حظا »(٩٦) ، كانت المأساة قد تحولت الى جزء من ذكريات الماضي ، ولكنه حتى في ذلك الحين ، لم يتحرك الضمير الأوروبي الا لتوجيه اللوم للألمان بالأساس وفي اطار حرب الدعــاية الدائرة بين الفرقاء المتحاربين • صحيح أن الرأي العــام في أوروبا وبدرجة

(٩٥)
((British documents on the origins of the War. 1898 — 1914)), Vol. X, Part I, London, 1936, PP. 501 — 502.

(مقتبس من : A. S. Avetian, Op. Cit., P. 40.)

(٩٦) هكذا يصف المؤرخ المعروف كارل بروكلمان الارمن ، بحق (راجع : كارل بروكلمان ، تأريخ الشعوب الاسلامية ، الجزء الرابع ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٥ ، الص ٧٥) .

أقل في الولايات المتحدة قد انتصر للأرمن ، الا أن ذلك الانتصار كان دون دماء مليون ونصف مليون انسان بريء ، ودون تشريد مئات الألوف من الأطفال والعجزة ــ بكثير • لقد كان ، اذا جاز القول ، قطرة من الشهامة والنبل وسط بحر من الدماء(٩٧) •



في ضوء الحقائق التي أسلفنا ذكرها والمقارنات والدراسات التي قدمناها حتى الآن نستطيع أن نؤكد تارة أخرى ، وبثقة ، أن قضية مذابح الأرمن كانت أكبر وأعمق من أن تكون حصيلة الأحاسيس الدينية العمياء لدى الكرد وتيجة تخلفهم • في هذا المقام ينقل المؤرخ المعروف أرنولد توينبي قولا صائبا للورد جيمس برايس ورد في خطاب له ألقاه في مجلس اللوردات البريطاني ، جاء فيه : « لم تكن هذه (المذابح ــ ك• م•) نتيجة فوران غضب المسلمين ضد الأرمن المسيحيين ، بل كانت كلها متطابقة مع رغبات الدولة • انها لم تكن نتيجة المشاعر الدينية العمياء ، انما كانت حصيلة أسباب سياسية • كانت الدولة تريد أن تتخلص من الشعوب غير المسلمة لأنها كانت عقبة في طريق وحدة عناصر الأمة ، وتؤلف عنصرا غير مستعد دوما للسكوت عن الظلم »(٩٨) •

---

(٩٧) وقع الأستاذ محمد الملا عبدالكريم في خطأ اذ قال كان نضال الأمة الارمنية « يساند بحرارة من قبل المناضلين في سبيل الحرية في العالم كله » . (محمد الملا عبدالكريم ، المصدر السابق ، الص ٦٣)• [لاشك في ان التعميم الذي أطلقته ، كان غير دقيق ، ومع ذلك فقد كنت اشير بذلك الى مواقف كالتي اشار اليها المؤلف نفسه واشرت اليها انا في هامش كتابي من قبيل مقالات الاشتراكي الأممي الفرنسي جان جوريس مؤسس جريدة الأومانيتيه ــ المترجم] •

(٩٨) مقتبس من : ((Genocide of the Armenians ...)), P. 395.

ومع أن قسما فقط من الأكراد ، وليس الشعب الكردي نفسه كشعب ، كان أحد الأدوات التي استخدمت لتنفيذ المذابح بين الأرمن[٩٩] ، فان هذه المذابح لعبت دورها السلبي في توتير صلات الشعبين الكردي والأرمني بعضهما وفي تخريب علاقاتهما الأخوية . وقد استفاد من ذلك عدوهما المشترك ، بل ان هذه المذابح ظلت حتى بعد انتهائها ريحا تلهب نار الشقاق ، فجاءت في توافق كلي مع مصالح جميع الأطراف الطامعة والمستغلة .

لقد انعكس تعمق التوتر والشقاق بين الكرد والأرمن ، في مدى قصير، في أحداث عديدة يمكن لنماذج منها أن تعطي فكرة واضحة عن الموضوع. ففي العديد من المناطق بادر المتطوعون الأرمن الى ابادة السكان المسلمين دون استثناء ، بأمل تطهير أراضي الدولة الأرمنية المقبلة حسب تصورهم . لم تلعب الرغبة الدفينة في الانتقام للدم الأرمني المراق ، بمثل هذا الأسلوب الخاطىء ، الدور الأخير في هذا بالطبع . فبمثل هذه الروحية تصرف المتطوعون الأرمن مع سكان قرى منطقة بايزيد التي احتلتها القوات الروسية ، حتى انهم لم يترددوا في قتل جميع أعضاء الوفد الكردي الذي جاء لاستقبال الروس[١٠٠] . وقد تكرر مثل هذه الصورة في مناطق أخرى كثيرة . وبين الأحداث التي جرت في هذا الاطار ، لفتت المصادر الأوروبية الأنظار الى

(٩٩) ورد في بعض المصادر العربية أن عددا من الضباط العرب وجدوا في السنة ١٩١٢ وثيقة مهمة هي رسالة من أحد قادة الاتحاديين الى ضابط كبير جاء فيها : « عرضوا العرب لرصاص العدو واعملوا على التخلص منهم لأن قتلهم يفيدنا . اما الكرد فاحتفظوا بهم لأنهم يلزمون لنا في بلاد الأرمن » وتقول هذه المصادر ان معظم الصحف العربية آنئذ نشرت هذه الرسالة (راجع : «ثورة العرب . مقدماتها ، أسبابها ، نتائجها » ، بقلم احد أعضاء الجمعيات العربية ، القاهرة ، ١٩١٦ ، الص ١٤٦ . وكذلك راجع : « مؤتمر الشهداء » ، بيروت ، الص ٤٥ .

(١٠٠) للتفصيل راجع : Kurd - Oghlu, Op. Cit., PP. 108 — 109.

أعمال الهدم والتقتيل التي جرت في رواندوز في سنوات الحرب أكثر من غيرها . ففي أوائل مايس من العام ١٩١٦ زحفت القوات الروسية بقيادة الجنرال چيورنزوبوف نحو رواندوز تصحبها أربعة أفواج من المتطوعين الأرمن والنساطرة(١٠١) وفي الثالث عشر من الشهر نفسه احتلت هذه القوات المدينة . كان الأرمن الذين تفيض قلوبهم حقدا وضغينة لما أصابهم من قبل ، يبغون الثأر . فانطلقوا يفتكون أمام أنظار الجنود الروس بسكان رواندوز، حيث راح حوالي خمسة آلاف رجل وامرأة وطفل كردي ضحايا . ويقال ان معظم هؤلاء لم يقتلوا بالرصاص ، انما ألقوا في نهر رواندوز أحياء . وبين حوالي ألفي منزل في المدينة لم يسلم أكثر من ٢٠ منزلا من الهدم(١٠٢) .

وفضلا عما أصاب رواندوز ، فان الخسائر التي لحقت الكرد خلال

---

(١٠١) تطرقنا الى تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(١٠٢) راجع :

K. Mason, Op. Cit., PP. 331, 335 ; ((League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq)), P. 42.

يبدو هذا الرقم كبيرا . فلا الاستاذ محمد امين زكي الذي تحدث عن خسائر الحرب الأولى ولا الأستاذ حسين حزني المكرياني الذي عاش بنفسه في رواندوز بعد الحرب وكتب عنها ،تحدثا عن هذا الرقم الكبير. ما هو شائع بين الاكراد هو ان كثيرات من النسوة القين بانفسهن من عل الى اعماق الوادي خوفا على اعراضهن . ويتحدث الأستاذ حسين حزني المكرياني عن الدمار الذي لحق بالمدينة ولكنه نسب ذلك الى الجيش الروسي الذي كان بصحبته بعض الأرمن والآثوريين الايرانيين (راجع : حسين حزني المكرياني ، المصدر السابق ، الص ٨٣ [في الأصل الكردي الص ١٠٢]) . كما أن الكابتن هاى الذي تولى ادارة هذه المنطقة بعد الحرب مباشرة والذي يتطرق في كتابه الى احتلال الروس والأرمن لرواندوز والى اعمالهم التي اثارت رد فعل قويا في مناطق كردية مختلفة، لايشير الى هذا الرقم (راجع : W. R. Hay, Op. Cit., P. 192).

المذابح نفسها ، لم تكن أيضا قليلة . فأثناء المذبحة الأولى وفي منطقة واحدة فقط ، قتل حوالي مئة كردي نتيجة الدفاع الباسل الذي أبداه الأرمن للذود عن أنفسهم . وفي منطقة ديـاربكر قتل من المسـلمين بما فيهم الأكراد ١٩٥ شخصا . غير أن حوالي ٧٠ من هؤلاء قتلوا بأيدي رفاقهم نتيجة اختلافهم فيما بينهم على الأسلاب(١٠٣) . وفي العام ١٨٩٧ شن الأرمن المسلحون هجوما كبيرا على قبيلة كردية وألحقوا بها أضرارا فادحة(١٠٤) . وخلال المذبحة أيضا لحقت الأكراد أضرار من هذا النوع .

وقبــل أن ننهي هذا الموضوع الحيـوي ، ينبغي أن نلقي نظرة على الجانب الآخر من الموضوع كذلك ، ذلك الجانب الذي لم يعر له ، مع الأسف، مايستحق من اهتمام ، رغم أنه لايمكن تحديد موقع الكرد في المذابح الأرمنية بصورة كاملة ومحايدة ، دون توضيح هذا الجانب من المسألة أيضا .

صحيح أن تأريخ هذه المذابح ينطوي على صـفحات قاتمة السواد ، سلبية للغاية بالنسبة لبعض الأوساط الكردية ، وقد بيننا ذلك بوضوح ، الا أنها لا تفتقد كذلك صفحات ايجابية مشرقة مليئة بالمجد والفخار . فقبل كل شيء يجدر بنا أن نشـير بصورة خاصـة الى مواقف معينة مدركة وقفتها قطاعات من القوى الوطنية الكردية البعيدة النظر ، التي حددت في وقت مبكر جوانب كثيرة من أسباب المذابح الأرمنية وأهدافها وقدرت بشكل صحيح نتائجها المتوقعة . لذا فانها حاولت، بأساليب متباينة وعلى مستويات مختلفة، العمل من أجل الحيلولة دون تحويل الأكراد الى آلة لتنفيذ تلك المهمة غير المشرفة . فان جريدة « كردستان » التي كانت الصـحيفة الوحيدة الناطقة

---

(١٠٣) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)), P. 253.

(١٠٤) راجع : البروفيسور پول اميل ، المصدر السـابق ، الص ٤٩ .

بلسان الأوساط الكردية المناوئة للحكم العثماني المتخلف ، نشرت مقالات مفصلة كرستها للبحث عن العلائق الأرمنية ـ الكردية ولفضح محاولات العثمانيين لاستغلال الكرد وتحريضهم ضد الأرمن ، متبعين في ذلك سياسة « فرق تسد » السيئة الصيت ، كما ذكرت الجريدة ، فان « الكرد مجبولون على الاحسان والكرم » وعليهم « أن يحافظوا على جيرانهم الأرمن » الذين « يعانون مثلهم من مظالم عبدالحميد »(١٠٥) . واستشهدت « كردستان » بموقف الزعيم الكردي المعروف الشيخ عبيدالله النهري الذي رفض في سبعينيات القرن التاسع عشر أن يتحول الى آلة في مؤآمرة استهدفت ضرب العناصر غير المسلمة في المنطقة(١٠٦) . وحاولت الجريدة تحريك العاطفة الدينية للمواطنين الأكراد بقصد تنبيههم الى ألاعيب الحكام الجديدة في هذا المجال، فأوردت أحاديث نبوية لتبين كيف أن أعمال هؤلاء الحكام وسياستهم ازاء الأرمن ، على طرفي نقيض مع التعاليم الاسلامية السمحة . وقد أدانت « كردستان » بعض رؤساء العشائر وقادة الفرسان الحميدية ، ذاكرة أسماءهم بصراحة ، لمواقفهم غير الودية نحو المسيحيين . وكانت انتقادات «كردستان» تتخذ في بعض الأحيان طابعا شديدا بل وقاسيا أيضا . ففي احدى افتتاحياتها كتبت الجريدة ما نصه : « انك أيها الكردي لم تكدر أحدا . ولكن المسؤولين هم الذين خدعوك فلطخوا اسمك وأسماء أجدادك بالسواد»(١٠٧).

واذا كان هذا موقف جريدة « كردستان » ، فليس من الغريب أن نرى صاحبها عبدالرحمن بدرخان يدين ابنه بالذات ويتبرأ منه على رؤوس الأشهاد

(١٠٥) « كردستان » ، العدد ٢٦ ، ٢٢ رمضان ١٣١٨ ، ١٤ كانون الثاني ١٩٠١ .

(١٠٦) المصدر السابق ، العدد ٢٧ ، ٢٢ ذو القعدة ١٣١٨ ، ١٤ آذار ١٩٠١ .

(١٠٧) المصدر السابق .

بسبب موقفه من الأرمن الذين أعاروا نهج والده المشرف اهتماما خاصا ، فأبرزوه في مطبوعاتهم(١٠٨) .

واتخذ متنفذون أكراد آخرون مواقف قريبة من موقف عبدالرحمن بدرخان ، وان لم تكن في مستواه من حيث العمق والتفهم الصحيح لمعظم جوانب المشكلة . فقد نشر الجنرال شريف باشا(١٠٩) في العام ١٩١٤ مقالا في جريدة « المشروطية » أدان فيه سياسة الاتحاديين القومية ولاسيما ما يتعلق منها بمذابح الأرمن التي قيمها الكاتب كوسيلة لتشوية سمعة شعبه في نظر أوروبا(١١٠) . وسوف نعود الى عرض مواقف بعض الزعماء الكرد الآخرين فيما بعد .

وقد كان من الطبيعي أن يتخذ الناس البسطاء ، بفطرتهم ، مواقف مشرفة من ضحايا مخطط ابادة الأرمن ، مع أن سياسة الحكام حدت نطاق ذلك وحالت بأساليب شتى دون اتساع مداه . لقد ظلت الأكثرية

(١٠٨) راجع : E. E. Ramsaur, Op. Cit., P. 63.
لا يستبعد مثل هذا الموقف من عبدالرحمن بدرخان ، فان جميع الدلائل تشير الى انه كان وطنيا مخلصا وسياسيا مدركا بعيد النظر ، انتقل بين جنيف ولندن وفولكستون في سبيل اصدار الجريدة الكردية الوحيدة « كردستان » . كان على اتصال قريب بالقوى الوطنية التركية والعربية والارمنية . اشترك في المؤتمر الاول للاتحاديين الذي انعقد في باريس ، وانضم في اجتماعات المؤتمر الى الاقلية الراديكالية التي ادانت كل اشكال التدخل الأجنبي في شؤون الامبراطورية ورفضت تعاون جمعية «الاتحاد والترقي » مع الدول الأوروبية ونشر عن ذلك بحثا مفصلا في جريدته يعتبر من المصادر الأصيلة النادرة في مجاله (راجع : « كردستان » ، العدد ٣١ ، جنيف ، ٦ محرم ١٣٢٠ ، ١٤ نيسان ١٩٠٢) .

(١٠٩) من الشخصيات الكردية البارزة ، تسنم وظائف عسكرية ودبلوماسية عديدة في العهد العثماني . مثل الأكراد في مؤتمر الصلح بباريس .

(١١٠) راجع : M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 215, 421.

الساحقة من الكرد بمعزل عما جرى خلال المذبحتين الأولى والثانية. والسبب الرئيس لاكتفائهم بهذا الموقف الذي يمكن وصفه بالمحايد ، انما يكمن في التهديدات التي كان يطلقها المسؤولون على نطاق واسع والى وعيدهم بأن أشد العقوبات تنتظر كل من يقدم على ابداء أقل مساعدة الى الأرمن المنكوبين . وفي أيام المذبحة الثالثة (أي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى) كانت السلطة تنشر في مناطق عديدة بيانات مفادها أن « من يتجرأ على اخفاء طفل أو امرأة أو فتاة أرمنية في منزله ويعثر عليه (أو عليها) لديه ، فان هذا الشخص يعتبر أرمنيا وسيدفع رأسه ثمنا لذلك » وفي أماكن كثيرة كان الكردي الذي يجدون لديه أرمنيا ، يكره على أن يقتله بنفسه[111] .

ورغم ذلك كله فان سكان العديد من المناطق عبروا عن استيائهم لما جرى بحق الأرمن من مذابح ، كما أنهم كانوا يمدون في مناطق أخرى يد المساندة الأخوية الى الأرمن المنكوبين وينقذون المئات والألوف منهم من الموت والمجاعة . وبهذا الصدد كتب الأكاديمي گردليفسكي يقول : « كان للأرمن في كل مكان أصدقاء بين الأكراد ينقذونهم عند الملمات من بين أيدي الترك . كان الأمر كذلك أثناء مذابح الأرمن في خواتيم القرن التاسع عشر. والآن (يقصد سنوات الحرب العالمية الأولى ــ ك. م.) فان الأمر كذلك أيضا ، فكثيرا ما أروني أكرادا أنقذوا أرامنة »[112] .

تتوفر وثائق وأدلة كثيرة من هذا النوع . ويبدو أن هذا بالذات هو

(111) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)), P. 253.

(112) V. A. Gardlevski, Op. Cit., Vol. III, P. 122.

يذكر الكاتب نفسه ان الأرمن ساعدوا الأكراد في العديد من المناطق التي دخلها الجيش الروسي ودلوهم على الطريق المؤدي الى أماكن وجود الروس (المصدر السابق ، الص ١٥٣) .

ما حدا بكردي مثل الأستاذ عبدالعزيز ياملكي ليقول : « ان كان قد بقي في الأناضول أرامنة ، فهم الذين نجوا من سـيوف الترك . وبدون أي مبالغة منا ، فان ثلاثة أرباع هؤلاء نجوا بمساعدة الكرد »(١١٣) . فلنعرض هنا ، أيضا ، بعض النماذج لهذا الجانب الحيوي من المسألة :

عرف ابراهيم باشا الملي باخلاصه للسـلطان عبدالحميد وكان له دور بارز في تشكيلات الفرسـان الحميدية . ومع ذلك فقد اتخذ موقفا ايجابيا للغاية من الأرمن أثناء المرحلة الأولى من المذابح ، اذ تمكن من انقاذ حوالي عشرةآلاف أرمني(١١٤). وأثناء مذبحة أورفه [التي جرت في اليومين الأخيرين من العام ١٨٩٤] لجأ حوالي ٢,٥٠٠ شخص معظمهم من النسوة والأطفال الى كنيسة الأرمن ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى صـب الغوغاء النفط على الكنيسة وأشعلوا فيها النار . لم ينج من هؤلاء الا حوالي ٥٠ شخصا، وكان ذلك بمساعدة مصـطفى آغا رجب وحيدر وخليل رجب . لقد أنقذ هؤلاء الثلاثة ، عدا الخمسين شخصا الذين مر ذكرهم آنفا ، جميع الأرمن القاطنين في محلتهم وكثيرين غيرهم من الموت(١١٥) .

---

(١١٣) عبدالعزيز ياملكي ، كردستان وكرد اختلاللرى جلد ١ ، تهران ، ١٩٤٦، الص ٦٢ .

(١١٤) راجع : Mark Sykes, The Caliph's Last Heritage, P. 324.
كان ابراهيم باشا حسب مايذكر مارك سايكس، على علاقات ودية مع الأرمن والكلدان وقد شجعهم على النزوح الى منطقتـه حيث أسـهموا في تطويرها (راجـع كذلك : الدكتـور أحمد عثمـان ابوبكر ، المصـدر السـابق ، الص ٣٨) . يقدر الأكاديمي گرديلڤسكي عدد الذين انقذهم ابراهيم باشا بالمئات ويفسر ذلك بكون هؤلاء اساس ازدهار « عاصمته » ويرانشهر التي يصفها ب « وليدته المحبوبة » .
(V. A. Grdlevcki, Op. Cit., Vol. III, P. 116).

(١١٥) راجع : ((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 100 — 101

في كتاب صـدر باللغة الروسـية في موسكو في العام ١٨٩٧ باسـم « المساعدات الأخوية لأرامنة تركيا المنكوبين » لفت الانتباه بصورة خاصة الى مساعدات الكرد للأرمن ومواقفهم الأخوية تجاههم • فقد جاء في الكتاب المذكور أنه « كان هناك آغوات كثيرون أنقـذوا العديد من الأرمن • لقد أنقذ محمود زاده بيت الله بيك الذي عرف برجولته وشهامته جميع سكان منطقة مكس من الموت • لم يكن أثناء المذبحـة في منطقته ، ولكنه كان يعلم أن الأشقياء سيستغلون فرصـة غيـابه ويفتكون بالأرمن ، فعاد على جناح السرعة وجمع حوله ٤٠٠ فارس كردي شجاع وطارد رجال العشائر الكردية (يقصد الفرسان الحميدية ـ ك• م•) الذين كانوا يتجهون نحـو مكس للاسهام في المعركة• ان هذا البيك قدم في العام الماضي (أي في العام ١٨٩٥ـ ك• م•) ٣٠٠ ليرة كتبرع للأرمن ، فضلا عن المساعدات الأخرى التي قدمها لهم »(١١٦) •

في العديد من المنـاطق كان الأكراد يسـاعدون الأرمن على الهروب والاختفاء • وفي مناطق أخرى لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فقد انضم أكراد كثيرون بأسلحتهم الى الأرمن ونهضوا لمقاومة رجال الحكومة بقصد وضع حد للمذابح • لقد برز أكراد درسيم في هذا المجال بشـكل خاص • فقد انتفضوا مرارا جنبا الى جنب مع الأرمن ، ولم يقصروا في مختلف مراحل المذبحة عن تقديم أي مسـاعدة ضرورية للمنكوبين منهم ، ولم يكـونوا يتوجسون خيفة من الاتفاق مع زعماء الأرمن ، بل ان ضـابطا كرديا يسمى مصطفى وفا انضم مع القوات التي كانت تحت امرته الى الروس للقتال ضد

(١١٦) Ibid. PP. 105 — 106.

العثمانيين ، وذلك تنفيذا لاتفـاق من هذا النوع(١١٧) . وهكذا آوى أكراد درسيم أكثر من خمسـة آلاف أرمني وأنقذوهم من الموت . وقد اعترف الأرمن أنفسهم بمواقف أكراد درسيم الشهمة أكثر من مرة(١١٨) ، وان موقفا مشابها من أكراد مكس أثناء مذابح العام ١٩١٥ ، جعلهم يتقاسمون الضحايا مع اخوانهم الأرمن(١١٩) .

أما الأكراد اليزيديون الذين لم يكونوا قـد نالوا بدورهم من مظالم العثمانيين أقل مما ناله المسيحيون ، فقد ساندوا الأرمن بمشـاعر عميقة من التضامن وقدموا لهم ما كان بوسعهم تقديمه من معونة . وعلى سبيل المثال فأثناء المذابح الأولى التجأ المئات من الأرمن عن طريق دير الزور الى اليزيديين الذين آووهم ولم يسلموهم الى السلطـات رغم كل الضغـوط التي تعرضوا لها(١٢٠) .

---

(١١٧) راجع :
Nuri Dersimi, Kurdistan tarininde Dersim, S. 112 — 114.

(١١٨) راجع : M. S. Lazarev, Kurdistan ... , PP. 57, 67, 68, 315.

(١١٩) أكد العـالم الارمني الكبـير الاكاديمي أوربيللي هذه الحقيقـة مرارا ، خاصـة وأنه زار المنطقة بنفسـه ووقف على آثار احـداثها عن كثب (للتفصيل راجع :

Юзбашян К.Н., Академик Иосиф Абгарович Орбели, Москва, 1964, стр.33-34.

ك. ن. يوزباشيان ، الاكاديمي يوسف ابكاروفيچ أوربيللي ، موسكو ، ١٩٦٤ ، الص ٣٣ ــ ٣٤ . راجـع كذلك الهـامش ٤٣ في الص ١٠٣ من الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(١٢٠) راجع :
Harry Charles Luke, Mosul and its Minorities, London, 1925, P. 129.

وفضلا عن ذلك كانت القوات الروسية ترى عندما تصل الى أي مكان في أرمينيا وكردستان ، عددا كبيرا من اللاجئين الأرمن لدى الأكراد . وقد ذكر أرامنة قرية (خاتسو) في رسالة خاصة كيف أن أكراد عشيرة محمد آغا تصدوا بالسلاح للجنود والجندرمة العثمانيين ولم يسمحوا لهم بنقل الأرمن. وقد جاء في تلك الرسالة « انهم (أي أكراد عشيرة محمد آغا ــ ك. م) كانوا رغم معاناتهم من المجاعة ، يقسمون آخر كسرة خبز لديهم مناصفة مع الأرمن، وكانوا يبيعون أمتعتهم الخاصة من أجل اطعام هؤلاء »[١٢١] .

وبعد انتهاء الحرب أيضـا عثر على لاجئين أرمن في العديد من أنحاء كردستـان . وبعد عقد هدنة مودروس بفترة قليلة ، زار مندوبون أكراد ممثلي السلطات البريطانية في حلب ، حاملين اليهم رسالة خاصة بشأن الأرمن الذين آووهم ، وقد كتب هؤلاء في رسالتهم أنه : « في قرانا وخيامنا ٦٥٠ أرمنيا ، معظمهم من النساء والأطفال . وعند رفاقنا القاطنين في جوارنا أكثر من ٣٨٠٠ شخص . لقد أطعمناهم أربع سنوات ولسـنا نرغب في أن يذهب الخبز الذي أطعمناهم اياه هدرا . ونعلم كذلك أن في خيام القبائل الصديقة أيضا ، والتي تقطن المناطق الشرقية ، على مسافة جد بعيدة عنا ، ٦٨٠٠ أرمني آخر يصعب علينا نحن الاتصـال بهم[١٢٢] . وقد أبدى أولئك الأكراد في رسالتهم تلك استعدادهم التام لابداء أي مساعدة ضرورية للبحث عن الأرمن المشردين وتجميعهم . وقد اتخذ المئات من أمثـال هؤلاء الأرمن كردستان العراقية والايرانية ملاجىء لهم ضمنوا فيها حياتهم ومستقبلهم .

ومما يجدر بالذكر أنه فضلا عن الأكراد ، قدمت الشـعوب الأخرى

---

(١٢١) مقتبس من :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 310, 441.

(١٢٢) راجع : E. H. Keeling, Op. Cit., P. 209.

القاطنة في المنطقة ، كذلك ، المساعدات للأرمن كل حسب ظروفه وبمقدار ما كان في وسعه . وقد ورد اسم الچركس في علة وثائق بهذا الصدد . كما كان رجال القبائل العربية في بعض المناطق يقدمون مختلف ضروب المساعدات للأرمن المنكوبين . وفي العديد من الحالات تعرض أكراد أو غيرهم الى شديد الأذى لأنهم أنقذوا أرامنة أو آووهم . وأي كردي توفرت المعلومات لدى السلطات عن أنه يؤيد الاتحاد أو التقارب بين الكرد والأرمن، كان يلقى القبض عليه فورا ويساق الى المصير المجهول وتشرد عشيرته ورجاله[١٢٣] .

مثل هذا التضامن والعون ، فضلا عن كونه صفحة جديرة بالاعتزاز ، لعب كذلك دوره المعلوم في التقارب الذي حصل فيما بعد بين الأرمن والكرد، والذي ظهرت بوادره بانتهاء الحرب العالمية الأولى ، ولاسيما في تلك الاتفاقية التي عقدت بين بوغوص نوبار باشا ممثل الأرمن وشريف باشا ممثل الكرد في مؤتمر الصلح بباريس . ولأرشاك سافرستيان تعليق قصير بهذا الشأن جاء تماما في موقعه . يقول سافرستيان :

« لقد دهش رجال الديبلوماسية والخبراء ومن بعدهم الصحفيون على اختلافهم ، من هذا الاتفاق الذي حصل بين الأرمن والكرد ، فقد مضى حوالي نصف قرن وهم يزعمون أن هذين الشعبين الجارين عدوان لبعضهما ، وأنهما لن يعملا قط معاً »[١٢٤] .

وما دمنا تحدثنا عن روح التضامن التي أبداها بعض الشعوب المجاورة

---

(١٢٣) راجع : ك. أ. أستارچيان ، المصدر السابق ، الص ٣١٥ – ٣١٦ ؛
فائز الغصين ، المصدر السابق ، الص ٤٠ ، ٤٣ ؛
((The Genocide of the Armenians ...)), PP. 176 — 177.

(١٢٤) راجع : A. Safrastian, Op. Cit., P. 77.

للارمن في محنتهم ، فان من المهم أن نلاحظ أيضـا بهذا الصـدد أن بعض المفكرين والمتنورين الأتراك بدأوا يتفهمون قبـل الحرب جوانب معينة من القضية الأرمنية ، بل والمسألة القومية داخل الأمبراطورية العثمانية على وجه العموم وأخذوا يدعون « الترك والكرد والأرمن لوضع برنامج وفاق أبدي بينهم » وطالبوا بالصفح عن أخطاء الماضي وبفتح صفحة جديدة في العلاقات القائمة فيما بين شعوب الأمبراطورية[125] . ومع أن هذا التوجه ، الجديـد في مضمونه ، لم يستطع هضم جميع أبعاد المسألة القومية وتعقيداتها ، كما ينبغي ، الا أنه كان يشكل بعض التحول في تفكير أوساط بورجوازية تركية معينة وكان بالامكان تطويره لتجنب المآسي التي وقعت خلال سنوات الحرب العالمية الأولى التي لم تخل أيضا من أمثلة حية لمواقف ايجابية وقفتها بعض القطاعات الجماهيرية وحتى أوساط رسمية مسؤولة تركية . ففي صيف العام ١٩١٥ احتج مواطنو مدينة أرضروم من الأتراك ضـد موقف السلطة تجاه الأرمن . وفي طرابزون قامت عوائـل تركية كثيرة باخفـاء أعداد غير قليلة منهم وحمايتهم[126] . وكان يظهر أحيانا مسؤولون يرفضون علانية تنفيـذ

(١٢٥) راجع على سبيل المثال : جلال نوري، تاريخ استقبال، مسائل أساسية، استانبول ، ١٣٣٢ ، الص ١٧٦ ـ ١٨١ . يعتبر هذا الراي بمثابة تحول جزئي في آراء هذا المفكر التركي الذي ظل ، مـع ذلك ، بعيـداً عن فهم ابعاد المسالة القومية فهماً ديمقراطياً متكاملا .

(١٢٦) راجع :

Саркисян Е.К., Экспансионистская политика Османской империи в Закавказье накануне и в годы первой мировой войны, Ереван, 1962, стр.254.

ي. ك. سركيسيان ، السياسة التوسعية للامبراطورية العثمانية في ما وراء القفقاس قبيل الحرب العالمية الأولى وخلالها ، يريفان ، ١٩٦٢، الص ٢٥٤ .

أوامر السلطات العليا بشأن ابادة الأرمن أو يجدون مختلف المبررات لانقاذ قسم منهم .

وهكذا فان الأرمن لم يكونوا سوى ضحية قصر النظر لبعض الفئات الحاكمة ولألاعيب الدول الكبرى وأطماعها التي تجسدت أكثر بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، كما نلاحظ بعض جوانب ذلك فيما يتعلق بالأرمن كذلك في الفصل القادم .



الفصل السادس

تجسيد الاطماع

كان السبب الرئيس لنشوب الحرب العالمية الأولى ، كما سبق أن قلنا ، مطامع الدول الكبرى الراغبة في اعادة توزيع العالم • كانت تلك الدول جميعها قد ركزت أنظارها على ممتلكات الأمبراطورية العثمانية منتظرة ، بلهفة ، الوقت المناسب للاستحواذ على تركتها • بل انه حتى ألمانيا الحليفة للدولة العثمانية ، لم تكن أقل اهتماماً من الدول الكبرى الأخرى بتلك الممتلكات،لذلك كانت هذه الدول مشغولة خلال سنوات الحرب بوضع الخطط وتدبير المؤامرات ، فرادى وجماعات ، لتحقيق أغراضها التي سبق أن أدت الى اشتعال نيران الحرب • ومن الواضح أنه كان لكردستان ، بوصفها جزءاً من الأمبراطورية العثمانية ، مكان بارز في تلك الخطط •

كانت ألمانيا تطمع في الاستيلاء بمفردها على جميع ممتلكات الدولة العثمانية عن طريق التغلغل المباشر في جميع مرافقها الحيوية • أما الدول المعادية لها والتي كانت قد تكتلت جميعا في جبهة واحدة فكان لكل منها خطتها المنسجمة آنئذ مع المصالح الخاصة للأطراف الأخرى بشكل مختلف • كانت بريطانيا تريد الاستحواذ على ولاية الموصل ، الا أنها لم تكن ترغب في مجاورة روسيا والاحتكاك المباشر بها • وكانت روسيا تريد أن تأخذ لها

كردستان العثمانية كلها ان استطاعت الى ذلك سبيلا • أما فرنسا فكانت تطمع في ولاية الموصل أيضاً فضلا عن سوريا • هذه النوايا المختلفة أدت ، بالطبع ، الى حدوث تناقض خفي بين الدول المتحالفة التي واجهت مع أحداث الحرب مهمة ايجاد الحد الأدنى من الانسجام فيما بينها • ومن هذا يتبين لماذا لم يكن انشغال الدبلوماسيين البريطانيين والروس والفرنسيين والايطاليين داخل الأروقة ووراء الكواليس ، أقل من انشغال قوات بلادهم المحاربة في الخنادق والميادين طيلة سنوات القتال •

كان من الطبيعي أن يتخذ الصراع الدولي في سبيل الاستحواذ على المنطقة طابعاً جديداً فرضته ظروف الحرب وطبيعة العلاقات الجديدة بين الدول المتحاربة • فلأول مرة منذ ظهور « المسألة الشرقية »[1] وجدت الأمبراطورية العثمانية نفسها خلال الحرب العالمية الأولى وجهاً لوجه أمام ألد أعدائها الطامعين في ممتلكاتها (روسيا وانكلترا وفرنسا) في جبهة موحدة ، بينما كان الصراع بين تلك الدول يشكل في السابق العلاج الوحيد تقريباً للحفاظ على حياة « الرجل المريض »[2] • ومن هنا كان الموت قد دنا من الأمبراطورية العثمانية أكثر من أي وقت مضى وذلك من جراء الشكل الجديد

(١) « المسألة الشرقية » ـ مصطلح مجازي يطلق على الاحداث التي رافقت صراعات الدول الكبرى من اجل اقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية ونمو النضال التحرري لشعوب تلك الأمبراطورية في فترة انحلالها (القرن الثامن عشر ـ بداية القرن العشرين) . استخدم لأول مرة في العام ١٨٢٢ .

(٢) « الرجل المريض » ـ مصطلح استخدمه لاول مرة القيصر الروسي نيقولا الأول (١٨٢٥ ـ ١٨٥٥) الذي اولى « المسألة الشرقية » جانباً كبيراً من اهتمامه . انتشر المصطلح على نطاق واسع لدلالته بشكل معبر على الواقع المتحلل للامبراطورية العثمانية .

الذي اتخذه تناسب القوى على الصعيد الدولي[٣] • وليس أدل على ذلك من أن بريطانيا التي كان يهمها استمرار روسيا في الحرب الى جانب الحلفاء بدأت تلمح الى القيصر الروسي ولأول مرة في التأريخ بشأن امكانية تحقيق طموحاته هو وأسلافه في المضائق وفي العاصمة العثمانية استانبول • فلم تمض على دخول الأمبراطورية العثمانية الحرب سوى فترة وجيزة حتى اتصل وزير الخارجية السير أدوارد گراي بالسفير الروسي في لندن بصدد هذا الموضوع بالذات • واتخذ الأمر طابع اتفاق سري ثلاثي بين الحلفاء بسرعة (مارت — نيسان من العام ١٩١٥) ، فقد تم تبادل مذكرتين سريتين بين الأطراف المعنية تضمنتا الاعتراف بـ « حق » روسيا في الاشراف على المضائق وعلى استانبول مع ضمان كاف لمصالح الحليفتين فرنسا وانگلترا[٤] •

دشن هذا الاتفاق بداية التفاوض بين الحلفاء بشأن تقسيم الممتلكات العثمانية الآسيوية ، وهو أمر لم يخل من صعوبات كثيرة بالرغم من كل ما أوجدته الحرب من ظروف موآتية ، لذا فقد احتاج التوصل الى الاتفاق بين انگلترا وفرنسا حول تقسيم الشـرق الأدنى الى حوالي سـنة من المداولة والبحث المباشر لايجاد صيغة مقبولة تنسـجم مع الصراع الخفي الذي ظل محتدماً بين الدولتين على مدى عقود طويلة •

بدأت المفاوضات السرية الجديدة بين انگلترا وفرنسـا أولا وذلك في

(٣) ظهرت البوادر مباشرة . ففي الخامس من تشرين الثاني من العام ١٩١٤ اتخذت انگلترا قراراً يقضي بقطع كل علاقـة للدولة العثمـانية بجزيرة قبرص ، وبعد حوالي شهر ونصف الشهر صدر في لندن قرار مشـابه حول المصير القانوني لمصر ، بينما لم يكن من السهل قبل الحرب اتخاذ قرارات مماثلة بهذه البسـاطة ، رغم أنهـا لم تكن تعني اكثر من مجرد اضفاء صيغة قانونية على حقيقة واقعة .

(٤) للتفصيل راجع : A. F. Miller, Op. Cit., PP. 49, 51 — 52.

خريف العام ١٩١٥ عندما قام مارك سايكس الانكليزي وجورج پيكو الفرنسي بوضع خطة لتقسيم الممتلكات العثمانية • وفي بداية العام التالي وصل سايكس وپيكو الى پيتروگراد حيث أجريا التعديلات الضرورية في خطتهما بالتعاون مع الممثلين الروس وفي ضوء المصالح المشتركة والخاصة للأطراف الثلاثة • وبعد أن نالا الموافقة المبدئية لوزارة الخارجية الروسية عادا الى لندن حيث تبودلت الوثائق الضرورية بين انكلترا وفرنسا والتي تنص على قبول خطة التقسيم في آيار من العام ١٩١٦ ، ثم أعطت روسيا في الأول من أيلول موافقتها النهائية على الخطة وبذلك تم ابرام واحدة من أخطر المعاهدات الاستعمارية في تأريخ الدبلوماسية السرية وهي التي دخلت التأريخ باسم معاهدة « سايكس ـ پيكو »(٥) التي خصص القسم الأعظم منها لتحديد كيفية تقسيم البلاد العربية الداخلة في اطار الأمبراطورية العثمانية •

احتلت كردستان في محادثات الحلفاء السرية مكانة ملموسة كانت تتفق مع الاهتمام الكبير الذي بدأت الدول الكبرى توليه اياها منذ زمن ليس بالقصير • جاء بحث مستقبل المنطقة الكردية العثمانية في رسالة سرية بعثها سازانوف وزير خارجية روسيا في نيسان من العام ١٩١٦ الى السفير الفرنسي في پيتروگراد ، على النحو التالي :

« ••• ١ـ تأخذ روسيا لها مناطق أرضروم وطرابزون و وان وبدليس حتى الموقع الذي سيحدد فيما بعد غربي طرابزون على

(٥) تحمل المعاهدة بذلك اسم المفاوضين الانكليزي (مارك سايكس) والفرنسي (جورج پيكو) ، وكان كلاهما من ذوي الاطلاع الواسع على احوال شعوب الشرق الأوسط وبلدانه . كان الأول منهما يعرف الكرد عن كثب وكانت له صلات مع العديد من رؤساء العشائر الكردية (راجع الص ٣٨ ـ ٣٩ من الفصل الأول) .

ساحل البحر الأسود[٦] .

٢ـ يجب أن تترك منطقة كردستان ، غربي وان وبدليس ، بين موش وسعرد ونهر دجلة وجزيرة ابن عمر وخط سلسلة الجبال المطلة على العمادية ومەرگەوەر لروسيا ، وهي (أي روسيا ـ ك. م.) تعترف مقابل ذلك لفرنسا بالمناطق الواقعة بين أله داخ وقيصرية وخربوط »[٧] .

لكن فرنسا كانت تطمع في أكثر من ذلك . فبالاضافة الى المناطق الكردية العثمانية التي كانت تمتد الى نقطة انتهاء منطقة النفوذ الروسي في جزيرة ابن عمر ، كانت الأوساط الحاكمة الفرنسية ترى من الضروري أن تمتد منطقة نفوذ بلادها هنا الى داخل الحدود الايرانية بحيث تصل الى نواحي سردشت الكردية ، وهو ما اعتبره السير مارك سايكس أمراً وارداً على أساس أن منطقة النفوذ الفرنسي تتحول آنذاك الى وحدة حاجزة بين منطقتي النفوذ الروسي والنفوذ البريطاني[٨] . وكانت فرنسا قد ضمنت لها

(٦) مع أن الغالبية العظمى من هذه المناطق (فيما عدا بدليس) كانت أرمنية، الا ان نسبة كبيرة من سكانها ، خاصة في وان ، كانت من الاكراد ، كما ان مشاكلها كانت ترتبط بالمسألة الكردية بخيوط كثيرة .

(٧) راجع : V. Clüchnikov and A. Sabanin, Op. Cit., Vol. II, P. 42.

(٨) للتفصيل راجع :

"Севр и Лозанна. Севрский Мирный Договор и Акты, подписанные в Лозане", под редакцией проф. Ю.В.Ключникова и проф. А.В.Сабанина, Москва, 1927, стр.У.

«سيفر ولوزان . معاهدة صلح سيفر والاتفاقات المبرمة في لوزان » ، باشراف البروفيسور يو. ف. كلوچنيكوف والبروفيسور أ. ف. =

بموجب بنود معاهدة « سايكس ــ پيكو » نفسها جميع امتيازاتها السابقة في المناطق التي خصصت لروسيا[٩] ، بما فيها المنطقة الكردية ، وبشكل خاص ما كان يتعلق منها بامتيازات السكك في تركيا والتي كان لها ــ أي لفرنسا ــ حصة الأسد منها •

ومن الجدير بالذكر أن روسيا وقفت في البداية ، بقوة ، ضد اعطاء أي جزء من المناطق الكردية لفرنسا ، فهي كانت تريد كل أرمينيا وكردستان العثمانيتين لنفسها دون منازع ، الا أنها وافقت أخيراً وبعد أخذ ورد طويلين ومساومات وارضاءات كثيرة على القبول بادخال أصقاع كردية واسعة ضمن منطقة النفوذ الفرنسي •

أما بريطانيا فكانت تتطلع منذ زمن بعيد ، وكما هو معروف ، الى ولاية الموصل وتعمل في سبيل توطيد مواقع أقدامها فيها بشتى الأساليب ، وذلك ضمن خطتها الرامية الى السيطرة على جميع حقول النفط في الشرق الأوسط وكذلك على المنافذ الضرورية لنقل ذلك النفط عبرها • كما كانت تفكر بالدافع نفسه في الاستحواذ على جزء من كردستان الايرانية أيضا نظرا

=

سبانين ، موسكو ، ١٩٢٧ ، الص V (في الهوامش القادمة :
((Sévres and Lausanne))).

(٩) راجع :

"История Дипломатии", том второй (Дипломатия в Новое Время 1872-1919гг.), Москва-Ленинград, 1945, стр.287.

« تاريخ الدبلوماسية » ، المجلد الثاني (الدبلوماسية في العصر الحديث ١٨٧٢ ــ ١٩١٩) ، موسكو ــ لينينغراد ، ١٩٤٥ ، الص ٢٨٧ . (في الهوامش القادمة : « تاريخ الدبلوماسية ») .

لأهميتها من هذه الناحية ، وكانت على استعداد ، في سبيل ذلك ، لتجاهل حقيقة أن ايران بقيت محايدة طيلة سنوات الحرب . اذاً ، فان التخلي عن المناطق الكردية الجنوبية لم يكن مما يدور في خلد بريطانيا على الاطلاق . كل ما كان هنالك هو أنها كانت ترى من المصلحة تحقيق أهدافها بيد فرنسية دون الاحتكاك المباشر بالروس في مناطق نفوذهم ، وقد عبر المسؤولون الانكليز عن ذلك بجلاء أكثر من مرة بعد الحرب مباشرة(١٠) .

ضمنت بريطانيا كل مصالحها الاقتصادية في ولاية الموصل ، بما فيها المناطق الكردية الداخلة ضمنها . فأثناء المحادثات التي جرت لصياغة مضمون معاهدة « سايكس ــ پيكو » وبعد التوقيع عليها ، اتصل السير أدوارد گراي عدة مرات بالسفير الفرنسي پول كامبون الى أن تم ضمان اعتراف فرنسا بكل ما لبريطانيا من « حقوق » في ولاية الموصل(١١) والتي تقف في مقدمتها ، بالطبع ، المصالح النفطية . وقد أعلن پ. كامبون في وقت مبكر ، ودونما لف أو دوران ، « أن فرنسا مستعدة للاعتراف بجميع الامتيازات التي

(١٠) في الاجتماع الأخير لمؤتمر استانبول المكرس لمشكلة الموصل تحدث المندوب التركي فذكر « أن اصرار بريطانيا على عدم فصل الموصل من العراق يناقض اتفاقية « سايكس ــ پيكو » (١٩١٦) التي اعطت الموصل لفرنسا » . فأجاب السير پيرسي كوكس « أن تلك الاتفاقية عقدت بين بريطانيا العظمى وفرنسا عندما كانت روسيا حليفتهما ، وأن بريطانيا لم ترغب في مجاورة روسيا » (راجع : الدكتور فاضل حسين ، مشكلة الموصل . دراسة في الدبلوماسية التركية ــ العراقية ــ الانكليزية وفي الراي العام ، بغداد ، ١٩٥٥ . الص ٤٤) .

(١١) للتفصيل راجع :
V. Clüchnikov and A. Sabanin, Op. Cit., Vol. II, P. 42.

كانت لبريطانيا (في ولاية الموصل ــ ك٠ م٠) قبل الحرب »[١٢] ٠

أتبعت معاهدة « سايكس ــ پيكو » سلسلة مفاوضات واتفاقات أخرى لم يكن منها بد لايجاد الحد الأدنى المطلوب من التوافق بين المصالح المتصارعة ٠ فبالرغم من أن ايطاليا حصلت على بعض الضمانات بالنسبة لمصالحها في آسيا الصغرى وذلك بموجب المعاهدة التي أبرمت بينها وبين الحلفاء في نيسان من العام ١٩١٥ ، الا أنها أبعدت عن الاشتراك في مفاوضات «سايكس ــ پيكو» التي ظلت تجهلها أصلا لفترة من الزمن ٠ وما ان اطلعت على أمر ابرام المعاهدة حتى قدمت احتجاجاً شديد اللهجة الى حلفائها مما أسفر في النهاية عن انضمامها بدورها الى المعاهدة المعقودة وذلك في ١٩ تشرين الثاني من العام ١٩١٦ ٠ وفي مطلع العام ١٩١٧ (قبيل ثورة شباط) تم التوصل الى اتفاق سري آخر بين روسيا وفرنسا تعهدت الأولى بموجب بنوده بتأييد مطاليب الثانية في الألزاس واللورين وحوض السار وغيرها ، ومقابل ذلك فقد تعهدت الحكومة الفرنسية مجدداً بتأييد أطماع روسيا في استانبول والمضائق حسب ما تم التوصل الى الاتفاق بشأنها ، واعترفت بحرية روسيا في تعيين حدودها الغربية حال انتهاء الحرب في صالح الحلفاء[١٣] ٠

ومن المفيد أن نشير في هذا المجال الى حادثة تأريخية ذات صلة مباشرة بموضوعنا ، لم يسلط عليها الضوء في دراساتنا بعد ٠ ففي كانون الأول من

(١٢) راجع :

Гофман К., Нефтяная политика и англо-саксонский империализм, Москва, 1930, стр.81

ك. گوفمان ، السياسة النفطية والاستعمار الانكلو ــ سكسوني ، موسكو ، ١٩٣٠ ، الص ٨١ ٠

(١٣) راجع : « تاريخ الدبلوماسية » ، المجلد الثاني ، الص ٢٨٨ ٠

عام ١٩١٥ أخبرت الشخصية الأرمنية المعروفة زاڤرييف مسؤولا روسيا في اليونان بامكانية كسب جمال باشا الى جانب الحلفاء في حالة الاستجابة الى مطاليبه التي كانت تدور حول ١ـ ضمان الاستقلال التام للجزء الآسيوي من الأمبراطورية العثمانية ، الذي كان يجب أن يتألف ـ حسب خطته هو ـ من مجموعة انظمة ذات حكم ذاتي تحت سيادة السلطان ، تضم سوريا وفلسطين وميسوپوتاميا وشبه الجزيرة العربية وأرمينيا وكيليكيا وكردستان. ٢ـ منح جمال باشا ، الذي أراد أن يصبح سلطانا مع التمتع بحق انتقال العرش الى ورثته ، المساعدات العسكرية والسياسية والمالية . ومقابل ذلك فلن يعارض جمال باشا بدوره في فصل استانبول والممرات المائية عن الدولة العثمانية الجديدة . وقد اعتبر وزير الخارجية الروسية سازانوف من الضروري التفاوض مع جمال باشا ،فاتصل في الحال بالحلفاء حول الموضوع، الا أن مسؤولي انكلترا وفرنسا عارضوا ، بشدة ، الاقتراح ، الذي كان يؤدي في حالة تحقيقه الى حرمان بلدانهم من فرض سيطرتها المباشرة على مناطق الشرق الأوسط بالشكل الذي ورد في معاهدة « سايكس ـ پيكو »، كما أنهم لم يتوقعوا النجاح لخطة جمال باشا الانقلابية . الا أن الموضوع أصبح على أي حال مدار بحث ومراسلات بين لندن وباريس وپيتروگراد[١٤] وهو يشكل وجها آخر من أوجه المؤآمرة الكبرى التي كانت خيوطها تحاك

(١٤) للتفصيل راجع :

Лазарев М.С., Крушение турецкого господства на Арабском Востоке, Москва, 1960, стр. 128-129.

م. س. لازاريف ، زوال السيادة التركية على المشرق العربي ، موسكو، ١٩٦٠ ، الص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

من وراء ظهر شعوب المنطقة وعلى حساب مصالحها الحيوية ومطامحها المشروعة .

وهكذا فان الدول الكبرى أخذت تلعب ، كما يحلو لها ، بمصير الشعب الكردي ، شأنه شأن الشعبين العربي والأرمني ، وذلك من خلال معاهدة « سايكس ـ پيكو » وغيرها من الاتفاقيات والمفاوضات التي وضعت هذه المعاهدة بداية خطيرة لها ، مما كانت تمس في الوقت نفسه مصالح الشعب التركي في الصميم . ومع أن جميع المفاوضات وابرام المعاهدة نفسه قد جرت في سرية تامة بحيث لم يطلع عليها ، كما ذكرنا ، حتى الحليفة الرابعة ايطاليا الا في وقت لاحق ، فقد بدأ الاتحاديون ومعارضوهم والرأي العام التركي الى حد ما يدركون ما يحاك لهم في الخفاء ، فارتفعت بعض الأصوات منادية بتدارك الأمر[١٥] ، الا أن ذلك جاء بعد فوات الأوان لأن الالمان تمكنوا خلال الأشهر الأولى للحرب من احكام قبضتهم كلياً على جميع مرافق الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة العثمانية[١٦] ، وكان سندهم الأمين أنور باشا يتمتع ، كما ذكرنا في حينه[١٧] ، بنفوذ قوي داخل الحكم بحيث لم يكن من السهل التصرف ، مع وجوده ، باتجاه معاكس لما تقتضيه المصالح الألمانية[١٨] . أما الشعوب الأخرى الداخلة ضمن الأمبراطورية فانها لم تكن

(١٥) كان مصطفى كمال واحداً من ابرز الذين رفعوا صوت المعارضة ، وقد جرت محاولات لتنظيم انقلاب عسكري ضد الثالوث الدكتاتوري .

(١٦) بلغ الأمر بالالمان حد أنهم فرضوا سيطرتهم المباشرة حتى على الرقابة العسكرية العثمانية ، وانهم وسعوا من صلاحياتها بحيث كان من الواجب أن تعرض عليها فرمانات السلطان وفتاوى شيخ الاسلام قبل اصدارها .

(١٧) راجع الص ١٣٦ ـ ١٣٧ من الفصل الثالث .

(١٨) لم يكن عبثاً ان بدأ المسؤولون الالمان يطلقون على تركيا ، بل وعلى كل الأمبراطورية العثمانية اسم (Enverland انور لاند) اي بلاد أنور.

تصور أن الحلفاء يلتجأون الى مثل ذلك الأسلوب من العمل ، خاصة وأنها كانت واقعة ، بشكل أو بآخر ، تحت تأثير دعايتهم الواسعة ، كما أن الحلفاء كانوا يتقربون ، على صعيد آخر ، من زعماء تلك الشعوب ويعقدون الاتفاقات مع بعضهم بشأن ضمان الاستقلال لبلدانهم حال انتهاء الحرب ، كما تجسد ذلك بشكل واضح في اتفاقية حسين ــ مكماهون المعروفة .

وقبل أن تنتهي الحرب ظهر عنصر مهم جديد على المسرح ارتبط بانتصار ثورة أكتوبر في روسيا والذي ترك آثاراً في أشكال مختلفة على المخططات السرية التي وضعتها الدول الكبرى في سنوات الحرب . فقبل كل شيء انسحبت الدولة الجديدة من اللعبة وتخلت عن جميع المعاهدات والاتفاقات السرية والعلنية التي عقدها النظام السابق ، وسحبت في الوقت نفسه القوات الروسية من ميادين القتال تاركة كل مكان دخلته[19] . وقد أدى ذلك كله الى حدوث تغير أساسي في موازين القوى وبشكل كان يؤثر بالضرورة على طبيعة العلاقات الدولية التي نظمتها سلسلة المعاهدات والاتفاقات السرية السابقة . فقد زالت مخاوف انكلترا القديمة عن مجاورة روسيا ، بل غدت تريد ، على العكس ، الوصول مباشرة ، ان أمكن ، الى أقرب نقطة من حدود الدولة الجديدة التي جاء مكمن الخطر منها في شكل نظامها ، ومن البديهي أن تزداد أهمية كردستان لدى الانكليز بالنسبة ذاتها في هذه الظروف الجديدة فأخذت القوات البريطانية في جنوبي العراق تستعد وتسعى لاحتلال أكبر

=

بينما كان مصطفى كمال ينعت أنور و غيره من القادة الاتحاديين بنعوت معاكسة ذات مضامين عميقة (راجع :

H. C. Armstrong, Op. Cit., P. 38; A. F. Miller, Op. Cit., P. 62).

(١٩) تستثنى من ذلك بعض الوحدات التي اتخذت موقفاً معادياً من الثورة .

مساحة ممكنة من المناطق الكردية قبل أن تضع الحرب أوزارها[٢٠] . والى جانب ذلك أرسل الانكليز لفيفاً من أنشط رجالهم الى كردستان وأرمينيا وهو ما نعود الى تفاصيله فيما بعد .

ومن الأدلة التأريخية المهمة بصدد هذا التحول ، الى جانب ما لاحظناه من واقع ملموس في السنة الأخيرة من الحرب ، تصريح أدلى به في حينه السير ونستن چرچل ، ووقائع ذات دلالات واضحة شهدتها المنطقة ومعاهدات الصلح بعد انتهاء الحرب مباشرة . فقد قال وزير التموين الحربي البريطاني معلقا على الاتفاقية التي تم التوصل اليها بين بلاده وفرنسا حول تقسيم ما سمي بـ « مناطق العمل » في روسيا بينهما :

« ... حدد مجال النشاط الفرنسي في المنطقة الممتدة الى الشمال من البحر الأسود ... أما المجال الانكليزي فالى الشرق منه ... وهكذا ، وكما هو مبين في البند الثالث من الاتفاقية ، كان من المقرر أن تشتمل المنطقة الفرنسية على بيسارابيا و أوكراينا والقرم ، أما المنطقة الانكليزية فقد كان من المقرر أن تشتمل على مناطق القوزاق والقفقاس وأرمينيا وجورجيا وكردستان »[٢١] .

(٢٠) تطرقنا الى ذلك بالتفصيل ضمن الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٢١) راجع :

Winston S. Churchill, The Great War, Vol. III, London, 1934, PP. 1394 — 1395.

تم التوقيع على هذه الاتفاقية في باريس على أرفع مستوى ، فقد وقعها عن الجانب الفرنسي رئيس الوزراء كليمنصو ووزير الخارجية پيشون وقائد الجيش الفرنسي (فيما بعد القائد العام لقوات الحلفاء في الجبهة الغربية) فوش ، وعن الجانب الانكليزي وزير الحربية اللورد الفريد ميلنر وعن الخارجية الوزير اللورد روبرت سيسيل والممثلون العسكريون

—

ارتبط اسم الكرد بمخططات من نوع آخر ظهرت في سنوات الحرب كذلك . فرؤساء الأرمن كانوا قد أدركوا أنه في ظروف كالتي تعيش فيها المنطقة يرتبط حل المسألة القومية لشعبهم بالمسألة القومية للشعب الكردي الجار ، الى حد كبير . وكانت الدول الكبرى قد أدركت بدورها هذه الحقيقة وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الى أن تنعكس قضية مستقبل الكرد في الخطط السياسية الأرمنية كذلك . وعلى سبيل المثال فان الخطة التي قدمها بوغوص نوبار باشا ، زعيم الأرمن ، في حزيران من العام ١٩١٥ الى وزير الخارجية الفرنسية تضمنت ذكر الكرد أيضاً . فقد اقترح الزعيم الأرمني في مذكرته اقرار الحكم الذاتي للأكراد شريطة أن يكون تحت اشراف مباشر لاحدى الدول الحليفة أو جميعها[٢٢]. ولكن الدول الكبرى لم تكن تعير آنئذ أهمية تذكر لمثل تلك المخططات وغيرها لأنها بتعبيرها عن مصالح معينة لشعوب المنطقة كانت تتناقض مع ما تم الاتفاق بشأنه في المعاهدات والاتفاقات السرية التي أثرت بحكم طابعها الاستعماري على مستقبل جميع شعوب الأمبراطورية العثمانية ، بما فيها الشعب الكردي الذي تأثر ، « تقدمه الاجتماعي ـ الاقتصادي والثقافي والسياسي » بتلك المعاهدات والاتفاقات

=

البريطانيون في فرنسا . وفي معرض التعليق على الأحداث المتعلقة بهذه الاتفاقية الانكلو ـ فرنسية يذكر چرچل حقيقة مهمة تدل على واقع الظروف الجديدة في المنطقة و « الفراغ » الذي بدات تشهده . فهو يقول بلغت القوات البريطانية في المنطقة المخصصة لنشاطاتها والتي يصفها بـ « اكبر خط ستراتيجي في العالم » ، حوالي ٢٠ الف رجل في أواخر كانون الثاني من العام ١٩١٩ . ويضيف انه بالامكان بفضل «هذاالدرع» ـ كما يسميه ـ « منع هجمات البلاشفة سواء على تركيا ... أو كردستان او ايران ... » (Ibid, P. 1395).

(٢٢) للتفصيل راجع :

M. S. Lazarev, The Kurdish Question ... , PP. 335, 448.

بشكل ملموس كما يقول الدكتور لازاريف[٢٣] .

غير أن الكشف عن مضامين المعاهدات والاتفاقات السرية تحول من جانب آخر الى عنصر مهم في تجسيد أطماع الدول الكبرى أمام أنظار شعوب المنطقة مما أدى الى تنبيهها وشحذ وعيها . ففي الثامن من تشرين الثاني من العام ١٩١٧ أعلنت السلطة السوفيتية في روسيا اداتتها للدبلوماسية السرية الاستعمارية وتعهدت بنشر ما يتوفر لديها من نصوص المعاهدات والاتفاقات المعقودة بين الدول الكبرى في هذا المجال بأسرع ما يمكن . وقد شكلت بالفعل لجنة خاصة لحل رموز العديد من تلك المعاهدات ، وبعد حوالي ستة أسابيع من العمل المتواصل تم اعداد سبع مجموعات من الوثائق السرية نشرت في البداية على صفحات الجرائد اليومية . وقد ضمت احدى تلك المجموعات بنود معاهدة «سايكس ــ بيكو» وكل ما كان يتعلق بها من اتصالات وتبادل وثائق ومراسلات مع عدد آخر من الاتفاقيات التي تخص أيضاً أقطار المنطقة ، ومنها الاتفاقية الروسية الانكليزية للعام ١٩٠٧ بشأن تقسيم ايران ، التي كانت المناطق الكردية الايرانية تدخل بموجبها ضمن منطقتي نفوذ الدولتين[٢٤] .

كان من الطبيعي أن يحدث هذا الأمر ضجة كبرى على الصعيد العالمي ، انتقلت آثارها الى أقطار الشرقين الأدنى والأوسط بصور وأشكال مختلفة. فقد بادرت صحف البلدان المحايدة الى اعادة نشر نصوص المعاهدات السرية، وسرعان ما قامت صحافة الدول المتحاربة بالعمل نفسه . بل اضطر وزير

(٢٣) M. S. Lazarev, Kurdistan ... , P. 346.

(٢٤) بلغ مجموع المعاهدات والاتفاقيات السرية التي نشرت أكثر من ١٠٠ معاهدة واتفاقية ، الى جانب عدد كبير من الوثائق والمراسلات الدبلوماسية السرية التي كان قسم منها يعود الى أواخر القرن الماضي (للتفصيل راجع : « تأريخ الدبلوماسية » ، المجلد الثاني ، الص ٣٠٥ــ ٣٠٦) .

الخارجية الفرنسي الى تقديم ايضاح حول الموضوع أمام البرلمان . وهكذا سقطت فجأة أقنعة خطيرة وظهرت الوجوه على حقيقتها مما أحدث رد فعل كبيراً ولاسيما في البلاد العربية ، ذلك لأن اذاعة نصوص تلك المعاهدات « أثبتت » كما يقول المؤرخ المصري المعروف أمين سعيد « خيانة الانكليز للعرب » وبينت « كيف أنهم يمكرون بهم»[٢٥] . فأسرع الشريف حسين الذي ، لم يكن يعرف ، كما يقول عنه أمين سعيد نفسه ، شيئاً عن أمر المعاهدات المنشورة والذي كان « لسوء الحظ مايزال يثق بالانكليز ويثق باخلاصهم ومودتهم » يستفسر منهم عن حقيقتها[٢٦] وفي أواخر العام ١٩١٧ قام زعيم مسلمي الهند محمد علي جناح بزيارة خاصة الى لندن يقصد منها ابلاغ رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج احتجاجه «باسم ٧٠ مليون مسلم هندي » على مخططات الحلفاء لابعاد الأتراك من استانبول[٢٧] .

لم يبلغ رد الفعل المباشر بين الأكراد مثل هذا المستوى من الادراك ،وهو ما يعكس واقع تخلف الوعي لدى القوى السياسية الكردية آنذاك . الا أن الأمر تحول، مع ذلك، فيمابعد الى عامل مساعد للكشف عن نوايا المستعمرين أمام أنظار الأكراد أيضا ، وبشكل خاص بين المثقفين منهم[٢٨] . ويجب أن لا ننسى كذلك حقيقة أن السياسة القومية للعثمانيين جعلت من الكرد والأرمن والآثوريين بشكل خاص ، بل وحتى من قسم غير قليل من العرب ، غير قادرين

(٢٥) امين سعيد ، ثورات العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، بلا ، الص ٥٠ .

(٢٦) المصدر نفسه .

(٢٧) راجع : ((Sévres and Lausanne)), P. VIII.

(٢٨) اشار العديد من السياسيين والكتاب الاكراد ، وبشكل خاص الصحافة التقدمية الكردية ، فيما بعد ، الى طبيعة معاهدة « سايكس ــ پيكو » وغيرها من المعاهدات والاتفاقيات الاستعمارية .

على تقييم جميع الأبعاد الخطيرة للمخططات الاستعمارية كما ينبغي ، بحيث يعيرونها ما تستحق من اهتمام . ولم تلعب الدعاية المعاكسة للدول الغربية الدور الأخير في ذلك . فقد حاول المسؤولون الغربيون تصوير الأمر وكأنه مجرد « لعبة بلشفية » تبغي « افساد العلاقات بين العرب والحلفاء » كما ورد في كتاب رسمي بعثته وزارة الخارجية البريطانية عن طريق القاهرة الى الشريف حسين رداً على استفساره السالف الذكر(٢٩) . وقد صدق العديد من ساسة المنطقة هذه الفرية ، ومنهم الأمير فيصل الذي ظل يعتقد بصحة أسطورة « اللعبة » الى أن بين له صديقه الحميم لورانس المشهور حقيقة الأمر .

تحول الكشف عن المعاهدات السرية الى عامل محرك من نوع جديد في حرب الدعاية للطرفين المتحاربين ، ولاسيما بالنسبة للحلفاء الذين بدأ زعماؤهم يدلون بتصريحات تختلف في طابعها الى حد ما عن تصريحاتهم السابقة وتناقض كلياً مضامين اتفاقاتهم ودبلوماسيتهم السرية التي لم يتخلوا عنها نهائياً . ففي الخامس من كانون الثاني ١٩١٨ ألقى لويد جورج خطاباً أمام ممثلي النقابات العمالية ظل صداه يتردد في المحافل الدولية والأوساط السياسية وبأشكال مختلفة على مدى سنين طوال(٣٠) . وقد أكد المسؤول البريطاني الكبير في خطابه أن اشتراك بلاده في الحرب الدائرة جاء « للدفاع عن النفس » وعن « حق الشعوب » و « الشرائع الدولية » ، وطالب باقامة « نظام ديمقراطي دستوري حقيقي » في ألمانيا واعتبر اعادة المستعمرات الى

(٢٩) راجع : امين سعيد ، المصدر السابق ، الص ٥٠ .

(٣٠) للاطلاع على نص الخطاب راجع :

((War memories of David Lloyd George)), Vol. V, London, 1936, PP. 2515 — 2527.

هذه الأخيرة مناقضاً « لجميع مبادىء حق تقرير المصـير » التي « تتلاشى بذلك في مهب ريح خفيفة » • وعند الكلام عن تلك المستعمرات أشار رئيس الوزارة البريطانية الى ضرورة اقامة ادارة « تراعي رغبات شعوبها » وعارض حتى استغلال رأسماليي أوروبـا وحكوماتها لها في المستقبل • وعلى نفس المنوال تكلم لويد جورج عن ضرورة « الاعتراف بالظروف القومية الخاصة » لكل من «شبه الجزيرة وأرمينيا وميسوبوتاميا وسوريا » •

ولم تمض سوى ثلاثة أيام على خطاب لويد جورج حتى أعلن الرئيس ولسن عن بنوده الأربعة عشر الذائعة الصيت أمام الكونگريس الأمريكي ، ثم أتبعها بأربعة بنود ثم بخمسة أخرى توضيحية(٣١) •

تطرق الرئيس ولسن في بنوده الى قضايا دولية خطيرة كالحرب والسلم والدبلوماسية السرية وحرية التجارة الدولية و « تقليص التسلح القومي الى الحد الأدنى » والوضع في روسيا السوڤيتية وغير ذلك • وما يهمنا هنا هو مضمون البندين الخامس والثاني عشر من بنوده • ففي البند الخامس دعا الرئيس ولسن الى « حل حر و صريح ومنصف بشكل مطلق لجميع المنازعات الخاصة بالمستعمرات ، يستند الى التمسك الجدي بمبدأ يقضي بأنه في حالة حل جميع القضايا المتعلقة بالسيادة ، فان مصالح سكان المستعمرات المعنية تتمتع بنفس وزن الطموحات المشروعة للحكومة التي تحدد حقوقها » • أما البند الثاني عشر فقد خصـص للامبراطورية العثمانية ونص على ما يلي :

(٣١) للاطلاع على نص البنود الأربعة عشر والبنود التوضيحية راجع :
((A history of the Peace Conference of Paris)), Edited by H. W. Temperley, Vol. I, Oxford, 1969, PP. 129 — 194, 433; C. E. Black and E. C. Helmreich, Twentieth Century Europe, New York, 1950, PP. 839 — 841.

« يجب ضمان سـيادة أكيدة للأجزاء التركيـة من الأمبراطورية العثمانية الحالية ، أما القوميات الأخرى التي هي الآن تحت الحكم التركي فيجب أن يضمن لها اطمئنان على الحياة لا شك فيه ، وفرصـة مطلقة مصونة لتطوير الاستقلال الذاتي[٣٢] ، والدردنيل يجب فتحه بصورة دائمة وبضمانات دولية أمام بواخر جميع الشعوب وتجارتها » .

قام الحلفاء في المرحلة الأخـيرة من الحرب بدعاية واسعة لتصريحاتهم ووعودهم الكثـيرة لأنهم وجدوا ، كما يذكر لويد جورج بالنـص ، « أن بالامكان نسف قدرات العدو عن طريق استغلال تذمر الأمم الخاضعة له » . وعلى سبيل المثال يقول : « فان مئات السنين من النير جعلت عيش العرب تحت حكم الترك أمراً مستحيلا » ، فحرك الحلفاء مثل هذه الأمم متعهدين بـ « منحها الاستقلال لقاء ذلك »[٣٣] . وقد أوضح رئيس الوزارة البريطانية الأمر نفسه بشكل أشمل في مذكراته عندما اعترف بان « دعاية الجانبين في هذه الحرب (يقصد الحرب العالمية الأولى ـ ك. م.) لعبت دوراً أكبر من أي وقت مضى» . ومثل لذلك قائلا « أستطيع على الأقل ايراد التصريحـات العلنية للحلفاء عن نواياهم حول تحرير الشعوب المضـطهدة الرازحة تحت سيطرة الأمبراطوريات المعادية تركيا وألمانيا والنمسا وحول منحها حق تقرير المصير . كانت هذه التصريحات تسـتهدف اعطاء انطباع معين لا في بلدان الحلفاء فحسب بل وفي البلدان المحايدة كذلك ، وبصورة خاصة في معسكر

---

(٣٢) في النص :
((... absolutely unmolested opportunity of autonomous development)).

(٣٣)
David Lloyd George, The truth about Peace Treaties, Vol. II, London, 1938, P. 755.

ـحو ... اننا كنا نعلم أن الاعلان عن التحرير كواحد من أهدافنا الحربية يساعد على تصديع وحدة البلدان المعادية ، ونحن لم نخطىء في ذلك »[٣٤].

ومن هذا المنطلق أولى الحلفاء ، وبشكل خاص الانكليز ، الدعاية بين الشعوب الداخلة في الأمبراطورية العثمانية اهتماماً ملموساً . فعلى سبيل المثال أثارت الصحافة التي كانت تصدرها قوات الاحتلال البريطاني في العراق ، بما فيها «ألعرب» و «تيگەيشتنى راستي» الكردية، ضجة كبيرة حول تصريحات الحلفاء ووعودهم ، فعرضت هاتان الجريدتان خطاب لويد جورج الذي أشرنا اليه آنفا ، كخطاب « سياسي عظيم » جاء بمثابة « القول الفصل » و « الخطبة الغراء التي أصاب بها (رئيس الوزراء ــ ك. م.) شاكلة السداد وكشف القناع عن حقائق الأمور فتجاوبت بذكرها محافل السياسة ، واهتزت لها أرجاء الأرض » لذا أقسمت « ألعرب » بأنه « خير ما قال قائل في هذه الحرب العوان ... »[٣٥] . ونشرت الجريدتان نبذة عن بنود الرئيس الأمريكي ولسن وكتبت « ألعرب » انها « تستهدف تلبية نداء الشعوب المستعمرة والاذعان لرغباتها ومطاليبها »[٣٦] ، ولكنها أخفت ، مع ذلك ، الجزء المتعلق بشعوب الأمبراطورية العثمانية في البند الثاني عشر ، بل لم تنشر حتى بعد طلب القراء سوى الجزء الخاص منه بمضائق البسفور والدردنيل[٣٧] . كما نشرت الجريدتان كل ما يتعلق ببلجيكا وبولونيا

(٣٤) Ibid, P. 1118.

(٣٥) « العرب » ، ١٢ و ١٩ كانون الثاني ١٩١٨ ؛ « تيگەيشتنى راستي » ، ١٥ و ١٩ و ٢٢ كانون الثاني ١٩١٨ .

(٣٦) « العرب » ، ٣١ كانون الثاني ١٩١٨ .

(٣٧) « العرب » ، ٧ شباط ١٩١٨ .

ورومانيا وغيرها من البلدان والشعوب التي وردت اسماؤها في خطاب لويد جورج بينما لم تذكرا كلمة واحدة عما جاء فيه حول سوريا والعراق وبلدان المنطقة الأخرى .

وبالرغم من كل ذلك ، وبغض النظر عن الأهداف الحقيقية[٣٨] ، فان هذه التصريحات لم تمر دون أن تؤثر على أوساط سياسية مختلفة في بلدان الشرق الأوسط . وبالنسبة للاكراد يكفي أن نذكر هنا أن الشيخ محمودا حارب القوات البريطانية بعد الحرب مباشرة رابطاً فوق زنده الترجمة الكردية لبعض هذه التصريحات مدونة على أوراق من المصحف الشريف جابه بها الحكام الانكليز أثناء محاكمته في بغداد قائلا لهم انه انما يحاربهم باسم بنود الحلفاء أنفسهم ووعودهم[٣٩] . وكما يؤكد الأستاذ أكرم جميل باشا ، فان بنود الرئيس ولسن تركت آثاراً كبيرة على المثقفين الكرد الذين علقوا ـ حسبما يقول ـ الآمال على بنوده الخاصة بشعوب المستعمرات والأمبراطورية العثمانية[٤٠] . وكما يذكر الاستاذ عبدالمنعم الغلامي ، وهو من مثقفي

(٣٨) عن حقيقة اهداف بنود الرئيس ولسن الأربعة عشر يمكن مراجعة بحثنا « حول تغلغل النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ولسن » ، ـ « آفاق عربية » ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، الص ١٠٢ ـ ١٣١ .

(٣٩) راجع :

A. T. Wilson, Mesopotamia 1917 — 1920, P. 139.

راجع كذلك :

Левин И., Ирак, Москва, 1937, стр.116.

ى. ليفين ، العراق ، موسكو ، ١٩٣٧ ، الص ١١٦ .

(٤٠) اكد الاستاذ اكرم جميل باشا ذلك للمؤلف ، وذكر ان الشخصيات والمؤسسات السياسية الكردية كانت تنوي الاتصال بالرئيس ولسن وطلبت من شريف باشا ان يحاول بدوره الاتصال به ، الا أنه ـ حسبما =

حوصل الذين كانوا على اتصال بأوساط كردية مختلفة أثناء الحرب وبعدها مباشرة ، فان « فريقاً من زعماء الأكراد وأهل الحل والوجاهة فيهم » بعثوا مذكرة خاصة الى مؤتمر الصلح في باريس طالبوا فيها باستقلال العراق وذكروا كيف أن « السياسي الكبير الرئيس ولسن والملك الخطير جورج ومتفقيهما من دول الائتلاف ورجالهم قد صرحوا غير مرة في بياناتهم، ووعدوا الأمم والأقوام المستضعفة الاستقلال والتحرير ومنح ما تتوقف عليه الموجودية السياسية لهم »(٤١) .

سرعان ما انتهت الحرب بعد هذه التصريحات وسرعان ما ظهرت النوايا على حقيقتها . فمن جهة اشتد الصراع بين الأطراف المنتصرة ، ومن جهة أخرى اتخذ ذلك الصراع طابعاً جديداً بحكم التوازن الجديد الذي ظهر في القوى على الصعيد الدولي . وهنا أيضاً كان للشعب الكردي نصيبه الذي توافق مع حجمه وموقعه وظروف المنطقة .

ارتبط العامل الأول الذي أثر بشكل فعال على سير الأحداث ومصير

=

يبدو — لم يعر الموضوع اهتماماً كبيراً لأنه كان يعتقد — كما سنرى — أن الانكليز هم وحدهم الذين بامكانهم مد يد « المساعدة » للأكراد . كما لايستبعد أن يكون قد حاول الاتصال به ولكنه لم يفلح شأنه شأن العديد من الساسة الشرقيين الآخرين ومنهم سعد زغلول . كما رفض السفير الأمريكي في طهران مقابلة الضابط العثماني السابق السيد توفيق فكرت الذي أرسله الشيخ محمود مندوبا لعرض وجهة نظره على السفير ليقوم بدوره بنقلها الى الرئيس ولسن (للتفصيل راجع : « آفاق عربية » ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، الص ١٠٤ ، ١١٩ — ١٢٠) .

(٤١) عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ — ١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ — ١٩٢٠ م) ، الجزء الأول ، بغداد ١٩٦٦ ، الص ٢٦ — ٢٧ ، ١١٢ — ١١٤ . يؤكد المؤلف انه يحتفظ بالنسخة الثانية للنص الأصلي للمذكرة .

شعوب الشرقين الأدنى والأوسط في المرحلة الجديدة ، بالتقدم الواسع الذي حققته انكلترا خلال سنوات الحرب في هذه المنطقة . فهي التي تحملت وحدها ، دون سائر الحلفاء[42] ، عبء الحرب في الممتلكات العثمانية اذ بلغت قواتها في ساحات الحرب حوالي مليون جندي ذهب ما يقرب من ١٢٥ ألف شخص منهم ضحايا[43] ، فيما بلغ عدد القوات الفرنسية نسبة جد ضئيلة غير قابلة للمقارنة مع المجهود الحربي الانكليزي في ميادين الشرق الأوسط[44] ، بينما لم تعلن الولايات المتحدة الأمريكية الحرب أصلا ضد الدولة العثمانية . وهكذا فان القوات البريطانية هي التي دخلت في سنوات الحرب سوريا وفلسطين والعراق ، كما أنها كانت تحتفظ قبل الحرب بقواعد ثابتة في كل من قبرص ومصر وعدن والكويت ، وصارت السيادة الفعلية في المياه الاقليمية العثمانية بعد عقد هدنة « مودروس » للاسطول البريطاني ، كما كان للانكليز « رتل خامس » متنفذ في بلدان الشرق الأوسط دون استثناء ، فلم يعودوا ، والحالة هذه ، يرضون بالخطط والتقسيمات التي أقرت قبل الحرب أو في سنواتها ، بل بدأوا ينشطون في العمل من أجل فرض سيطرتهم المباشرة وغير المباشرة على الشرق الأوسط بأكمله ، وكانوا يرون أنفسهم أجدر وأحق من غيرهم بأن يصبحوا الورثة « الشرعيين » للقياصرة

(٤٢) ولأسيما بعد انسحاب روسيا من الحرب .

(٤٣) راجع :
Lloyd George, The truth..., Vol. II, PP. 1031, 1061.

(٤٤) نذكر ، على سبيل المثال ، ان اشتراك الفرنسيين في المجهود الحربي للشريف حسين لم يتعد فرقة واحدة مع ستة مدافع فقط ، علماً بان ارسالهم لهذه القوات جاء ضمن تخطيطهم لمنافسة النفوذ البريطاني في المنطقة (للتفصيل راجع : سليمان موسى ، الحركة العربية . سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨–١٩٢٤ ، بيروت، ١٩٧٠، الص ٤١٩) .

الروس ، كما كانوا يقدرون بشكل صحيح ضعف ايطاليا[٤٥] وحاجة فرنسا الى مساندتهم لايجاد حلول مرضية بالنسبة لمصالحها وطموحاتها في أوروبا[٤٦] كما كان لهم نقاط التقاء عديدة مع الأمريكان في مناهضة النظام الاشتراكي الجديد في روسيا . اذاً ، فان الظروف جميعها كانت موآتية بالنسبة للانكليز لكي تتخذ أطماعهم في الشرق الأوسط طابعاً توسعيا غير محدود لم يعرف له تأريخهم الكولونيالي مثيلا . فاذا كان اللورد كيرزن يرى في بداية القرن العشرين حدود الهند على الفرات[٤٧] ، فانه وغيره من المسؤولين البريطانيين بدأوا في المرحلة الجديدة يتصورون حدود الأمبراطورية في الشرق الأوسط على هذا الشكل : أبعد من الموصل شمالا وكابل شرقاً والخرطوم جنوباً مع التخطيط للوصول الى نفط باكو ومناطق القفقاس كذلك . فبدأت الدبلوماسية البريطانية تنشط في سبيل فرض الحماية الانكليزية على أفغانستان وايران وتخطط من أجل اقامة سلسلة من المستعمرات وشبه المستعمرات على امتداد المنطقة الواقعة بين الهند والبسفور . وكان الانكليز يأملون ــ حسب تعبير البروفيسور ميللر ــ في تحويل « استانبول الى جبل طارق ثانٍ ، والأناضول الى مصر ثانية » في هذا النظام[٤٨] . من هنا لم يكن

(٤٥) لم تكن ايطاليا في وضع يسمح لها بأن تلعب دوراً ملموساً على الصعيد الأوروبي وفي الشرق الادنى بوجه خاص ، بحيث لم تر انكلترا من الصعب أن تتجاهل حتى ما وعدتها به مؤخرا من نصيب قليل من تركة الأمبراطورية العثمانية . وقد بلغ تجاهل المصالح الايطالية في مؤتمر باريس حد ان أورلاندو رئيس الوزارة الايطالية انسحب منه احتجاجاً .

(٤٦) كانت فرنسا جد مهتمة بالأمور المتعلقة بمصائر حوض السار والراين واعادة ترحيل الألمان من المناطق الفرنسية وغيرها ، وكانت بحاجة ملحة الى مساندة الانكليز في مؤتمر باريس بهذا الشأن .

(٤٧) راجع الص ١٩٤ ــ ١٩٥ من الفصل الثالث .

(٤٨) A. F. Miller, Op. Cit., P. 75.

من العبث أن بات لويد جورج يعتبر معاهدة « سايكس ـ پيكو » مجرد « وثيقة سخيفة »(٤٩) ، وأن أدان اللورد كيرزن بنفس العنف جوانب كثيرة من مضمون المعاهدة ، وأن أصبح مؤلفها البريطاني مارك سايكس مغضوباً عليه بسبب تقديراته التي جاءت نتائجها غير متوافقة مع موقع بريطانيا الجديد في الشرق الأوسط . وهذه العوامل نفسـها هي التي حددت طبيعة التعامل الجديد للانگليز مع كردستان وهي التي أثرت أكثر من غيرها على مصير هذه البلاد كما نحاول تبيان ذلك في هذا الفصل .

ظهرت البادرة الأولى للأوضاع المستجدة في نفس اليوم الذي تقرر فيه وضع نهاية للحرب بـين الحلفاء والأمبراطورية العثمانية . ففي الثلاثين من تشرين الأول من العام ١٩١٨ جرى التوقيع على الهدنة بين الطرفين على ظهر الباخرة الانگليزية آغا ممنون (Agamemnon) في ميناء مودروس الواقع في جزيرة ليمنوسـ في بحر ايجة(٥٠) . ومـع أن الأدمـيرال آرثر كارلثورپ (A. Carlthorpe) وقع الهدنة باسم الحلفاء ، الا أنها جاءت في الواقع بمثابة اتفاق ثنائي حتى ان الانگليز منعوا صعود الممثل الفرنسي الى الباخرة بالرغم من احتجاج بلاده(٥١) ، وقـد أملى الجانب البريطاني مواد الاتفاقيـة على الجانب العثماني وتم التوقيع على نصها الانگليزي فقط(٥٢) . وعندما احتج

(٤٩) Lloyd George, The truth ..., Vol. II, P. 1025.

(٥٠) من هنا عرفت باسم « هدنة مودروس » .

(٥١) راجع : A. F. Miller, Op. Cit., P. 74.

(٥٢) راجع :
((A history of the Peace Conference of Paris)), Vol. I, Oxford, 1969, P. 497.
وقع الهدنة عن الجانب العثماني ثلاثة اشخاص هم حسين رؤوف بيك ورشاد حكمت بيك وسـعدالله بيك ، بينما وقعها عن الدول الحليفة مجتمعة شخص واحد هو الأدميرال آرثر كارلثورپ .

رئيس الوزارة الفرنسية كليمنصو لدى رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج لأن « هدنة مودروس » لم تراع المصالح الفرنسية ، كما ينبغي ، قال له لويد جورج : « لم يقدم أحد ، فيما عدا بريطانيا العظمى ، أكثر من بضعة أفواج من (الجنود ــ ك٠ م٠) السود للاشتراك في الحملة على فلسطين ٠ لقد فوجئت حقا بضيق الصدر هذا من جانب الحكومة الفرنسية ٠ ان للبريطانيين الآن حوالي ٥٠٠ ألف جندي في الأراضي التركية ٠ وقد أسروا ثلاثة أو أربعة من الجيوش التركية وتحملوا مئات الألوف من الضحايا في الحرب مع تركيا ٠ أما الحكومات الأخرى فانها بعثت عددا قليلا من رجال الدرك السود (Nigger Policemen) ليراقبوا ما اذا كنا نسطو على الضريح المقدس أو لا ! ٠ وعندما آن آوان التوقيع على الهدنة ، أثير كل هذه الضجة »[٥٣] ٠ ان في هذا الكلام تعبيراً صادقاً عن واقع الأمر في أقطار الشرق وعما كان ينويه الانكليز في هذه الأقطار بعد انتهاء الحرب مباشرة في ضوء تناسب القوى الجديد على الصعيد العالمي ٠

أعطت بنود اتفاقية « مودروس » الخمسة والعشرون[٥٤] الانكليز امكانات كبيرة للتحرك في الشرق الأوسط ، الا أنهم لم يترددوا مع ذلك في خرقها عندما كانت مصالحهم تقتضي ذلك ، علماً بأن الأدميرال كارلثورپ أكد

(٥٣) ((War memories of David Lloyd George)), Vol. VI, P. 3314.
اثار موضوع « هدنة مودروس » ورفض الأدميرال كارلثورپ اشتراك الممثل الفرنسي الادميرال آميت (Amet) في مفاوضاتها نقاشاً حامياً للغاية بين رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج ورئيس الوزارة الفرنسية كليمنصو . (Ibid, PP. 3309 — 3312, 3314 — 3315).

(٥٤) راجع نص البنود في :
((A history of the Peace Conference of Paris)), Vol. I, PP. 495 — 497.

ثلاث مرات في رده على استفسار وزير الحربية التركي حسين رؤوف بيك ، تمسك بلاده القاطع بروح الاتفاقية • وعلى أي حال فقد كانت بنود هدنة «مودروس» تفسر من الجانبين دون أدنى اعتبار لرغبات السكان الأصليين وآمالهم • فقد دخلت القوات والادارة البريطانية العديد من المناطق الكردية العراقية بعد التوقيع على الاتفاقية ، وان كان رفع العلم البريطاني فوق سارية بناية الولاية في الموصل هو الذي جلب الأنظار وأثار احتجاج الباب العالي • كما أصبح يحق للحلفاء بموجب البند الرابع والعشرين من اتفاقية « مودروس » التدخل في الولايات الشرقية العثمانية ، حيث يقطن الأرمن ، في حالة « حدوث فوضى فيها » ، وهو أمر كان يمس الأكراد بشكل مباشر أيضاً •

تجسدت الأطماع وتبلور الصراع أكثر في مؤتمر الصلح الذي عقد بباريس بين الدول المتحاربة والذي كان مصير العالم يتوقف على نتائجه الى حد كبير • فخلال أعمال المؤتمر التي استغرقت أكثر من سنة (١٨ كانون الثاني من العام ١٩١٩ ـــ ٢١ كانون الثاني من العام ١٩٢٠) دار حول كل موضوع أثير أمامه نقاش حاد كان ينتهي أحياناً بالتهديد بالانسحاب كما أشيع عن الرئيس ولسن ، أو كان ينتهي بالانسحاب فعلا كما فعل زميله الايطالي ڤيتوريو أورلاندو (Orlando) • وفي أحيان كثيرة أخرى كانت حدة الصراع تصل حد نسف المؤتمر من أساسه • ومن الجدير بالتأكيد هنا أن مسألة تقسيم ممتلكات ألمانيا والأمبراطورية العثمانية كانت واحدة من أهم وأدق القضايا التي أثارت منذ الأيام الأولى للمؤتمر جدلا حامياً طويلا تمخضت عنه فكرة الانتداب الذي لم يكن في واقعه ، حسب اعتراف اللورد كيرزن أمام مجلس اللوردات ، سوى « وسيلة لتقسيم البلدان المفتوحة بين

منتصرين »[٥٥] . وأقر المؤتمرون ، وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي ولسن ورئيس الوزارة البريطانية لويد جـورج ، أن « أقصـى ما يمكن منحه » لمختلف العناصر هو « الاستقلال الذاتي »[٥٦] .

أبدى الأكراد نشاطاً محدوداً في أيام مؤتمر الصلح في باريس انعكس بشكل خاص في أعمال وفدهم الصـغير برئاسة الدبلوماسـي والعسكري العثماني السابق شريف باشا[٥٧] الذي قـدم الى المؤتمرين مذكرتين حول حقوق الأكراد[٥٨] وأجرى اتصالات بأعضاء بعض الوفود ودخل في مفاوضات

(٥٥) راجع : كارل بروكلمان ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ، الص ٩٥ .

(٥٦) راجع :
F. Lee Benns, Europe since 1914, fifth ed., New York, 1945, P. 119.

(٥٧) لا نعرف بالضبط كم كان عدد اعضاء الوفد ومن كانوا . ولكنهم كانوا في أغلب الظن من السياسيين الكرد المعارضين للاتحاديين والذين كانوا يعيشون في الخارج ، فان شريف باشا نفسه كان قد استقر في باريس منذ ثورة الاتحاديين في العام ١٩٠٨ . وكما يؤكد الدكتور بلهچ شيركوه، وهو من الذين راقبوا احداث تلك الفترة عن كثب واشتركوا فيها ، فان الجمعيات الكردية هي التي انتخبت شريف باشا لهذه المهمة (الدكتور بلهچ شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٦٧) . يعتبر دافيد بيرلي ارسال الوفد « نتيجـة حتمية » لتطورات داخلية بلغت مسـتوى مثل هذا النشاط (دافيد ب. بيرلي ، كردستان. المثل الكردي الأعلى وانعكاساته على العلاقات الآشـورية ـ الكردية ، نقلهـا الى العربية عن الاصـل الانكليزي ي. ناظر ، نيوجرسي ، ١٩٤٦ ، الص ٦) .

(٥٨) قدمت المذكرة الأولى باللغة الفرنسـية في ٢٢ آذار من العام ١٩١٩ وهي تحمل توقيـع « الجنرال شريف باشا رئيس الوفـد الكردي الى مؤتمر باريس » ، وقد طبعت على شكل كراس خاص يقع في ١٤ صـفحـة. في المذكرة معلومات عن الاكراد ومناطق سكناهم، وضعهم ونضالهم وعلاقاتهم بالارمن مع مطاليبهم
((Memorandum sur les revendications du Peuple Kurde)), Paris, 1919.

وفي العام نفسـه نشرت الترجمة الانكليزية لنص المذكرة :
((Memorandum on the claims of the Kurdish People)), Paris, 1919.

تفصيلية مع رئيس الوفد الأرمني بوغوص نوبار باشا وممثل جمهورية أرمينيا م. أوهانجانيان (M. Ohandjanian)[٥٩] أسفرت عن التوصل في كانون الأول من العام ١٩١٩ الى اتفاق مشترك حول قضايا كثيرة تهم الجانبين ، مما جلب انتباه أوساط سياسية مختلفة في الداخل والخارج . فقد نشرت اثنتان من صحف استانبول (« پيام » في ٢٤ شباط و « تان » في ١٠ آذار ١٩٢٠) نص الاتفاق الذي أولاه المسؤولون الانكليز كذلك اهتماماً خاصاً . حتى ان اللورد كيرزن أصدر تعليمات خاصة الى المندوب السامي البريطاني في استانبول الأدميرال السير ج. دي روبيك (J. de Robeck)تقضي بـ « ابداء كل تشجيع ممكن » للاتجاه الجديد[٦٠] . واعتبرت أوساط مختلفة الاتفاق أمراً غير متوقع ألبتة[٦١] . وقدم الجانبان بعد ذلك مذكرة مشتركة حول مصير الشعبين الى المؤتمر[٦٢] .

لم يقتصر نشاط الأكراد على ما ذكرنا من أعمال الوفد الكردي . فقد حاول الشيخ محمود بدوره ارسال وفد خاص الى باريس للالتحاق بشريف

(٥٩) لم تشر المصادر التي تسنى لنا الاطلاع عليها الى اشتراك ممثل جمهورية ارمينيا التي اسسها الداشناقيون في يريفان واچمادزين (ارمينيا الشرقية) منذ أواخر آيار من العام ١٩١٨ في المفاوضات الأرمنية ـ الكردية ، الا ان وثائق السياسة الخارجية البريطانية تؤكد اشتراك اوهانجانيان ممثل الجمهورية المذكورة الى مؤتمر باريس ، في تلك المفاوضات (راجع :
((Documents on British Foreign Policy 1919 — 1939)), Vol. IV, PP. 927 — 928).

(٦٠) راجع : ((DBFP)), Vol. IV, P. 928.

(٦١) راجع : A. Safrastian, Op. Cit., P. 77. حتى ان بعض المسؤولين البريطانيين ساورتهم الشكوك في أن يؤدي الاتفاق الى نتائج ملموسة (راجع :
((Documents on British Foreign Policy)), Vol. IV, P. 928).

(٦٢) ((DBFP)), Vol. IV, P. 928 .

باشا ، الا أن الانكليز حالوا دون وصوله[٦٣] بسبب توتر علاقاتهم مع الشيخ والذي كان قد بلغ حد الانفجار في تلك الأيام بالذات ، مما كان يعني بالضرورة أن الوفد سيسير باتجاه معاكس لرغبات الانكليز[٦٤] . ويؤكد الأستاذ عبدالمنعم الغلامي ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، أن مجموعة كبيرة من رؤساء العشائر الكردية في منطقة بهدينان بعثوا بواسطة « جمعية العلم » الموصلية مذكرة خاصة الى المؤتمر يطالبون فيها باستقلال العراق[٦٥] .

أما المسألة الكردية فلم يتطرق اليها المؤتمرون الا في اطار عام وفي حدود علاقتها بمصير ممتلكات الأمبراطورية العثمانية ، وقد جاء ذلك في الأغلب بسبب ارتباط هذه المسألة من أوجه كثيرة ، بالمسألة الأرمنية التي أولاها المؤتمر ، لعوامل معينة[٦٦] ، بعض الاهتمام ، حيث ناقش موضوع مستقبل أرمينيا والدولة التي توضع تحت انتدابها . وقبل أن ينهي مؤتمر باريس أعماله أرسل الرئيس ولسن لجنة خاصة برئاسة جيمس هاربورد لدرس المسألة الأرمنية ، وقد زارت اللجنة آسيا الصغرى ، بما في ذلك بعض المناطق

(٦٣) راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، الص ٦٥ ـ ٦٦ ؛ الجزء الثاني ، الص ١٩٠ .

(٦٤) حاول الانكليز عرقلة وصول كل وفد معارض لنواياهم الى المؤتمر ، واتخذ الامر طابعاً جدياً في بعض المناطق بحيث أدى الى انفجار انتفاضات و هبات شعبية ضدهم ، كما حدث في مصر مثلا عندما حاول البريطانيون منع الوفد المصري برئاسة سعد زغلول من السفر الى باريس .

(٦٥) عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق ، الص ٢٦ ـ ٢٧ ، ١١٢ ـ ١١٤ .

(٦٦) تأتي في مقدمتها حدة المسألة الارمنية وما بلغته من مستوى جعلها تتحول الى واحد من ابرز وجوه « المسألة الشرقية » ككل . الا أن اهتمام الدول الكبرى بهذه المسألة في مؤتمر باريس وخارجه وبعد انقضائه ، ظل في جميع الأحوال دائرا في فلك مخططاتها بالنسبة للمنطقة .

الكردية ، وأوصت في تشرين الأول من العـام ١٩١٩ بأن تكون هناك دولة منتدبة واحدة بالنسـبة لتركيا كلها ولمنـاطق ما وراء القفقـاس وذلك لـ « اعتبارات اقتصادية وعرقية معينة » كما ادعت[٦٧] . وقد ورد ذكر المناطق الكردية كذلك في المذكرة التي قدمتها الحكومـة الايرانية[٦٨] الى المؤتمر والتي طالبت فيها بضم مناطق جد واسعة[٦٩] الى ايران بضمنها كل المناطق الكردية العثمانية تقريباً ، بل انها طالبت حتى بمدينة الموصل وبمناطق أبعد منها ، تقع بعضـها على الفرات . وفي تعليقه على ذلك يقول المتخصص في الدراسات الايرانية البروفيسور م. س. ايفانوف ما نصه : « ان مطاليب الحكومة الايرانية هذه كانت من الطيش بحيث رفض مؤتمر باريس حتى مجرد النظر فيها »[٧٠] .

لم يتوصل مؤتمر باريس الى قرارات نهائية بالنسـبة لمناطق الشرق الأوسط ، ولكن الأبعاد الحقيقية لمخططات الدول الكبرى وصراعاتها الحادة بصدد هذه المناطق ظهرت من خلال المواضيع التي طرحت للبحث سواء أمام المؤتمر أو أمام مجلس « الأربعة الكبار » ((The Big Four))[٧١] . فحتى الرئيس ولسن الذي عقدت قوى سياسية شرقية مختلفة الآمال على بنوده

---

(٦٧) راجع :
George Lenczowski, The Middle East in World Affairs, second ed. (second printing), New York, 1957, P. 98.

(٦٨) كان يرأس الوزارة الايرانية آنذاك وثوق الدولة وكان معروفا بافكاره الرجعية وميوله المنحازة للانكليز .

(٦٩) طالبت المذكرة الايرانية كذلك بآذربيجان الشمالية كلها وبقرهباغ وبقسم من داغستان وغيرها .

(٧٠) M. S. Ivanov, Op. Cit., P. 270.

(٧١) يقصد بهم رؤساء وفود الولايات المتحدة (ولسن) وبريطانيا (لويد جورج) وفرنسا (كليمنصو) وايطاليا (أورلاندو) .

الأربعة عشر ، والذي كان يحاول ، لأسباب ارتبطت بطبيعة الصراع الدولي القائم يومذاك ، اضعاف مواقع الفرنسيين والانكليز بشكل خاص في الشرق الأوسط ، أقر أمام المؤتمر بصريح العبارة بـ « أنه لا يعتقد بامكانية ترك مصائر هذه الشعوب (يقصد الشعوب التي كانت تدخل ضمن الأمبراطورية العثمانية ـ ك. م.) تماما في أيديها ، فهي تحتاج الى القيادة والى شيء من المراقبة الودية »[٧٢] . والأخطر من ذلك ما ذكره لويد جورج فيمابعد بهذا الصدد ، اذ كتب في مذكراته يقول :

« تحدثنا مرات عديدة مع الرئيس ولسن في باريس حول تقسيم ممتلكات الأمبراطورية التركية . وتحدثنا كذلك حول هذا الموضوع مع الكولونيل هاوس[٧٣] قبل وصول الرئيس (الى باريس ـ ك. م.) وبعده . وعندما وافق الحلفاء على فكرة الانتداب صار بحث تطبيق هذا المبدأ بحق المستعمرات الألمانية والأمبراطورية التركية موضوعاً غالباً ما تبودل حوله الرأي »[٧٤].

كان الانكليز يميلون في تلك الأيام الى دفع الأمريكان لقبول الانتداب على أرمينيا واستانبول والمضائق والقفقاس معاً . ولم يأت هذا « السخاء » الانكليزي عبثاً ، بل كان وليد حسابات دقيقة وبعيدة النظر . فان تنفيذ هذا الأمر كان يحتاج ، في البداية على الأقل ، الى تكاليف مالية باهظة وقوى عسكرية كبيرة قدرت بربع مليون جندي مع احتمال التورط في مشاكل

(٧٢) راجع :
Lloyd George, The truth..., Vol. II, PP. 1068, 1077 — 1078.

(٧٣) من أقرب مستشاري الرئيس الأمريكي ولسن ومن الشخصيات البارزة في مؤتمر باريس .

(٧٤) Lloyd George, The truth ..., Vol. I, P. 381.

سياسية معقدة لأن جميع الدلائل أخذت تشير الى نجاح النظام الجديد في روسيا والى اقتراب « الخطر » من القفقاس مع احتمال انفجار الوضع بقوة في الأناضول . وكان الانكليز بدأوا يرغبـون في ظروف ما بعد الحرب في اشراك الولايات المتحدة بامكاناتها السياسية الكبيرة وطاقاتها المادية الهائلة في مجابهة حركات التحرر ــ الوطني لشعوب الشـرق الأوسط التي بدأت بوادرها تظهر بقوة هنا وهناك[٧٥] . لم يكن من الصـعب ، بالطبع ، على المسؤولين الأمريكان ادراك كنه اللعبة الانكليزية وتقـدير أهدافها القريبة والبعيدة ، ولذلك رفضوا جميع اقتراحات « الحلفاء » « الودية »[٧٦] بهذا

(٧٥) يجب تقييم هذا الأمر في ضوء المشاكل الاقتصادية الكبيرة التي كانت تعاني منها انكلترا يومذاك والتي تحولت الى محور للصراع السياسي في الداخل والى السبب الأساس لاستياء دافع الضريبة البريطاني ، وقد بلغ الأمر حد أن اوساطاً سياسية مؤثرة بدات تطالب بالانسحاب من بلاد الرافدين التي كانت تعتبر الى عهد قريب بمثابة الدرة الثانية في التاج البريطاني .

(٧٦) في تعليق معبر على ذلك ذكر السناتور الامريكي سمث : « يقترح علينا الانتداب على الامبراطورية التركية ... الا أنه لا بد في أغلب الظن من عشر سنوات حتى يصبح بالامكان اقامة قانون ونظام ثابتين في تركيا ، وهذا يكلف حوالي مليار دولار في السنة » (مقتبس من :

Трухановский В.Г., Внешняя политика Англии на первом этапе общего кризиса капитализма (I9I8-I939гг.), Москва, I962, стр.96.

ف. گ. تروخانوفسكي ، سياسة انكلترا الخارجية في المرحلة الأولى من الأزمة العامة للراسمالية ، موسكو ، ١٩٦٢ ، الص ٩٦) . واعطت جريدة الـ ((Times)) في عددها الصـادر في الثاني عشر من آب من العام ١٩١٩ تفسـيراً اكثر واقعية حتى من ذلك حيث كتبت تقول : « جاء عرض القضية في امريكا على النحو التالي : لماذا يجب على الولايات المتحدة قبول صدقة تافهة في الوقت الذي استولت فرنسا وانكلترا على جميع المناطق المربحة » .

الشأن . لقد أخر هذا الوضع ، فضلا عن عوامل أخرى ، « حل » العديد من قضايا الشرق الأوسط الحساسة[٧٧] ، واحتاج الأمر الى مداولات مجددة أسفرت ، كما سنرى ، عن عقد معاهدة « سيفر » المعروفة .

اتخذ الصراع طابعاً أكثر حدة وجدية خارج أروقة مؤتمر باريس ، في « ساحة العمل » نفسها اذا جاز التعبير ، ذلك لأن الصياغة القانونية من جانب المؤتمر كانت تعتمد على حصيلة المكتسبات الفعلية في الساحة المذكورة . وأحداث كردستان آنذاك مليئة بالشواهد ذات الدلالة والتي تبين مدى أطماع الدول الكبرى ، وعلى رأسها انكلترا ، في المنطقة وأسلوب تجسيد هذه الأطماع . لقد وسع الانكليز من اتصالاتهم بالشخصيات ورؤساء العشائر الكردية بشكل ملحوظ . فقبل أن تنتهي الحرب جرى اتصال بين السير پيرسي كوكس وشريف پاشا في مارسيليا تباحثا خلاله حول مستقبل المنطقة الكردية[٧٨] . واستمرت علاقات شريف باشا بالانكليز بعد الحرب كذلك ، بل انها اتخذت طابعاً أكثر جدية حتى انه أخبرهم عن نيته في أن يطلب من مؤتمر الصلح في باريس « وضع كردستان تحت الانتداب البريطاني » ، وذلك قبل أن يقدم مذكرته الأولى الى المؤتمر ، وتمنى أن تلقى مذكرته هذه « تأييد حكومة صاحب الجلالة »[٧٩] .

(٧٧) تم «حل» قسم كبير من تلك القضايا بموجب القرار الذي اتخذه المجلس الأعلى للحلفاء في اجتماع له بسان ريمو (٢٤ نيسان ١٩٢٠) أسهم في ايجاد نوع من التوافق بين المصالح الانكلو ـ فرنسية عن طريق تخصيص الانتداب على العراق وفلسطين لبريطانيا وعلى سوريا لفرنسا .

(٧٨) راجع :
((Review of the civil administration of Mesopotamia)), London, 1920, P. 60.

(٧٩) راجع :
((Documents on British Foreign Policy)), Vol. IV, P. 813.

وبالأسلوب نفسه جرت اتصالات مباشرة مع العديد من المتنفذين الكرد وفي مختلف المناطق ، وجرت مخابرات سرية مباشرة بشأنها وبصدد القضايا المتعلقة بالمسألة الكردية على العموم ، بين الوزارات البريطانية المختصة وهيئاتها العاملة في بلدان الشرق الأوسط ، ولاسيما في استانبول وبغداد ، وقد أشارت الى ذلك مراراً وثائق الخارجية البريطانية[٨٠] ، التي بوشر بنشرها لأول مرة منذ بداية الخمسينيات . وهنا لابد من التطرق بشكل خاص الى النشاطات الواسعة للضابط السياسي نوئيل الذي عرف باطلاعه عن كثب على الشؤون الكردية[٨١] .

عين نوئيل حاكماً سياسياً لمنطقة السليمانية بعد احتلالها من قبل القوات الانكليزية مباشرة . ولكن لم تمض عليه فترة وجيزة حتى أرسل بمهمة خاصة الى المناطق الكردية الداخلية ، حيث قام بجولات واسعة اتصل خلالها بالعديد من رؤساء العشائر والشخصيات والمنظمات السياسية . وقد رافقه في رحلته هذه ومنذ البداية المحامي فائق توفيق (فائق طاپو) من السليمانية ثم التحق بهما في دياربكر كل من جلادت بدرخان وكامران بدرخان وأكرم جميل باشا الذين كانوا من أنشط السياسيين الكرد يومذاك[٨٢] . وكان نوئيل يؤكد

---

(٨٠) Ibid, PP. 678, 693, 782, 926 — 927 etc. ; Vol. XIII, London, 1963, PP. 49 — 50, 65, 108 etc.

(٨١) راجع الص ١٨٦ — ١٨٧ من الفصل الثالث .

(٨٢) فضلا عن المصادر الوثائقية اعتمد المؤلف كذلك على ما رواه له الأستاذ أكرم جميل باشا حول هذا الموضوع ، ولم يجد اي اختلاف أو تناقض بين ما رواه الأستاذ اكرم وما ورد في المصادر المذكورة . وردا على استفسار المؤلف اكد الأستاذ اكرم أن نوئيل لم يحاول اغراء أحد ولم يقم بتوزيع الأموال في اي مكان ، بل اعتبر بمثابة ضيف على الجمعية التي كان هو وزملاؤه ينتمون اليها .

بحماس ، في كل مكان يصل اليه ، نوايا حكومته الطيبة تجاه مستقبل الأكراد الذين كان يطلب منهم أن لايعتمدوا الا على الانكليز • وقد أولى نوئيل التوزيع السكاني في المنطقة ، ولاسيما نسبة الأرمن في الولايات الشرقية ، والعلاقات بين الأرمن والكرد[٨٣] جانباً كبيراً من اهتمامه • وبعث تقارير مفصلة حول هذه المواضيع وغيرها الى الجهات المختصة في لندن حاول فيها تقديم صورة واضحة عن الوضع في كردستان وعن رغبات سكانها[٨٤] ، ولا تخلو تقاريره هذه من ميل واضح نحو الأكراد ومن حماس كبير لمساندة قضيتهم[٨٥] وربما كان مبعث ذلك اعجابه بصفات الشعب الكردي أو رغبته

=

كان يرافق نوئيل ، حسبما تشير المصادر الوثائقية التركية ، ثلاثة من العسكريين الانكليز ،كما كانت ثلة من المسلحين الأكراد تقوم بحمايتهم . وحسب المعلومات الواردة في الوثائق نفسها التحق بنوئيل الى جانب جلادت وكامران بدرخان واكرم جميل باشا شخصيات كردية معروفة اخرى منهم الصحفي والكاتب مولان زادة رفعت رئيس تحرير جريدة « سربستي » (راجع : مصطفى كمال (اتاتورك) ، المصدر السابق ، الجزء الأول ، الص ٢٤٦ ، ٢٥٠ — ٢٥٢ ، ٤٤٦) .

(٨٣) كان نوئيل يؤكد في تقاريره السرية عدم صحة الادعاءات التي تحاول القاء تبعة المذابح الأرمنية على عاتق الأكراد ويشير الى « انقاذ الأكراد للألوف من الارمن » راجع على سبيل المثال :

((Documents on British Foreign Policy)), Vol. IV, P. 693).

(٨٤) راجع : ((DBFP)), PP. 678, 693, 782 etc.

(٨٥) تصفه الوثائق البريطانية الخاصة بـ « حواري » او بـ «رسول» الأكراد « المتعصب لهم » (راجع : ((DBFP)), Vol. IV, PP. 693, 742.) .

اكد الأستاذ رفيق حلمي الذي عاصره وعمل معه ، هذا الأمر مراراً في مذكراته (راجع : رفيق حلمي ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، الص ٦٩) ، وهو ما أشار اليه كذلك كل من اكرم جميل باشا واحمد تقي وغيرهما (راجع : « خەباتي گەلی کورد لە یادداشتەکانی ئەحمەد تەقي‌دا» ، ریکخستن و ئامادەکردنی بو چاپ : جەلال تەقي ، بەغداد ،

=

في أن يتحول الى « لورانس الكرد » أو بدافع من العاملين معاً[٨٦] .

ولم تخل مهمة نوئيل مع ذلك من توجهات معاكسة للحركة الكمالية التي بدأ الانكليز يخشونها الى حد كبير لأنها كانت تشكل واحداً من أخطر مصادر التهديد بالنسبة للجانب الأكبر من خططهم المتعلقة بجزء واسع وحساس من الشرق الأوسط . فبالرغم من وقوف القطاع الأوسع من الشعب الكردي الى جانب الحركة المذكورة فان الانكليز حاولوا فعلاً تحريك بعض العشائر الكردية القوية ضدها ، وهو أمر كانت حكومة السلطان ترغب فيه وتشجع الانكليز عليه[٨٧] كما يمكن اعتباره بمثابة باكورة السياسة الانكليزية المعروفة

=

١٩٧٠ ، ل ٢٣ ــ ٢٥ ، « نضال الشعب الكردي في مذكرات احمد تقي » ، أعده للطبع جلال تقي ، بغداد ، ١٩٧٠ الص ٢٣ ــ ٢٥) .

(٨٦) ربما كان ذلك ما ادى الى امتعاض بعض المسؤولين الانكليز منه ، حتى انه امر بترك المناطق الكردية والتوجه الى حلب فوراً ، خاصة بعد أن اثارت جولته حفيظة الكماليين (راجع :

((Documents on British Foreign Policy)), Vol. IV, P. 782.

راجع كذلك : مصطفى كمال (أتاتورك) ، المصدر السابق ، الجزء الاول . الص ١١٧ ــ ١٢١ ، ١٣٦) .

(٨٧) ورد ذلك في الوثائق البريطانية مراراً . فقد اقترح رئيس الوزراء فريد باشا بنفسه الامر على المندوب السامي البريطاني في استانبول الذي أبرق الى لندن بصدده . ومن المفيد أن نشير هنا الى الصياغة الفكرية للباب العالي حول الموضوع كما وردت نصاً في واحدة من تلك الوثائق : « سوف تتمتع كردستان بالحكم الذاتي بموجب المعاهدة . ولكن القادة الأكراد يكرهون مصطفى كمال لأنه يريد أن يأتي بالبلاشفة لمساندته . وأنتم ترفضون مصطفى كمال لانه يرفض معاهدتكم . اذاً لنستخدم معاً الأكراد ضده » . وتشير الوثائق نفسها الى ماكان يكتنف ذلك من صعوبات كبيرة (راجع :

((Documents on British Foreign Policy)), Vol. XIII, PP. 65 — 66, 108).

تجاه المسألة الكردية بشكل عام . وليس عبثـا أن أثارت نشـاطات نوئيل مخاوف كبيرة لدى الكماليين ، فأولاها شخص مصطفى كمال اهتمـاماً كبيراً للغاية وناقش بشأنها على أرفع مستوى مسؤول في حركته[88] .

وعلى أي حال فان مهمة نوئيل وموقف المسؤولين البريطانيين المتذبذب إزاءها ، يبينان بوضوح عدم استقرار سيـاسة الانكليز يومذاك بالنسبة للمسألة الكردية ، وهو مانريد توضيح أبعاده حتى يتسنى لنا ، فيما بعد ، فهم طبيعة بنود « معاهدة سيڤر » المتعلقة بهـا . فان نوئيل الذي عرف بذكائه السياسي ومرونته في التصرف وباخلاصه في عمله الذي أُعِد له خصيصاً[89]، والذي عهد اليه بمهمات خطيرة حتى انه وقع في أسر الثوار الجنگليين[90] ، والذي رافقه في جولته نفر من العسكريين البريطانيين ، ماكان في الامكان مطلقاً أن يقدم على عمل خطير دون أنيكلف به رسميا ، بينما نرى المسؤولين الانكليز يحاولون تصوير الأمر للكماليين بشكل مغاير للواقع تماماً . فـان العقيد ب. بيل الذي وصل المنطقـة الكردية في أيلول من العام ١٩١٩ لـ « زيارة الوجهاء والسلطات المدنية والضباط في ملاطية وخربوط ودياربكر » بصورة خاصة أكد « أن الحكومة الانكليزية لاتعرف أي شيء مطلقاً عن هذا العمل (يقصد مهمة نوئيل ـــ ك. م.) وهي لن تسمح لأي من ضباطها بالقيام بالدعاية في حالة مروره بهذه المناطق »[91] ! .

(٨٨) راجـع مصطفى كمال (اتـاتورك) ، المصدر السـابق ، الجزء الأول ، الص ١١٧ ، ١٣٢ ، ٢٤٨ ـ ٢٥٢ وغيرها .

(٨٩) انهى نوئيل الأكاديمية العسكرية وخدم في الدائرة السياسية الخـارجية البريطانية في الهند ، ولعب دوراً مهماً في مطاردة عملاء المانيا في ايـران خلال الحرب حتى انه ألقى القبـض بنفسـه على اشـهر هؤلاء العملاء فاسموس المعروف الذي تطرقنا الى نشاطاته في الفصل الثالث .

(٩٠) راجع : C. J. Edmonds, Op. Cit., P. 33.

(٩١) راجع : مصطفى كمال (اتاتورك) ، المصدر السابق ، الص ١٣٦ .

لم يقتصر النشاط الدعائي الانكليزي في كردستان يومذاك على أعمال نوئيل ومن كانوا على شاكلته . لقد اتخذ الأمر أشكالاً مختلفة على درب العمل المتشعب النشط الذي يمكن وصفه بسياسة استغلال الظرف لملء « فراغات » الشرق الأوسط بشكل محكم وعلى ضوء التفسير الانكليزي لتناسب القوى على صعيد المنطقة بأسرها . فكان على الأكراد أن يفهموا ــ كما ورد نصاً في « تيگەيشتني راستي » بعد عقد « هدنة مودروس » مباشرة ــ أنهم ، وكذلك « العرب والأرمن » يتمكنون من « الاستفادة كثيراً من انكلترا وتحقيق رقي أوطانهم خلال فترة قصيرة » ذلك لأن « انكلترا دولة عادلة ومنصفة ، بحيث انها ترى مصلحتها في مصلحة الشعوب ، وهي ليست على شاكلة الحكومات الأخرى حتى تقوم بافقار الآخرين وتجردهم من السلطة » لذا ينبغي « على جميع شعوب الشرق التمسك بانكلترا وضمان مصالحها بذلك » والا فانها لن تنال سوى الضرر « وسوف تزول من الوجود بمرور الزمن »[٩٢] .

لم يخفِ الانكليز اهتمامهم الكبير بالأكراد لا من حلفائهم ولا من أعدائهم السابقين . فبعلم من اللورد كيرزن ، أخبر المندوب السامي البريطاني ج. دي روبيك وزير الخارجية التركية رشيد باشا في ١٩ تشرين الثاني من العام ١٩١٩ بصريح العبارة أن «للقضية الكردية أهمية كبيرة بالنسبة لحكومة

(٩٢) « تيگەيشتني راستي » ، العدد ٥٦ ، ٢٥ تشرين الثاني والعدد ٦٠ ، ٢٣ كانون الأول ١٩١٨ . من الجدير بالذكر ان الجريدة أولت مواضيع انتصار الحلفاء وعقد « هدنة مودروس » واتفاقات وقف اطلاق النار مع المانيا والنمسا والمواضيع المماثلة اهتماماً كبيراً ، حتى انها نشرت ترجمة كردية لجميع بنود تلك الاتفاقات واكدت في مقالات ومناسبات كثيرة ضرورة الاعتماد على الانكليز (راجع العدد ٥٣ ، ٤ تشرين الثاني والعدد ٥٤ ، ١١ تشرين الثاني ، والعدد ٥٥ ، ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨) .

صاحب الجلالة ، وهي موضوع دراسة عن كثب . اننا مهتمون بها في الوقت الحاضر لأن الكرد يشكلون عنصراً مهماً على جانبي حدودنا العسكرية الى الشمال من بغداد ، وواحداً من أهم العناصر ، ان لم يكن أهمها قاطبة ، في ما وراء المنطقة التي تم اشغالها من قبلنا في سوريا قبل أيام قلائل مضت . وسوف يكون الأكراد موضع اهتمامنا الثابت في المستقبل كذلك...»[٩٣].

وعندما عقد المسؤولون الانكليز والفرنسيون مؤتمراً خاصاً في كانون الأول من العام ١٩١٩ لدراسة الوضع في تركيا بحثوا في اجتماعه الثالث (٢٣ منه) مسألتي « كردستان والقفقاس » . وقد عارض اللورد كيرزن في رده على مذكرة خاصة حول المنطقة الكردية تقدم بها الجانب الفرنسي ، « فكرة تقسيم كردستان بين انكلترا وفرنسا » وقدم مقترحات معاكسة تبين بوضوح أبعاد السياسة البريطانية والمقدمات التي أولدت بنود « سيفر » الخاصة بالأكراد . فقد اقترح كيرزن النقاط التالية بديلاً لما ورد في المذكرة الفرنسية:

« ١ـ لا انتداب انكليزيا ولا انكليزيا ـ فرنسيا مشتركا بالنسبة لكردستان ككل فيما عدا المناطق الأكثر استقراراً في كردستان الجنوبية حيث يحتمل ذلك ؛ ٢ـ ترفض السيطرة التركية على كردستان حتى وان كانت اسمية ؛ ٣ـ ... لايمكن أن تعتبر قضية كردستان منفصلة عن (مسألة ـ ك. م.) تشكيل الدولة الأرمنية التي اتفق عليها الفرنسيون والبريطانيون ؛ ٤ـ ... يترك الكرد ليقرروا بأنفسهم ما اذا كانوا يشكلون دولة واحدة أو يكونون عدداً من المناطق الصغيرة المتفككة ؛ ٥ـ يجب منح الأكراد ، ان أمكن ، الضمان ضد اعتداء الترك ؛ ٦ـ يعتبر الجانبان البريطاني والفرنسي

(٩٣) راجع :
((Documents on British Foreign Policy)), Vol. IV, P. 921.

أن من الضروري تجنب خلق مشاكل في منـاطق الحدود مشـابهة لما تواجهه بريطانيا في الهند » . وقد أعلن رئيس الجانب الفرنسي اتفاقه مع مقترحـات اللورد كيرزن « بوجه عام » ، ولكنه فضل ترك مناقشة الموضوع الى فرصة أخرى(٩٤) .

والوثائق البريطانية الخاصة تفسها طافحة بالشواهد التي بامكانها وضع النقاط على الحروف بشكل لالبس فيه . غير أن المهم ، بالنسبة لمجال بحثنا ، أن تلك الوثائق مليئة بالأفكار المتضـاربة الى حد الارتبـاك الواضح ، فهي تتحدث في وقت واحد عن «الحكم الذاتي» و « الاسـتقلال » وتشـكيل « دويلات كردية » و « ضمان حدود آمنة لميسوبوتاميا في الشمال » ورفض « الحماية الفرنسية أو الانكليزية وكل شكل من أشكال الاشراف الأوروبي» و « ضرورة نيل بريطانيا حق الضمان لمـا يقرر للأكراد في جميع الأحوال » و ... و ...(٩٥) .

انعكست هذه الصورة بشكل آخر في الجـانب المقـابل . فحكومة السلطان(٩٦) ترددت بدورها بين المواقف المتباينة ازاء مستقبل الأكراد . لقد

(٩٤) Ibid, Vol. IV, PP. 967 — 970.

(٩٥) Ibid, Vol. IV, PP. 679, 694 — 695, 743, 813 — 814 etc.; Vol. XIII, PP. 49 — 50, 66, 108 etc.

راجع كذلك :

S. S. Gavan, Kurdistan. Divided Nation of the Middle East, London, 1958, PP. 29 — 31.

(٩٦) بعد التوقيع على « هدنة مودروس » مباشرة استقالت الوزارة الاتحادية التي كان يقف على راسـها جاويد باشا ، وشـكل الوزير الحميدي والسفير السابق في لندن توفيق باشا المعروف بموالاته للانكليز الوزارة الجديدة التي ظلت في دست الحكم حتى آذار من العـام ١٩١٩ حيث حلت محلها وزارة أخرى برئاسـة الدامـاد [لقب يطلق على نسـيب السلطان] فريد باشا المعروف كذلك بميوله الانكليزية .

حاولت في البداية كسب ود زعمائهم والتزمت بوعود معينة حول تلبية مطاليبهم(٩٧) ، وكان ذلك يجري ضمن الخط الجديد الذي تبناه الباب العالي ازاء الشعوب المتبقية في اطار الدولة العثمانية المنهارة ، مما اقتضى اشراك عدد من العناصر غير التركية في الوزارة التي ألفها الداماد فريد باشا في آذار من العام ١٩١٩ . كما قام رئيس الوزراء الجديد بتشكيل لجنة ضمت ثلاثة من غير الأتراك (أرمنيا ويونانيا وكرديا) لدراسة مقترحات الحلفاء بشأن بنود معاهدة الصلح بين الطرفين ، وسافر بنفسه على رأس وفد مشابه الى مؤتمر الصلح بباريس(٩٨) . لكن ذلك لم يكن يعني أن الباب العالي تخلى عن سياسته القومية التقليدية ، بل لم يكن الأمر يتعدى في أغلب الأحيان حدود مناورات سياسية أملتها ظروف خاصة لم يندر تخطيها حتى في مثل تلك الأيام الصعبة في تأريخ البلاد . وقد لعب ذلك دوره في دفع العديد من الزعماء الكرد الذين لم يستطيعوا ، بعدُ ، فهم الطبيعة الاستعمارية للدول الكبرى على حقيقتها ، الى التقرب أكثر فأكثر من الانكليز ووقوع بعضهم فريسة سهلة في شباك أحابيلهم(٩٩) .

وهكذا فمن خلال الحقائق التي تطرقنا اليها ، وحقائق أخرى غيرها سنتطرق اليها ، يجب علينا النظر الى الموقع الغريب والفريد الذي خصص

---

(٩٧) شكل الباب العالي هيئة عليا لدراسة المسألة الكردية ، تالفت من شيخ الاسلام ووزيري الاشغال والبحرية وعدد من الشخصيات الكردية (للتفصيل راجع : الدكتور بلهچ شيركوه ، المصدر السابق ، الص ٦٥ ـ ٦٨) .

(٩٨) راجع : ((Sévres and Lausanne)), PP. XVII — XVIII.

(٩٩) توجد في الوثائق البريطانية التي تعود الى تلك الفترة اشارات تدل على ذلك بشكل واضح (راجع على سبيل المثال :
((Documents on British Foreign Policy)), Vol. IV, PP. 926 — 927).

للأكراد في « معاهدة سيفر » التي تستحق وقفة خاصة لا باعتبارها خاتمة سلسلة المعاهدات التي أسفرت عن مؤتمر الصلح بباريس فحسب ، بل كذلك لما أثارت من شعور رومانتيكي مبرر بين أوساط كردية مختلفة(١٠٠) .

وقعت المعاهدة الجديدة في العاشر من آب من العام ١٩٢٠ في مدينة سيفر القريبة من باريس بين انكلترا وفرنسا وايطاليا واليابان وبلجيكا واليونان ورومانيا وبولونيا والبرتغال وچيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا والحجاز وأرمينيا من جهة والأمبراطورية العثمانية(١٠١) من جهة أخرى. تتألف معاهدة «سيفر» من ١٣ باباً و ٤٣٣ بنداً(١٠٢) أعدتها خمس لجان خاصة تفرعت من مؤتمر

(١٠٠) قد يصعب العثور بين المتعلمين الاكراد على من لم يسمع شيئاً عن « معاهدة سيفر » التي يرون فيها ضرباً من ضروب «العدالة» النادرة التي « بصرت » مسألتهم القومية ، مما يجعلهم ، بل يجعل معظم الكتاب والساسة الاكراد ، بعيدين ، الى حد كبير ، عن فهم المحتوى الحقيقي لهذه المعاهدة ، ولاسيما بنودها المخصصة للبحث في مصير الشعب الكردي . وقد بلغ اعجاب بعض المثقفين الكرد بها حد أنهم اختاروا كلمة « سيفر » اسماً يطلقونه على أولادهم .
ربما كان الأستاذ المؤرخ محمد أمين زكي المثقف الكردي الوحيد من الجيل السابق ، الذي أدرك كنه البنود ٦٢ ــ ٦٤ من « معاهدة سيفر » وما ورد فيها من « شروط وتحفظات قوية وشديدة » جعلت منها « كلمات جوفاء لامعنى لها ولامدلول في عالم السياسة والواقع » و « لم توضع الا للتغرير بالأمم والشعوب ولخداع الجماعات البشرية...» . لكن ما يؤآخذ عليه هو انه لم ير الشيء نفسه بالنسبة للبنود المتعلقة بالأرمن والتي لم تكن في الواقع سوى الوجه الآخر من العملة نفسها (راجع : محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، الص ٢٨١ ــ ٢٨٣) .

(١٠١) الاصح حكومة استانبول . ومع أن الحجاز ويوغوسلافيا تدخلان ضمن الدول المشتركة في مفاوضات الصلح ، فان معاهدة « سيفر » لاتحمل توقيع ممثليهما .

(١٠٢) للاطلاع على نص المعاهدة راجع :
((Sévres and Lausanne)), PP. 3 — 136.

باريس ، ولم تستهدف صياغة الشكل القانوني لانهـاء وجود الأمبراطورية العثمانية فحسب ، بل وتمزيق تركيا ذاتها وتحويلها الى شـبه مستعمرة[١٠٣] كذلك ، فسخرت من أجل ذلك وضمن مخطط انكليزي واضح المعالم مسائل عادلة لعدد من شعوب المنطقة ، في مقدمتها المسألتان الأرمنية والكردية. كانت بنود المعاهدة تقضي بفصل سميرنـا عن تركيا وضمها الى اليونـان وتنظيم اشراف دولي على البسفور والدردنيل[١٠٤] وتعيين حدود تركيا الأوروبيـة وتجريدها من جميع الجزر الواقعة داخل ميـاهها الاقليميـة وتقليص قواتها العسكرية الى مـادون الحد الأدنى[١٠٥] وفرض اشراف مبـاشر على مرافق البلاد الاقتصادية وغيرها . وأقرت تركيا كل ما اتخذ من قرارات حول فرض الانتداب أو الأشراف المباشر للدول الكبرى على الممتلكات العثمانية السابقة.

« أعطي الأرمن الكثير على الورق » ، في هذه المعاهدة ، حسب التعبير الموفق لتيمپرلي[١٠٦] . أما الكرد فقد منحوا أقل حتى من ذلك . وهو ماجاء في انسجام تام مع طبيعة المعاهدة نفسها . فقد لعب الانكليز دوراً أساسياً في صياغة بنودها المتعلقة بالمسألة الكردية[١٠٧] بالشـكل الذي يتوالم تماماً مع

(١٠٣) عندما كانت لجان المؤتمر منهمكة في اعداد مسودة معاهدة «سيڤر»، أعلن لويد جورج أمام مجلس العموم أنه « لاشيء نأسف عليه لأن تركيا تختفي من المسرح » .

(١٠٤) كان من المقرر ان يكون للجنة التي تشرف على المضائق علمها الخاص مع جهاز اداري وشرطة مستقلة وميزانية خاصة (البنود ٣٧ ـ ٦١) .

(١٠٥) تقرر تقليص القوات التركية الى حوالي ٦٠ الف رجل بضمنها ٧٠٠ من حرس السلطان الخاص و ٣٥ الف من الجندرمة (البنود ١٥٤ ـ ١٦٤).

(١٠٦) ((A history of the Peace Conference of Paris)), Vol. VI, P. 83.

(١٠٧) خصص لها كل القسم الثالث من البـاب الثـالث الذي يحمـل عنوان « كردستان » ويتألف من ثلاثة بنود (٦٢ ـ ٦٤) .

نظرتهم آنئذ الى ظروف المنطقة وسياستهم ازاءها . وان نظرة عميقة الى تلك البنود تجعل منها ، في الواقع ، تلك « المزهريـة المحطمة » التي تحدث عنها السياسي الفرنسي المعروف پوانكاريه(١٠٨) . يقول البند ٦٢ :

« تقوم لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء معينين من قبل الحكومات البريطانية والفرنسية والايطالية مركزها استانبول ، خلال ستة أشهر ، من تأريخ تنفيذ مفعول هذه المعاهدة ، باعداد مشروع حكم ذاتي محلي للمناطق التي يشكل فيها الأكراد الأكثرية والتي تقـع الى الشرق من الفرات والى الجنـوب من الحدود الجنوبية لأرمينيا ، كما تحدد فيما بعد(١٠٩)، والى الشمال من الحدود التركية مع سوريا وميسوپوتاميا بشـكل متوافق مع الوصـف الوارد في (II — 2. ' 3.) من البند السابع والعشرين (من المعاهدة نفسـها ــ ك. م.). وفي حالة حدوث اختلاف في الرأي حول موضوع ما، يعرض الاختلاف من قبل أعضاء اللجنة على حكوماتهم المعنية . ويجب أن تتضمن هذه الخطـة الضمانات التامة لحماية الآثوريين ــ الكلدان وغيرهم من الأقليات العنصرية أو الدينية الداخلة في هذه المناطق . ومن أجل هذا الغرض تقوم لجنة مؤلفة من ممثلين بريطاني وفرنسي وايطالي وايراني وكردي بزيارة الأماكن لدراسة التغييرات التي يجب اجراؤها ، عند الحاجة ، في الحدود التركية حيثما تلتقي بالحدود الايرانية ، ولتقريرها ، بحكم قرارات هذه المعاهدة » .

---

(١٠٨) يوجد في مدينة سيفر ، حيث وقعت المـاهدة ، معمـل لصنع الأواني الفخارية وقد اشتهرت المدينة بتلك الأواني . ومن هنا اسـتعار رئيس الجمهورية السابق پوانكاريه [ظل في كرسي الرئاسة حتى كانون الثاني من العام ١٩٢٠] تشبيهه المذكور (راجع :
((Sévres and Lausanne)), P. VIII).

(١٠٩) ترك أمر تعيين حدود ارمينيا للرئيس الأمريكي ولسن ، كما نبين ذلك فيما بعد .

وينص البنـد ٦٣ على مـايلي : « تتعهد الحكومة التركيـة من الآن بالاعتراف بقرارات اللجنتين المذكورتين في البند ٦٢ والقيام بتنفيذها خلال ثلاثة أشهر من تأريخ ابلاغها بها » .

ثم يأتي دور التناقض والارتباك والتخطيط في ضوء الأحداث والتوقعات ضمن البند ٦٤ الذي جاءت صياغته على الشكل التالي :

« اذا راجع الأكراد القاطنون في المنـاطق الواردة ضمن البنـد ٦٢ ، مجلس عصبة الأمم خلال سنة من نفاذ هذه المعاهدة ، مبينين أن أكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال عن تركيا ، و اذا وجد المجلس آنذاك أن هؤلاء جديرون بمثل ذلك الاستقلال ، و اذا أوصى (المجلـس ــ كـ• م•) بمنحهم اياه ، فان تركيا تتعهد من الآن أن تراعي تلك التوصية ، فتتخلى عن كل ما لها من حقوق وحجج (قانونية ــ كـ• م•) في هذه المناطق ، و تصبح تفاصيل هذا التنازل موضوع اتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا•

و اذا وقع مثل هذا التخلي ، وفي الوقت الذي يحدث فيه[110] ، فان الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للأكراد القاطنين في ذلك الجزء من كردسـتان الذي مايزال حتى الآن ضمن ولايـة الموصل ، الى هذه الدولة الكردية المستقلة »[111] .

قبل أن نقيم هذه البنود في اطار مضمونها الخاص ، وفي اطار المعاهدة العام ، من الضروري أن نشير الى أن « معاهدة سيڤر » مست المسألة الكردية مرة أخرى من خلال معالجتها للمسألة الأرمنية ضمن بنودها ٨٨ ــ ٩٣[112]

(١١٠) هكذا ورد في النص .

(١١١) راجع نص البنود في : ((Sévres and Lausanne)), PP. 24 — 25 .

(١١٢) Ibid, PP. 31 — 32 .

التي نصت على تشكيل «دولة أرمنية مستقلة حرة » (ألبند ٨٨) والتي أعطت الرئيس الأمريكي ولسن حق تعيين حدودها مع تركيا « في ولايات أرضروم وطرابزون و وان وبدليس » مع تحديد المناطق المتـاخمة لتلك الحدود والتي ينزع منها السلاح (ألبند ٨٩) ٠ وقد قام الرئيس ولسن فعلا بتعيين الحدود المذكورة في تشرين الثاني من العام ١٩٢٠ حيث بدأت من نقطـة على البحر الأسود وامتدت الى أرزنجان وموش وبدليس وبحيرة وان وهي بذلك تكون مطابقة لخطوط النار بين القوات الروسية والتركية خلال سنوات الحرب(١١٣)٠ وكان الرئيس ولسن يميل الى قبول الانتداب على أرمينيـا تؤيده في ذلك أوساط مالية أمريكية ٠

ليس من الصعب على المرء ادراك كنه كل الشروط الواردة في البنـود المتعلقة بالمسألة الكردية وفهم الأسباب الحقيقية التي دفعت الانكليز الى غض الطرف كلياً عن مناطق كردية واسعة بحجة عدم اشتراك الدولة التي تضمها في الحرب ٠ ان دليلاً قوياً آخر على أن الحلفاء ، وعلى رأسهم الانكليز ، لـم يكونوا يفكرون حقاً في استقلال كردستان ، هو أنه في اليوم نفسه الذي تم فيه الاعلان عن التوقيع على «معاهدة سيفر» ، عقدت بريطانيا وفرنسا وايطاليا اتفاقاً ثلاثياً خاصاً لتقسيم مناطق النفوذ في كردستان الشمـالية فيما بينها ، مستندة في ذلك الى بنود «معاهدة سيفر» نفسها(١١٤) ٠ والأبلغ من ذلك أن

---

(١١٣) راجع : مصطفى كمال (اتاتورك) ، المصدر السـابق ، الجزء الرابع ، الص ١٣٨ ٠ راجع كذلك : A. M. Shamsüddinov, Op. Cit., P. 228.
(راجع الهامش ١١٢ في الص ٧٨ من الفصل الأول) ٠

(١١٤) للتفصيل راجع :
J. C. Hurewitz, Op. Cit., Vol. II (1914 — 1956), Princeton, 1956, PP. 87 — 88.
من الجدير بالذكر انه تم في اليوم نفسـه وفي مدينة سيفر نفسها ايضـا
=

الدول الكبرى ، عندما اضطرت الى التراجع أمام الحركة القوميـة التركية ، بدأت بالحلقة الأضعف في المعاهدة . فعندما عقد مؤتمر لندن (٢١ شباط ـ ١٤ آذار من العام ١٩٢١) لاعادة النظر في المعاهدة ، أسرع الحلفـاء فأعلنوا « أنهم على استعداد فيما يخص كردستان » لـ « يتدارسوا تعديل المعاهدة في ضوء فهم مطابق لحقائق الوضع الراهن»[١١٥] ، وهو ما دفع المتتبع المعروف لمعاهدات الصلح تيمپرلي الى الشك ، في وقت مبكر ، بجدية البنود المتعلقـة بالأكراد في «معاهدة سيڤر»[١١٦] .

لم تكن «معاهدة سيڤر» بشكل عام ـ على حد قول وليام ايگلتن ـ سوى «حروف ميتة منذ لحظة التوقيع عليها ، ذلك لأن التأريخ دون بشكل آخر من قبل مصطفى كمال»[١١٧] . فسلطة حكومة السلطان التي وقعتهـا واحتفت بها في ظـل أعلام الدول الحليفـة وعلى وقع أنغـام أناشـيدها

=

التوقيع على سلسلة اخرى من الاتفاقات والمعاهدات بين الدول الكبرى حول تقسيم بقايا تركيا وتوزيع مناطق النفوذ في الأناضول والاستغلال المشترك لجميع السكك الحديد التابعة للأمبراطورية العثمانية .

(١١٥) راجع :

((A history of the Peace Conference of Paris)), Vol. VI, P. 91.

قام الحلفاء في مؤتمر لندن بتنازلات اخرى غير أسـاسية لتركيـا مثل سحب القوات الأجنبية على جانبي المضـائق الى مسـافة ٢٥ كيلومتراً واخلاء استانبول من قطعـات الدول الحليفة وذلك « بعد التـأكد من نوايا الأتراك الطيبة في تنفيذ الالتزامات المقررة » والسماح برفع القوات التركية الى ٧٥ الف شخص بشرط ان لايزيد عدد افراد الجيش عن ٣٠ الف رجل وتكون البقية من الجندرمة وبعض التنازلات الشكلية المشابهة الاخرى .

(١١٦) Ibid ذكر المؤلف القول نفسه في الطبعة الأولى من كتابه ، اي في العام ١٩٢٤ .

(١١٧) W. Eagleton, Op. Cit., P. 12.

القومية(١١٨) ، لم تكن لتتعدى «المناطق الواقعة على مدى الرؤية من منائر المدينة» حسب وصف م. فوت الدقيق لها(١١٩) . لذا لم يكن عبثاً أن اتهم الداماد فريد باشا ووزارته بالخيانة الوطنية فاضطر الى تقديم استقالته ، وأن لم يجروء السلطان على المصادقة على المعاهدة التي نظمت ضدها مظاهرات واجتماعات في مختلف المناطق ، بما فيها العاصمة استانبول التي لم تلغ فيها الأحكام العرفية والرقابة العسكرية . والى جانب هذا السبب الأساسي ، لعب صراع المصالح المحتدم بين الدول الكبرى دوراً أساسياً في وأد « معاهدة سيفر » ، تلك المصالح التي أصبحت الشعوب الصغيرة في صدر قائمة ضحاياها . فسرعان ما بدأت الصحافة الفرنسية تتهجم على بنود المعاهدة ، ولم تمر سوى أشهر قلائل على التوقيع عليها حتى طالبت الحكومة الفرنسية باعادة النظر فيها . وبالرغم من أن ايطاليا كانت الدولة الوحيدة التي صادقت على المعاهدة(١٢٠) ، الا أنها تنصلت منها بسرعة وأعلنت عدم استعدادها لارسال « جندي واحد » الى المناطق العثمانية السابقة في سبيل تنفيذ بنود المعاهدة . كما قوبلت المعاهدة بفتور كبير في الأوساط السياسية الأمريكية. وفي الوقت نفسه أقلقت نجاحات الحركة الكمالية ونمو علاقاتها مع السلطة السوفيتية الجديدة جميع الأطراف(١٢١) . وهكذا اضطرت انكلترا الى

---

(١١٨) راجع : ((Sévres and Lausanne)), P. XVIII.

(١١٩) M. R. Foot, British Foreign Policy Since 1898, London, P. 88.
كانت الحركة الكمالية قد تبلورت في هذه المرحلة واخذ معظم مناطق البلاد تدين لها بالولاء .

(١٢٠) حالت ظروف تركيا والعلاقات الدولية دون قيام اي دولة ، حتى انكلترا صاحبة المعاهدة الشرعية ، بالمصادقة عليها ، اما المصادقة الايطالية فقد جاءت كاجراء روتيني محض .

(١٢١) اعترف بذلك العديد من كبار مسؤولي الحلفاء والصحافة الغربية كذلك، وكان احد المواضيع الأساسية التي نوقشت في مؤتمر باريس لوزراء =

التراجع • وفي مؤتمر وزراء خارجية انكلترا وفرنسا وايطاليا بباريس (كانون الثاني من العام ١٩٢١) تقرر عقد مؤتمر خــاص في لندن لاعــادة النظر في « معــاهدة سيفر » حيث أصبحت البنــود ٦٢ ــ ٦٤ الضحيــة الأولى لهذا المؤتمر ، كما ذكرنا من قبل • ومن بعده ، ومع انتفاء الحاجة الى ذكر اسم الكرد ، تم طردهم نهائيا من اللعبة بحيث لم يبق لهم حتى مجرد مكان بسيط في المئة والثلاثة والأربعين بنداً من بنود «معاهدة لوزان»(١٢٢) التي حلت في ٢٤ تموز من العام ١٩٢٣ محل «معاهدة سيفر» •

ان النظرة المجردة الى ما حدث في باريس أثناء مفاوضــات الصلح وما نجم عن هذه المفاوضات من مناورات ومساومات واتفاقات ومعاهدات بــين الدول الكبرى ، تجعل المتتبع يتفق تماماً مع ماعلق به الدبلوماسي الأمريكي جورج كينن على معاهدات الصلح حيث قال «لقد دونت مآسي المستقبل في هذه المعاهدات بيد الشيطان »(١٢٣) ، فــأقل مايمكن أن يقــال عنها انها لم تستطع أن تجنب البشرية مأساة حرب عالمية ثانية •



خارجية انكلترا وفرنسا وايطاليا (كانون الثاني من العــام ١٩٢١) وفي مؤتمر لندن الآنف الذكر (للتفصيل راجع :

A. F. Miller, Op. Cit., PP. 112 — 114; A. M. Shamsüddinov, Op. Cit., PP. 233 — 235).

(١٢٢) راجع نصها في : ((Sévres and Lausanne)), PP. 143 — 189.

(١٢٣) G. F. Kennan, American Diplomacy 1900 — 1950, Seventh Printing, New York, 1959, P. 61.

خاتمة

تسمح لنا الحقائق والمقارنات والتحليلات التي أوردناها في مقدمة هذا الكتاب وفصوله الستة ، بالوصول الى بعض الاستنتاجات فيما يتعلق بتأريخ الشعب الكردي خلال سنوات الحرب العالمية الأولى ٠

تشكل هذه الحرب بأحداثها والتغيرات المهمة التي أسفرت عنها ، مرحلة مهمة وبارزة في تأريخ الشعب الكردي ، شأنه في ذلك شأن معظم شعوب العالم الأخرى ٠ مرحلة لاتضاهي بالطبع في أهميتها وبروزها تلك التي تشكلها هذه الحرب في تأريخ الشعوب الأوروپية او الشعب التركي ، ولكنها تقف في مستوى المرحلة التي تشكلها في تأريخ غالبية شعوب الشرقين الأدنى والأوسط ٠ فما كان بوسع كردستان بموقعها الاستراتيجي وثرواتها الوفيرة أن تكون بمعزل ، بحال من الأحوال ، عن الأسباب التي أدت الى اندلاع الحرب ، وعن الحرب نفسها وعواقبها ٠ وبوصفها جزءا من الدولة العثمانية التي باتت محط أنظار الدول الكبرى كلها ، حيث كانت هذه الدول تنتظر بلهفة ساعة توزيع أسلابها فيما بينها ، فقد كان لها موقعها بين الأسباب التي أدت الى اشتعال نيران الحرب ٠

كانت كردستان قد استلفتت اليها أنظار معظم الدول الكبرى ٠ فكان كل من هذه الدول تعمل من جانبها لتحصل لها على موقع أنسب بين أوساط

الشعب الكردي وعلى أرض بلاده . كانت روسيا وبريطانيا وألمانيا وفرنسـا تنشط لتحقيق هذه الغاية . وكان لكل منها في هذا المضمار نهجها الخـاص الذي ينسجم مع ظروفها وتطلعاتها وخططها . ومع ذلك فقد أفضى اهتمـام الأولين من هذه الدول الأربع الى نتائج أكبر مما أفضى اليها اهتمام الثالثة والرابعة . وكان ذلك ينعكس في الأحداث التي وقعت قبل الحرب وخلالها في فترات متقاربة . كانت روسيا تهتم في سنوات ما قبل الحرب وفي سـنوات الحرب كذلك بأرمينيا وكردستان أكثر مما كانت تهتم بالأجزاء الأخرى مـن الأمبراطورية العثمانية ، وبات هذا الاهتمام يحتل بعد تحرر المناطق البلقانية واحدا من أبرز المواقع في السياسة الخارجية للقيـاصرة الروس . ذلك لأن أرمينيا وكردستان كانتا تقعان على حدود بلادهم الشاسعة ، وكان بمكنتهما أن تؤثرا من أوجه عديدة على مناطق القفقاس . أما بريطانيا فقد كانت تولي كردستان الجنوبية مزيد اهتمامها ، وكانت تريد أن تجعـل منها مع الأجزاء الأخرى من العراق قاعدة استراتيجية واقتصادية مهمة لها في الشرقين الأدنى والأوسـط . ولكن ما ان انتصرت ثورة أكتوبر الاشـتراكية فانفضح أمر معاهدة «سايكس پيكو» السرية وزالت المخاوف التي كانت تراود بريطانيا فيما مضى في مجاورة روسيـا ، ونشأ خطر جديد[1] ، حتى غـدا الانكليز يهتمون بجميع المناطق الكردية دون استثناء ، أكثر بكثير من ذي قبل ، ممـا دفع العديد من المستشرقين السوڤيت في العشرينيات والثلاثينيات للاعتقـاد بأن بريطانيا كانت تنوي اقامة ما أسموها « دولة حاجزة » في المناطق الكردية، وذلك ضمن مخططاتها الواسعة الموجهة ضد الدولة السوڤيتية الفتية آنذاك ، بقصد الحيلولة دون أن تثير تجربتها الثورية الجديدة شـعوب المستعمرات

(١) المقصود من هذا الخطر هو ثورة اكتوبر الاشتراكية التي اندلعت في العام ١٩١٧ واقامة السلطة السوڤيتية وانتصار النظام الاشتراكي في روسيا .

البريطانية[٢] .

لقد زعزعت أحداث الحرب والمعاهدات السرية التي عقدتها الدول الكبرى فيما بينها وانكشاف زيف الوعود والعهود التي كانت قد نثرتها وبذلتها يمينا وشمالا ، ثقة شعوب الشرقين الأدنى والأوسط الى حد كبير . صحيح أن أسبابا مثل التخلف ومظالم العثمانيين التي كانت قد تجاوزت كل الحدود وغير ذلك ، حالت دون أن تظهر معالم انعدام الثقة هذا في الوسط الكردي بسرعة ، غير أن مقدماته وبواكيره قد نشأت منذ ذلك الحين ، وقد ترسخ أكثر من ذي‌قبل بعد انتهاء الحرب ، وعلى وجه الخصوص في كردستان الجنوبية[٣] . ولكن الدول الكبرى ، وبالدرجة الأولى بريطانيا وروسيا ، قد استغلت رغم ذلك ظروف الحرب لتعزيز مواقعها في مختلف أجزاء كردستان وبصورة خاصة بين الرؤساء والمتنفذين الكرد ، وكان ذلك بحد ذاته أمرا مهما بالنسبة لتلك الدول ، لأن أحداث الحرب كانت تستلفت أنظارها الى أهمية كردستان أكثر فأكثر . وقبيل انتهاء الحرب وبعد انتهائها مباشرة ، أخذ عملاء الانكليز وخبراؤهم يفدون الى مختلف المناطق الكردية أفواجا ، وقد آتى ذلك ثماره سريعا بالنسبة للانكليز .

أدت النتائج التي تمخضت عنها الحرب الى اعادة تقسيم كردستان .

---

(٢) ذهب العديد من المستشرقين السوفيت في تلك الفترة الى ان الانكليز كانوا يخططون لاقامة سلسلة من الدول الرجعية الموالية لهم في افغانستان وايران وكردستان وغيرها لتتحول الى حاجز يعزل السوفيت عن الشعوب الأخرى (راجع على سبيل المثال :

Kurd - Oghlu, Op. Cit., PP. 113 — 114).

(٣) انعكس ذلك في كردستان الجنوبية بسرعة ، لانها وقعت تحت السيطرة المباشرة لاحدى تلك الدول الكبرى . وماحركات الشيخ محمود ومساعيه الكثيرة في أوائل العشرينيات للتعاون مع الكماليين الا نماذج جلية لذلك .

فظل الجزء الشرقي منها داخل الاطار الايراني ، ذلك لأن ايران لم تكن قد دخلت الحرب بصورة رسمية • أما الجزء الآخر منه فقد قسم الى قسمين ، بقي القسم الشمالي منهما ضـمن الدولة التركية الحديثة ، وذلك بعد أخذ ورد قليلين وبتأثير من انتصار حركة الكماليين • أما القسـم الجنوبي منهما فكانت عاقبة أمره أن دخل في قبضة الانكليز • ومع ذلك فان أحداث الحرب وعواقبها وأسبابا أخرى أدت الى أن تبرز المسألة الكردية على المسرح الدولي أكثر من أي وقت مضى حتى ذلك الحين •

أثرت اعادة تقسيم كردستان واقامة السلطات المركزية بعد الحرب بفترة وجيزة ، على أوجه عديدة من حياة الكرد الاقتصـادية والاجتماعية ، فضلا عن تأثيرها على حياتهم السياسية • وكان أبرز وجوه ذلك التأثير توقف عملية نشوء السوق الموحدة في كردسـتان • كما بات تنقل القبـائل الكردية بين مشاتي كردستان ومصائفها أشد صعوبة من ذي قبل ، فأدى ذلك بدوره الى الاسراع في عملية توطين القبائل الكردية المترحلة التي كان دورها في المجتمع يسير بسرعة فائقة نحو الزوال •

وعلاوة على ذلك فان أحداث الحرب ونتـائجها باتت عقبة كأداء أمام التطور العام للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[٤] للكرد ، شأنهم شأن الشعوب الأخرى في المنطقة • لقد أهمل معظم الأراضي الزراعية ، ولم يكن هناك من يزرعها • ونفقت المواشي والدواب بنسـبة عالية ، مما بات عاملا مساعدا جديدا لمزيد من الاسراع في أمر توطـين القبائل الكردية الرحل • علينا أن نلفت الأنظار كذلك الى أن هذا التدهور في الزراعة وتربية المواشي

(٤) قدر عدد المثقفين الكرد الذيـن لقوا حتفهم في موقعة چنـاقلعه وحدهـا بحوالي ٤٠٠ شخص بين ضابط ومجند .

في كردستان جاء في وقت كانت المنطقة تندمج فيه بسرعة في السوق الرأسمالية وكان رأس المال وحركة النقود يكتسبان أهمية أكثر من السابق ويلعبان دورا أكثر بروزا • لقد كان تراكم رأس المال قد بدأ • ومن هنا فان آثار أضرار الحرب كانت أكثر وأشده ومن الجدير بالذكر أن أسبابا واضحة أدت الى أن لا يستطيع الكرد التخلص من نتائج الحرب الا بعد فترة متأخرة بالقياس الى الشعوب الأخرى •

لقد أدت المجاعات وسوء الأوضاع المعيشية والحياتية الى تعزيز سلطة الاقطاعيين في كردستان ، كما أدت الى وقوع المزيد من الأراضي في أيديهم• وقد تجلت هذه العملية ، ونعني بها استيلاء الاقطاعيين على المزيد من الأراضي ، بصورة أكثر وضوحا واتساعا في المناطق التي كان يعيش فيها الأرمن • لقد استمر اشتداد النفوذ الاقطاعي في كردستان العراق في ظل الانكليز • أما في الأجزاء الأخرى منها فقد حد منه الى درجة ما في ايران ، وفي تركيا بدرجة أكبر، اثر انتقال السلطة الى البورجوازية في هذين البلدين•

ومع كل ذلك ، فان نتائج الحرب العالمية الأولى ، أدت الى تسريع اندماج كردستان بالسوق الرأسمالية ، وأدى ذلك بدوره الى حدوث تغيرات جديدة في المجتمع الكردي •

تحول اندلاع الحرب العالمية الأولى الى عقبة كبيرة بوجه نمو النضال القومي التحرري للشعب الكردي وتطوره ، ذلك النضال الذي كان قد أوشك أن يدخل مرحلة جديدة في فترة ما قبل الحرب • ولكنه لم يتوقف بسبب الحرب ، وان كان قد خفت • وقد لعبت السياسة العثمانية دورا كبيرا في هذا الأمر، ذلك لأن فشل العثمانيين في كسب الشعب الكردي الى جانبهم، كان يعني بقاء القوة المحركة لهذا النضال واستمراره في الميدان • وقد حدثت

سلسلة من الانتفاضات الجديدة في أصـقاع كردية مختلفة ، الا أن معظمها كانت عفوية ، كما كانت جميعها تعاني من عدة نواقص تنظيمية • كانت تلك الانتفاضات متقطعة ومفككة ولم تتحد جميعا في مجرى موحد ، وكان ذلك نتيجة للتمزق القبلي وبسبب من التأثيرات المتباينة للدول المختلفة في مختلف أنحاء كردستان • لقد بذلت في بداية الحرب بعض المساعي من أجل الاتحاد، الا أنها لم تتحول الى وقائع سياسـية فاعلة ولم تتعد كونها مقدمات دونما نتائج •

وهكذا فان نضال الشعب الكردي في سنوات الحرب ظلت أسيرة اطار ضيق وفي مستوى متدنٍ ، ولم يستطع أن يبلغ مرتبة نضال الشعوب الأخرى في المنطقة • ورغم ذلك فان لهذا النضال أهميته التأريخية ، ذلك لأنه يعكس قبل أي شيء استياء الجماهير الشعبية في كردسـتان من سياسة العثمانيين المتخلفة ، التي لعبت ، دون أن تريد ذلك ، دورا ملموسا في تقريب شعوب الأمبراطورية المغلوب على أمرها من بعضـها • فقد شـهدت تلك المرحلة التأريخية التي تفاعلت أحداثهـا فيما بينها في اطـار الترابط الأفقي بين تلك الأحداث ، بوادر جيدة للنضال المشـترك بين الأكراد وغيرهم من شعوب المنطقة •

ظل الحكام العثمانيون ، كما كانوا في سـابق عهدهم ، لا يحسبون لنضال الشعب الكردي والشعوب الأخرى في أمبراطوريتهم أي حساب ، بل لم يكونوا يعيرون ظروف الحرب الدقيقة أهمية تذكر ، ولم يكونوا يفكرون قليلا أو كثـيرا في ايجاد حل لمشـاكل القوميات التي كانت تعيـش ضمن الأمبراطورية • وفضـلا عن ذلك فقد ضـربوا العرب والأرمن والآثوريين والكرد في سنوات الحرب بشدة ، دون أن يساعدهم ذلك أدنى مساعدة في

الحفاظ على كيان الدولة العثمانية ، كما كانوا يتوهمون ، بل لعب على العكس دوره في خلق استياء مشروع من هذه الدولة في نفوس ابناء هذه الشعوب وفي انهيار الدولة في آخر الأمر • وقد تجلى ذلك فور انتهاء الحرب في سلسلة من الحوادث ، نذكر منها على سبيل المثال مشكلة الموصل التي وقف فيها الكرد والآثوريون ، فضلا عن العرب ، ضد تركيا بكل صورة ، الا في بعض الحالات الاستثنائية النادرة[٥] •

لقد عانى الشعب الكردي محنا ومصائب كثيرة من جراء الحرب العالمية الأولى ، فلم تكن هناك أسرة ليس لها ابن في معمعان القتال او لم يتشرد في الجبال خشية سوقه الى سوح الوغى • لقد راح عشرات الألوف من الأكراد كبوش فداء لأحداث الحرب • كل ذلك كان يثير مشاعر الناس بالطبع ويجعلهم يشمئزون من الحرب أكثر من أي وقت مضى • وماتزال أخبار مآسي تلك السنين وقصصها في أذهان الناس وهم يتداولونها فيما بينهم ، ويبدو أن بعضا منها يبقى في المستقبل كذلك • وبالرغم من أن المستوى المتخلف الذي كان يعيش فيه الكرد آنئذ لم يمكّن من أن تنعكس هذه الحقيقة ، كما ينبغي ، في الفكر الكردي ، لكن الفكر تأثر مع ذلك الى حد في هذا المضمار ، وهو ما جعل شاعرا ضريرا كالملا حمدون يتحدث في احدى قصائده ، بعمق ، عن مآسي الحرب ، فيصفها بأنها « عمت الجهات الست » وأن « أكباد الناس قد تقطعت » من جرائها ، ويتضرع الى الله ليرحم « البقية الباقية من المسلمين »[٦] •

(٥) لمزيد من التفصيلات حول الموضوع ، راجع : الدكتور فاضل حسين ، المصدر السابق .

(٦) راجع : حەمدون ، شەری پیشو ، « گەلاوێژ » ، ژمارە ٤ ، سالی ٧ ، نیسانی ١٩٤٦ ، ل ٣٥ ــ ٣٧ (حمدون ، الحرب الماضية ، « گلاويژ » ــ مجلة ــ ، العدد ٤ ، السنة ٧ ، نيسان ١٩٤٦ ، الص ٣٥ ــ ٣٧) .

لقد بلغت مذبحة الأرمن في سنوات الحرب العالمية الأولى أعلى مستوى لها منذ أن بدأت وفق خطة مرسومة في نهاية القرن التاسع عشر ابان حكم السلطان عبدالحميد . وتشكل هذه المذبحة احدى أكبر المآسي ليس في الحرب العالمية الأولى وحدها بل وخلال التاريخ الانساني كله . لقد كان ضرب الأرمن من الشدة والقسوة بحيث أثر ، الى جانب مذابح مسيحيي الأمبراطورية العثمانية الآخرين[٧] ، على نشاطهم في العديد من الميادين الحياتية التي كانوا يلعبون دورهم فيها . لقد بات المسيحيون ، بمن فيهم الأرمن ، ينظرون الى النظام العثماني ، بعين الكره وبمشاعر الخوف ويتلهفون الى سقوطه في أقرب فرصة .

لقد اشتركت جماعات وأوساط كردية في هذه المذابح ، ولكنها لم يكن لها يد في تنظيمها . بل ان معظم هؤلاء المشتركين انما لطخوا أيديهم بالدماء التي أريقت فيها بتحريض من الحكومة ودفع منها أو باكراهها لهم على ذلك. حفنة قليلة فقط من الآغوات والاقطاعيين الكرد استفادوا من مذابح الأرمن بأن استولوا على أراضي القتلى والهاربين وساعدتهم في ذلك الحكومة بأشكال متعددة ، في حين أن كثيرين غيرهم من الآغوات والاقطاعيين الكرد كذلك وقفوا بمعزل عما جرى ، بل ان بعضاً منهم قدم مساعدات مختلفة للضحايا الأرمن . وفضلا عن المطامع الاقطاعية والتحريض الحكومي ، فان قصر النظر القومي[٨] والتعصب الديني الأعمى لعبا كذلك دورهما في تحديد

(٧) مثل المذبحة التي اقيمت لمسيحيي دمشق في العام ١٨٦٠ والتي وقف وراءها المسؤولون واذكى نارها عملاء المستعمرين . من الجدير بالذكر ان المجاهد الأمير عبدالقادر الجزائري انقذ خلال تلك المذبحة عدة آلاف من المسيحيين من الموت المحتم .

(٨) حتى ان شخصا بعيد النظر مثل عبدالرزاق بدرخان كان يعتقد أن من الممكن أن تنتهي مذابح الأرمن في صالح الكرد ، وقد بنى رايه على اساس =

الطابع العام للاحداث التي وقعت في تلك الفترة الحرجة من تأريخ الشعب الأرمني • ولكن مهما كان الأمر ، فـان الأكراد الذين أسـهموا في المذابح لم يكونوا أكثر من آلة وقد أصاب الأخوان ويگرام كبد الحقيقة عندما وصفا هـؤلاء الأكراد بـ « الأداة المسـخرة البريئة التي اسـتخدمتها (حكومة استانبولـ ك•م•) للتنفيذ»[٩]• لم يشترك الكرد في مذابح الأرمن كشعب ولم يكن بوسـعهم أن يشتركوا فيها كذلك ، بل انهم قدموا المسـاعدات الأخوية من وجـوه عديدة الى الأرمن المنكوبين والمشردين ، مما أدى ، الى جانب انكشـاف الوجه العدائي للعثمانيين الذين كانوا يستعبدون الشعبين الكردي والأرمني ، الى تمهيد الطريق لتقـاربهما وتعاونهمـا • وقد تحولت بدايات هذا التقارب والتعاون ، بعد الحرب مبـاشرة ، الى عمل سيـاسي ملموس[١٠] لم يستطع حتى القوميون الداشناق أن لا يعيروه انتباههم ، وان كان لهم في ذلك دافعهم الخفي غير المنظور ، فقد كان يحركهم في ذلك الاتجاه معاداة التتريك أكثر من أي شيء آخر[١١] •

وهكذا ، وفي ضوء الحقائق التي سجلناها في الفصل الخامس من هذا الكتاب ، نقول : اذا أردنا أن نكون موضوعيين في حكمنا على دور الكرد

=

أن من شان هذه المذابـح أن تحرك روسيـا لتوجيـه ضربة الى الدولـة العثمانية ، مما كان يوفر ـ في نظره ـ فرصة سياسية مناسبة للكرد .

(٩) دبليو . اي. ويگرام وأدگار تي. اي. ويگرام ، مهد البشرية (الحياة في شرقي كردستان) ، ترجمة جرجيس فتح‌الله، بغداد، ١٩٧١ ، الص ٤٠ .

(١٠) يدل على هذه الحقيقة الاتفاق الذي تم التوصل اليه اثناء مؤتمر الصلح في باريس بين شريف باشا ممثل الكرد و بوغوص نوبار باشا ممثل الأرمن، وتعاون الأرمن مع القوى الوطنية الكردية كما سبق ان ذكرنا .

(١١) بات الداشناق ينتصرون للحركة القومية الكردية ويدافعون عنها ويتحدثون عنها في مطبوعاتهم .

في مذابح الأرمن ، علينا أن نحدد العوامل التي كانت تقرب بين الكرد والأرمن والتي كانت تفرق بينهم ، وأن نحدد هذه العوامل وقوتها في اطار زمانها ومكانها ، فبذلك نفهم بسـهولة كيف أن بعض تلك العوامل كانت تدفع الأكراد القصيري النظر ليتحولوا الى احـدى أدوات التنفيذ في المذابح الأرمنية ، وان بعضا آخر منها كانت تجعل الكرد البعيدي النظر يقفون الى جانب الأرمن في تلكم الأيـام المظلمة ، ويقدمون لهم يد العون والاخـاء . لقد أهمل كثيرون من المؤرخين هذه الحقيقة المهمة في تقييماتهم ، بل ان هناك مؤلفين سردوا صورا مهمة لمسـاعدة الكرد للأرمن ، ومـع ذلك فقد أدانوهم (أي الكرد) بشكل بعيـد عن المنطـق[١٢] وبأسـلوب بدأ حتى الحكام العثمانيون أنفسهم يتخلون عنه في اثر اندحارهم في الحرب ، ففي مؤتمر دولي عقد بعد الحرب مباشرة اكتفى الوفد العثماني بالقاء تبعة المذابح الأرمنية على من أسماهم « بعض العملاء من المسلمين »[١٣] .

تؤلف مراحل مذابح الأرمن جميعها سلسلة واحدة ، وليس هناك من فارق بين الأسباب التي تسببت فيها . انما يلاحظ الفرق الوحيد في مدى سعة كل منها والنتائج التي تمخضت عنها . لقـد كانت تلك المذابح كلها أكبر وأعمق من أن تكون نتيجة لـ « تخلف الكرد » و « تعصبهم الأعمى »[١٤] ،

(١٢) من امثال هـ. كيلنگ (راجع :
E. H. Keeling, Op. Cit., PP. 228 — 229.
راجع كذلك مقدمة هذا الكتاب) .

(١٣) راجع : ((Sévres and Lausanne)), P. XV.

(١٤) في كتاب «ابادة الارمن في الامبراطورية العثمانية» عشرات الادلة والوثائق التاريخية لاثبات هذا الموضوع . كما أن العديد من الكتاب لفتوا الأنظار الى ذلك وذكروا انه لو كانت القضية قضية دينية لوجب ابادة المسيحيين كلهم وليس الارمن وحدهم .

ولم تكن كذلك بوحي من الاحساس الديني . انهـا كانت أعمالا سياسية هادفة ومنظمة . كانت نتاج نمو الشـعور القومي الأرمني وتطـور الحركة القومية الأرمنية ومخاوف السلطة العثمانيـة ازاء تلك الحركة وقصر نظر الحكام في كيفية التعامل مع المسألة الأرمنية . ان السياسـة التي دفعت الحكام لينقضوا على البلغار[١٥] والأكراد والعرب (تشريد الأكراد والمذابح السوداء التي أقامها جمال السفاح في سوريا وغير ذلك) هي نفسها التي دفعتهم لابادة الأرمن الا أن أسبابا خاصة جعلتهم يستخدمون تجاه الأرمن درجة أشـد من القسوة . ولا ريب في أنه لو كان النصر في الحرب العـالمية الأولى حليف أولئك الحكام ، لعـاملوا الكرد والعـرب واللاز والچركس والقوميات والأقليات الأخرى في الدولة العثمانية بمثل ما عاملوا به الأرمن تماما . وليس دونما مناسبة أن نورد هنا كلمة للورنس المعروف والخبير في مثل هذه الشؤون . يقول لورنس مانصه :

« قتل الأتراك الفتيـان ، الأرمن ، لا لكونهم مسـيحيين ، بل لأنهم كانوا أرامنة . وللسبب نفسه زجوا العرب المسلمين والعرب المسيحيين أفواجا في السجون الى جانب بعضهم وعلقوهم جنبا الى جنب على أعواد المشـانق . لقد وحد جمـال باشا كل الطبقات والمراتب والمذاهب في سوريا تحت ضغط شقاء شامل وخطر عام ، فجعل بذلك من الممكن انفجار ثورة موحدة »[١٦] .

(١٥) مافعله العثمانيون بالبلغار ، ولاسيما بعد انتفاضة نيسان من العام ١٨٧٦ كان يشبه كثيرا مافعلوه بالأرمن . كان للعمليتين سبب واحد ، كما كان للحكام موقف واحد في القضيتين . وبوسـعنا القول ان التاريخ « أعـاد نفسـه » الى حد كبير .

(١٦)
T. E. Lawrance, Seven Pillars of Wisdom, Vol. I, London, 1939, P. 46.

ويؤكد لورانس كذلك أن الاتحاديين كانوا ينوون أن يتبعوا ازاء العرب أيضا سياسة مشابهة لتلك التي اتبعوها ازاء الأرمن(١٧) •

من الجدير بالذكر أن المصير الذي آل اليه الأرمن في سـنوات الحرب العالمية الأولى ، أثر على مصير الشعب الكردي كذلك • فقد كان الاتحاديون يفكرون في اتخاذ الاجراء نفسه الذي اتخذوه ضـد الأرمن ، ضد الشـعوب الأخرى في الأمبراطوريـة أيضا ، مدفوعـين في ذلك بـ « الانتصـار » الذي أحرزوه فيما فعلوه مع الأرمن • هذا من جهة • ومن جهة أخرى كانوا مستائين لأنهم لم يستطيعوا تحشيد قطاعات أوسع من الشـعب الكردي ضد الأرمن ، فكانوا يرون في ذلك نذير سـوء لهم ولنظـامهم وكانوا على حق في ذلك ، ولاسيما اذا علمنا أن اسهـام الكرد في مذابح سـنوات الحرب كانت دون اسهامهم في المذابح التي جرت في عهد السلطان عبدالحميد ، رغم أن مذابح سني الحرب كانت في حد ذاتها أوسع بكثير من مذابح أيام السلطان • أثـار هذا كره الحكام للكرد أكثر ، فلم ينقض وقت طويـل حتى كان انقضاضهم على الكرد كذلك كما ذكرنا ذلك في الفصل الرابع من هذا الكتاب •

وهكذا جسدت أحداث الحرب العالمية الأولى ، ولاسيما دبلوماسيتها السرية ، أطماع الدول الكبرى نحو شعوب المنطقة بشكل لم يسبق له مثيل ، فدفعت هذه الشعوب ، بما فيها الشعب الكردي ، ثمن ذلك غالياً • الا أن الأمر تحول من جانب آخر الى درس أول في الاحتكاك المبـاشر بواقع طبيعة الدول الاستعمارية وألاعيبها التي لم يستطع كل أصحاب الرأي ، مع ذلك ، تقدير جميع أبعادها ، كما يجب ، مما أدى الى تعميق نتائج المأسـاة بشكل واضح •

(١٧) Ibid.

ونعود لنكرر في الختام ، ألقول ، ان سـنوات الحرب العـالمية الأولى تشكل بمآسيهـا ونتائجها ودروسها مرحلة مهمة في تأريخ الشعب الكردي ، مرحلة تستحق أن تولى العناية والاهتمام •



ثبت المراجع

باللغة العربية

ابراهيم خليل، ولاية الموصل . دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ ـ ١٩٢٢ ، رسالة ماجستير ، بغداد ، ١٩٧٥ .

احمد عثمان ابوبكر ، الدكتور ، اكراد الملي وابراهيم باشا ، بغداد ، ١٩٧٣ .

استارچيان ك. ا. ، الدكتور ، تاريخ الأمة الارمنية ، الموصل ، ١٩٥١ .

استارچيان ك. ا. ، الدكتور ، تاريخ الثقافة والأدب الارمني ، الموصل ، ١٩٥٤ .

اسماعيل چول ، اليزيدية قديما وحديثا ، بيروت ١٩٣٧ .

امين سعيد ، ثورات العرب في القرن العشرين ، القاهرة ، بلا .

بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، الجزء الرابع ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٥ .

بلەچ شيركوه ، الدكتور ، القضية الكردية . ماضي الكرد وحاضرهم ، القاهرة، ١٩٣٠ .

بيرلي ، دافيد . ب. ، كردستان . المثل الكردي الأعلى وانعكاساته على العلاقات الآشورية ـ الكردية ، نقله الى العربية عن الأصل الانكليزي ي. ناظر ، نيوجرسي ، ١٩٤٦ .

پول اميل ، البروفيسور ، تاريخ ارمينيا ، ترجمة شكري علاوي ، بيروت ، بلا .

پيروت (جلال الطالباني) ، دفاعا عن ((حاجى قادرى كويى)) ، ((خهبات ـ النضال)) ـ جريدة ـ ، بغداد ، ٢٦ تموز ١٩٦٠ .

((ثورة العرب . مقدماتها ، اسبابها ، نتائجها)) ، بقلم احد اعضاء الجمعيات العربية ، القاهرة ، ١٩١٦ .

حسين حزني المكرياني ، موجز تاريخ امراء سوران ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، بغداد ، (بلا) .

حكمت سامي سليمان ، النفط في العراق ، دراسة سياسية واقتصادية ، بغداد ، ١٩٥٨ .

زكي صالح ، الدكتور ، مقدمة في دراسة العراق المعاصر ، بغداد ، ١٩٥٣ .

سليمان موسى ، الحركة العربية . سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ ـ ١٩٢٤ ، بيروت ، ١٩٧٠ .

شكري محمود نديم ، الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٧ ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٦٧ ؛ الطبعة الثالثة ، بغداد ، ١٩٧٤ .

شكري محمود نديم ، حرب العراق ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ، الطبعة الثامنة ، بغداد ، ١٩٧٤ .

صديق الدملوجي ، امارة بهدينان الكردية او امارة العمادية ، الموصل ١٩٥٢ .

عبدالمنعم الغلامي ، ثورتنا في شمال العراق (١٣٣٧ ـ ١٣٣٨ هـ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ م) ، الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٦٦ .

عبدالمنعم الغلامي ، الضحايا الثلاث ، الموصل ، ١٩٥٢ .

عزالدين مصطفى رسول ، الدكتور ، حول المجمع العلمي الكردي ، «الثقافة» ـ مجلة ـ ، بغداد ، نيسان ١٩٧٦ .

عزالدين مصطفى رسول ، الدكتور، الواقعية في الأدب الكردي ، بيروت ، (بلا).

علي سيدو الكوراني ، من عمان الى العمادية او جولة في كردستان الجنوبية ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

فائز الغصين ، المذابح في ارمينيا ، الطبعة الثانية ، بيروت ، (بلا) .

كمال مظهر احمد ، الدكتور ، اكتوبر والمسألة الكردية ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم، ـ «الثقافة الجديدة» ـ مجلة ـ ، بغداد ، العدد ٢٩ ، تشرين الأول ١٩٧١ .

كمال مظهر احمد ، الدكتور ، اول مدرسة كردية في ايران ، « التآخي » ـ جريدة ـ ، بغداد ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣ .

كمال مظهر احمد ، الدكتور ، حول تغلغل النفوذ الامريكي في الشرق الأوسط وبنود الرئيس ولسن ، ـ « آفاق عربية » ـ مجلة ـ ، بغداد ، العدد ٣ ، تشرين الثاني ، ١٩٧٦ .

كمال مظهر احمد ، الدكتور ، حول الشرفنامة والطبعة الكردية لهذا الأثر التاريخي الخالد ، «التآخي» ـ جريدة ـ ، بغداد ، ٢٠ تشرين الثاني ١٩٧٣ .

د. (كمال مظهر احمد ، الدكتور) ، شـاوەيس ومجلة ((هـوك)) الأرمنيـة ، ((التآخي)) ـ جريدة ـ ، بغداد ، ٢١ كانون الثاني ١٩٧٤ .

كمال مظهر احمد ، الدكتور ، نظرة جديدة ازاء معاهدة سيفر والمسالة الكردية، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، ـ ((الثقـافة الجديـدة)) ـ مجلـة ـ ، بغداد ، العدد ٥٢ ، ايلول ١٩٧٣ .

كمال مظهر احمد ، الدكتور ، وثائق وحقائق جديدة عن حركات الشيخ محمود، ((التآخي)) ـ جريدة ـ ، بغداد ، ٨ تشرين الأول ١٩٧٣ .

لؤي بحري ، الدكتور ، سكة حديد بغداد ، بغداد ، ١٩٦٧ .

لوقا زودو ، المسالة الكردية والقوميات العنصرية في العراق ، بيروت ، ١٩٦٩ .

محمد امين زكي ، تـاريخ السليمانية وانحائها ، ترجمـة محمد جميل بندي الروژبياني ، بغداد ، ١٩٥١ .

محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الآن ، ترجمة محمد علي عوني ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

محمد امين زكي ، مشاهير الكرد وكردستان في الدور الاسـلامي ، نقلته الى العربية كريمته ، الجزء الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ ؛ الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٤٧ .

محمد الملا عبدالكريم ، ((كردستان خلال سـنوات الحرب العالميـة الأولى)) اسهامة قيمة في دراسة التاريخ الحديث لشعبنـا الكردي ، ((التآخي)) ـ جريدة ـ ، بغداد ، ٢٥ و ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٥ .

((مؤتمر الشهداء)) ، بيروت ، (بلا) .

ويگرام ، دبليـو . اي. و ادگار ، تي. اي. ، مهد البشرية (الحيـاة في شرقي كردستان) ، ترجمة جرجيس فتح‌الله ، بغداد ، ١٩٧١ .

يوسف ابراهيم يزبك ، النفط مسـتعبد الشـعوب ، الجزء الأول ، بيروت ، ١٩٣٤ .

باللغة الكردية

جەمال خەزنەدار ، رابەری رۆژنامەگەری كوردی ، بەغدا ، ١٩٧٣ .

جەمال نەبەز ، دوكتور ، كورتە ميژويەكی كوردناسي لە ئەلمانيادا ، ـ ((گوڤاری كوری زانياری كورد)) ـ، بەغدا ، بەرگی دوهەم ، بەشی يەكەم، ١٩٧٤ .

حەمدون ، شەوی پێشو ، ((گەلاوێژ)) ـ گوڤار ـ ، بەغدا ، ژمارە ٤ ، سالی ٧ ، نیسانی ١٩٤٦ .

((خەبـاتی گەلی کورد لە یـادداشتەکانی ئەحمـەد تەقی‌دا)) ، ڕێکخسـتن و ئامادەکردنی بو چاپ : جەلال تەقی ، بەغدا ، ١٩٧٠ .

رفیق حلمي ، یادداشت ، بەشی یەکەم ، بەغدا ، ١٩٥٦ .

رەحیمی قازي ، دوکتور ، قازي موحەممەد ، (دەستنوس) .

علاالدین سجادي ، شورشەکانی کورد وە کورد و کومـاری عیراق ، بەغـدا ، ١٩٥٩ .

((کوردستان)) ـ یەکەمین روژنامەی کوردی (١٨٩٨ ـ ١٩٠٢) ، کوکردنەوە و پێشەکی دوکتور کەمال فوئاد ، بەغدا ، ١٩٧٢ .

((کومەلە شیعری حاجی قادری کویی)) ، چاپ و بلاوکەر : عبدالرحمن سعید، بەغدا ، ١٩٢٥ .

کەمال مەزهەر ئەحمەد ، کامەرێکە ، ـ ((بەیان)) ـ گوڤار ـ ، بەغدا ، ژمارە ٢ ، ١٩٧٢ .

محمدی مەلاکریم ، حـاجی قادری کویی شـاعیری قونـاغیکی نوی‌یە لە ژیانی نەتەوەی کورد ، بەغدا ، (؟) .

مەلا عەلی سەنجەری ، لە پیاوە ناودارەکانی کورد ـ میرزا کوچك خان ، ژین ـ روژنامە ـ ، ژمارە ٣٢ ، ٢٢ی تەموزی ، ١٩٧١ .

نەریمان ، کتێبخانەی کوردی ، کەرکوك ، ١٩٦٠ .

باللغة الروسية

Аверьянов П.И., Курды в войнах России с Пер-
сией и Турцией в течение XIX столетия. Совр-
еменное политическое положение турецких, пе-
рсидских и русских курдов. Тифлис, 1900.

افیریانوف پ. ي. ، الكـرد في حروب روسـيا مع ايران وتركيا خلال القرن

التاسع عشر . الوضع السياسي المعاصر لاكراد تركيا وايران وروسيا ، تفليس ، ١٩٠٠ .

Аветян А.С., Германский империализм на Ближнем Востоке, Москва, 1966,

آفيتيان ا. س. ، الامبرياليزم الالماني في الشرق الادنى ، موسكو ، ١٩٦٦ .

Агаев С.Л., Германский империализм в Иране, Москва, 1969,

آكاييف. س. ل. ، الدكتور ، الاستعمار الالماني في ايران ، موسكو ، ١٩٦٩ .

Адамов А., Ирак Арабский. Бассорский вилайэт в его прошлом и настоящем, Петербург, 1912,

اداموف ا. ، العراق العربي ، ولاية البصرة في امسها ويومها ، بطرسبورغ ، ١٩١٢ .

Айзин Б.А., Германия,-"Всемирная история", т.УII, Москва, 1960,

ايزن ب. ا. ، المانيا ، ـ «تاريخ العالم» ، الجزء السابع ، موسكو ، ١٩٦٠ .

Алиев Г.З., Турция в период правления младотурок, Москва, 1972,

الييف گ. ز. ، الدكتور ، تركيا في عهد الأتراك الفتيان ، موسكو ، ١٩٧٢ .

Амбарян А.С., Аграрные отношения в Западной Армении (1856-1914), авт. док. дисс., Ереван, 1965.

امباريان ا. س. ، العلاقات الزراعية في ارمينيا الغربية (١٨٥٦ ـ ١٩١٤) ، يريڤان ، ١٩٦٥ .

Арутюнян Г.М., Реакционная политика английской буржуазии в армянском вопросе в середине 90-х годов XIX века, Москва, 1954,

اروتونيان گ. م. ، السياسة الرجعية للبورجوازية الانكليزية في القضية الارمنية في اواسط تسعينيات القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٥٤ .

Бартолд В., История изучения Востока в Европе и России, Ленинград, 1925,

بارتولد ف. ، الاكاديمي ، تاريخ دراسة الشرق في اوروبا وروسيا ، لينينغراد ، ١٩٢٥ .

"Библиография по Курдоведению", составитель Ж.С.Мусаэлян, Москва, 1963,

« بيبليوغرافيا عن الدراسات الكردية » ، وضع ژ. س. موسيليان ، موسكو ، ١٩٦٣ .

"Большая Советская Энциклопедия", второе издание, т.28, Москва, 1954.

«الموسوعة السوفيتية الكبرى» ، الطبعة الثانية، الجزء ٢٨، موسكو، ١٩٥٤ .

Верховский Д.В., Первая мировая война 1914-1918,-"Советская Историческая Энциклопедия", т.10, Москва, 1967,

فيرخوفسكي د. ف. ، الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، - «الانسيكلوبيديا التاريخية السوفياتية » ، الجزء العاشر ، موسكو ، ١٩٦٧ .

"Всемирная история", т.УII, Москва, 1960.

« تاريخ العالم » ، الجزء السابع ، موسكو ، ١٩٦٠ .

"Геноцид Армян в Османской Империи", (Сборник документов и материалов под редакцией проф. М. Г.Нерсисяна), Ереван, 1966,

« ابادة الأرمن في الامبراطورية العثمانية . مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت اشراف البروفيسور م. گ. نيرسيسيان » ، يريفان ، ١٩٦٦ .

Глуходед В.С., Проблемы экономического развития Ирана, Москва, 1968,

گلوخديد ف. س. ، مشاكل التطور الاقتصادي لايران ، موسكو ، ١٩٦٨ .

Гордлевский Б.А., Избранные сочинения, т.III, (история и культура), Москва, 1962,

گرديلفسكي ف. ا. ، الاكاديمي ، مؤلفات مختارة ، الجزء الثالث (تاريخ وثقافة) ، موسكو ، ١٩٦٢ .

Гордлевский В., У Сипхандагских курдов,-"Мусульманский Мир", Петроград, ч.I, вып.I, 1917.

گرديلفسكي ف. ، الاكاديمي ، بين اكراد سبحان داغ ، ـ « العالم الاسلامي » ـ مجلة ـ ، بيتروگراد ، القسم الاول ، الاصدارة الاولى ، ١٩١٧ .

Гофман К., Нефтяная политика и агло-саксонский империализм, Москва, 1930,

گوفمان ك. ، السياسة النفطية والاستعمار الانكلو ـ سكسوني ، موسكو ، ١٩٣٠ .

Данциг Б.М., Ближний Восток в русской науке и литературе, Москва, 1973,

دانتسيك ب. م. ، البروفيسور ، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي ، موسكو ، ١٩٧٣ .

Данциг Б.М., Ирак в прошлом и настоящем, Москва, 1960,

دانتسيك ب. م. ، البروفيسور ، العراق امس واليوم ، موسكو ، ١٩٦٠ .

Данциг Б.М., Русские путешественники на Ближнем Востоке, Москва, 1965.

دانتسيك ب. م. ، البروفسور ، الرحالة الروس في الشرق الادنى ، موسكو ، ١٩٦٥ .

Джалиле Джалил, Восстание Курдов 1880 года, Москва, 1966,

جليلي جليل ، الدكتور ، انتفاضة الكرد في العام ١٨٨٠ ، موسكو ، ١٩٦٦ .

Джалиле Джалил, Курды Османской Империи в первой половине XIX века, Москва, 1973,

جليلي جليل ، الدكتور ، اكراد الامبراطورية العثمانية في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، موسكو ، ١٩٧٣ .

А.С.Ерусалимский, Германский империализм: история и современность, Москва, 1964,

يروسليمسكي ا. ، الاستعمار الالماني ، الماضي والحاضر ، موسكو ، ١٩٦٤ .

Иванова М.Н., Национально-освободительное движение в Иране, Москва, 1961,

ايفانوفا م. ن. ، حركة التحرر ـ الوطني في ايران ، موسكو ، ١٩٦١ .

Иванов М.С., Очерк истории Ирана, Москва, 1952.

ايفانوف م. س. ، البروفيسور ، دراسة في تاريخ ايران ، موسكو ، ١٩٥٢ .

"История Дипломатии", том второй (Дипломатия в Новое Время 1872-1919гг.), Москва-Ленинград, 1945,

((تاريخ الدبلوماسية)) ، المجلد الثاني (الدبلوماسية في العصر الحديث ، ١٨٧٢ ـ ١٩١٩) ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٤٥ .

Ихсан Фуад, Творчество Хаджи Койи и его место в курдской литературе, Автореферат, Москва, 1966.

احسان فوآد ، نتاج الحاج قادر الكويي ومكانته في الادب الكردي ، ملخص رسالة الدكتوراه ، موسكو ، ١٩٦٦ .

Иас А.И., Поездка по Северному Персидскому Курдистану, Петроград, 1915.

اياس ا. ي. ، رحلة عبر كردستان الايرانية الشمالية ، بيتروگراد ، ١٩١٥ .

Камаль М.А., К айсорской проблеме в Ираке (1918-1933).-"Известия Академии наук Азербайджанской ССР", Баку, № 2, 1969.

كمال مظهر احمد ، حول المشكلة الآثورية في العراق (١٩١٨ – ١٩٣٣) ، – مجلة اكاديمية علوم آذربيجان السوفيتية «الاخبار» ، باكو ، العدد ٢ ، ١٩٦٩ .

Камаль М.А., К истории издания первой курдской газеты,-"Народы Азии и Африки", Москва, № 4, 1968.

كمال مظهر احمد ، حول تاريخ اصدار اول جريدة كردية ، – «شعوب آسيا وافريقيا » – مجلة – ، موسكو ، العدد الرابع ، ١٩٦٨ .

Карцев В.А., Заметки о Курдах, Тифлис, 1896.

كارتسيف ف. ا. ، ملاحظات عن الاكراد ، تفليس ، ١٨٩٦ .

Корсун Н.Г., Арабский Восток-Ирак, Москва, 1928.

كارسون ن. گ. ، الشرق العربي – العراق ، موسكو ، ١٩٢٨ .

Корсун Н.Г., Сарыкамышская операция на Кавказском фронте мировой войны в 1914-1915, Москва, 1937,

كارسون ن. گ. ، معركة سارى قاميش في جبهة القفقاس للحرب العالمية في العامين ١٩١٤ – ١٩١٥ ، موسكو ، ١٩٣٧ .

Кузнецова Н.А., Кулагина Л.М., Из истории советского Востоковедения, Москва, 1970,

كوزنيتسوفا ن. ا. ؛ كولاگينا ل. م. ، من تاريخ الاستشراق السوفيتي ، موسكو ، ١٩٧٠ .

Курд-Оглу, Курды и империализм,-"Бюллетень прессы Среднего Востока", Ташкент, № 13-14, 1932,

كورد اوغلو ، الكرد والامبريـالية ، « نشرة مطبوعـات الشرق الاوسـط » ، طاشقند ، العدد ١٣ ــ ١٤ ، ١٩٣٢ .

Курдоев К.К., Труды П.И.Лерх по курдоведению. К вопросу об изучении истории курдов в России,-"Очерки по истории русского Востоковедения", Москва, 1959.

كوردوييف ك. ك. ، اعمال پ. ي. ليرخ في الدراسات الكردية . حول مسألة دراسة تاريخ الكرد في روسيا ، في كتاب «دراسات في تـاريخ الاستشراق الروسي » ، موسكو ، ١٩٥٩ .

Лазарев М.С., Крушение турецкого господства на Арабском Востоке, Москва, 1960.

لازاريف م. س. ، الدكتور ، زوال السـيادة التركيـة على الشرق العربي ، موسكو ، ١٩٦٠ .

Лазарев М.С., Курдистан и курдская проблема(90-е годы XIX века-1917), Москва, 1964.

لازاريف م. س. ، الدكتور ، كردستان والمشكلة الكردية (من تسعينيات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٦٤ .

Лазарев М.С., Курдский вопрос (1891-1917), Москва, 1972.

لازاريف م. س. ، الدكتور ، القضية الكردية (١٨٩١ ــ ١٩١٧) ، موسكو ، ١٩٧٢ .

Лебедев Ю. Багдадская железная дорога и современное состояние её строительства, Петербург. 1908.

ليبيديف يو. ، المهندس ، سكة حديد بغداد وظروف مدها اليوم ، بطرسبورغ، ١٩٠٨ .

Левин И., Ирак, Москва, 1937.

ليفين ي. ، العراق ، موسكو ، ١٩٣٧ .

Лерх П., Исследования об Курдах и их предках северных Халдеях, Санктпетербург, кн. I, 1856, кн. II, 1857; кн. III, 1858.

ليرخ ب. ي. ، دراسات حول الاكراد الايرانيين واسلافهم الكلدانيين الشماليين ، بطرسبورغ ، الكتاب الاول ؛ ١٨٥٦ ؛ الكتاب الثاني ١٨٥٧ ؛ الكتاب الثالث ١٨٥٨ .

Лорей Г., Операция германо-турецких морских сил в 1914-1918гг., Москва, 1934,

لوري گ. ، عمليات القوات البحرية الالمانية ـ التركية في الأعوام ١٩١٤ـ ١٩١٨ (الترجمة الروسية) ، موسكو ، ١٩٣٤ .

Матвеев (Бар-Маттай) К.П., Мар-Юханна И.И., Ассирийский вопрос во время и после первой мировой войны, Москва, 1968.

ماتفييف (بار ماتاي) ك. پ. ، مار يوحنا ا. ا. ، المسالة الآثورية خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها ، موسكو ، ١٩٦٨ .

Миллер А.Ф., Очерки новейшей истории Турции, Москва, 1948,

ميلر ا. ف. ، البروفيسور ، دراسة تاريخ تركيا المعاصر ، موسكو ، ١٩٤٨ .

Минорский В.Ф., Курды. Заметки и впечатления, Петроград, 1915.

مينورسكي ف. ف. ، الاكراد ، ملاحظات وانطباعات ، پيتروگراد ، ١٩١٥ .

"Мировая война в цифрах", Москва-Ленинград, 1934,

« الحرب العالمية بالارقام » ، موسكو ـ لينينغراد ، ١٩٣٤ .

Мирошников Л.И., Английская экспансия в Иране (1914-1920), Москва, 1961,

ميروشنيكوف ل. ا. ، التغلغل الانكليزي في ايران (١٩١٤ ـ ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦١ .

Мустафа Кемаль, Путь Новой Турции, 1919-1927, том I, Москва, 1929, том IУ, Москва, 1934.
مصطفى كمال ، طريق تركيا الحديثة ١٩١٩ ــ ١٩٢٧ ، «الترجمة الروسية» ، الجزء الاول ، موسكو ، ١٩٢٩ ، الجزء الرابع ، موسكو ، ١٩٣٤ .

Новичев А.Д., Крестьянство Турции в новейшее время, Москва, 1959,
نوفيچيف ا. د. ، فلاحو تركيا في العصر الحاضر ، موسكو ، ١٩٥٩ .

Новичев А.Д., Очерки экономики Турции до мировой войны, Москва-Ленинград, 1937,
نوفيچيف ا. د. ، دراسة اقتصـــاد تركيـا قبل الحرب العـالمية ، موسكو ــ لينينغراد ، ١٩٣٧ .

Новичев А.Д., Турция. Краткая история, Москва, 1965,
نوفيچيف ا. د. ، تركيا ، تاريخ مختصر ، موسكو ، ١٩٦٥ .

Саркисян Е.К., Экспансионистская политика Османской империи в Закавказье накануне и в годы первой мировой войны, Ереван, 1962,
سركيسيان ي. ك. ، السياسة التوســعية للامبراطورية العثمـانية في ماوراء القفقاس قبيل الحرب العالمية الاولى وخلالها ، يريڤان ، ١٩٦٢ .

"Севр и Лозанна. Севрский Мирный Договор и Акты, подписанные в Лозане", под редакцией проф. Ю.В.Ключникова и проф. А.В.Сабанина, Москва, 1927,
« سيڤر و لوزان . معاهدة صلح سيڤر والاتفاقات المبرمة في لوزان » ، باشراف البروفيســور يو. ف. كلوچنيكوف والبروفيســور ا. ف. سبــانين ، موسكو ، ١٩٢٧ .

Тарле Е.В., Европа в эпоху империализма, 1871-1919, Москва-Ленинград, 1928,

تارليه ي. ف. ، الاكاديمي ، اوروبا في عصر الامبرياليزم ، موسكو – لينينغراد ، ١٩٢٨ .

Трухановский В.Г., Внешняя политика Англии на первом этапе общего кризиса капитализма (1918-1939гг.), Москва, 1962,

تروخانوفسكي ف. ك. ، سياسة انكلترا الخارجية في المرحلة الاولى من الأزمة العامة للراسمالية (١٩١٨ – ١٩٣٩) ، موسكو ، ١٩٦٢ .

Фаризов И.О., Место национально-освободительного движения курдов в борьбе народов Ближнего и Среднего Востока против империализма, Канд. дисс. (реферат), Москва, 1953,

فاريزوف. اي. و. ، مكانة حركة التحرر القومي الكردية في نضال شعوب الشرقين الادنى والاوسط ضد الامبريالية ، موسكو ، ١٩٥٣ .

Халфин Н.А., Борьба за Курдистан (Курдский вопрос в международных отношениях XIX века), Москва, 1963,

خالفين ن. ا. ، الدكتور ، الصراع على كردستان (القضية الكردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر) ، موسكو ، ١٩٦٣ .

"Хрестоматия по истории международных отношений", выпуск II, Москва, 1972,

« مجموعة نصوص عن تاريخ العلاقات الدولية » ، الجزء الثاني ، موسكو ، ١٩٧٢ .

Шамсутдинов А.М., Национально-освободительная борьба в Турции 1918-1932, Москва, 1966,

شمس الدينوف ا. م. ، النضال التحرري – الوطني في تركيا ١٩١٨ – ١٩٣٢ ، موسكو ، ١٩٦٦ .

Шпилькова В.И., Империалистическая политика США в отношении Турции (1914-1920), Москва, 1960,

شپيلكوڤا ڤ. ي. ، السياسة الاستعمارية للولايات المتحدة الامريكية في تركيا (١٩١٤ – ١٩٢٠) ، موسكو ، ١٩٦٠ .

Юзбашян К.Н., Академик Иосиф Абгарович Орбели, Москва, 1964,

يوزباشيان ك. ن. ، الاكاديمي يوسف ابكاروڤيچ اوربيللي ، موسكو ، ١٩٦٤ .

باللغة الانكليزية

Ahmed Emin, Turkey in the World War, New Haven, 1930.

Armstrong H. C., Grey Wolf Mustafa Kemal. An Intimate study of a Dictator, Third ed., London, 1932.

Benns F. L., Europe since 1914, Fifth ed., New York, 1945.

Black C. E. and Helmreich E. C., Twentieth Century Europe, New York, 1950.

Churchill W. S., The Great War, Vol. III, London, 1934.

Curzon G. N., Persia and the Persian Question, Vol. II, London, 1892.

Dagobert von Mikusch, Mustapha Kemal between Europe and Asia, (translated by John Linton), London, 1931.

David Lloyd George, The truth about Peace Treaties, Vol. I — II, London, 1938.

((Documents on British Foreign Policy, 1919 — 1939)), First Series, Vol. IV, London, 1952 ; Vol. XIII, London, 1963.

Eagleton W., The Kurdish Republic of 1946, Oxford University Press, 1963.

Edmonds C. J., Kurds, Turks and Arabs. Politics travel and research in North - Eastern Iraq, London, 1957.

Evans H., New Soviet Books, — ((Middle Eastern Studies)), London, Vol. 4, No. 2, January 1968.

Foot M. R., British Foreign Policy since 1898, London, 1956.

Gavan S.S., Kurdistan. Divided Nation of the Middle East, London, 1958.

Hamilton Ch. W., Americans and Oil in the Middle East, Houston, 1962.

Hay W. R., Two Years in Kurdistan. Experiences of a Political Officer (1918 — 1920), London, 1921.

((A history of the Peace Conference of Paris)), Edited by H. W. Temperley, Vol. I — VI, Oxford, 1969.

Hurewitz J. C., Diplomacy in the Near and Middle East. A Document Record, Vol. I (1535 — 1914) ; Vol. II (1914 — 1956), Prinsceton, 1956.

Ireland P. W., Iraq. A study in political development, London, 1937.

Keeling E. H., Adventures in Turkey and Russia, London, 1924.

Kennan G. F., American Diplomacy 1900 — 1950, seventh printing, New York, 1959.

Kinner J. M., A Geographical Memoir of the Persian Empire, London, 1818.

Kinner J. M., Journey through Asia Minor, Armenia and Koordistan in the Years 1813 and 1814, London, 1818.

Lawrance T. E., Seven Pillars of Wisdom, Vol. I, London, 1939.

((League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq)), Geneva, 1924.

Lenczowski G., The Middle East in World Affairs, second ed. (second printing), New York, 1957.

Longrigg S. H., Four Centuries of Modern Iraq, London, 1925.

Luke H. Ch., Mosul and its Minorities, London, 1925.

Main E., Iraq from Mandate to Independence, London, 1935.

Mason K., Major, Central Kurdistan, — ((The Geographical Journal)), Vol. LIV, No. 6, December 1919.

((The massacres of Kurds in Turkey)), Cairo, 1928.

((Memorandum on the Claims of the Kurd People)), Paris, 1919.

((The Memories of Naim Bey. Turkish official documents relating to the deportations and massacres of Armenians)), London, 1921.

Millingen F., The Wild Life among the Koords, London, 1870.

Morier J., A Second Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople between the Years 1810 and 1816, London, 1818.

Morier J., Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople in the Years 1808 and 1809, London, 1812.

Morten N., Middle East, New York, 1943.

Percy Sykes, A summary of the history of the Assyrians in Iraq 1918—1933, — ((JRCAS)), Vol. XXI, April 1934.

Philby H. J., Arabian days, London, 1948.

Ramsaur E. E., The Young Turks. Prelude of the Revolution of 1908, Princeton — New Jersey, 1957.

Rawlinson H. C., Notes on a Journey from Tebriz through Persian Kurdistan..., — ((The Journal of the Royal Geographical Society)), London, Vol. X, 1840.

((Review of the Civil Administration of Mesopotamia)), London, 1920.

Rich C. J., Narrative of a Residence in Kurdistan, Vol. I — II, London, 1836.

Robinson P. O., The First Turkish Republic. A case study in national development, Cambridge, 1963.

Safrastian A., Kurds and Kurdistan, London, 1948.

Schmidt D. A., Journey among Brave Men, Toronto, 1964.

Soane E. B., To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, second ed., London, 1926.

Sykes M., The Caliphs Last Heritage. A short history of the Turkish Empire, London, 1915.

Sykes M., The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, — ((The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland)) , Vol. XXXVIII, 1908.

((War Memories of David Lloyd George)), Vol. I — VI, London, 1933 — 1936.

Wilson A. T., Loyalities Mesopotamia, 1914 — 1917. A personal and historical record, London, 1930.

Wilson A. T., Mesopotamia 1917 — 1920. A clash of loyalities. A personal and historical record, London, 1931.

Zaki Saleh, Mesopotamia. Iraq 1600 — 1914, Baghdad, 1957.

باللغات الأخرى

ابراهيم فخرائي ، ميرزا كوچك خان سردار جنگل ، تهران ، ١٣٤٤ شمسي (باللغة الفارسية) .

احمد شريفي ، عشائر شكاك وشرح زندگی آنها به رهبری اسماعيل آغا سمكو ، طهران ، ١٣٤٨ (باللغة الفارسية) .

جلال نوري ، تاريخ استقبال ، مسائل اساسية ، استانبول ١٣٣٢ (باللغة التركية) .

عبدالعزيز ياملكي ، كوردستان وكورد اختلاللرى ، جلد ١ ، تهران، ١٩٤٦ (باللغة التركية) .

((Memorandum sur la situation les Kurdes et leurs revendications)), Paris, 1948.

((Memorandum sur les revendications du Peuple Kurde)), Paris, 1919.

Nikitine B., Les Kurdes. Etude Sociologique et historique, Paris, 1956.

Nuri Dersimi, Kürdistan Tarihinde Dersim, Halep, 1952.

Rambout L., Les Kurdes et le droit, Paris, 1947.

صحف ومجلات

« بانگ کرد » (نداء الكرد) ، ـ مجلة ـ ، بغداد ، العدد ۲ ، ۱۳۳۲ .

« بانگ کردستان » (نداء كردستان) ، ـ جريدة ـ ، السليمانية ، ۱۹۲۲ .

« پيشکەوتنی سليماني » (تقدم السليمانية) ، ـ جريدة ـ ، السليمانية ، اكتوبر ۱۹۲۰ .

« تيگەيشتنی راستي » (فهم الحقيقة) ، ـ جريدة ـ ، بغداد ، ۱۹۱۸ ـ ۱۹۱۹ .

«روژی نوی» (اليوم الجديد) ـ مجلة ـ ، السليمانية ، ۱۹٦۰ ـ ۱۹٦۱ .

« العالم العربي » ـ جريدة ـ ، بغداد ، تشرين الأول ۱۹۳۱ .

«کردستان» ، ـ جريدة ـ القاهرة ـ جنيف ـ لندن ـ فولكستون ، ۱۸۹۸ ـ ۱۹۰۲ .

فهرست الأعلام [1]

اعلام الأشخاص

---

(1) نحيط القارىء الكريم علما بأننا دابنا في هذا الكشف العـام عن الأعـلام الواردة في الكتاب على تقسيمه الى قسمين قسم يشمل أعلام الأشخـاص من حقيقية وحكمية مع بعض الأحداث . أما القسم الثاني فيشمل أعلام الأماكن من قرى ومدن وبلدان ومنـاطق وقـارات وكل مـايدخل ضمن الاطار الجغرافي .

ونظرا لكثرة تكرر معظم الأعلام الرئيسـة في الكتاب ، فـاننا لم نحـل القارىء الكريم الى مرادفاتها أو متعلقاتها ـ ان وجـدت ـ الا في الأعلام القليلة الورود . كما أننا لم نشر الى كلمتي (الكرد) و (كردستان) لكونهما مادتين اساسيتين في الكتاب ولم نشر كذلك الى كلمة (الأرمن) في الفصل الخامس لتكررها في كل صفحة من الفصل تقريبا .

واخيرا نذكر ان حرف « م » يرمز الى المتن كما ان حرف « هـ » يرمز الى الهامش .

– چ –

– ح –

— خ —

— د —

ـ ش ـ

اعلام الأماكن

(م ــ ٢٦)

– ز –

– س –

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

— ع —

— غ —

— ف —

— ڤ —

— ق —



جدول الخطا والصواب

بالرغم من الجهود التي بذلناها ليأتي الكتاب دونما أخطاء ، ما أمكن ، فقد حدثت بعض الأخطاء اللغوية والمطبعية نذكر فيما يلي أهمها مع تصحيحها :

الخطا	الصفحة	السطر	الصواب
عليه	٦	١٦	اليه
تولي آنئذ اهمية بالغة لكردستان	١٠	١٧	تولي كردستان آنئذ اهمية بالغة
على	١١	٢	الى
لم يعلق	٣٣	٢٤	لم يعلق هذا الباشا
لرغباتها	٣٣	٢٥	لرغبات تلك الشركة
لاسيما	٣٤	٤	ولاسيما
1819	٣٥	١٧	1816
يو. س. كارتسيف	٤٦	١٨	يو. س. كارتسوف
ل. ي. اڤيريانوف	٤٧	٣	پ. ي. اڤيريانوف
تمخضت عنه أيضا	٥٣	١٤	تمخض أيضا عن
١٨٢١	٦١	٣	١٨٢٨
فرانسوا بيرنارد	٦٣	٤	فرانسوا بيرنارد شارموا
1932	٧٨	١٢	1923
عن	١٠٧	٩	عنها
تحيق	١٣٠	٩	تحقيق
، و على خطته هو في جنوبي العراق	١٥٣	٩و١٠	في جنوبي العراق ، وعلى خطته هو
كتبها	١٥٥	١	كتبه

الخطأ	الصفحة	السطر	الصواب
١٩١٧	١٧٢	٢٢	١٩٧١
وغيرهم	٢٠٥	٦	وغيرهما
ك. ت. مانفيف	٢١٠	٢١	ك. پ. مالفيف
شؤن	٢٢٤	١	شؤون
عن	٢٣٩	٥	من
عن	٢٣٩	١٥	من
١٢ كانون الثاني	٢٧٥	٢١	٢١ كانون الثاني
المصدر السابق	٢٨٣	١٩	كردستان وكرد اختلالزي، جلد ١ ، تهران ، ١٩٤٦ .
تمخضت عنه	٣٢٨	٢١	تمخض عن
يتوالم	٣٤٥	١٤	يتلاءم



مواضيع الكتاب

الصفحة

٧١ /٩٥٦

ك ٨٢٨كمال مظهر

كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى/كمال مظهر

بغداد : دارالثقافة والنشر الكردية ،٢٠١٠

٤١٦ص،٢٤سم

١-كردستان-تاريخ

ا-العنوان

م.و

٢٠٥٩/ ٢٠١٠

المكتبة الوطنية (الفهرسة اثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢٠٥٩ لسنة ٢٠١٠





Dr.Kamal Mudher
Ahmed

Kurdistan During The First World War

Translated By
Mohammed Al-Mulla
Abdul Kareem
The supported member
of the Kurdish
Scientific Assembly

*The author has been made
revision , correction
and addition*

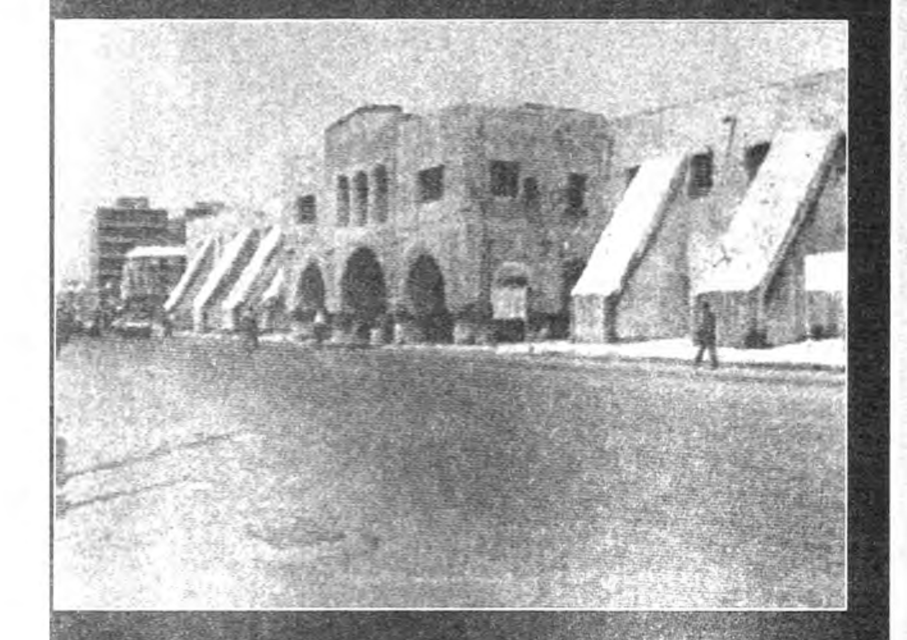
تصميم الغلاف: منى محمد غلام



د. كمال مظهر أحمد

كركوك وتوابعها
حكم التأريخ و الضمير

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق



الجزء الأول

حكم التأريخ و الضمير حكم التأريخ و الضمير حكم التأريخ

د.كمال مظهر احمد

كركوك و توابعها
حكم التأريخ و الضمير

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

- الجزء الأول -

اسم الكتاب : كركوك و توابعها ـ حكم التأريخ والضمير ـ.

المؤلف : الدكتور كمال مظهر أحمد

الكومبيوتر : سناريا محمد بايز

التصميم : جمال حسين درويش

التصحيح : دانا أحمد و عباس زنگنه

المطبعة : مطبعة رينوين

المطبوع : ١٠٠٠٠ نسخة

*****

طبع على نفقة حكومة إقليم كردستان

رقم الإيداع في وزارة الثقافة بحكومة إقليم كردستان

كركوك و توابعها

حكم التأريخ و الضمير

دراسة وثائقية عن القضية الكردية في العراق

الإهداء :

الى كل عربي يرفض أن يكون ظالما

بقدر ما يرفض أن يكون مظلوما

نبذة تاريخية

من الثابت تأريخيا ان مدينة كركوك تم بناؤها من قبل اللولوبيين، أو من قبل الخوريين، وهما شعبان أديا دورا اساسيا في تكون الشعب الكردي الحالي، كما انهما أقدم شعبين معروفين سكنا كردستان تربطهما صلات حضارية و لغوية قوية. ورد اسم اللولوبيين، الذين سكنوا سهلي شهرزور وزهاو مع امتداداتهما، ورد واضحا في الكتابات القديمة التي تعود الى الألف الثالث قبل الميلاد. وكما نلاحظ لاحقا ان كركوك دخلت ضمن إيالة شهرزور إداريا ردحا من الزمن، أي ضمن الوطن الاصلي للولوبيين، كما ارتبطت بها سياسيا طيلة التأريخ القديم و الوسيط و الحديث.

ومما يعزز احتمال كون اللولوبيين بناة مدينة كركوك الاولين هو ان اسمها لم يرد في الكتابات السومريةو الأكدية ضمن أسماء المدن التي قام ملوك سومر و أكد بتشييدها، اذ كان كل ملك من هؤلاء الملوك يسجل عادة اسم اي مدينة تؤسس في عهده، وبأمره. بل تتوفر نصوص سومرية تؤكد صراحة ان السوباريين وهم ايضا من شعوب كردستان الاصليين عاصروا اللولوبيين و ادوا دورا مشابها لدورهم في تكوين الكرد الحالي، كانوا يعيشون

خارج بلاد سومر(١). و من الضروري ان نشير هنا الى ان معظم المدن القديمة الشمالية التي تمتد الى الشرق من نهر دجلة قد تم تشييدها من قبل شعوب المنطقة الاصليين، أي من قبل شعوب زاگروس، او من قبل الشعوب الآرية، بينما كانت الشعوب السامية تبني مدنها عادة غربي دجلة و امتداداتها، اذ أراد حكام تلك الشعوب ان يكون النهر الكبير احدى ادوات صد هجمات شعوب زاگروس والشعوب الآرية.

وردت اشارات صريحة الى مدينة كركوك الحالية في النصوص المسمارية التي تعود الى العهد الأكدي، مما يفترض تأريخيا ان يكون اللولوبيون هم بناة المدينة. و من الثابت تأريخيا ان الخوريين هم الذين كانوا يقطنون كركوك و توابعها في الألفين الثاني و الأول قبل الميلاد، و يومذاك كانت كركوك نفسها تعرف باسمين –ارابخا و الیلاني، أي مدينة الآلهة. و الخوريون يؤلفون شعبا " انحدر منذ نهاية الالف الثالث قبل الميلاد من الجبال الشمالية، ولعب دورا مهما في تأريخ الشرق الأدنى و سياسته و ثقافته في الألف الثاني قبل الميلاد"(٢). ومما له مغزاه بهذا الصدد ان اعمال

---

(١)حول ذلك ينظر: الدكتور فوزي رشيد، سكان جبال زاگروس و كردستان القدماء، في كتاب "تأريخ الكرد القديم" (تأليف مشترك مع الدكتور جمال رشيد)، من منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة صلاح الدين، ١٩٩٠، ص ٤١.

و للتفصيل عن الخوريين و السوباريين و علاقاتهما ينظر:

I.Gelb, Hurrians and Subarians, Chicago, 1944.

(٢) جان بوتيرو، بلاد الرافدين، الكتابة، العقل، الالهة، ترجمة البير ابونا، مراجعة الدكتور وليد الجادر، بغداد، ١٩٩٠، ص ٨٩.

بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، ولا سيما في تل شمشاره الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من هضبة دوكان، قرب مضيق دوكان تحديدا، اسفرت عن اكتشاف آثار خورية يعود زمنها الى الالف الثاني قبل الميلاد، من بينها حوض آجره من النوع المستخدم في نوزي(٣). و نوزي هو الاسم الذي أطلقه الخوريون انفسهم على مدينة كركوك(٤) ، التي اكتشفت فيها لوحات مدونة باللغة الأكدية، تتضمن معلومات تأريخية مهمة عن الخوريين، وعن حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية(٥). وقد وجدت هذه الآثار بالتحديد في تل يورغان تبه التي تبعد عن كركوك الحالية مسافة ثلاثة عشر كيلومترا، والذي اتخذ مقبرة فيما بعد(٦)، وتقدر بعض المصادر عدد الالواح المكتشفة هنا بأكثر من خمسة الاف(٧)، مما يؤشر عمقا حضاريا كبيرا حسب مقاييس عصره دون شك.

ومما له مغزاه ايضا ان الخوريين، الذين حكموا بلاد آشور على مدى قرن من الزمان، هم الذين شيدوا، دون ريب، عددا من توابع كركوك اهمها طوزخورماتو التي تحمل اسمهم حتى اليوم. فان اسم المدينة الأصلي هو

---

(٣) البروفيسور هارولد اينغلوت، بعثة التنقيب الدانماركية في دوكان، "سومر" (مجلة)، بغداد، الجزء الاول والثاني، المجلد الثالث عشر، ١٩٥٧، ص ١٩٧- ١٩٨.

(4) G. Wilhelm, Grundzuge Der Geschichte und Kultur Der Hurriter, Darmstadt, 1982, P. 10.

(5) Seton Lloyd, Twin Rivers, Oxford, 1943, P. 46 "Sovets- kaya Istorcheskaya Encyclopedia", Vol. 7, Moscow, 1965, P. 289.

(6) **"Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 6, Moscow, 1965, pp. 178-179.**

(٧) سيتون لويد، بلاد الرافدين، ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٠٦.

خورماتو، المشتق مبنى من كلمتي خور، أي الخوريين، وماتو التي تعني المدينة في الأكدية، فيكون معنى الإسم مدينة الخوريين. و ظل خورماتو متداولا في العصور الاسلامية(٨) ولغاية اواخر القرن التاسع عشر دون ان يفقه الناس معناه الأصلي، وقد ظنوا خطأ ان الاسم يشير الى خورما (التمر) و تو (التوت) اللذين اشتهرت منطقة طوزخورماتو بانتاجهما يومذاك، فلقد اشار الرحالة الى وجود اشجارهما هناك بكثرة(٩). وخورما وتو كلمتان متداولتان في اللغة الكردية منذ قديم الزمان. فالاول منهما من الكلمات الشائعة في اللغات الآرية القديمة، اذ وردت بصيغ متقاربة في البهولية والبازند (تفسير الافيستا) و الارمنية وغيرها(١٠). وكلمة تو بمعنى (التوت) دخلت اللغات نفسها، بما فيها الكردية، منذ أقدم الأزمنة عن طريق الآرامية و السريانية(١١). و أخيرا أضاف أهل المدينة، عن جهل كذلك، اسم منتوج آخر اشتهرت في منطقتهم ايضا، وهو (دوز) الذي يعني الملح في التركية، الى اسمها ليصبح دوزخورماتو الذي تحول في التداول الى طوزخورماتو.

كما أسلفنا بقي الاسم متداولا بصيغته الاولى، اي خورماتو، حتى مطلع القرن التاسع عشر، فقد سجل الرحالة الانكليزي جيمس بكنغهام في العام

---

(٨) "التأريخ الغياثي"، دراسة و تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد، ١٩٧٥، ص ٩٠.

(9) C.J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan.., Vol. 1, London, 1836, PP. 26-27.

(١٠) دكتور محمد معين، برهان قاطع، جلد دوم، تهران، ١٣٣١ شمسي، ص ٧٢٨.

(١١)المصدر نفسه، الجزء الاول، طهران، ١٣٣٠، ص ٥٢٧.

١٨١٦ الاسم هكذا(١٢)، كما ورد لدى المنشيء البغدادي في العام ١٨٢٠ بصيغة مقاربة(١٣).

و من المفيد ان نشير هنا الى ان اسماء العديد من المواقع الخورية وغيرها في كردستان لاتزال تحتفظ حتى اليوم بصياغاتها القديمة، منها، على سبيل المثال، اسم قرية شمشارة قرب دوكان التي كان يطلق عليها قديما اسم شوشرا، الموقع الذي تم اكتشاف آثار خورية كبيرة فيه قبل أن تغمره مياه السد.

و ينبغي ان نشير ايضا الى الصلة القوية بين الخوريين و الآريين الذين لاشك في ان الخوريين امتزجوا بهم، فكان الآريون يؤلفون بين الخوريين طبقة ارستقراطية قائدة في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، أي في الوقت الذي امتلك فيه الخوريون "عمليا كامل شمال العراق". وعلى هذا الأساس كان يطلق على المملكة الخورية ايضا اسم"مملكة ميتاني"، و الميتانيون كنية مشتقة كانت تطلق على الآريين(١٤).

ارتبط اسم شعب زاگروسی آخر باسم كركوك. فمن الثابت من النصوص المسمارية ان الگوتيين، الذين ادوا نفس دور اللولوبيين و الخوريين و

---

(١٢)جمس بكنغهام، رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦، ترجمة سليم طه التكريتي، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٥٦، ١٦٨.

(١٣) "رحلة المنشيء البغدادي"، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي، بغداد، ١٩٤٨، ص ٥٤ – ٥٦.

(١٤) للتفصيل عن ذلك ينظر، جورج رو، العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، مراجعة الدكتور فاضل عبدالواحد علي، بغداد، ١٩٨٢، ص ٣١٧-٣١٩.

السوباريين، في تكوين الشعب الكردي لاحقا، كانوا يعيشون في الألف الثالث قبل الميلاد في المنطقة الواقعة جنوب سهل شهرزور(١٥)، ووصلوا كركوك وتوابعها، بل انهم اتخذوا من كركوك مركزا لهم، وقد اصبحت المدينة تعرف يومذاك باسم جديد هو ارابخا (ARAPKHA)(١٦) ، وقد اعترف السومريون، ومن بعدهم الأكديون بمملكة الگوتيين في إطار شبه المربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر ديالى مع عاصمتهما في ارابخا(١٧).

يؤيد السير سدني سمث في كتابه "تأريخ آشور القديم حتى الالف الأول قبل الميلاد "الحقيقة ذاتها حين كتب ان قلب المملكة الگوتية" كان المربع الواقع بين نهري الزاب الاسفل ودجلة، وبين جبال السليمانية ونهر ديالى، وكانت عاصمتها ارابخا تقع حيث مدينة كركوك الآن". وكما تؤكد الواح بابل كانت بلاد الگوتيين تؤلف دولة مستقرة، و ان سكانها كانوا متحدين يحكمهم ملك واحد منذ اواسط الالف الثالث قبل الميلاد. و يبدو ان السومريين و الأكديين و الآشوريين كانوا في قتال مستمر مع الگوتيين "بوضع دفاعي اكثر منه هجومي" فمن الثابت تأريخيا ان الگوتيين كانوا يغيرون على اطراف الامبراطورية الأكدية القوية، كما انهم حكموا منطقة

---

(١٥)عن علاقة الگوتيين بالكرد تنظر: "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol., 4, Moscow, 1963, PP. 913-914.

(١٦) الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٥٣.

(17) "Cambridge Ancient History", Cambridge, 1924, Vol. I, P. 423; Vol. III, P.223.

بابل مدة تجاوزت القرن من الزمان (اواخر الالف الثالث قبل الميلاد) ونقلوا منها، ومن مدن سومر كنوزهم الى عاصمتهم ارابخا. ويبقى اسم ارابخا متداولا، وحرف حديثا الى (ارافا- عرفه)، واطلق على حي العمال الجديد في منطقة شركة نفط كركوك(١٨).

غدت هذه الحقيقة التأريخية امرا مسلما به حتى في الكتب المنهجية العربية العامة. ورد في كتاب "الجغرافية السياسية" من تأليف عدد من الاساتذة الجامعيين المصريين في العام ١٩٦١، مانصه بهذا الخصوص:

"الاكراد سلالة منحدرة من أصل شمالي.. وكانت لهم دولة قديمة عاصمتها ارا بخا ARAPKHA**، هي كركوك الحالية"(١٩).**

و من المفيد ان نشير ايضا الى ان سكان بلاد مابين النهرين القدماء كانوا في الألف الأول قبل الميلاد يطلقون اسم الكوتيين على جميع الشعوب التي كانت تقطن الى الشمال والشرق من بابل، بما في ذلك الميديون(٢٠)الذين انتقلوا يومذاك الى تلك المنطقة ليتفاعلوا مع بقايا شعوب زاگروس، و يؤدوا الدور الأخير في بلورة الشعب الكردي.

يلخص الاستاذ الجامعي العراقي المعروف الدكتور فوزي رشيد في مبحثه المعنون "سكان جبال زاگروس وكردستان القدماء" علاقة اصول الكرد تأريخيا بكركوك على النحو الآتي:

---

(١٨) "سومر"، بغداد، المجلد الثامن، الجزء الأول، ١٩٥٢، ص ٣٧٥.

(١٩) الدكتور دولت احمد صادق و آخرون، الجغرافية السياسية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٥٨.

(20) "Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 4, P. 914.

"وهذه الحقيقة(٢١) لاتنفي العلاقة القوية التي كانت تربط اللولوبيين بالسكان القدماء الآخرين لكردستان كالگوتيين، او الخوريين، لغويا كانت أم حضارياً و خاصة لو عرفنا بأن مركز هؤلاء كان في مناطق قريبة بعضها عن البعض الآخر، كمستوطنات نوزي الخورية، و ارا بخا الگوتية، و بابيت اللولوبية، و جميعها حوالي كركوك الحالية"(٢٢).

و للتأكيد على مدى تقارب الأصول الكردية القديمة هذه فيما بينها نشير الى "ان المصادر الآشورية التي تعود الى الالفين الثاني و الأول قبل الميلاد كانت تطلق على الخوريين اسم السوباريين الذين كانوا يؤلفون في الألف الثالث قبل الميلاد شعبا قائما بذاته على الرغم من قرابتهم اللغوية والاجتماعية والحضارية مع الخوريين و اللولوبيين و غيرهم من شعوب زاگروس"(٢٣).

اختلف موقف الآشوريين من كركوك و توابعها من موقف اللولوبيين و الخوريين و الگوتيين منها، فانهم دمروا المدينة في أواسط الالف الثاني قبل الميلاد(٢٤) **وذلك في خضم صراعهم مع شعوب زاگروس اولا، ومن ثم مع الآريين، ولاسيما الميديون منهم فيما بعد. وبعد اعادة بنائها اتخذها الآشوريون في الحقبة الممتدة بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد حصنا**

---

(٢١) يقصد تحول الصيغة الأكدية القديمة لاسم لولوبو الى لولومي في الصيغة الاشورية.

(٢٢)الدكتور فوزي رشيد، المصدر السابق، ص ٤٩.

(23) M. Diakonov, Subaretsi,- "Sovetskskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 13, Moscow, 1971, P. 905, Khurriti, Vol. 15, Moscow, 1974, PP. 690-691.

(24)"Sovetskaya Istoricheskaya Encyclopedia", Vol. 7, Moscow, 1965, P. 289.

لصد الميديين(٢٥)، الا ان ذلك لم يجدهم نفعا، فقد تمكن الميديون من القضاء على الدولة الآشورية، واحتلال عاصمتها نينوى سنة ٦١٢ ق. م.(٢٦). و اثر ذلك دخلت كل المنطقة الممتدة الى الشرق من دجلة شمالي بغداد ضمن الدولة الميدية المترامية الاطراف، بما في ذلك كركوك و اربيل وتوابعهما. وقد غدا هذا الامر ايضا حقيقة تأريخية مسلمة تقرها المصادر والمراجع على مختلف مشاربها. ورد في مصدر عراقي رسمي معتبر(٢٧) الآتي نصه بهذا الصدد:

"الماديون هم من الشعب الآري الذي كان يسكن البلاد التي يسميها المتاخرون بلاد شيروان و اذربيجان، وقد نهض بهم الحظ فعقدوا تحالفا مع بختنصر الكلداني، فحاربوا الآشوريين من الشمال، كما ان الكلدان حاربوهم من الجنوب الى ان قوضوا تلك الدولة القوية الشكيمة، واستولوا على تركتها. وكانت النتيجة ان انفرد الكلدان بالسيادة في الجنوب و الماديون في الشمال، فاصبح في العراق شعبان يسودانه، الكلدان وهم من الشعب السامي، والماديون وهم من الشعب الآري"(٢٨).

---

(25)J. H. Kramers, Kirkuk,- "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, Leyden-London, 1927, P. 1027.

(٢٦)البروفيسور فلاديمير مينورسكي، الاكراد احفاد الميديين، ترجمة و تعليق الدكتور كمال مظهر، -"مجلة المجمع العلمي الكردي"، بغداد، المجلد الاول، العدد الاول، ١٩٧٣، ص ٥٥٦-٥٥٧.

(٢٧) نقصد به "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦" وهو مصدر موسوعي ضخم صدر" تحت عناية واشراف وزارة الداخلية" في عهد وزارة ياسين الهاشمي الثانية، يقع في ١٢٢٠ صفحة من الحجم الكبير، اعدته مجموعة من ابرز الباحثين العراقيين المعروفين يومذاك برئاسة محمود فهمي درويش. صدر الدليل نفسه في مجلد مستقل باللغة الانكليزيه في السنة ذاتها.

(٢٨) "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، بغداد، ١٩٣٦، ص ٦٤

بعد سقوط الدولة الميدية في العام ٥٥٠-٥٤٩ قبل الميلاد ظهر اقرباؤهم الفرثيون فوق المسرح السياسي للمنطقة. ففي حدود الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد حكمت اسرة سكائية اديابين (حدياب) وكانت كركوك عاصمة حكامها الذين كانوا تابعين للأمبراطورية الفرثية، و كانت اربيل تدخل بدورها ضمن مملكتهم، وتؤلف احدى قواعدهم(٢٩). ورد في مصدرين رسميين عراقيين، صدر الاول منهما في العهد الملكي، وصدر الثاني منهما في العهد الجمهوري، ورد ما مفاده:

في عهد سيطرة الدولة الفرثية (١٤١ قبل الميلاد- ٢٢٧ للميلاد) كان العراق يتكون من اربع امارات، الاولى امارة ميسان، والثانية امارة الحضر في الشمال الغربي، والثالثة امارة حدياب وقاعدتها اربيل، والرابعة امارة الحيرة العربية(٣٠).

حسب المؤرخ الأرمني المعروف موسيس (موفسيس) الخوريني Moses of Khurene الذي عاش في القرن الخامس - بداية القرن السادس، كان الساسانيون، اقرباء الميديين، يطلقون في عهده على المنطقة اسم گەمەركان (Gamarkan) على المنطقة التي تقع كركوك في قلبها، والتي تمتد حدودها في الشمال الغربي الى حد الزاب الصغير، وفي الجنوب الغربي الى جبل

(29) E. Herzfeld, Archaeological History of Iran, Oxford, 1935, p.8.

(٣٠) "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، ص ٦٨- ٦٩؛ "دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠. دائرة معارف علمية، تأريخية، جغرافية، اجتماعية، صناعية، زراعية، تجارية"، تأليف محمود فهمي درويش والدكتورين مصطفى جواد واحمد سوسه، صدر تحت اشراف وزارة الارشاد بقرار من مجلس الوزراء في ١٧ كانون الاول ١٩٦٠، بغداد، ١٩٦١، ص ١٧٨.

حمريـن، وفي الجنــوب الشــرقي الى نــهر ديــالى، وفي الشــمال الشــرقي الى زاگروس(٣١). **و قـد خضعت المنطقة نفسها للحكم الساساني، كما ان جانبا كبيرا من آثار كركوك وتوابعها تعود الى ذلك العهد**(٣٢). **ومـن المفيـد ان نشير الى ان رشيد ياسمي، الاستاذ السابق بجامعة طهران، يعيد اصل الساسانيين الى الأكراد**(٣٣).

اطلقت المصادر السريانية على كركوك وتوابعها اسـم بـاث گەرمـە (Beth Garme)، و أطلق السلوقيون على القلعة التي شيدوها في كركوك لاحقا اسم سەربەگ ـ سەربوگ (Sarbug)(٣٤). **و مما يجلب الانتباه ان في اللغة الكردية الحاليـة كلمـات حيـة قريبـة جـدا مـن جميـع هـذه الأسمـاء الساســانية والسريانية والسلوقية. فان كلمة گەرمەكان قريبة من كلمـة گـەرميان التي يطلقها الكرد الحاليون على الأصقاع الحارة مـن بلادهم، بضمنـها كركوك و توابعها. و لا يستبعد ان تكون سەربەگ كلمة مركبة، فـان سـەر هـي الـرأس في الكردية، و بەگ هي الكبير فيها، والالـه في بعض اللغـات الآريـة، فيحتمل الاسم بذلك معنى الاله الرئيس.**

---

(31) J. H. Kramers, Op. Cit., P. 1027.
(32)C.J. Rich, Op.Cit., Vol. I, PP. 10-25, 30.

(٣٣) رشيد ياسمي، كرد و پيوستگى نژادى و تأريخي او، تهران، ص ١٦٥-١٧٤؛ مجلـة "هـەتاو"، اربيل، الاعداد ١٣٣-١٤٢، حزيران- تشرين الاول ١٩٥٨، سلسلة مقالات بعنوان "الساسانيون كانوا كردا لا فرسا" بقلم گيـو موكرياني.

(34)J. H. Kramers, Op. Cit, P. 1027.

كركوك و توابعها في ظل الاسلام والخلفاء

بعد ان فقد الكرد دولتهم، و تقلص دورهم الحضاري في ظل الدول التي توالى حكمها على كردستان اثر سقوط الميديين، كان امرا طبيعيا ان يرحبوا بالاسلام باعتبار ذلك وسيلة للانتقال الى وضع افضل مما كانوا فيه. دشن ذلك اول احتكاك مباشر، و واسع للكرد و كردستان، بما في ذلك كركوك و توابعها، بالعرب ـ حملة راية الدين الجديد.

لم يمس الاسلام الكيان القومي للكرد داخل وطنهم، بل انه ساعد على تعزيز ذلك الكيان بوجه الشعوب، والانظمة غير الاسلامية المتاخمة لكردستان، ولاسيما في طرفها الشمالي. يقول باحث محايد، مخلص للاسلام، ان الخلفاء لم يحاولوا" **التدخل في الكيان المستقل للاغوات و البكوات الاكراد**"(٣٥) الذين يقصد بهم امراء الكرد في ذلك الحين. يكمن في هذا، دون شك، احد الاسباب الاساسية التي دفعت الكرد الى الترحيب بالدين الجديد، و الاخلاص له، و التفاني من أجله. ان احتفاظ الكرد بخصائصهم القومية، و بلغتهم في ظل الاسلام و حضارته، على الرغم من تحولهم الى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما، لهو درس بليغ من التأريخ كان يجب ان يؤخذ بنظر الاعتبار.

---

(٣٥) المقدم الشيخ عبدالوحيد، الأكراد وبلادهم. تأريخ الشعب الكردي منذ اقدم العصور حتى العصر الحاضر، ص ٥٨-٥٩.

و مما يضفي اهميـة خاصـة علـى هـذا الامـر ان ابنـاء الكـرد رحبـوا بالعربية بوصفها لغة القرآن، و اداة الروح، و التقرب من الخالق، الا ان ذلـك لم يتجاوز حدود اداء الفرائض الا بالنسبة لرجال الديـن، و المتخصصـين الذين ظلوا، مع ذلك، متمسكين بلغتهم القومية لأنهم، و كانوا في ذلك على حق، لم يروا أي تعارض بين ايمانهم واخلاصهم للغة قومـهم، لـذا لاغـرو ان معظم شعراء الكرد البارزين مـن العصريـن الوسـيط و الحديـث كـانوا في الوقت نفسه رجال دين كبارا، وان بعضهم تغنـى بالاسلام بلغتـه القوميـة، وان الكتاتيب و المدارس الدينية الكردية، بما فيها كتاتيب ومدارس كركوك الدينية، غالبا ماكانت تدرس تلاميذها أدب الكرد جنبا الى جنب مع علوم الدين، وأصول الفقه.

ظل الكرد يؤلفون باستمرار روح الاسلام في كركوك، فكـانت مسـاجد المدينـة و توابعها، و تكاياهما و اوقافهما و مدارسهما الدينيـة بيـد رجـال الدين الكرد اساسا. و يعتز الكرد باشرافهم على **"مقام السجادة النبوية"** في مدينة كركوك نفسها، الأمر الذي تولدت منه اسـرة دينيـة كرديـة معروفـة باسم خادم السجادة، لها مقامها الاجتماعي و السياسـي، خـرج مـن بـين ظهرانيها ادباء و مفكرون قوميون، و مـن مثـل اهـل المدينـة في البرلمـان العراقي كما نشير الى ذلك فيما بعد.

لم يول المسلمون الاوائل كركوك اهتماما يذكر، ولم يشر البلدانيون العرب الى اسمها الحالي نهائيا، بل ذكروها نادرا باسم كرخيني(٣٦)، فلم "يذكر ياقوت، ولا من سبقه من جغرافيين مدينة كركوك "كما ورد نصا في مجلة "سومر" العراقية المعتبرة(٣٧). اما بالنسبة للكرخيني فان القلقشندي (توفي ٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) حدد طابعها الكردي مكانا وسكانا بالاستناد الى "مسالك الابصار في ممالك الامصار" للجغرافي الدمشقي ابن فضل الله العمري (توفي ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧-١٣٤٨م). كتب القلقشندي:

"جبال الاكراد: قال في "مسالك الابصار": والمراد بهذه الجبال، الجبال الحاجزة بين ديار العرب و ديار العجم، دون اماكن من توغل من الاكراد في بلاد العجم. قال: و ابتداؤها جبال همذان و شهرزور، و انتهاؤها صياحيى الكفره من بلاد التكفور، و هي مملكة سيس و ماهو مضاف اليها بايدي بيت لاون. ثم ذكر منها عشرين مكاناً في كل مكان منها طائفة من الاكراد".

بعد ذلك يعدد القلقشندي الأماكن العشرين تلك، و تحت البند العاشر منها يقول:

"بلاد الكرخيني و دقوق الناقة ـ وبه طائفة منهم (من الاكراد) عدتهم تزيد على سبعمائة، ولهم أمير يخصهم"(٣٨). و يجدر بالذكر ان السبعمائة رقم معتبر من المنظور الديموغرافي بالنسبة لذلك العهد والزمان".

---

(٣٦) "سومر"، المجلد الثامن، الجزء الاول، ١٩٥٢، ص ٢٧٥.

(٣٧)"سومر"،المجلد الثاني عشر ،الجزء الأول والثاني،١٩٥٦،ص٤٣.

(٣٨) القلقشندي ، شهاب الدين أحمد،صبح الأعشى، الجزء الرابع، ص ٣٧٣-٣٧٤.

و كانت داقوق (دقوقا) اكثر شهرة من كركوك يومذاك، بل ان الأخيرة و لغاية أواخر القرن الثامن الهجري/ اواخر الرابع عشر الميلادي غالبا ما كانت تتبع داقوق اداريا واقتصاديا، كما انهما كانتا، في الوقت ذاته، على اتصال باربيل و شهرزور و امتداداتهما اوثق من اتصالهما باي بقعة اخرى في المنطقة من جميع الاوجه.

من هنا فان الجغرافيين المسلمين (ابن خرداذبه من القرن الرابع الهجري، و ياقوت الحموي من القرن السابع الهجري، و ابو الفدا من الربع الأخير من القرن السابع والثلث الأول من القرن الثامن الهجريين) عندما يأتون على ذكر داقوق فانهم يربطونها بأربيل وصفا(٣٩). في مطلع القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وصف العالم الجغرافي و المؤرخ حمدالله المستوفي القزويني في الصفحة ٢٤ من كتابه المعروف "نزهة القلوب" داقوق هكذا:

"داقوق من الأقليم الرابع، بلدة متوسطة، مناخها اطيب من مناخ ايالات العراق العربي".

بالمقابل كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، فقلما استخدم الطريق البري القديم الممتد من بغداد الى كفري ـ داقوق ـ

---

(٣٩) "مجلة المجمع العلمي العراقي" (الهيئة الكردية)، بغداد، المجلد العاشر، ١٩٨٣، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ "سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، ١٩٥٦، ص ٤٤.

كركوك ـ اربيل للوصول الى الموصل، بل كان يجري الاتصال بين بغداد والموصل، حسب وصف الجغرافيين العرب، بمحاذاة نهر دجلة في الاغلب(٤٠).

انعكس هذا الواقع بقوة على الوضع الاداري و الاقتصادي لكركوك و توابعها التي ارتبط اسمها باسم شهرزور منذ العهد الاسلامي المبكر، و قد تجاوزت حدود "بلاد شهرزور" كركوك بعيدا في العصر العباسي الأخير لتغدو اربيل قاعدة لها يومذاك. في اواسط القرن السابع للهجرة (اواسط القرن الرابع عشر للميلاد) وصف ابن خلكان شهرزور هكذا: "وهي بلدة كبيرة معدودة من اعمال اربيل"(٤١). والامر نفسه مثبت في "تقويم البلدان" لأبي الفداء، و "صبح الاعشى" للقلقشندي وغيرهما. اما ياقوت فقد قال عن "بلاد شهرزور" مانصه: "واهل هذه النواحي كلهم أكراد"(٤٢). و كان هؤلاء الاكراد يتمتعون بقدر كبير من الاستقلالية، عبر عنه ياقوت نفسه هكذا "واهلها عصاة على السلطات"(٤٣).

---

(40) " The Encyclopedia of Islam", Vol. II, P. 1027.

(٤١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، حققه وعلق حواشيه و وضع فهارسه محمد محيي الدين عبدالحميد، الجزء الثالث، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٣٣؛ عبدالسلام محمد هارون، معجم مقيدات ابن خلكان، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٩٣.

(٤٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، باشراف فردناند وستنفلد، المجلد الثالث، لايبزغ، ١٨٦٨، ص ٣٤٠.

(٤٣)المصدر نفسه.

تؤكد المصادر الاسلامية وجود مدينة قديمة باسم شهرزور كانت تقع في كورة(٤٤) شهرزور. و يحدد العديد من الباحثين، منهم المستشرق الانكليزى المتخصص في "الجغرافية التأريخية للبلدان الاسلامية" گ. سترنج (Guy Le Strange) (١٨٥٤-١٩٣٣) موقع تلك المدينة بياسين تپه القريبة من مدينة كركوك الحالية(٤٥). يلخص المستشرق نفسه الحقائق الآتية عن مدينة كركوك و كورة شهرزور بالاستناد الى ابن خرداذبه و قدامه و ابن حوقل و القزويني و المستوفي:

"و على مسيرة اربع مراحل شمال غربي الدينور مدينة شهرزور في كورة شهرزور. و قد ذكر ابن حوقل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد) شهرزور مدينة حصينة عليها سور يسكنها الأكراد، و قد سرد اسماء قبائلهم المثبتة في تلك الارجاء. وكانت "من رغد العيش، وكثرة الرخص، وخصب الناحية، بحالة واسعة و صورة رائعة".

و وصفها الرحالة ابن مهلهل في المئة الرابعة (العاشرة للميلاد)، على ما اقتبسه منه ياقوت بقوله" شهرزور مدينات و قرى، فيها مدينة كبيرة، و هي قصبتها في وقتنا هذا".. و كان اكراد هذه الكورة حين زارها ابن مهلهل تنشىء ستين الف بيت. وحين كتب المستوفي في المئة الثامنة كانت شهرزور مدينة زاهرة، واهلها اكراد"(٤٦).

---

(٤٤)كورة: مصطلح اداري استخدم في العهد الاسلامي، والكورة في "مختار الصحاح" للرازي ص ٥٨٢ "المدينة والصقع، والجمع كوَر"، وفي المنجد"/ ص ٧٠٢ "البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى".

(٤٥) كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية. يتناول صفة العراق والجزيرة وايران واقاليم اسيا الوسطى منذ الفتح الاسلامي حتى ايام تيمور، نقله الى العربية بشير فرانسيس وكوركيس عواد، من مطبوعات المجمع العلمي العراقى، بغداد، ١٩٥٤، ص ٢٢٥.

(٤٦)المصدر نفسه، ص ٢٢٥-٢٢٦.

يبدو من هذا الكلام، و مما سبقه، و من غيرهما ايضا ان شهرزور كانت جديرة في ذلك الوقت باستيعاب اصقاع شاسعة اقتصاديا و سياسيا، فقد كانت معروفة على اوسع نطاق، عامرة بالسكان، مزدهرة.

حسب المصادر العربية الكلاسيكية قامت امارة اربيل الاتابكية "على انقاض الامارة الهذبانية والامارة القبجاقية (القبجافية) التي كانت تجاور اربيل، و تضم قلاع شهرزور و منطقة الكرخيني/ كركوك"(٤٧).

و قد اصبحت كركوك تتبع اربيل في عهد الاتابكة على مدى قرن و نيف (من ٥٢٢ حتى ٦٣٠ الهجرة، أي من ١١٢٨ حتى ١٢٣٣ للميلاد)، التبعية التي تعززت بصورة خاصة في عهد مظفرالدين كوكبوري الذي حكم امارة اربيل من سنة ٥٨٦ حتى سنة ٦٣٠ للهجرة (١١٩٠-١٢٣٢ للميلادى)، حتى ان كوكبوري اتخذ من داقوق قاعدة لصد التتر، ومنعهم من التغلغل في العراق(٤٨)، بل انه اتخذ من سجن قلعة كركوك مكانا للاحتفاظ بمعارضيه رهائن طوال سنوات حكمه(٤٩). كتب م. ستريك (M. Streck) في "دائرة المعارف الاسلامية" عن هذا الموضوع يقول:

"وقد أسس في عام ٥٦٣ هـ (١١٦٧م) زين الدين على كوجك بن بكتكين دويلة اتخذ اربل عاصمة لها. واشهر حكام هذه الدويلة من الاسرة

---

(٤٧)عن ذلك ينظر: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي ٥٢٢-٦٣٠ هـ/ ١١٢٨- ١٢٣٣م، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٧٩.

(٤٨)"سومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، ١٩٥٦، ص ٤٨.

(٤٩)محسن محمد حسين، المصدر السابق، ص ٢٠٩، ٣١٧.

البكتكينية الكردية هو مظفر الدين كوكبوري، صهر صلاح الدين. و لم تبلـغ اربـل اوجها طوال العصور الوسـطى الا ابـان حكـم هـذا الأمـير. فقـد وسـع مظفرالديـن الى حـد كبـير هـذه الدويلـة الـتي ورثها عـن اخيـه عـام ٥٨٦ هـ (١١٩٠م)، فأخضع الامارات الصغيرة المجاورة، وضـم ايضـا اقليـم شهرزور، بمـا فيه كركوك"(٥٠).

تؤكـد المصـادر المعنيـة ان سـكان الامـارة الاتابكيـة، وجيـش مظفرالديـن كوكبوري كانوا من الكرد قاطبة(٥١)، بل ان بعـض تلـك المصـادر تحـدد سـكان كركوك وتوابعها يومـذاك بابنـاء عشائر زهنگنـه وجـاف و هموند الكرديـة المعروفة(٥٢).

كانت حدود العراق منذ اواخر القرن الرابع حتى اواسط القرن السادس للهجرة تنتهي شمالا عند سامراء و ما والاها يومذاك(٥٣)، ولم تضم من المدن الكرديـة سـوى خـانقين و حلـوان باتجـاه الشـمال الشــرقي مــن بغـداد. امـا التوسع نحو الشمال في العصر العباسي الأخير فقد بدأ سنة ٥٥١ للـهجرة (١١٥٦ للميلاد) حين جرت محاولة فاشلة للاستيلاء على قلعة تكريت الـتي اخـذت

---

(٥٠) "دائرة المعارف الاسلامية" (الطبعة العربية)، المجلد الاول، العدد الاول، اكتوبر ١٩٣٣، ص ٥٧١.

(٥١)عبدالقادر احمد طليمات، مظفرالدين كوكبوري امير اربل، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٩٥-١٩٦.

(٥٢)فهمي عرب وفاضل محمد، مدينة كركوك، ترجمة هەتاو، مجلة "هەتاو"، العدد ١٢٨، ١٠ نيسان ١٩٥٨، ص ٣.

(٥٣)في العصر البويهي (٩٤٥-١٠٥٨ للميلاد) كان يحدد اقليم العراق "من الشمال خط يمر عبر الانبـار علـى نـهر الفرات الى تكريت على نـهر دجلـة" (ينظـر: محمـد حسـين الزبيـدي، العـراق في العصـر البويـهي. التنظيمـات السياسية والادارية والاقتصادية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٥).

بعد ذلك التأريخ بثلاثة عقود ونيف. ثم شمل التوسع اربيل التي" اخذت عنوة بعد وفاة صاحبها كوكبوري سنة ٦٣٠ هـ ـ ١٢٣٢م"، والأرجح ان شهرزور "الواقعة بين اربل وهمذان قد ضمت الى العراق في نفس الفترة التي ضمت بها اربل، و ذلك لانها كانت تابعة لمظفر الدين كوكبورى صاحب اربل"(٥٤). و هذا يعني ان كردستان الجنوبية، بما فيها كركوك و توابعها، اصبحت تؤلف ولايتين من ولايات العراق العشر عندما اشرف العصر العباسي الأخير على نهايته، و هما ولاية اربيل و ولاية شهرزور التي ضمت الى العراق تحديدا سنة ٦٣٠ للهجرة/ ١٢٣٢ للميلاد(٥٥).

و في غضون حوالي قرن مما يعرف بعهد السيطرة المغولية في العراق لم يغير المغول من التقسيمات الادارية التي كان عليها في العصر العباسي الأخير(٥٦). و في ذلك العهد تحديدا ظهر اسم كركوك بصيغته الحالية لأول مرة، و ذلك في تأريخ تيمور من تأليف شرف الدين علي يزدي. نقرأ في الكتاب المذكور ان تيمور، بعد ان احتل العراق، توجه صوب دياربكر عن طريق داقوق وكركوك والتون كوپرو (كوپرى). بعد المغول انتقل حكم كركوك و توابعها، مع كل اقليم شهرزور، الى الاق قوينلو(٥٧).

---

(٥٤) للتفصيل عن ذلك ينظر: الدكتور بدري محمد فهد، تأريخ العراق في العصر العباسي الأخير (٥٢٢-٦٥٦ هـ/ ١١٥٧-١٢٥٨م)، بغداد، ١٩٧٣، ص ٤-٧.

(٥٥) عن ذلك، وعن التقسيم الاداري للعراق في العصر العباسي الاخير ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٨-١٤١.

(٥٦) الدكتور محمد صالح داود القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف، ١٩٧٠، ص ٢١٩.

(57)J. H.Kramers, Op. Cit., P. 1027.

في المراحل التأريخية تلك دخل اقليم شهرزور، بما فيه كركوك و توابعها، ضمن الامارات الكردية شبه المستقلة التي كانت تظهر بين الحين و الآخر، منها الامارة او الحكومة الحسنوية التي تأسست في اواسط القرن الرابع للهجرة (اواسط القرن العاشر للميلاد)(٥٨) ، و منها ايضا الامارة العنازية التي تأسست في اواخر القرن نفسه(٥٩). و لكركوك و توابعها موقع متميز في وقائع تلك الامارات. فكان للعنازيين اخذ ورد كبيران مع السلاجقة الذين، كما تذكر حوادث سنة ٤٩٥ للهجرة(١١٠١-١١٠٢ للميلاد) استولوا "على جميع بلاد سرخاب من بدر الكردي الا داقوق وشهرزور" حيث نشأت امارة ضمت طوزخورماتو وغيرها، و قد "صارت حصة سرخاب بن بدر الكردي، وكان ذلك في زمن الخليفة المستظهر بالله ابو العباس احمد"(٦٠). و حسب "الكامل" لابن اثير و "شرفنامه" للبدليسي و غيرهما كانت داقوق في القرون الثالث و الرابع و الخامس الهجرية احد مراكز الامارات الثلاث المتتابعة الحسنوية و العيارية (العنازية) والجاوانية(٦١).

---

(٥٨)علي اكبر دهخدا، لغت نامه، شماره مسلسل ١٧١، شماره حرف شين، بخش دوم، تهران، خرداد ١٣٥٠ هـ – شمسي، محمد امين زكي، خلاصة تأريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التأريخية حتى الان، نقله الى العربية وعلق عليه محمد علي عوني، القاهرة، ١٩٣٩، ص ١٤٠-١٤١.

(59) "Encyclopedia Iranica", Vol, II, London, 1985, PP. 97-98;

"مجلة المجمع العلمي العراقي "الهيئة الكردية"، المجلد العاشر، ١٩٨٣، ص ٢٨٦.

(٦٠)للتفصيل عن ذلك تنظر: "سومر" ، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني ١٩٥٦، ص ٤٦ – ٤٧.

(٦١)عن ذلك تنظر: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد العاشر، ١٩٨٣، ص ٤٣٤.

دخلت **كركوك و توابعها**، مثل اربيل، مرارا في حوزة **الاردلانيين** الذين برزت امارتهم في القرن الخامس للهجرة، الثاني عشر للميلاد، اذ كانت حدودها تمتد احيانا الى حد **الزاب الكبير**، و كانت امارة قوية، منظمة، اعترف بها حتى جنكيز خان، و عجز الجلائريون الذين حكموا العراق في القرن الرابع عشر للميلاد، عن احتوائها. يعد **لونگريگ اردلان** افضل امارة ظهرت في المنطقة "من حيث الحضارة او الحكم الملكي" قبل الاحتلال العثماني للعراق، حتى انه يصفها **بالإمبراطورية** اكثر من مرة(٦٢).

كركوك و توابعها في العهد العثماني

بعد ان قضى الصفويون على الآق قويونلو، و اسسوا دولتهم في مطلع القرن السادس عشر انتقل اليهم حكم **شهرزور**، لكن ذلك لم يدم طويلا لان العثمانيين الذين سبقوهم في تأسيس دولة قوية مترامية الأطراف احسوا بخطرهم، فدخلوا معهم في صراع مستفحل طويل دشنته معركة چالديران المعروفة في العام ١٥١٤.

في خصم الصراع العثماني ـ الصفوي برز الكرد قوة فاعلة، لهم وزنهم في تقرير مصير ذلك الصراع. انتهج سلاطين آل عثمان سياسة حكيمة استهدفت كسب الكرد الى جانبهم، مستفيدين من التذمر العام الذي احدثته سياسة مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل (١٤٨٧ – ١٥٢٤) في

(62)S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, PP. 5-6.
(في الترجمة العربية لجعفر خياط، بغداد، الطبعة الخامسة، ص ١٨)

صفوفهم، اذ "كان يرفض كل ماهو كردي"(٦٣) بدافع مذهبي جعله يسلط عليهم القبائل التركمانية الشيعية. بدءا استغل الامراء الكرد الهزيمة النكراء التي الحقتها قوات السلطان سليم بقوات الشاه اسماعيل، فاستعاد معظمهم مواقعهم التي فقدوها في ظل حكم الصفويين والآق قوينلو، منهم "سيد بك بن شاه علي امير السوران ـ السهران" الذي "استرد بلاد كركوك واربل"(٦٤). ورد عن ذلك في "شرفنامه" (اواخر القرن السادس عشر) الآتي نصه:

"مير سيدي بن شاه علي بك، هو الابن الصغير للشاه علي بك. وقد اشتهر بين حكام كردستان بالشجاعة و السخاء و الكرم. سكن بعد وفاة والده الموضع المسماة شقاباد (شقلاوه)، و اقدم على محاربة پيربوداق حاكم بابان طالبا دم اخيه الامير عيسى. فبعد ان تمكن من قتل پيربوداق هذا ضم بلاد اخيه الى إمارته. ثم انثنى على (الصفويين) القزلباش، و حاربهم محاربة شديدة حتى انقذ سناجق الموصل و كركوك و اربل من ايدي عمالهم، وضمها الى بلاده، فحكم ردحا من الزمن بلاد سهران وملحقاتها حكما استقلاليا"(٦٥).

---

(٦٣) محمد امين زكي، المصدر السابق، ص ١٧٤-١٨٣، كمال مظهر، دراسات في تأريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢٩.

(٦٤) محمد امين زكي، المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٦٥)شرف خان البدليسي، شرفنامه، الجزء الاول، طبعة القاهرة، ترجمة محمد علي عوني بتكليف من وزارة التربية والتعليم، ص ٢٧١، طبعة بغداد، ترجمة ملا جميل رؤزبياني بتكليف من المجمع العلمي العراقي، الجزء الاول، ص ٢٧٧، الطبعة الروسية، ترجمة ڤاسيليڤا، الجزء الاول، موسكو، ١٩٧٦، ص ٣٢٤.

يقول المؤرخ العراقي المعروف عباس العزاوي عن زعيم الامارة السورانية مير سيدي بن شاه علي بيك: "و هذا توسع حكمه الى اربل، بل زاد نطاق حكمه الى انحاء كركوك و الموصل"(٦٦).

و قبل ان ينسحب السلطان سليم من اراضي الدولة الصفوية استعان بالشيخ حكيم الدين ادريس بن حسام الدين علي البدليسي ليتصل بأمراء الكرد من اجل كسبهم الى جانب السلطان، اذ كان يتعذر عليه الاحتفاظ بقواته في المناطق الكردية التي تم تحريرها من قبضة الصفويين، و التي لم تدخل القوات العثمانية معظمها اصلا. كان الادريسي من مشاهير الكرد و "نوابغ عصره في العلم و الادب"، تمتع بنفوذ ديني و دينوي واسع، و باسلوب ديبلوماسي في التعامل جعله من اقرب المقربين للسلطان. يقول المؤرخ الانكليزى المختص بتأريخ الدولة العثمانية كريسي (E.S.Creasy) عن الشيخ البدليس انه كان "صاحب القدرة الادارية العالية في تنفيذ القرارات"(٦٧). لذا لاغرو ان عهد السلطان سليم اليه امر تنظيم المناطق الكردية من الناحية الادارية، وارسل اليه فرامين موقعه على البياض حتى يملأها حسبما يراه.

تمكن ادريس البدليسي بدهائه من ضمان ولاء عدد كبير من الامراء الكرد و مناطق نفوذهم للسلطان العثماني، على ان يحتفظوا بقدر كبير من الاستقلالية في ادارة شؤون تلك المناطق. و باعتراف عدد كبير من المصادر

---

(٦٦)عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص ٤٢.

(٦٧)مقتبس في: الدكتور سيار كوكب جميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦ - ١٩١٦، الموصل، ١٩٩١، ص ٨٦.

العثمانية و العراقية و العربية و الاجنبية والكردية كانت كركوك وتوابعها احدى تلك المناطق التي ادخلها البدليسي في حوزة العثمانيين في العقد الثاني من القرن السادس عشر، مع احتفاظ الزعماء الكرد بكامل سيطرتهم عليها(٦٨). و فيما يلي نقتبس ماورد على لسان مؤلفين اجنبيين بهذا الصدد:

يقول الشيخ وحيد الباكستاني، و هو جامعي يحمل شهادة ماجستير في الآداب و بكلوريوس في القانون، يقول: "و قد لقيت مهمة البدليسي نجاحا منقطع النظير، اذ استطاع عقد معاهدات مع كل من شرف بيك البدليسي.. و اسرة بدرخان العظيمة الشأن في جزيرة ابن عمر و امراء اربيل وكركوك والسليمانية وخلفاء اسرة بابان الكبيرة والبيك الكردي في دياربكر.."(٦٩). و يضيف المؤلف نفسه الى ذلك قوله في مكان آخر من كتابه:

"كان هدف السلطان التركي من وراء هذا التحالف هو ضمان سلامة حدوده من عدوه اللدود ملك فارس. و بمرور الزمن تمكن الملا ادريس من تكوين تسع ولايات في البلاد الكردية تعرف باسم الحكومات، و كانت كل حكومة مستقلة تماما عن الحكومات الاخرى، وعن السلطان التركي، ويحكمها (اغا) زعيم اقوى القبائل المقيمة في المنطقة، و اوسعها نفوذا. و كان لكل اغا في كل حكومة جيشه الخاص، و محاكمه الخاصة، و كان بعضهم يضرب السكة باسمه، غير ان مشكلة العملة في

---

(٦٨)ينظر على سبيل المثال في: عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص ٢٥٢، محمد امين زكي، خلاصة تأريخ الكرد وكردستان..، ص ١٧٦-١٧٧، المقدم الشيخ عبدالواحيد، المصدر السابق، ص ١١٨-١٢٠، Safrastian, Kurds and Kurdistan, London, Harvill Press, 1948, PP. 39-40, 103.

(٦٩)المقدم الشيخ عبد الوحيد، المصدر السابق، ص ١١٩.

كردستان لم تكن مشكلة عويصة، اذ ان معظم التجارة كانت على اساس المقايضة.. و كان من بين الحكومات التي انشئت بهذه الطريقة اربيل و كركوك و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكاري و ساسون و آميدي (العمادية) و بدليس، وكانت هذه الامارات المستقلة تقام بموجب فرمان سلطاني.."(٧٠).

اما مؤلف كتاب "الكرد وكردستان" ارشاك سافرستيان فيقول بصدد الموضوع نفسه ما نصه:

"دشن النصر العثماني في چالديران (سنة ١٥١٤) بداية تأريخ العشائر الكردية الحديث. فبفضل جهود الملا ادريس، و هو من مدينة بدليس، غدا التوزيع الجغرافي للعشائر الكردية و اقسامها و اسماء مناطقها و زعمائها اكثر وضوحا. كان هذا السياسي الكردي سكرتير دولة لدى يعقوب خان، احد مدعيي التاج الايراني، قدم خدمات جلى للسلطان سليم بارشاده في شؤون كردستان و ارمينيا. في العام ١٥١٥ ارسله السلطان من اماسيا الى كردستان مع رسائل ود، وهدايا لكبار زعماء الكرد في گوتيوم(٧١) و زاگروس بهدف ابعادهم عن حلفائهم الفرس، و كسبهم الى الجانب العثماني. و تلبية لدعوة السلطان اعلن تسعة من دمرەبەگ (الزعماء الاقطاعيين) الكرد ولاءهم للعثمانيين. بقيت اربع عشرة عشيرة كبيرة في معاقل زاگروس و طوروس ابرم معهم الملا ادريس باسم السلطان إتفاقاً اشبه مايكون بمعاهدة ،و بعث السلطان لجميعهم فرامين تتضمن اعترافه بالزعماء بوصفهم "بگلربگا" في مناطق نفوذهم، و تنص على انتقال تلك الحقوق و الامتيازات الى ورثتهم كاملة دون المساس بقلاعهم و

---

(٧٠)المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٧١)گوتيوم (Gutium) مصطلح تاريخي يطلق على منطقة سكنى الگوتيين التي تحددها المصادر، كما اسلفنا، بالمربع الواقع بين الزاب الصغير ونهر دجلة وتلال السليمانية ونهر ديالى مع عاصمتها في ارابخا (كركوك). يطلق سافرستيان نفسه على گوتيوم اسم "الموطن الاصلي للعنصر الكردي"(P. 45).

حصونهم و اراضيهم. انهم منحوا لقب الحكومات الكردية (Kurdish Hukumates) على ان يلتزموا فقط بدفع ضريبة اسمية، مع تقديم عدد محدد من الخيالة المسلحين في حالة الحرب"(٧٢).

و في الملحق (أ) للفصل الثالث من كتابه يحدد سافرستيان اسماء الزعماء الاقطاعيين (الدەرەبەگ) التسعة الكرد الذين اعلنوا ولاءهم للسلطان، وهم كل من "شرف بيك البدليسي و ملا خليل، وورثة سعرد و حصن كيف (على دجلة) الذين ابعدوا الحاميات الفارسية من تلك القلاع، و محمود بيك من سامسون، و بدرخان الكبير حاكم جزيرة ابن عمر، و الامراء الوراثيين لاربيل وكركوك والسليمانية، المناطق التي تؤلف معا مملكة بابان، او مملكة شهرزور القديمة تقريبا.. و بيك دياربكر الكردي و جمشيد بيك المقدسي ومرتد ارمني من پالو"(٧٣).

بعد ذلك يحدد سافرستيان في الملحق (ب) للفصل الثالث اسماء "الحكومات الكردية التسع "و هي" حكومات اربيل و كركوك و السليمانية و حصن كيف و جزيرة ابن عمر و هكارى و سامسون و العمادية و بدليس"التي سميت، كما يقول، بـ "اكراد حوكماتي" (Ekrad Hukmaiti)(٧٤).

يضيف سافرستيان الى ماسبق حقيقة مهمة اخرى بالنسبة لموضوعنا حين يشير الى ان "مشروع الملا ادريس استهدف اساسا حماية الحدود من

(72)A. Safrastian, Kurds and Kurdistan, PP. 39-40.
(73)Ibid, PP. 102-103.
(74)Ibid, P. 103.

غزو تشنه بلاد فارس في المستقبل. ان الحدود بين انهر ديالى والزابين (وهي المنطقة التي تقع كركوك و توابعها في قلبها)(٧٥) كانت تصان من قبل الحكومات الكردية"(٧٦).

تعزز الوجود العثماني في المنطقة، و في كل العراق، بصورة فعلية في عهد السلطان سليمان القانوني الذي دخل بغداد على راس جيشه سنة ١٥٣٤ عن طريق تبريز- السليمانية، فتعد تلك السنة بداية العهد العثماني بالنسبة للعراق ككل. وضع العثمانيون بعد ذلك نظاما اداريا جديدا للعراق، قائما على أساس نظام الايالات الذي طبقوه على بقية احزاء الامبراطورية "مراعين بعض الأسس والأوضاع السائدة، و على الأخص فيما يخص الاكراد في القسم الشمالي و الشمال الشرقي من البلاد، والعشائر العربية في الأقسام الجنوبية و الجنوبية الغربية"(٧٧).

قسم العراق حسب النظام الاداري الجديد على اربع ايالات هي بغداد و الموصل و البصرة و شهرزور. كانت"حدود ايالة شهرزور هي ايالة بغداد من الجنوب، و الموصل و حكومة عمادية من الغرب، و حكاري (هكاري) و اذربيجان من الشمال، و بلاد فارس من الشرق"(٧٨)، بمعنى ان كركوك و

---

(٧٥)العبارة التي وضعت بين القوسين الكبيرين اضيفت من قبلنا من اجل التوضيح.

(76)A. Safrastian, Kurds and Kardistan, P. 44.

(٧٧)خليل علي مراد، تأريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (١٠٤٨-١١٦٤ هـ/ ١٦٣٨-١٧٥٠م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٤٤-٤٥.

(٧٨)المصدر نفسه، ص ٦٠.

توابعها كانت تقع في قلب الايالة، و تمثل جزءا اساسيا منها. فان اوليا چلبى عندما يتحدث عن الزاب الصغير يقول انه "نهر يقع في ايالة شهرزور"، و يقع الزابان الصغير و الكبير، كما هو معروف، الى الشمال من كركوك. و لم يتغير واقع ايالة شهرزور على مدى القرون التالية الا قليلا، و كان التغيير في بعض الحالات يجري لصالحها. فان الاستاذ الجامعي المصري المتخصص في تأريخ العراق الحديث الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار يشير الى ان امارة بهدينان، مع عاصمتها العمادية، كانت تتبع احيانا كركوك التي غدت، كما نبين، مركزا لايالة شهرزور(٧٩). وحدد الممثل الروسي في لجنة تخطيط الحدود بين الدولة العثمانية و ايران في ١٨٤٩ ـ١٨٥٢ چيريكوف الحدود نفسها تقريبا لايالة شهرزور في ملاحظاته التي نشرها سنة ١٨٥٧، و هي ايالتا الموصل و حكاري (هكاري) شمالا، و ايالة بغداد جنوبا، و نهر دجلة غربا، والحدود الايرانية شرقا. و كانت الايالة تتألف، كما ورد في ملاحظاته، من سناجق كركوك و اربيل و كويسنجق و السليمانية و رواندوز و حرير، اما "مركزها فكانت مدينة كركوك"(٨٠). و بحكم واقع حجمها، و امكاناتها تحولت "ايالة شهرزور" الى "الند الاكبر لايالة بغداد" قبل ان تتعزز السلطة المركزية في العهد العثماني(٨١).

---

(٧٩)الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١١٨.

(80)E. I Chirikov, Putevoy Journal Russkovo Comisara- Posrednika po Turetsko- Persidskomu Razgranichenio 1849-1852 gg.,- "Zapiski Kavkzskovo Otdelenia Imperatorskovo Russkovo Geographicheskovo Obshestva", Kn., IX, Tiflis, 1857, P. 457.

(81)S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 209.

سجل اهم مصدرين عثمانيين كلاسيكيين هذه الحقائق بصورة واضحة، لا لبس فيها. المصدر الأول هو كتاب "سياحتنامه" للرحال التركي الشهير اوليا جلبي(٨٢) الذي زار المنطقة بنفسه، و درسها عن كثب في القرن السابع عشر، أي بعد مرور قرن على دخولها في حوزة العثمانيين. ورد في الصفحة ٧٤ ـ ٧٥ من الجزء الرابع من كتابه "سياحتنامه" ان تسع ولايات في عهده كانت تؤلف كردستان، و هي ارضروم و وان و هكاري (حكاري) و دياربكر و جزير (جزيرة ابن عمر) و العمادية و الموصل و شهرزور (وكانت كركوك تدخل ضمنها) و اردلان، و قال عنها ان "المرء يحتاج الى سبعة عشر يوما لقطعها"(٨٣). وحسبما ورد في الصفحة ١٨٨ من الجزء الأول من "سياحتنامه" فان ايالة شهرزور كانت مقسمة في القرن السادس عشر على عشرين سنجقا. و كان السنجق يقابل اللواء، او ما يعرف بالمحافظة حاليا، وكان يؤلف الوحدة الاساسية في ادارة الايالة او الولاية في العهد العثماني.

(في الترجمة العربية، ص ٢٥١).

(٨٢)هو محمد بن ظلي درويش المعروف باوليا جلبي، من مواليد اذار ١٦١١، تختلف المصادر في تحديد سنة وفاته بين ١٦٧٩ و ١٦٨٢ و ١٦٨٣. قام برحلات طويلة الى ممتلكات الدولة العثمانية وغيرها، وسجل ملاحظات دقيقة عنها نشرت في عشرة اجزاء في إستانبول في غضون الفترة الممتدة بين عامي ١٨٩٦ و ١٩٣٨.

(٨٣) عن ذلك ينظر كذلك في الطبعة الاخيرة من "دائرة المعارف الاسلامية":
Th. Bois, Kurds, Kurdistan, -"The Encyclopedia of Islam", Leiden, 1981, P. 439.

أكد كاتب چلبى، و هو جغـرافي و بيبليوغـرافي تركـي معـروف(٨٤)، عـاصر اوليا چلبى، جانبا كبيرا من الحقائق نفسها في الصحيفة ٤٤٥ ـ ٤٤٨ من كتابه "جهان نما". و حسب قائمـة الأخـير ارتفـع عـدد سـناجق ايالـة شهرزور في منتصف القرن السابع عشر الى ٣٢ سنجقا، اهمها قاطبة كان سنجق كركوك، و هو سنجق او مقـر الباشـا، لذلـك كـان يطلـق اسمـه احيانـا علـى كـل ايالـة شهرزور، فيسمى ايالة كركوك. و كـانت السـناجق الاخـرى الداخلـة بضمنـها كرديـة جميعـها ايضـا، اهمـها، فضـلا عـن منطقـة شـهرزور نفسـها، اربيـل و حمريـن و كويسـنجق و حريـر و شـهربازار (مركزهـا چوارتـا) و مرگـه (في قضـاء پشـدر) و مخمـور، بـل و حتـى اشـنو الـتي تدخـل حاليـا ضمـن الاراضي الايرانية.

اقـرت هـذه الحقـائق، الثابتـة تأريخيـا، المصـادر الرسميـة و الدراسـات الجامعيـة العراقيـة مـرارا(٨٥)، منـها آخـر مصـدر موسـوعي اصدرتـه وزارة الثقافة والاعلام سنة ١٩٨٥ كما يقر الشيء نفسه المؤرخون المختصون العرب مـن غـير العراقيـين، منـهم الدكتـور عبدالعزيـز سـليمان نـوار الـذي ذكـر في كتابه "تأريخ العراق الحديث" ما نصه:

---

(٨٤)هو مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة المعروف بكاتب جلبى، ولد سنة ١٦٠٩ وتوفي سنة ١٦٥٧.

(٨٥)ينظر على سبيل المثال، "الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، ص ٥٠ـ٥٢، خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني، ص ٦١ـ٦٢.

"و عندما اكتمل الفتح العثماني للعراق اصبح يتالف من اربع ولايات، هي الموصل و شهرزور و بغداد و البصرة.. و الى الشرق من ولاية الموصل (٨٦)كانت توجد ايالة شهرزور (كردستان).. اما ايالة شهرزور (كردستان) فلم تعمر طويلا (اداريا)، ويرجع ذلك الى ان السلاطين العثمانيين اتبعوا سياسة الاعتراف بحكم العصبيات المحلية. وكان كردستان مليئا بالامارات والعشائر الكردية السنية التي وقفت في وجه الغزو الفارسي، وشدت ازر العثمانيين خلال حروبهم ضد الفرس. وعلى رأس هذه الامارات الامارة السورانية والبهدينانية والبابانية، فأبقوا هؤلاء الامراء على اماراتهم، وكانت لاتزال امارات صغيرة. ولكن هذا النظام تطور الى استبداد هؤلاء بالسلطة، حتى لم يعد للولاة اية قدرة على ادارة الأمور هناك، فترك العثمانيون امر كردستان لامرائه تحت اشراف ولاة بغداد. وكانت كركوك مقر هذه الايالة"(٨٧).

سجلت اهم دوائر المعارف المهتمة بقضايا العالم الاسلامي الحقائق ذاتها. ففي مقالة "كركوك" في الطبعة الأولى لـ "دائرة المعارف الاسلامية" ورد ان "ولاية شهرزور ضمت ٣٢ سنجقا، كانت كركوك واحدة منها، و تحولت مدينة كركوك منذ ذلك الوقت الى المقر الرسمي لباشوات شهرزور"(٨٨).

كان ولاة شهرزور، وحكام كركوك الأوائل من الزعماء الكرد المعروفين في زمانهم. فان اول وال لايالة شهرزور في العهد العثماني كان الزعيم الاردلاني بيگه بك. كما ان اول حاكم (محافظ) عين لسنجق كركوك في عهد سليمان

---

(٨٦)في النص: منها.

(٨٧)الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٧-٨.

(88)J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

القانوني كان مأمون بيك بن بيگەبك بمرتب قدره ٣٠٠ الف اقچه سنويا كما هو مثبت في مذكرات مأمون بيك نفسه الذي كتبها في العام ١٥٧٤ باللغة التركية، وهي عبارة عن "مخطوطة نفيسة" عثر عليها في مكتبة المجمع العلمي العراقي الباحث التركي عصمت پارماقستر اوغلو، فحققها، و نشرها في مجلة "بولتن" في العام ١٩٧٣(٨٩).

عقب وفاة بيگەبك، والد مأمون بك، في العام ١٥٥٠ منح الأخير ايالة شهرزور. كما ان محمدا، نجل مأمون بك "عمل هو ايضا فترة من الزمن" محافظا للواء (سنجق) كركوك. و يبدو واضحا من مضمون المخطوطة نفسها ان الأمراء الكرد كانوا يؤدون في ذلك العهد الدور الحاسم في تعيين ولاة كركوك و حكامها(٩٠). و هنا يجدر بنا ان نشير ايضا الى ان الصفويين حين اعادوا سيطرتهم على المنطقة في عهد الشاه طهماسب الأول (١٥٢٤ــ١٥٧٦) بصورة مؤقتة فانهم عهدوا حكم كركوك الى زعيم كلهري كردي(٩١).

لم يطرأ تغيير يذكر على الواقع الاداري لكركوك و توابعها ضمن ايالة شهرزور على مدى حقبة تأريخية طويلة في ظل الحكم العثماني. فبعد ان استعاد السلطان مراد الرابع العراق في العام ١٦٣٨ من الصفويين الذين كانوا قد احتلوه في عهد الشاه عباس الكبير (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩)، لم يجر أي تغيير على

---

(٨٩)للتفاصيل تنظر، "مذكرات مأمون بك بن بيگه بك"، نقلها الى العربية وعلق عليها محمد جميل الروزبياني و شكور مصطفى، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٠، ص ٣،٧،١٠، ١٢، ٦٠-٦٢، ٧٤،٧٦.

(٩٠)المصدر نفسه، ص ١٠ـ١١.

(٩١)عباس العزاوي، العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص ٢٥٢.

التقسيم الاداري للبلاد سوى ماجرى من دمج ايالة البصرة بايالة بغداد، فأصبح العراق يتألف من ثلاث ايالات هي بغداد و الموصل و شهرزور. ولكن في اوائل القرن الثامن عشر انفصلت ايالة الموصل عن باشا بغداد، و خضعت زمنا لايالة دياربكر، كما انفصلت من بعدها ايالة شهرزور مع مركزها كركوك(٩٢).

في تلك المرحلة كانت سلطة پاشا بغداد، في كل الاحوال، سلطة اسمية بالنسبة لايالة شهرزور، الظاهرة التي لاحظها المراقبون الاجانب ايضا. ففي عهد اقوى الولاة واشهرهم في تلك الايام، ونقصد به داود پاشا (١٨١٦ ــ ١٨٣١)، الذي قيل عنه ان العراق اصبح "في عهده، و لاول مرة بلدا موحدا وقويا" سجل الرحالة الإنكليزي جيمس ريموند ولستيد(٩٣) الملاحظة الآتية:

"لقد اتسعت سلطة الولاية اسميا اثناء زيارتي، فراحت تمتد من البصرة جنوبا الى ماردين شمالا". ثم يضيف "غير ان الكثير من هذه الاراضي يحتله البدو الاكراد الذين كان اعترافهم بسلطان الپاشا اسميا وليس حقيقيا"(٩٤).

استوجبت التغييرات الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية العميقة التي شهدتها الامبراطورية العثمانية منذ العقود الاولى من القرن التاسع عشر اثر اندماجها بالأسواق الرأسمالية العالمية، اجراء اصلاحات ادارية امتدت آثارها،

---

(٩٢)"الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦"، ص ٥٠، "دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠"، ص ٩٣.

(٩٣)في كتابه،

J.R.Wellsted, Travels to the City of Caliphs, London, 1840.

(٩٤)"رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا" للرحالة الانكليزي جيمس ريموند ولستيد، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٤، ص ٦٤،٧.

بطبيعة الحال، الى الايالات العراقية ايضا، لكن دون ان يترك ذلك أي اثر ملموس على الرابطة القومية و الادارية بين المناطق الكردية، بما فيها كركوك و توابعها.

صدر قانون اداري جديد للايالات العثمانية في تشرين الثاني ١٨٦٤ في ضوء القانون الاداري الفرنسي، و الذي استهدف اعادة تنظيم الايالات، و تعزيز ربطها بالمركز. و في كانون الاول سنة ١٨٧٠ صدر نظام ادارة الايالات على اساس القانون الجديد. طبق مدحت باشا الاسس الادارية الجديدة في عهد ولايته على العراق (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢).

قسم مدحت پاشا العراق الى ايالتين، هما بغداد و الموصل، فدخلت كردستان العراق برمتها، بإستثناء خانقين و توابعها، ضمن ايالة الموصل التي اصبحت تتألف من ثلاثة الوية هي الموصل و كركوك و السليمانية. و قد ضم لواء كركوك قضاء كركوك مع نواحي داقوق و التون كوپرى و گيل و ملحة و شوان، فضلا عن قضاء اربيل مع ناحيتي سلطانية و دزهيى، و قضاء راوندوز مع نواحي حرير و قوش تپه و بالَهك و شيروان، و قضاء رانية مع ناحية بيتواته، و قضاء صلاحية (كفري) مع ناحية طوزخورماتو و قرهتپه، و قضاء كويسنجق مع ناحية باليسان و شقلاوة، بمعنى ان الجزء الأكبر من اقليم شهرزور التأريخي بقي مرتبطا بكركوك، بل استمرت المصادر تنعت مدينة كركوك بـ "عاصمة شهرزور"(٩٥). و جاء في القرار الصادر في عهد

---

(٩٥)ينظر على سبيل المثال،
J.H.Kramers, Kirkuk, - "The Encyclopedia of Islam", Vol. II, P. 1028.

مدحت باشا: "٢- كركوك، ويسمى لواء شهرزور"(٩٦). و في التاسع عشر من رجب سنة ١٢٨٩ للهجرة، الموافق للثاني و العشرين من ايلول سنة ١٨٧٢ نشرت صحيفة "زوراء" الرسمية قرارا يقضي بجعل متصرفية السليمانية قضاء، او قائممقامية ربطت بدورها بلواء شهرزور، أي كركوك(٩٧). و على الرغم من أن مفعول هذا القرار لم يدم طويلا، الا انه يعكس مدى الرابطة العضوية القوية بين كركوك و بقية المناطق الكردية في العراق، الظاهرة التي سوف نلاحظها ثانية في عهد الانتداب البريطاني على العراق بالنسبة للروابط الادارية بين كركوك و السليمانية.

و على الرغم من الاصلاحات الادارية في عهد مدحت باشا فان مصطلح "ايالة شهرزور" لم يختف من نصوص القوانين والتعليمات العثمانية اللاحقة، و بارتباط مباشر بكركوك. ففي القانون الصادر عن الباب العالي "بتأريخ ١٣٠٨ الموافق ١٨٩١ ميلادية" ظهر اسم "ايالة شهرزور"، مع تحديدها على اساس انها عبارة "عن لواء كركوك بما فيه لواء اربيل"(٩٨). ثبتت الحقيقة نفسها في الكتب المدرسية العثمانية. فقد ورد في كتاب "الجغرافية" من تأليف أحمد بك حمدي، المنشور في شعبان ١٢٨٨هـ/ تشرين

---

(٩٦)عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء السابع، ص ١٦٨.

(٩٧)نشر المؤرخ العراقي المعروف عباس العزاوي بدوره هذه المعلومة في الص ١٣ من الجزء الثامن من كتابه المصدر "تأريخ العراق بين احتلالين".

(٩٨)مقتبس في، "تقرير حزب الامة عن قضية الموصل. رفعت الهيأة المركزية لحزب الامة هذا التقرير الى لجنة الحدود التي انتدبتها عصبة الامم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق وتركية"، بغداد، ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٥ م، ص ٢٣.

الأول ١٨٧١م، و الذي كان يدرس رسما في المدارس التركية ان الوية العراق كانت "بغداد و الموصل و سليمانية و شهرزور، اي كركوك و في ضمنه اربيل، و ديوانية و بصرة ومنتفك و كربلاء"(٩٩).

لم يتغير هذا الواقع لغاية الحرب العالمية الاولى كما هو مثبت في السالنامات العثمانية التي تعد اهم مصدر بالنسبة لمثل هذه الموضوعات. فبموجب سالنامة ١٣٢٩/١٩١١ كان سنجق كركوك يتألف من اربيل و رواندوز و كويسنجق و رانية و الصلاحية (كفري) و جميع توابع هذه البلدات(١٠٠).

ومن المهم جدا أن نشير الى أن الدولة العراقية الحديثة التي تأسست بعد الحرب العالمية الأولى أقرت في بداية عهدها التقسيم الإداري نفسه بالنسبة لكركوك وتوابعها، وللتوضيح ننقل أدناه من مصدر سري خاص بالحكومة العراقية"فقط" نص قرار إتخذته الحكومة المؤقتة التي تألفت برئاسة عبدالرحمن النقيب بهذا الخصوص في جلستها المنعقدة بتأريخ ٢٨نيسان ١٩٢١ بحضور جعفر العسكري وساسون حسقيل ومصطفى الآلوسي وعزت باشا الكركوكلي ومحمد مهدي بحر العلوم ومحمد علي فاضل بوصفهم وزراء في الحكومة العراقية المؤقتة. كما حضر الإجتماع نفسه عدد من الشخصيات المعروفة من أمثال فخرالدين آل جميل وعبدالمجيد الشاوي وعبدالرحمن باشا الحيدري وعبدالغني جلبي آل كبة وداود يوسفاني وعبدالجبار خياط وعجيل

---

(٩٩)مقتبس في المصدر نفسه، ص ١٧.

(١٠٠)عن ذلك ينظر كتاب الامين العام السابق للمجمع العلمي العراقي الدكتور يوسف عزالدين، داود باشا ونهاية المماليك في العراق، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٧٦، ص ٧.

باشا السرمد زعيم عشيرة الزبيد ، كما "حضر الجلسة ايضاً جناب السر أدكار بوتهام كارتز مستشار وزارة العدلية، وجناب المستر فيلبي مستشار وزارة الداخلية". يقول نص القرار حرفياً :

"تلي كتاب من وزارة الداخلية مرقم ٧٧١١ ومؤرخ في ٢٥.٢٣ نيسان سنة ١٩٢١ متعلق بالتقسيمات الإدارية والمالية في لواء كركوك فوافق مجلس الوزراء على إقتراح وزارة الداخلية . أما التقسيمات المقترحة فهي كما يأتي:

الأقضية	النواحي	الشعب
١- كركوك	١- ملحة	كركوك
	٢- التون كوبري	
	٣- شوان	
	٤- قره حسن	
	٥- طاوق	
٢- كفري	١- طوز خورماتو	كفري
	٢- زمنگنه	
	٣- قرمتپه	
٣- أربيل	١- مخمور	اربيل
	٢- قوش تپه	
	٣- گوير	
	٤- شقلاوه	
٤-كويسنجق	١- طق طق	كويسنجق

٥- رواندوز ١- ديرة رواندوز
٢- برادوست
٣- شيروان
٤- بالك "منطقة عشائر"(١٠١)

وأقرت الحكومة العراقية الأمر نفسه بعد تتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق ، بما في ذلك أن تبقى أربيل إدارياً تابعة لكركوك بوصفها "شبه لواء "يديرها "نائب متصرف"مرتبط بمتصرف لواء كركوك بصورة مباشرة(١٠٢).

كما ورد في مصدرين رسميين عراقيين، الاول منهما من العهد الملكي، و الثاني من العهد الجمهوري، الآتي نصه بخصوص التقسيم الإداري السابق للمنطقة الكردية :

"قبل الحرب العظمى (القصد الحرب العالمية الاولى) كانت تقسيمات العراق الادارية هكذا:

١-ولاية بغداد..

٢-ولاية الموصل:

أ-متصرفية الموصل: مركزها الموصل، اقضيتها الموصل، دهوك، زاخو، زيبار، عقرة، سنجار.

---

(١٠١)" قرارات مجلس الوزراء الصادرة في ١٢ تشرين الثاني ١٩٢٠الى ٢٧ حزيران ١٩٢١. سري خاص بالحكومة فقط" ، طبع في مطبعة الحكومة،بغداد ،١٩٣٠،ص ١١٣-١١٥.

(١٠٢)" قرارات مجلس الوزراء الصادرة في تموز،آب ،ايلول سنة ١٩٢١.سري خاص بالحكومة العراقية فقط"، طبع في مطبعة الحكومة،بغداد،١٩٢٩،ص ١٥،٢٨-٢٩،٤٠-٤١،١٠٠،١٠٤.

ب-متصرفية شهرزور: مركزها كركوك، اقضيتها كركوك، اربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري.

ج-متصرفية السليمانية:"(١٠٣).

سجلت افضل المصادر الجغرافية العراقية في العهد الملكي هذه الحقيقة بحذافيرها. ورد في كتاب "مفصل جغرافية العراق" للفريق الأول طه الهاشمي (١٨٨٨ - ١٩٦١) رئيس اركان الجيش العراقي و رئيس الوزراء العراقي الأسبق، و الأخ الأصغر للزعيم السياسي العراقي القومي المعروف ياسين الهاشمي، ان "ولاية الموصل" كانت تنقسم "قبل الحرب الكبرى" الى "ثلاث متصرفيات، و هي:

١-متصرفية الموصل..

٢-متصرفية شهرزور: مركزها كركوك، واقضيتها ست، وهي كركوك، اربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، كفري"(١٠٤).

اتخذت صلات كركوك و توابعها السياسية و الادارية في العهد العثماني طابعا آخر، خاصا ارتبط بتأريخ الامارات الكردية الذي امتد حتى اواسط القرن التاسع عشر.

---

(١٠٣)"الدليل الرسمي العراقي لسنة ١٩٣٦"، ص ٥١-٥٢؛ "دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠"، ص ٩٤.

(١٠٤)طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٣٠، ص ٥٥٠.

كركوك و الامارات الكردية في العهد العثماني

لم تنقطع علاقات كركوك و توابعها بالامارات الكردية، و التي ظهرت بوادرها في العصور الاسلامية المتأخرة كما سبق الذكر. فبالنسبة للامارات الكردية الحديثة (اردلان، بابان، سوران) انها (كركوك وتوابعها) اما كانت تتحول الى جزء منها، او الى مسرح لأهم احداثها، و وقائعها.

قبل كل شيء لاحظنا ان الاردلانيين هم الذين تولوا حكم كركوك وتوابعها في عهد سليمان القانوني في النصف الأول من القرن السادس عشر. في مقالته "كركوك" في "دائرة المعارف الاسلامية" يقول كريمر، و هو من كبار المستشرقين باعتراف المصادر العربية المتخصصة(١٠٥)، عن نفوذ الاردلانيين في كركوك مانصه:

"ان السادة الحقيقيين للمنطقة (كركوك و توابعها) كانوا، على أي حال، الزعماء الكرد في مقاطعة اردلان"، و هو يستند في كلامه هذا الى الص ٤٥ من مصدر عثماني كلاسيكي اصيل هو "جهان نامه" للحاج خليفة الذي سبقت الاشارة اليه(١٠٦).

و حسب لونگريگ، و هو من افضل من درس تأريخ العراق الحديث و المعاصر، ان "پاشا كركوك العثماني" كان يضطر احيانا الى ان ينسحب من كركوك ويترك امورها لخان احمد خان زعيم امارة اردلان (توفي سنة ١٦٣٦) الذي كان له، ولزعماء كرد آخرين، دورهم الكبير في الصراع العثماني

---

(١٠٥)نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف بمصر، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٦٧٠-٦٧١.

(106)"The Emcyclopedia of Islam", Vol. II, p. 1028.

الصفوي حول المنطقة في النصف الأول من القرن السابع عشر(١٠٧). و على الرغم من ان الاردلانيين كانوا يعلنون ولاءهم للصفويين، و للعثمانيين احيانا(١٠٨)، الا انهم كانوا يتمتعون بقدر كبير من الاستقلال(١٠٩). و لابأس ان نشير ايضا الى ان هناك رأيا علميا يرجح ان يكون الاردلانيون من الكاكائيين بالأصل(١١٠)، وكما لايخفى فان الكاكائيين يؤلفون جزءا اساسيا من سكان توابع كركوك.

و حين ابعد الاردلانيون عن المنطقة في اواخر القرن السابع عشر ـ اوائل القرن الثامن عشر سيطر البابانيون عليها(١١١). لكن اسم البابانيين ارتبط بها قبل ذلك التأريخ بما لايقل عن قرنين من الزمان. فقبل انتقال المنطقة الى ايدي العثمانيين بردح من الزمن انتقل حكم كركوك الى البابانيين. ومما يذكر بهذا الصدد ان "شرفنامة" حينما تأتي على ذكر "امراء بابان" يقول عن "پيربوداق بن مير ابدال" ما نصه:

".. و ارسل عدة عمال وموظفين بلقب مير سنجق من قبله الى الاطراف و الجوانب، و منحهم الطبل و العَلَمْ، فنشر بذلك الوية العدل و الادارة الجازمة في تلك الارجاء.

---

(107) S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 45, 63-67, 98.

في الترجمة العربية ص ٦٤، ٨٥-٩٠، ١٢٥.

(108)R.N.Frye, Ardalan, "The Encyclopedia of Islam", Vol, I, Lieden- London, 1960, P. 626.

(109)"The Encyclopedia of Islam", Vol. I, Lieden- London, 1913, P. 427.

(١١٠)عن ذلك ينظر في "مجلة المجمع العلمي العراقي. الهيئة الكردية"، العدد العاشر، ١٩٨٣ ص ٤١٥ (الهامش رقم ٣٢٨) و ص ٤٢٤-٤٢٥ (الهامش رقم ٣٦٣).

(111)V. Minorsky, Shehrizur, "The Encyclopedia of Islam", Vol. IV, Lieden - London, 1936, P.345.

ثم عمد الى ناحية كركوك، من اعمال بغداد، فنزعها منها، و اسند ادارتها لاحد عماله الملازمين له. و لقد ابدع في فن الحكم والادارة بعض القواعد والأصول التي لم يسبق اليها احد من حكام كردستان"(١١٢).

كما ان بعض الباحثين المعنيين حين يتحدثون عن المقاطعات الكردية التي اعلنت ولاءها للعثمانيين بوساطة ادريس البدليسي في مطلع القرن السادس عشر يطلقون على شهرزور، بما فيها كركوك واربيل وتوابعهما، اسم "مملكة او امارة بابان"(١١٣). ومما يجلب الانتباه ان المصادر العثمانية تشير الى وجود البابانيين حتى في ماردين والرها(١١٤).

شهدت الامارة البابانية في اواخر القرن السابع عشر و اوائل القرن الثامن عشر سلسلة تطورات مهمة بارتباط مباشر بكركوك بصورة رسمية، و ذلك بعد ان اضطر الامير الباباني سليمان بك بن مامند الى اللجوء الى العثمانيين تحت ضغط الصفويين، مع العلم انه كان الى ذلك الحين "لايعبأ بالسلطان و لا بالشاه"(١١٥). لكن مصير كركوك و توابعها ظل يتقرر، مع ذلك، بتأثير مباشر من زعماء المنطقة من الكرد. فبعد ان عجز باشا كركوك دلاور في ردع زعماء شهرزور، و دفع رأسه ثمنا، بدأت كركوك تعترف بالتبعية

---

(١١٢) "شرفنامه"، طبعة القاهرة ص ٢٧٧، طبعة بغداد ص ٢٨٩-٢٩٠، الطبعة الروسية ص ٢٣٠.

(١١٣)ينظر على سبيل المثال:

Safrastian, Kurds and Kurdistan, P. 103.

(١١٤)عن ذلك ينظر: الدكتور ابراهيم الداقوقي، اكراد الدولة العثمانية، ص ٣٧.

(115)S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, PP. 80-81.

في الترجمة العربية ص ١٠٥-١٠٦

لباشوية بغداد بناء على طلب الزعماء انفسهم، فأوفد باشا بغداد الى" كركوك متسلما و كانت هذه المرة الاولى التي تعترف بها كركوك او الموصل بسلطة بغداد باعتبارها اكبر من مجرد جارة متساوية"(١١٦). لكن التبعية هذه بقيت، مع ذلك، اسمية على مدى حقبة طويلة من التأريخ. يقول لونكريگ عن حوادث تلك المرحلة:

"كانت باشويتا الشمال الموصل وشهرزور (وعاصمتها كركوك) على طول هذه المدة مستقلتين عن باشا بغداد الا عندما كانت تصدر الاوامر السلطانية بالتعاون و التآزر"(١١٧).

لم يطرأ تغيير كبير على هذا الواقع طيلة جانب كبير من القرن الثامن عشر. ففي بداية ذلك القرن كان نفوذ امارة بابان" يمتد من كركوك الى همدان"(١١٨). و في خضم الصراع بين الزعماء البابانيين تحولت كركوك و توابعها الى ساحة للعمليات العسكرية، والى نقطة لتجمع القوات الموجهة الى المنطقة من قبل الأطراف المختلفة، بل انها تحولت الى مقر اقامة عدد من الامراء البابانيين، منهم عبدالله پاشا(١١٩).

---

(116)I bid, PP. 93-94. في الترجمة العربية ص ١١٩

(117)Ibid, P. 95. في الترجمة العربية ص ١٢١

(118)Ibid, P. 159 في الترجمة العربية ص ١٩٣.

(119)Ibid, PP. 158 F, 178-180, 182F, 207- 209, 227, 233, 246

في الترجمة العربية ص ٢٨٢-٢٨٤، ٢٨٨، ٢٩٣-٢٩٤، ٢٩٧ وغيرها، عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الرابع، ص ١٦٨-١٧٠.

و في مرحلة الاصلاحات التي عاشتها الدولة العثمانية، و ما اسفر عنها من تعزيز السلطة المركزية في اواسط القرن التاسع عشر، شهدت المنطقة تقلصا واضحا لنفوذ الامارات الكردية التي بدأت تلحق اداريا بكركوك و الموصل بصورة فعلية تبعا لازدياد نفوذ العثمانيين على حساب تلك الامارات(١٢٠).

سجل جميع الرحالة الاجانب، الذين زاروا المنطقة في اوقات مختلفة، هذه الحقائق، مع غيرها بشيء من التفصيل نأتي على جوانب قسم منها في مكان آخر من هذه الدراسة. نقتصر هنا على ذكر ثلاثة نماذج فقط، الأول منها ما أورده الرحال الانكليزي جيمس بيلى فريزر في كتابه الذي نشر بجزأين بعنوان "رحلات في كردستان و بلاد مابين النهرين"(١٢١) اثر سياحته فيهما سنة ١٨٣٤. و لكلام فريزر اهميته لالمجرد كونه شاهد عيان، بل ايضا بوصفه "رجلا مهنته الكتابة"، سافر "من استانبول الى ايران بمهمة ديبلوماسية و قطع المسافة على ظهور الخيل "،و لأنه كان يسجل في رسائل متتالية الى زوجته "بشيء غير يسير من التفصيل.. كل ما كان يرى في طريقه، او يفكر فيه" حسب وصف افضل مترجم عراقي له(١٢٢).

---

(120)Ibid, P. 280 .في الترجمة العربية ص ٣٣٦.

(121)J.B.Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia, London, 1840.

(١٢٢)المقصود جعفر خياط، من مقدمته لذلك الجزء من كتاب فريزر الذي عربه ونشره بعنوان "رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤"، اما عن كون "مهنة فريزر الكتابة" فقد اشار الى ذلك لونكريك. ينظر:
S.H.Longrigg, Four Centuries.., P. 337.

في رسالته الثالثة المؤرخة في السابع عشر من تشرين الأول ١٨٣٤ يقول فريزر عن محمد باشا، امير رواندوز، انه "مديده ايضا الى الغرب والشمال، و توفق في ذلك، بحيث اصبح الآن مسيطرا على قسم كبير من شمالي مابين النهرين، الى جانب الاصقاع الممتدة من اربيل الى كركوك في الجانب الشرقي من دجلة".

قبل فريزر باربع عشرة سنة استقبل محمد اغا، الذي كان يشغل منصب "ايشك اغاسي" (رئيس التشريفات) في ديوان الامير البابانى محود باشا، استقبل باسم الامير المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج في طوزخورماتو يوم التاسع والعشرين من نيسان عام ١٨٢٠ وهو في طريقه الى مقر الأمير في السليمانية. يقول ريج عن محمد اغا انه "عين مهماندارا لنا، وجلب لي (الى طوزخورماتو) رسالة رقيقة جدا من محمود باشا"(١٢٣).

اما الميجر سون الذي زار المنطقة متنكرا في سنة ١٩٠٨ فقد ذكرما يأتي عن امير كردي آخر:

"وبعد سنوات قليلة امتلك محمد باشا، و هو من البابانيين ايضا، سطوة عظيمة في رواندوز، و طالب بدوره بالاستقلال القومي، و استطاع ان يمتلك بلاد مابين النهرين العليا، واربيل وكركوك فعلا"(١٢٤)

---

(123)C. J. Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, London, 1836, P. 33.

(124)E. B. Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguse with historical notices of the Kurdish Tribes and Chaldeans of Kurdistan, Second Edition, London, 1926, PP. 371_372.

في الترجمة العربية لفؤاد جميل، الجزء الثاني بغداد، ١٩٧١، ص ١٤٨.

تحتل هذه الحقائق، في الوقت نفسه، مكانة بارزة في الدراسات الأكاديمية التي كرست لتأريخ المنطقة الحديث، الاجنبية منها والعربية على حد سواء، لقد تطرق اليها البروفيسور خالفين(١٢٥)، والدكتور جليلي جليل(١٢٦) وآخرون غيرهما.

و يهمنا ان نسجل هنا بصورة خاصة ماذكره بهذا الصدد عدد من الباحثين العرب من عراقيين و غيرهم. فحسب الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار "امتد نفوذ امارة بابان(١٢٧) الى كركوك التي كانت قاعدة ايالة شهرزور. و يرجع الغاء هذه الايالة من التقسيمات الادارية للعراق الى ان الامارة البابانية اصبحت هي القوة البارزة في تلك الجهات. نظرا لاتساع هذه الامارة خلال الجزء الأخير من القرن الثامن عشر و اوائل القرن التاسع عشر اصبح يطلق على الحاكم الباباني اسم باشا كردستان"(١٢٨).

يقول المؤرخ و الديبلوماسي العراقي الدكتور علاء موسى كاظم نورس "و أخذت الاسرة البابانية تتوسع على حساب الامارات المجاورة لها مثل الصورانية و البهدينانية، حتى اصبحت تسيطر على رواندوز و كفري و كويى و حرير و قزلجة و سروجك و قرهداغ و أربيل، و امتد نفوذها الى

---

(125) N. A. Khalfin, Borba za Kurdistan, Moscow, 1963, P. 18.
(126)J.Jalil, Kurdi Osmanskay Imperii v perrvoy polovne XIX veka ,Moscow, 1973, PP. 52, 60.

(١٣٧)في النص :نفوذها.

(١٢٨)لدكتور عبدالعزيز سليمان نوار، تأريخ العراق الحديث، ص ١١٢-١١٣.

كركوك. و هكذا توسعت الامارة البابانية التي اصبحت تعرف في التأريخ العثماني باسم بابان اوجا غلقي"(١٢٩). و يقول ايضا:

"و قد بلغ البابانيون ذروة مجدهم في عهد عبدالرحمن البابانى الذي تولى امارة بابان سنة ١٧٨٨ (بلغت مدة حكمه اربعا وعشرين سنة تقريبا)، فقد كانت اطماعه السياسية، و مطامحه القومية ترمي دائما الى تأسيس حكومة مستقلة في العراق، فاجتهد في سبيل ذلك كثيرا، حيث اشتبك مع قوات بغداد في عدة معارك، و كاد أن ينتصر في احدى معاركه الفاصلة على قوات بغداد في معركة جوار كفري سنة ١٨١٢ لولا ان الفشل لحق به في النهاية. و لم يكن عبدالرحمن البابانى يعمل على تحقيق هدفه بالاستقلال عن بغداد فحسب، بل كان طامعا بباشوية بغداد ايضا.. ثم انه بلغ من القوة بحيث انه هو الذي نصب الوالي المملوكي عبدالله باشا على بغداد"(١٣٠).

و يقول عن الأمير البابانى محمود الذي تولى الامارة بعد وفاة والده عبدالرحمن البابانى المذكور في سنة ١٨١٣ انه طالب الوالي داود باشا الموافقة على ضم اربيل والتون كوبري، اللتين تقعان الى الشمال و الشمال الشرقي من كركوك، الى امارته(١٣١).

---

(١٢٩)علاء موسى كاظم نورس، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠ـ١٨٣١، بغداد، ١٩٧٥، ص ١٦٤ـأصل الكتاب رسالة جامعية قدمت الى كلية الاداب ـ جامعة بغداد في العام ١٩٧٣ لنيل شهادة الماجستير.

(١٣٠)المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(١٣١)المصدر نفسه، ص ١٦٦ـ١٦٧.

و سجل الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف في كتابه "الموصل في العهد العثماني" الملاحظة الدقيقة التالية التي لها مغزاها العميق بالنسبة لموضوعة علاقة كركوك و توابعها بالامارات الكردية الحديثة. يقول الدكتور، و هو بدوره متخصص عراقي معروف في تأريخ العراق الحديث، و عضو سابق للمجلس الوطني، ورئيس إتحاد الكتاب سابقاً:

"و في عام ١٨١٢م/ ١٢٢٧هـ قرر والي بغداد الجديد عبدالله باشا عزل عبدالرحمن پاشا البابانى عن الوية كوي و حرير، بعد ان كان قد حرمه ـ في العام السابق ـ من منصب لواء بابان نفسه. و عندما زحف والي بغداد بجيشه الى كركوك وجد بان جميع رؤساء المدينة واطرافها وعشائرها يتعاونون سرا مع عبدالرحمن باشا"(١٣٢).

اما فيصل محمد الأرحيم الذي نالت رسالته للماجستير "تطور العراق تحت حكم الاتحاديين "تقدير ممتاز من جامعة عين شمس بالقاهرة، فأنه يقول عن الموضوع نفسه:

"فقد توسعت هذه الامارة (البابانية) كثيرا، و امتد نفوذها حتى شمل كركوك، قاعدة ايالة شهرزور. و في اوائل القرن التاسع عشر بلغت هذه الامارة اكبر اتساع لها، واصبح الحاكم البابانى يطلق عليه باشا كردستان.."(١٣٣).

---

(١٣٢)عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ١١٣٩-١٢٤٩ هـ / ١٧٢٦-١٨٣٤ م، النجف، ١٩٧٥، ص ١٥٠.

(١٣٣)فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (١٩٠٨-١٩١٤)، الموصل، ١٩٧٥، ص ٨٣.

لم تكن هذه الامور، دون ريب، مرتبطة فقط بواقع سكاني و جغرافي محدد، بل و انها نجمت، في الوقت نفسه، وفي سياق عام لاخاص يتجاوز عادة حدود الزمان و المكان، عن واقع اقتصادي مرتبط بهما بصورة موضوعية.

الواقع الاقتصادي لكركوك وتوابعها

لأسباب شتى لم تؤد كركوك تأريخيا دورا اقتصاديا متميزا، و يكمن في ذلك احد الاسباب الاساسية لعدم شهرتها حتى القرن العشرين على العكس تماما من الموصل مثلا. فكما اسلفنا كانت صلات بغداد بكركوك ضعيفة في العصور الاسلامية الاولى، اذ قلما استخدم يومذاك الطريق البري الممتد من بغداد الى كفري ـ داقوق ـ كركوك ـ اربيل للوصول الى الموصل. ولئن شجع الخراب الذي اصاب شاطىء دجلة و المناطق المحاذية له على تطوير ذلك الطريق في العهد العثماني، الا انه حتى يومذاك سلك اوليا چلبى الطريق المحاذي لدجلة في سفرته من تركيا الى بغداد، و العودة منها كما هو مثبت في الصفحة السادسة من الجزء الخامس من "سياحتنامه"(١٣٤).

لكن كركوك و توابعها الفت، مع ذلك، نقطة تمويل و تلق تجاري مهما بالنسبة للمناطق الكردية منذ اقدم الازمنة في نطاق تجارتها المحدودة اصلا. جاء وصف كركوك في "دائرة المعارف البريطانية" باعتبارها "واحدة

---

(١٣٤)عن ذلك ينظر ايضا في،

J.H.Kramers, Kirkuk, “The Encyclopedia of Islam”, Vol.II, P. 1028.

من اهم مراكز التسويق الرئيسة في كردستان"(١٣٥). و ورد في طبعة احدث لدائرة المعارف البريطانية بهذا الخصوص ما نصه "تعد كركوك سوقا للمنتوج الزراعي للمنطقة.. ومركزا لتصدير الصوف والحبوب والمواشي والعفص والصمغ المنتج في مرتفعات زاگروس"(١٣٦). وردت اشارات واضحة الى الحقيقة نفسها في كتب الرحلات. لاحظ الوكيل الرسمي الفرنسي گ. أ. اوليڤييه (G.A.Olivier) في العام ١٧٩١ القوافل المتوجهة من المناطق الكردية الشمالية، و من الموصل الى اربيل و كركوك(١٣٧).

تطلب ذلك، فضلا عن العوامل السوقية (الستراتيجية) المعروفة، ضمان اتصال وثيق بين كركوك والمناطق الاخرى، الامر الذي تتوفر عنه دلائل واضحة من مختلف العصور. فقبل ظهور الاسلام بقرون اقتضت العلاقات بين كركوك واربيل تأسيس جسر على الزاب الصغير عند موقع التون كوبرى، او بالقرب منه، اطلق عليه السكان المحليون اسم "پردێ" الذي يعني الجسر في الكردية، ليغدو بالتدريج اسما مرادفا للمنطقة باسرها.

---

(135)Encyclopedia Britannica", A New Survey of Universal Knowledge, Vol. 13, Chicago- London- Toronto, 1947, P. 414.
(136)"Encyclopedia Britannica", Vol. 13, Chicago- London, 1965,P. 388.
(١٣٧)"رحلة اوليڤييه الى العراق"، ترجمة الدكتور يوسف حبي، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨، ص ٦١-٦٢.

وكان الجسر موجودا في القرن السادس عشر عندما مر به السائح الاوروبي لئون راولف، فسجل اسم المنطقة بصيغته الكردية (پرسته ـ پردێ)(١٣٨).

تطورت هذه الروابط لاحقا. فلم يكن مجرد صدفة ان ظهر في اواخر العهد العثماني مشروع سكة حديد كان من المقرر له ان يبدا من دياربكر و يمر بالموصل ثم كركوك و ينتهي في السليمانية. و في سنوات الانتداب حاول البريطانيون تحويل كركوك و أربيل الى قاعدة لتعزيز العلاقات الاقتصادية بغربي ايران ـ كردستان و اذربيجان، بهدف شل روابطهما التقليدية بمناطق القفقاس و ما وراء القفقاس الداخلة ضمن الحدود السوفيتية. ففي اواسط العقد الثالث من القرن العشرين تم ارسال قوافل تجارية خاصة من كركوك الى داخل الحدود الايرانية عن طريق اربيل ـ راوندوز، و من اجل انجاح التجربة ارسلت سلطات الانتداب طلبا خاصا الى لندن لصنع جسرين حديديين لنصبهما على الانهر التي تعترض الطريق المذكور(١٣٩)، وتحول هذا الأمر بالتحديد الى احد العوامل الاساسية التي دفعت البريطانيين الى بذل جهود خارقة، واموال طائلة لشق طريق مبلط بذلك الاتجاه، ينتهي عند الحدود العراقية ـ الايرانية(١٤٠).

---

(١٣٨)للتفصيل عن ذلك ينظر في: "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م، ص ٣٧٠ـ٣٧١.

(139)"Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the adminstration of Iraq for the year 1926", London, 1927, P. 28.

(١٤٠)للتفصيل عن ذلك ينظر:

اعتمدت تجارة كركوك اساسا على المنتوج الزراعي للريف الكردي المرتبط بها، فضلا عن المناطق الكردية الأخرى. و اذا استثنينا كبار التجار اليهود، و عددا من التجار المسيحيين فإن التجار الكرد والتركمان، و لاسيما الصغار و المتوسطين منهم، كانوا هم المسيطرين دائما على اسواق كركوك و توابعها ،و ان اللغتين الكردية والتركمانية كانتا لغة التعامل في تلكم الاسواق، و كما هو معروف فان الشورجة -اكبر اسواق كركوك- هي محلة تجارية خاصة بالكرد.

لاحظ معظم الرحالة الذين زاروا كردستان الروابط الاقتصادية القوية لكركوك وتوابعها مع المناطق الكردية الاخرى. في الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٨٢٠ سجل المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج، اثناء زيارته الى كردستان، الملاحظة الآتية في يومياته عندما كان ضيفا على الامير الباباني في السليمانية:

"في الليلة الماضية كنت منهمكا جدا مع عمر آغا لمعرفة المنتوجات الطبيعية في كردستان. ان كركوك هي السوق التي ينقل اليها كل ماينتج في هذا الجزء من كردستان". واكد ريج ايضا ان الذين يقومون بنقل تلك المنتوجات "هم مواطنو كركوك الذين يأتون الى هنا لهذا الفرض، ولعقد الصفقات مع الزراع لشراء ما ينتجونه من رز وعسل وغيرهما.."(١٤١).

A.M.Hamilton, Road through Kurdistan, London, 1937.

نشر المحامي جرجيس فتح الله الترجمة العربية للكتاب ببغداد.

(141)C.J.RICH, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, P. 141.

و قبل ذلك تحدث ريج ايضاً عن منتوج الملح في طوزخورماتو، و عن تصديره برمته الى المناطق الكردية، و قدر قيمته بعشرين الف قرش في السنة(١٤٢)، مما يعد مبلغا له وزنه حسب القوة الشرائية السائدة في ذلك الزمن. كما يبدو من بعض ملاحظات ريج ان انواعاً من البضائع النادرة في عهده كانت تنقل من كركوك الى السليمانية(١٤٣).

ان مثل تلك الروابط الاقتصادية القوية هي التي دفعت افراد بعض اسر السليمانية التجارية المعروفة الى اختيار (كركوكي - كركوكلي) لقبا لهم(١٤٤).

كما ان الواقع نفسه فرض تشابها كبيرا بين المؤسسات التجارية القديمة في كركوك والمدن الكردية الاخرى، الأمر الذي لاحظه Gavin Young اثناء زيارته للعراق في أواخر السبعينيات من القرن العشرين(١٤٥).

يمكن ملاحظة جوانب أخرى من الموضوع نفسه من خلال ماسجله الرحالة الاجانب الذين زاروا المنطقة، ممن تعد مؤلفاتهم مصادر اصيلة في ميادين التأريخ و الاجتماع و الاقتصاد و السياسة.

---

(142) Ibid, Vol. I, P28.
(143) Ibid, Vol. II, London, 1836, P.3.
(144) M.R.Hawar, The Leader Sheikh Mahmod and Southern State of Kurdistan, in Kurdish, London, 1990, P. 234.
(145)G. Young, Iraq: Land of Two Rivers, London, 1980 , PP. 235- 236, 243.

كركوك وتوابعها في كتب الرحالة

توجه الرحالة الاجانب الى كردستان في وقت مبكر نسبياً، و زار العديد منهم كركوك و توابعها، و سجلوا ملاحظات دقيقة عنها لها قيمتها العلمية الخاصة كونها صادرة عن شهود عيان كانوا يتمتعون بثقافة رفيعة حسب مقاييس عصرهم، و عصرنا ايضا. ان ماهو متوفر بين ايدينا من معلومات تلك الرحلات يلقي ضوءا ساطعا على العديد من جوانب الموضوعات التي نحن بصدد معالجتها في هذه الدراسة(١٤٦)، و قد سبقت الاشارة الى قسم منها.

تشير المعلومات الواردة في اقدم كتب الرحلات المتوفرة بين ايدينا الى الطابع الكردي لكركوك وتوابعها بوضوح. فإن الطبيب والتاجر الالماني الدكتور ليونارد راولف الذي زار كركوك وبعض توابعها في اواخر العام ١٥٧٤، ونشرت رحلته بالانكليزية في العام ١٦٩٣(١٤٧)، قد حدد لنا في ذلك الوقت المبكر حدود المنطقة الكردية التأريخية، كما في عهده كذلك، بصورة دقيقة حين كتب يقول:

"بدأنا مسيرتنا (من بغداد) في اليوم السادس عشر من شهر كانون الأول (سنة ١٥٧٤) متجهين نحو كركوك التي تبعد مسيرة ستة أيام، و تقع في حدود ماذي

---

(١٤٦)لاسباب معروفة لم يتسن، للاسف، الاطلاع على جميع كتب الرحلات التي تهم هذه الدراسة.

(147)Dr. Leonard Rauwolff, Travels, collected in "A Collection of Curious Voyages and Travels" (12 Vols.) by John Ray, London, 1693 (Quoted in: S. H. Longrigg, Fuor Centuries of Modern Iraq, PP. 33,331).

(ميديا)، و قد بدأنا السفر من الطرف الثاني لنهر دجلة.. و على مسافة قصيرة من داقوق شاهدنا قلعة محصنة فيها احدى الحاميات التركية، و هذه تقع في منطقة الاكراد التي تبدأ من هنا و تسير بامتداد نهر دجلة بين ماذي (مادي ـ ميديا) و بين النهرين حتى تصل الى ارمينيا". و يقول عن الكرد انفسهم انهم "يتحدثون بلغة خاصة لم يكن رفاقي المسافرون معي(١٤٨) يعرفونها، كما ان الاكراد لايستطيعون التحدث لا بالفارسية او التركية الشائعة الاستعمال مابين بغداد وآشور، وذلك اضطررنا الى من يعرفون اللغة الكردية ان يكونوا بمثابة مترجمين لنا اثناء مرورنا ببلاد الاكراد"(١٤٩).

و حين يصل راولف الى التون كوبري في الثلاثين من كانون الاول ١٥٧٤ يطلق عليها اسم پرسته المحرفة من كلمة (پردێ) الكردية التي كان الكرد، و ما يزالون يطلقونها اسما على المنطقة(١٥٠). و عندما يصل بعد ذلك الى الزاب الكبير يفعل الشيء نفسه، اذ يطلق اسم "كەڵەك" الكردي على المنطقة، و هو نفس مصطلح "كەڵەكی ياسين اغا" المستخدم حتى يومنا هذا. يتحدث راولف عن الطابع الكردي لهذه المنطقة على النحو الآتي:

---

(١٤٨)حتما ان هؤلاء المسافرين كانوا اما عربا او موظفين عثمانيين. ونشير بالمناسبة الى اننا اعتمدنا على ترجمة سليم طه التكريتي لرحلة راولف الذي ينعته المترجم بكونه طبيبا هولنديا، في حين يعده لونكريگ طبيبا و تاجرا المانيا كما بينا ذلك في المتن.

(١٤٩)"رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين للرحالة الهولندي الدكتور ليونهارد راوولف"، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٩٢، ١٩٦-١٩٧.

(١٥٠)المصدر نفسه، ص ١٩٩، عن ذلك ينظر ايضا في "مجلة المجمع العلمي العراقي"، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦م، ص ٣٧٠ـ٣٧٦.

"كان ذلك النهر يعترض طريقنا، وكان عريضا، يبلغ عرضه زهاء الميل و لم يكن من اليسير عبوره دون التعرض الى الخطر، و ذلك أمر يعرفه الاكراد جيدا، في ذات الوقت الذي كنا نحن نشعر فيه بالخوف من اولئك الاكراد انفسهم، و مع ذلك فقد وجدنا بين جماعتنا من سبق لهم عبور ذلك النهر، و هكذا غامرنا في عبوره"(١٥١).

و يبدو واضحا مما سجله الدكتور راولف ان الكرد كانوا مسيطرين حتى ضواحي مدينة الموصل نفسها ـ منطقة اتاوتهم، و كانوا موجودين ايضا على مسافة مسيرة طويلة باتجاه الغرب من الموصل صوب نصيبين وحلب، فانه غالبا مايورد اسم الكرد حيثما يحل في غضون المدة التي تغطي شهر كانون الأول من العام ١٥٧٤ و كانون الثاني من العام ١٥٧٥ من رحلته، و باسلوب يجلب النظر تماما(١٥٢).

يبدو واضحا من كتب الرحلات الاخرى ايضا ان الكرد كانوا يمتدون بعيدا الى الغرب والجنوب من مناطق تمركزهم الحالية في كركوك وتوابعها، وكانوا موجودين على الضفة الغربية (اليمنى) من نهر دجلة بأعداد تجلب النظر، ففي شباط عام ١٦٥٢ عندما توجه الرحالة الفرنسي تافرنييه (Jean Baptiste Tavernier) من الموصل الى بغداد عن طريق نهر دجلة سجل الملاحظة الآتية في اليوم التاسع عشر من رحلته عندما وصل الى نقطة التقاء الزاب الصغير بنهر دجلة في مايعرف بالفتحة الواقعة بين شرقاط شمالا و تكريت جنوبا:

---

(١٥١)"رحلة المشرق الى العراق.."، ص ٢٠٢.

(١٥٢)المصدر نفسه، ص ٢٠٧ـ ٢٠٩.

"و في ذلك اليوم لم نر غير اعراب وأكراد يسيرون بمحاذاة ضفتي النهر: الكرد في جهة مابين النهرين، و العرب في الجهة الآشورية"(١٥٣).

و بعد مرور اكثر من مائة و خمسين عاما عندما يصل ج. س. بكينغهام الى دلي عباس يسجل الملاحظة الآتية التي وردت في الجزء الثاني من كتابه "رحلات في بلاد مابين النهرين"(١٥٤).

"لم نر مساكن يقطنها العرب لوحدهم اثناء طريقنا منذ ان تركنا الموصل حتى الان. فالفرسان العرب الذين التقينا بهم في التون كوپرى كانوا في حملة، في حين كان معظم سكنة المدينة من الاتراك والاكراد. اما هنا في قرية دلي عباس الصغيرة (بالقرب من بعقوبة) فان سحن السكان ومظاهرهم ولغتهم وعاداتهم كلها عربية خالصة، وان البدو فيها اكثر من الفلاحين"(١٥٥).

في العام ١٨٣٤ لاحظ فريزر الحقيقة نفسها باتجاه الجنوب الغربي من كركوك(١٥٦). فبعد ان يترك كفري، و يتوجه صوب بغداد عن طريق حمرين يقول:

"فقد زودنا مضيفنا في كفري سليم اغا بدليل الى المرحلة التالية، لكنه اوصانا بالحاح ان لانبدأ برحلتنا قبل الصباح، و لذلك لم نتحرك قبل بزوغ الفجر. و

---

(١٥٣)"العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه"، نقله الى العربية وعلق حواشيه بشير فرانسيس وكوركيس عواد، بغداد، ١٩٤٤، ص ٧٣.

(154)J.S.Bakingham, Travels in Mesopotamia, Vol. II, London, 1827.

(١٥٥)في الجزء الاول من الترجمة العربية لسليم طه التكريتي الذي طبع في بغداد بمساعدة المجمع العلمي العراقي بعنوان "رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦"، ص ١٧٥.

(١٥٦)في كتابه:

J.B.Fraser, Travels in Kurdistan and Mesopotamia, London, 1890.

الحقيقة ان هـذه المرحلة كـانت مرحلة خطـرة، لأن الطريـق بـالنظر لوقوعـه على الحدود بين الاكراد و العرب تماما كان يتعرض للسلب والنهب من الفريقين معا"(١٥٧).

و عندما يصل فريزر نهايات جبل حمرين يسجل ملاحظة مهمة اخرى، يقول نصها: "فكانت هذه تلال حمريـن الـتي تعـد فرعـا مـن جبـل حمريـن الـذي يمتـد مـن كردسـتان"، و هنـا بـان لـه "في الافـق البعيـد خـان دلي عباس"(١٥٨).

و قبل فريزر باربع عشرة سنة قدم لنا ريج، اثنـاء رحلتـه مـن بغـداد الى كردستان، معلومات مفيدة عن الموضوع نفسه. فانه لم يشر، و منذ دخوله قرمتپه في الساعة الواحدة الا عشرين دقيقة من يوم الرابع و العشـرين مـن نيسان، و كذلك في طريقـه مـن قرمتپـه الى كفـري الـتي دخلـها في السـاعة العاشرة الا عشـرين دقيقـة صبـاح يـوم الخامس و العشرين مـن نيسـان، لم يشر الى وجود عربـي واحـد في كـل المنطقـة، مـع العلـم ان وجـود عـدد مـن اليهود في كفري، ممن "كان لديهم معبدهم الخاص هناك"، قد جلب نظره، و اثار دهشته(١٥٩).

تكتسب المعلومـات الـتي لاحظـها الضـابط البريطـاني الميجـر فردريـك مللنجـن اهميـة خاصـة في هـذا المضمـار. فقـد كـان مللنجـن يعمـل بـالجيش العثمـاني، قـام برحلـة داخـل كردسـتان في العـام ١٨٦٩ فدرسـها بقعـة بقعـة،

---

(١٥٧)"رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤"، ص ٦٢.

(١٥٨)المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.

(159) C.J.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 12-15.

وتابع كل شيء فيها "من ارضروم حتى قوتور على الحدود الايرانية"، ونشر رحلته بعد عام في كتاب اختار له عنوان "حياة بدائية بين الكرد"(١٦٠).

يقول مللنجن "ان النهاية الجنوبية لكردستان تحدد بسلسلة جبال حمرين التي تتاخم سهول بغداد وارض دجلة المنخفضة.. هنا، كما هو الحال على ضفتي نهر دجلة، ادى الاحتكاك المتواصل للكرد مع جيرانهم العرب الى ان يبصم الامر على خصائصهم و اسلوب حياتهم بما يشبه النمط العربي"(١٦١). و بالنسبة لكركوك نفسها لاحظ مللنجن خضوعها للامير الرواندوزي محمد باشا(١٦٢)، الامر الذي اشار اليه بعده رحال انكليزى اخر هو الميجرسون كما اسلفنا.

في الفصل الرابع عشر من "رحلته المتنكرة الى بلاد مابين النهرين و كردستان" وا لذي يحمل عنوان "الى كركوك"، لايتحدث الميجرسون لا في كركوك، و لا في التون كوپرى، و لا في الطريق الممتد بينهما عن لقائه سوى بمسافر عربي واحد، في حين انه يتحدث بالكردية في كل مكان زاره، ويلتقي الكرد و التركمان حيثما يذهب، ويصف سيطرة عشيرة الهموند الكردية المعروفة، التي تعد واحدة من اهم عشائر كركوك، على المنطقة بأسرها، ويتحدث في الفصل الذي يليه عن القرى الكردية بين كركوك

(160)Major Fredrick Millingen, Wild life among the Kurds, London, 1870, CXLLL + 380 PP.
(161)Ibid, P. 151.
(162)Ibid, P. 186.

والتون كوپري وغير ذلك من امور(١٦٣). و بعد ان يغادر التون كوپرى على الكلك، متجها صوب الفتحة و بغداد، و بعد ان يقطع مسافة باتجاه الجنوب الغربي من التون كوبري يسجل لنا ملاحظة دقيقة بخصوص الواقع الأثني للمنطقة، اذ يقول مانصه:

"و قبل نحو ساعة من غروب الشمس ارسينا في قرية صغيرة كردية.. وتناولنا على شاطىء صخري غذاءنا البسيط الذي كان من الخبز و الفاكهة، و اضطجعنا للنوم على الحصي حتى لاحت تباشير الصباح. ثم سافرنا قدما على مدى ثلاثة ايام بين التلال المنخفضة في الزاب الأسفل الأخاذ وهو يخترق ارضا تكاد تكون مهجورة. لقد تجلى الآن اننا، على كل حال، جعلنا الكرد والتركمان وراءنا، ذلك اننا لم نر بعد ذلك الا العرب وعدداً قليلاً جدا منهم (من الكرد والتركمان)"(١٦٤).

و من المفيد ان نشير الى ان العديد من الرحالة الاخرين لاحظوا قبل الميجرسون ان منطقة انتشار عشيرة هموند ونفوذها كانت اوسع بكثير من واقعها المعاصر.ففي اواخر القرن التاسع عشر، مثلا، تحدث قس من القوش الى العالم الاثاري البريطاني الشهير السر ارنست الفرد بدج (١٨٥٧ ــ ١٩٣٥) عن هجوم الهموند على دير الربان هرمز هناك في حدود العام ١٧٥٠(١٦٥). و

---

(163)E.B.Soane, To Mesopotamia and Kurdistan in disguise, PP. 235-250, 355-358.

في الترجمة العربية، ص ١٠٠،١١٠، ١١٣، ١٢٦، ١٢٩ وغيرها.

(164) Ibid, PP.355-356

في الترجمة العربية ، ص ١٢٣١-١٢٤.

(١٦٥)نشره بدج لاحقا في كتابه،

Sir Wallis Budge, By Nile and Tigris, Vol. II, London, 1920.

(وفي الترجمة العربية لفؤاد جميل بعنوان "رحلات الى العراق"، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٦٨، ص ١٣٧).

سجلت "دائرة المعارف الاسلامية"، ملحوظة مقتبسة من رحلة تعود الى اواخر القرن التاسع عشر تقول "و اعتادت عشيرة هموند ان تهبط حتى تبلغ ضفاف دجلة"(١٦٦). اما لونگريگ فانه يقول "كان الهموند يغزون من كركوك الى همدان"(١٦٧).

و الأهم من كل ذلك ماسجله وكيل القنصل البريطاني في الموصل بهذا الخصوص في تقرير مسهب له يقع في خمس صفحات من الحجم الكبير، و يحمل تأريخ ٢١ نيسان عام ١٩١٠، فقد ذكر ان مناطق سكن الهموند كانت تمتد الى الجنوب من كركوك، و قدر عددهم يومذاك بخمسة الاف شخص، مما يمثل ثقلا سكانيا كبيرا حسب الواقع الديموغرافي للمنطقة يومذاك(١٦٨).

يبدو واضحا ان الهموند اضطروا الى التركز في الشمال الشرقي من كركوك، بوصفها منطقة اكثر تحصنا من جنوبي كركوك، و ذلك بعد الضربات القوية التي وجهتها اليهم السلطات العثمانية، بلغت حد نفي

---

(١٦٦)"دائرة المعارف الاسلامية"، المجلد الثاني عشر، العدد الخامس، ص ١٨٤.

(167)S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, P. 278.

في الترجمة العربية ص ٣٣٤.

(168)Pubilic Record Office, F.O, 195/ 2339, X/K- 780, A.B.M. Vice- Conulite, Mousul, April 22 st, 1910, P.1.

اعداد كبيرة منهم الى طرابلس الغرب بهدف وضع حد لتجاوزاتهم المستمرة على القوافل التجارية المارة عبر المنطقة(١٦٩).

اورد رحال شرقي، زار المنطقة في بداية القرن التاسع عشر، آراء وملاحظات مشابهة لآراء وملاحظات الرحالة الاوروبيين عن كركوك وتوابعها. فان السيد محمد بن السيد احمد الحسيني المعروف بالمنشيء البغدادي تجول سنة ١٨٢٠ "في ديار الكرد ومواطن العراق الاخرى"، وعندما وصل كركوك سجل عنها مانصه:

"من تازه خورماتو الى كركوك سبعة فراسخ. وكركوك بلدة جميلة، و ان قلعتها تقع على تل، و ان البلدة في اطراف القلعة وحواليها، وان اهلها اشرار، وكلهم اتراك ينكجرية (انكشارية) واكراد اكثرهم شافعية، وبعضهم حنفية، ولها نحو مائتي قرية، وكل قراها علي اللهية"(١٧٠).

وعن طوزخورماتو، التي يذكر اسمها بصيغتها الشائعة يومذاك، أي دوزخورماتو، يقول "ولغتهم الكردية والتركية، وعقيدتهم العلي الهية، يرعون الغرباء ويبرونهم، ويحترمونهم في ضيافتهم، ونساؤهم شهيرات بالحسن والجمال، ويقرب عددهم من الف بيت"(١٧١).

---

(١٦٩)يبدو ذلك واضحا من كتب الرحالة المتأخرين، كما اشار اليه كل من عباس العزاوي ولونكريك والميجرسون و محمد امين زكي وغيرهم كثيرون، ووردت في تقرير وكيل القنصل البريطاني المذكور تفصيلات مهمة عنه (Ibid, PP. 1-5).

(١٧٠)"رحلة المنشيء البغدادي"، ترجمة عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٨، ص ٦٤.

(١٧١)المصدر نفسه، ص ٥٥.

و على بعد نصف فرسخ من پردێ (التون كوپرى) يلتقي "قبيلة بربرية تبلغ نحو اربعمئة بيت ليس لها كسب سوى ضرب العود، و صغارها يرقصون، ينهبون لكل بلد و مدينة، وهؤلاء يقال لهم الكرد الجولكية"، ومن "التون كوپرى الى اربل ثمانية فراسخ، و في الطريق اكراد ديزميى، ويبلغون الف بيت"(١٧٢).

توجد آراء اخرى كثيرة للرحالة الاجانب عن كركوك وتوابعها جديرة بالتسجيل نتطرق الى قسم منها في مباحث لاحقة من هذه الدراسة. يلخص لونگريگ في كتابه المصدر "اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث" آراء الرحالة الذين مروا بكركوك في اوقات مختلفة قبل القرن العشرين بقول له مغزاه الكبير، هو:

"و قد اعجب الرحالون بكركوك، فوصفوها بأنها مدينة جميلة رائعة، حيث كان النطق السائد التركية المفككة و الكردية الشهرزورية"(١٧٣).

و آخر مانقتبسه من كتب الرحالة هو ملاحظات معاصرة وردت في كتاب الصحفي الهولندي ماليبارد الذي زار العراق في مطلع العقد السادس من القرن العشرين، أي بعد طبع كتاب لونگريگ بثلاثة عقود. فبعد ان يترك ماليبارد بغداد متوجها صوب كردستان، و يقترب من تلول حمرين

(١٧٢)المصدر نفسه، ص ٧٦.

(173)S.H.Longrigg, Four Centures of Modern Iraq, P. 10.

في الترجمة العربية، الطبعة الخامسة، ص ٢٣.

يصف لنا باسلوب رومانسي اخاذ في مبحثه المعنون "بين سهول العراق وجبال كردستان" الانتقال الى منطقة جديدة، فيقول:

"بين تلك التلول المنتشرة وبطاحها الملتوية، حيث تبين ارض الاكراد، يبدو الربيع باجمل حلله، ينشر في الفضاء عبير نسماته فترى الارض مخضرة تكشف عن زينتها و مفاتنها على امتداد افاقها وابعادها، يسودها الهدوء و السكينة، فيشعر الانسان في اعماق نفسه بالراحة و الهناء و الأمن و السلام، و يتحسس بعظمة الله في خلقه، و يشاهد جماله في سحر الطبيعة و اغرائها"(١٧٤).

ثم يضيف ماليبارد على ذلك قوله "و يعيش هنا على الحدود الفاصلة بين الشمال و الجنوب العرب والاكراد بسلام و وئام متجاورين، ومثل هذا الجوار نجده في اوروبا ايضا"(١٧٥).

ان مثل هذه العلاقات الطيبة بين العرب و الكرد التي اشار اليها الهولندي ماليبارد، و مراقبون آخرون كثيرون، كانت هي التي تسود الشعبيين منذ ان دخل العرب كركوك و توابعها.

---

(174)C.H.J.Maliepard,Wassera deram Euphrat oder Zwischen Arabern und Kurde.

في الترجمة العربية للدكتور حسين كبه: نواعير الفرات او بين العرب والاكراد، بغداد، ١٩٥٧، ص ٢٠٦.

(١٧٥)المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

العرب في كركوك و توابعها

كما اسلفنا دشن الاسلام اول احتكاك واسع للعرب بالكرد و كردستان دون ان يؤثر ذلك على واقعهما القومي الا في اطار الروح والدين. ولم يشر الرحالة الى وجود عربي متمركز في كركوك و توابعها الا في بعض مناطق الانتقال، و الحافات. حدد مارك سايكس في بحثه الرصين عن "القبائل الكردية في الامبراطورية العثمانية"، الذي هو حصيلة دراسة ميدانية اعتمدت على سفرة قطع فيها الباحث ٧٥٠٠ ميل داخل المنطقة نفسها قبل الحرب العالمية الاولى بمدة كما بيننا ذلك في مكان آخر من هذه الدراسة، حدد الوجود الاثني غير الكردي في القسم (أ)من مبحثه الذي يشمل المنطقة المحددة "ببحيرة وان و الهضبة الارمنية شمالا، و بنهر دجلة غربا، و بسهول العراق جنوبا" هكذا:

"ان المجموعات الاجنبية، او على الاقل غير الكردية، يمكن حصرها بالسكان العرب ــ الآراميين (Arabo- Aramean) في الموصل، والارمن الذين يعدون نسطوريين، و المسيحيين اليعاقبة في عين كاوه و عقره و كويسنجق، والأتراك (التركمان) في التون كوپرى والسهول الواقعة شرقي الموصل"، الأمر الذي جسده بوضوح في الخارطة التي الحقها بالبحث(١٧٦).

---

(176)Mark Sykes, The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire, "The Journal of the Royal Anthropogical Institute of Great Britain and Ireland', Vol. XXXVIII, 1908 (July to December), PP. 451-453.

ان الوجود العربي المتمركز في كركوك و توابعها حديث تأريخيا، و هو على نمطين : الأول عشيري، و هو الاساس، و الثاني مدني وظيفي كان اساسه قطاع العمال حتى ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨. و يبدو ان عددا قليلا من كرد المنطقة قد استعربوا بصورة طبيعية بتأثير من الاسلام و ثقافته في مرحلة ماقبل تبلور العاطفة القومية. لاحظ مراقب روسي زار المنطقة في مطلع القرن العشرين ان العرب فيها "كما يبدو من شكلهم" هم "اقرب الى الكرد وساميي سوريا" ممن تبنوا لغة العرب وثقافتهم(١٧٧).

ان اهم عشيرة عربية موجودة في كركوك و توابعها هي عشيرة العبيد. يرتبط وجود العبيد في جنوب غربي كركوك بتحرك عشيري كبير حدث في وسط العراق، والى الشمال من بغداد في اواخر القرن الثامن عشر ـ اوائل القرن التاسع عشر، نجم عن هجرة قبيلة شمر المعروفة من غرب الفرات الى شرقيه بتأثير ضغط عشيرة عنزة عليها، و بتحريض من الحكومة العثمانية التي شجعت الشمر لأسباب كان احدها يكمن في رغبتها في "كسر شوكة قبيلة العبيد"(١٧٨). نتيجة لذلك عبرت عشيرة العبيد من الضفة اليسرى، أي الضفة الشرقية من دجلة، وانتقلت اقسام منها "الى الحويجة متخطية بذلك جبل حمرين" لاول مرة في تاريخها(١٧٩)، وهو، كما لا يخفى،

(177)"Zametki o politcheskom polojenii v Youjnom Kurdistane Severnay Mesopotami", "Izvestia Shtaba Kavkazskovo Voennovo Okruga", No. 1-2, 1904, P. 52.

(١٧٨)عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، بغداد، ١٩٣٧، ص ٢٣١، ٢٣٧.

(179)S.H.Longrigg, Four Canturies of Modern Iraq , P. 202.

تاريخ حديث. صاغ لنا مؤرخ "عشائر العراق" المعروف عباس العزاوي الموضوع هكذا في اكثر من مكان من كتابه المصدر:

(ا)في أواخر القرن الثامن عشر تعرض العبيد الى ضغط شمر ايضا، فقد "خضدت شوكة قبيلة العبيد نوعا، بل كادت ان تلحن"(١٨٠)، فازاح الشمر العبيد "و غيرهم، وتمكنوا من مواطنهم"(١٨١). و قد احدث ضغط الشمر خللا كبيرا، امتد تاثيره الى الجبور، و انعكس على الواقع السكاني با تجاه الجنوب الغربي من كركوك، فيقول العزاوي عن ذلك:

"ومن ثم تواردت شمر حتى عظم امرها، و احتلت الجزيرة، فدفعت هذه القبائل الى انحاء مختلفة، فحالت قبيلة العبيد الى الحويجة، وازاحت البيات الى اماكنهم الحالية، وهكذا جرى على الجبور فتفرقوا"(١٨٢).

و من الضروري ان نشير الى ان العبيد بعد ان انتقلوا الى موطنهم الجديد فان معظمهم لم يرتبطوا بالارض، بل استمروا على حياة التنقل و البداوة مدة طويلة من الزمن. ورد في تقرير سري بريطاني وضع خصيصا عن العشائر العراقية في العام ١٩١٧ ما نصه بخصوص هذا الموضوع:

"و توطنت (عشيرة العبيد) في الضفة اليمنى (الغربية) من نهر دجلة بين الموصل وبغداد. وقد عبروا(١٨٣) نهر دجلة و استقروا في ديارهم الحالية- حويجات

في الترجمة العربية ص ٢٤٢.

(١٨٠)عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص ١٤٤.

(١٨١)المصدر نفسه، الجزء الاول، ص ١٢٦.

(١٨٢)المصدر نفسه، الجزء الاول، ص ١٤٧.

العبيد، و اكبر فروع عشيرة العبيد هم البوعلي، و يشتغل البعض منهم بالزراعة بالقرب من نهر دجلة، و الباقون رعاة ابل، ويعيش افراد العشيرة في خيام"(١٨٤). و في الواقع لم يطرأ تحول ما على هذا الأمر الا بعد انجاز مشروع الحويجة الاروائي في العهد الملكي.

كان الثقل السكاني للعبيد داخل المنطقة التي نحن بصدد دراستها متواضعا. قدر التقرير البريطاني نفسه عدد العبيد في الحويجة والعظيم و الدليم معا بـ "حوالي الف دار (خيمة) و ١٠٠ راس خيل"(١٨٥). و بقيت مناطق تمركز العبيد تقع بعيدا خارج كركوك و توابعها(١٨٦). ورد في تقرير رسمي عراقي يعود الى اواسط العقد الرابع من القرن الماضي عن عشيرة العبيد مانصه:

"عبيد: تقطن على ضفة دجلة اليمنى (الغربية) بين سامراء و كركوك، و هي من زبيد، ورئيسهم العاصي و مظهر بك الشاوي"(١٨٧).

تنطبق الأقوال نفسها على عشيرة الجبور التي يمتد وجودها بالنسبة للمنطقة الكردية الى بعض توابع اربيل ايضا. و باعتبار الجبور واحدة من

---

(١٨٣)هكذا ورد في النص.

(١٨٤)"تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة يبين الاحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر العراقية وعلاقاتها بالادارة البريطانية"، نقله الى العربية عبدالجليل الطاهر، بغداد، ١٩٥٨، ص ١٨٨.

(١٨٥)المصدر نفسه، ص ١٨٩.

(١٨٦)للتفصيل عن ذلك ينظر: المصدر نفسه، ص ١٨٩-١٩٢؛ عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص ١٤٤، ١٤٦-١٤٧، ١٩٤، ١٩٩-٢٠٠ وغيرها، الجزء الرابع، بغداد، ١٩٥٦، ص ٣٣، ٦١، ٢٠٨، ٢١٦ و غيرها.

(١٨٧)"دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ المالية"، صدر باجازة من وزارة داخلية العراق رقم ٣٤٢ تاريخ ١٣/١٠/١٩٣٤، بغداد، ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥م، ص ٦٥٨.

اهم، واوسع العشائر العراقيــة فـان منـاطق تمركزهـا الاساسـية تقـع بدورهـا بعيدا خارج كركوك وتوابعها(١٨٨). ورد في التقرير الرسمي الآنـف الذكـر عن عشيرة الجبور في اواسط العقد الرابع من القرن الماضي ما نصه:

"جبور: تقطن بـين سـامراء والموصل، وعلـى جـانبي دجلـة، وقسـم منـها تسـكن الجزيرة بجوار رأس العين على جانبي الخابور، ومنها من سكن في جنوبي سـامراء، و في الجربوعة، رؤساؤها الشيخ شاهر في الموصل، والشيخ مراد الخليل في الحلة"(١٨٩).

توجد عشائر عربية اخرى في الجنوب، والجنـوب ـ الغربـي مـن كركـوك اقل شأنا من العبيد والجبور، منها اقسام من عشيرة النعيم التي جاء وصفها علـى لسان ادمونـدس، و كـان حاكمـا سياسـيا ومفتشـا اداريـا بريطانيـا في كركوك على مدى سنوات عدة في العقد الثالث مـن القـرن المـاضي، ومـن ثـم معاونا لمستشار وزارة الداخلية العراقيـة طيلـة عقـد كـامل (مـن ١٩٢٥ حتـى ١٩٣٥)، ومستشارا طيلة عقد آخر (من ١٩٣٥ حتى ١٩٤٥)، هكذا:

"تـوجد في جنوب كردستان اسر اخرى من السـادة.. مثل نعيم الذيـن يشـوبهم دم عربي، لكن نفوذهم السياسي لا يعتد به"(١٩٠).

---

(١٨٨)للتفصيل عن ذلك ينظر: عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الاول، ص ١٩٤، ١٩٧ـ١٩٩، ٢٤٨، ٢٧٢، ٣٠٦ وغيرها، الجزء الرابع، ص ٨٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥ـ١٤٧، ٢٠٧، ٢١٥ـ٢١٦.

(١٨٩)"دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ المالية"، ص ٦٥٧-٦٥٨.

(190)C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics, travel and research in North- Eastern Iraq, London, 1954, P. 79.

في الترجمة العربية لجرجيس فتح الله بعنوان "كـرد وتـرك وعـرب. سياسـة ورحـلات وبحـوث عـن الشـمال ـ الشرقي من العراق ١٩١٩-١٩٢٥"، بغداد، ١٩٧١، ص ٧٧.

يستحق تأريخ عشيرة البيات، ووجودها في المنطقة، وقفة خاصة. تعد المصادر الرسمية العراقية البيات عربا، وهذا هو الرأي الذي يتمسك به العديد من زعمائهم و مثقفيهم المعاصرين، فيما تؤكد معظم المصادر ان موطن البيات الاصلي هو خراسان، انتقلوا منها مع السلاجقة الى العراق فاتخذوه وطنا لهم(١٩١). عندما يتحدث ادموندس عن طوزخورماتو يقول: "ان ثلاثة ارباع سكانها من الداودة و{هي من العشائر الكردية المعروفة(١٩٢)}، و ثلثا الداودة يسكنون في اسافل الجبال، والثلث الاخر يسكن السهل. و العنصر الآخر الوحيد المهم في الناحية هو البيات، القبيلة العجيبة التكوين، يقال ان نواتها جاءت بالاصل من خراسان، و قراهم التي تزيد عن العشرين، تقع في الربع الجنوبي القصي من الناحية، الى جوار جبل حمرين وناحية قرەتپه، و ثاراتهم وصداقاتهم مع القبائل العربية اكثر منها مع الكردية"(١٩٣). اما مؤرخ العشائر العراقية عباس العزاوي فيقول:

"و هؤلاء (البيات) من اقدم القبائل التركمانية، و لهم كيان خاص وهم مجموعة لايستهان بها، يقطنون لواء كركوك، و كانوا في لواء واسط والآن مال قسم كبير منهم الى المدن، وصاروا في قلة، و اختلطت بهم عشائر عربية"(١٩٤).

---

(١٩١)للتفصيل عن ذلك ينظر: شاكر صابر الضابط، تأريخ التركمان في العراق، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦١، ص ٥٦-٦٠.

(١٩٢)عباس العزاوي، عشائر العراق، الجزء الثاني، ص ٦٦، ١٦٥ـ١٧٠، ٢١٢.

(193)C.J.Edmondes, Kurds, Turks and Arabs, PP. 277-278.

في الترجمة العربية ص ٢٥٢.

(١٩٤)عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، بغداد، ١٨٣٩، ص ٣٦٨.

لاتختلف اقوال الرحالة وملاحظاتهم عن ذلك. ينقل لنا ريج معلومات مهمة عن البيات الذين التقاهم، و اجتمع في الثامن والعشرين من نيسان سنة ١٨٢٠ برئيسهم حسن بك الملقب بقره قوش الذي اكد له ان السلطان العثماني هو الذي وزع عليهم اراضيهم في منطقة طوزخورماتو. يؤكد ريج بدوره ان اصل البيات من خراسان، لكنه يضيف ان "بعض العرب Some Arabs كانوا في حماية البيات"(١٩٥).

لاشك في ان صلات البيات بالعرب، واختلاطهم بهم قد تعزز اكثر بعد زوال سلطة العثمانيين، لذا فان المصادر الحديثة، بما فيها الكتب المدرسية في العهد الملكي، في الوقت الذي تعد البيات عشيرة عربية، الا انها لاتنكر، في الوقت نفسه، بانها "تشتمل على فروع تركمانية"(١٩٦). كما ان التقرير الذي اعدته اللجنة الخاصة التي الفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل في العام ١٩٢٤ يؤكد ان "البيات مزيج من الترك و العرب"(١٩٧).

لم تكن البيات، في كل الاحوال، معزولة عن الكرد. فان بعض فروع البيات ضمت الكرد ايضا، مثل گلهوند و ينكجيه(١٩٨). كما تؤكد مصادر

---

(195)C.J.Rich, Narrative of a Residence in Koordistan, Vol. I, PP. 23-24.

(١٩٦)ورد ذلك في كتاب "جغرافية العراق الثانوية"، بغداد، ١٩٢٨، ص٩٠ لطه الهاشمي، الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعة والبشرية، بغداد، ١٩٧٣، ص ١٩١.

(197)"League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq. Report submitted to the Council of the Comission instituted by the Council resolution of September 30, 1924", 1925, PP. 38-39.

(١٩٨)عباس العزاوي، تأريخ العراق بين احتلالين، الجزء الثالث، ص ٣٦٨، ٣٧٠.

مختلفة، بما في ذلك كتب الرحالة، و مصادر اكاديمية حديثة(١٩٩)، شيوع اللغات الثلاث التركمانية و العربية و الكردية بين البيات. يقول المنشىء البغدادي الذي زار المنطقة في العام ١٨٢٠:

"و في تلك الانحاء تسكن قبيلة البيات، و يقرب عدد بيوتها من الفي بيت، يتكلمون التركية و الكردية و العربية، بعضهم شيعي، و البعض الآخر سني"(٢٠٠).

ومما يذكر ان عددا من زعماء البيات وقفوا الى جانب الزعيم الكردي الشيخ محمود في نضاله ضد البريطانيين، واستقبلوه في كفري مع الرؤساء الكرد في ايلول ١٩٢٢ حين مر موكبه بها بعد ان اعاده البريطانيون من منفاه في الهند، بل انهم رافقوه الى السليمانية، حيث اعلن الشيخ بعد مدة عن تشكيله لحكومته الكردية(٢٠١).

يلاحظ التداخل نفسه الى حدما بين الكرد و الجبور، خصوصا في محافظة اربيل، وبين الكرد والعبيد في توابع كركوك. فقد ورد في القسم الخاص بالعشائر المتوطنة في قضاء الحويجة التابع لمحافظة كركوك في "دليل التعداد العام للسنة ١٩٦٥":

"٢٣- المتفرقة، منها التكارتة و الدوريون و الأكراد. مركزها الحويجة، يقيمون في ٥ قرى تقع على جانبي حفر القبل، و قسم منها في مركز الناحية،

---

(199)M.A.Kamal, Natsionalno - Osvboditelnoe dvijenie v Irakskom Kurdistane, Baku, 1967, P. 102.

(٢٠٠)"رحلة المنشىء البغدادي"، ص ٥٤.

(201)C.J.Edmonds, Kurds ,Turks and Arabs, P. 301

(في الترجمة العربية ص ٢٧٢); M.A. Kamal, Natsionalo.., P. 126.

وتبلغ مساحتها ١٠٠ كم٢"(٢٠٢). كما ان بعض قرى الحويجة ظلت تحمل اسماء الكرد وعشائرهم مثل مدينة الكراد والداودية وكواز كرد و كاميران حتى وقت متأخر حسب المصادر الرسمية العراقية(٢٠٣).

لم يتغير الواقع العشيري في كركوك وتوابعها كثيرا في العهد الملكي. وردت في تقرير رسمي عراقي، يعود تأريخه الى اواسط العام ١٩٢٩، معلومات مهمة بهذا الصدد، يقول نصها:

"عرب كركوك: ان القسم الأعظم من عرب كركوك مكون من العشائر المتأخرة المقيمة في حاشية اللواء الجنوبية الغربية، يعني من خمسة الاف جبوري وغيرهم على الزاب الأصغر (ناحية ملحة)، وستة الاف عبيدي في جبل حمرين (ناحية الشبيجة)، ويوجد عدد من العرب المستوطنين يستحق الذكر في القسم الجنوبي الأقصى لناحية قرهتپه، وهم عبارة عن خمسة الاف من العشائر القروية (الكروية) و غيرها، وان هؤلاء العرب بعيدون بدرجة انهم لا يمكن ان يعبأ بهم من الوجهة السياسية في التأثير على رأي اللواء. و في لواء كركوك، كما في اربيل، لايوجد عنصر راق من العرب ينتمي الى المدينة لكي يمكن الاستناد اليها في تعريب اللواء"(٢٠٤).

---

(٢٠٢)"الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية تسجيل الاحوال المدنية العامة. مديرية الشعبة الفنية. دليل التعداد العام لسنة ١٩٦٥"، بغداد، ١٩٦٥، ص ٣٨٦.

(٢٠٣)المصدر نفسه، ص ١٥٤ ـ ١٥٨.

(٢٠٤)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية، البلاط الملكي، التسلسل العام ١٣٢- و ع، رقم الملف: د/٧، موضوع الملف: القضايا الكردية، ص ١٥، الوثيقة رقم ١.

وفي الواقع لم تجر محاولات لتعريب كركوك وتوابعها طوال العهد الملكي الا في حدود ضيقة لم يكن من شأنها ان تؤثر على واقعهما القومي(٢٠٥)، فان مشروع الحويجة الاروائي الذي تم انجازه في العقد الخامس من القرن العشرين ساعد على توطين الجبور و العبيد و الشيشان، والأخير عنصر غير عربي انتقل من القفقاس الى المنطقة في اواسط القرن التاسع عشر على اثر ضم روسيا القيصرية لبلادهم اليها(٢٠٦)، بينما اهمل القيمون على المشروع مصالح العشائر الكردية في المنطقة، و لاسيما الداودة التي ازيحت من مواقعها تحت ضغط العبيد بعد عبورهم لجبل حمرين في اواخر القرن الثامن عشر ـ اوائل القرن التاسع عشر، مما ولد بعض الحزازات بين الطرفين(٢٠٧).

لم يؤثر ذلك، كما قلنا، على الواقع القومي لكركوك و توابعها. فان نتائج الاحصاء الرسمي للعام ١٩٥٧، التي نشرت تفصيلاتها "بثلاثة عشر جزءا كاملا" في العام ١٩٦٥، تؤكد صحة، ودقة جميع المعلومات التي اوردناها بخصوص الوجود العشيري العربي في توابع كركوك. فبموجب ذلك الاحصاء بلغ مجموع عدد افراد العشائر العربية المتوطنة (المستقرة) في لواء

(205)M.S.Lazarev, Kurdskaya Problema, - "Natsionalnie Protesssi v Stranakh Blijnevo i Srednevo Vostoka", Moscow, 1970, P. 157.
(206) C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P. 247.

في الترجمة العربية ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢٠٧)"تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة ببين الأحوال الاجتماعية والسياسية للعشائر العراقية وعلاقاتها بالادارة البريطانية"، ص ١٨٩.

(محافظة) كركوك من غير البيات و المتفرقة و المختلطة التي ضمت العرب و الكرد و التركمان معا من دون تحديد هوياتهم القومية ٣٤٨٠٩ اشخاص(٢٠٨)، و بلغ مجموع عدد افراد العشائر العربية الرحالة (المتنقلة) فيها ١٣٦٦ شخصا فقط(٢٠٩)، فيكون مجموعهم معا ٣٦١٧٥ شخصا. اما عدد البيات، وكان جميعهم من المستقرين، فقد بلغ ٩٤٠٢، فاذا اعتبرناهم جميعا من العرب، و في هذا قدر من الاجحاف واضح، حينئذ يرتفع مجموع عدد افراد العشائر العربية المتوطنة و الرحالة في كل لواء (محافظة) كركوك الى ٤٥٥٧٧ شخصا، يقابلهم ١٧٨٠ تركمانيا، وجميعهم ايضا من المستقرين، بضمنهم ابناء عشيرة قوشجي، و ٦٢٢٢٨ كرديا، ٥٧١٠٢ من ابناء العشائر الكردية المتوطنة في المحافظة، و ٥١٢٦ منهم من ابناء العشائر الكردية الرحالة فيها(٢١٠).

يتألف النمط الثاني، المدني من الوجود العربي في كركوك وتوابعها من الموظفين و العمال و غيرهم من الكسبة الذين جاء معظمهم الى اللواء (المحافظة) بحثا عن العمل، اذ تحولت كركوك، بسبب انتاج النفط فيها، الى نقطة جذب للباحثين عن العمل، حالها في ذلك حال العاصمة بغداد والبصرة و الموصل، المحافظات الاربع التي ادى "تركز الصناعات" فيها الى "جلب اعداد كبيرة من المهاجرين الذين جاءوا من المناطق الزراعية،

---

(٢٠٨) "دليل التعداد العام لسنة ١٩٦٥"، ص ٣٨٣-٣٩٢.

(٢٠٩) المصدر نفسه، ص ٤٩٩-٥٠٢.

(٢١٠) المصدر نفسه، ص ٣٨٣-٣٩٢، ٤٩٩-٥٠٢.

وبخاصة من محافظة العمارة، حيث الحياة المجهدة في مزارع الرز، و تسلط الاقطاع في الماضي"(٢١١). احتلت كركوك، بحكم ذلك، المرتبة الثالثة بعد بغداد و الديوانية من حيث النسبة المئوية لزيادة سكانها في الحقبة الممتدة بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٧، وذلك بسبب الهجرة المتزايدة اليها، فان النسبة المئوية لزيادة سكانها بلغت ٣٦٪، أي بمقدار مرة ونصف الى مرتين اكثر من المحافظات الاخرى(٢١٢). يعلق احد المتخصصين على ذلك بالقول:

"ان القسم الاكبر من محافظة كركوك، وخاصة الجنوب منه، شبه جاف، ولكن وجود شركة النفط العراقية وآبارها العديدة في هذه المحافظة رفعت من نسبة الكثافة السكانية فيها"(٢١٣).

يبين تحليل نتائج احصائي عامي ١٩٤٧ و ١٩٥٧ ابعاد هذا الموضوع بصورة واضحة. فبموجب اول احصاء رسمي عام اجري في العراق عام ١٩٤٧ بلغ مجموع سكان مركز قضاء كركوك من العراقيين ٦٧٧٥٦ شخصا، بلغ عدد المولودين منهم في لواء كركوك نفسه ٤٩٤٤١، اما الباقون فانهم كانوا من مواليد الالوية الاخرى، و ان معظمهم ماكانوا يمتون بصلة مباشرة الى سكان المدينة الأصليين، منهم، على سبيل المثال، ٣١٣٧ من مواليد لواء بغداد، و ٣١٦٥ من مواليد لواء الموصل، و ١٦٣٩ من مواليد لواء ديالى. وكان يوجد

(٢١١)الدكتور احمد نجم الدين، احوال السكان في العراق، من منشورات معهد البحوث و الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٩.

(٢١٢)المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٢١٣)المصدر نفسه، ص ٦٢.

بينهم من كانوا من مواليد المناطق العربية الجنوبية و الوسطى الذين جاء معظمهم مع اسرهم الى كركوك للعمل لدى شركة النفط بصورة خاصة، منهم ١٥٩٨ من مواليد العمارة، مركز الضخ السكاني بسبب الاستغلال الاقطاعي الفظيع، و ٨٦٣ من مواليد لواء المنتفك، و ٤١٠ من مواليد لواء الحلة، و ٣٦٠ من مواليد لواء البصرة، و ٢٧١ من مواليد لواء الكوت، و ٢١٣ من مواليد لواء الديوانية، و ٢٠٥ من مواليد لواء الدليم (الانبار)، و ٩٨ من مواليد لواء كربلاء. بينما تختفي هذه الظاهرة بالنسبة لريف كركوك(٢١٤).

اما بموجب احصاء العام ١٩٥٧، وهو اول إحصاء رسمي عراقي يجري على اساس قومي، فقد بلغ مجموع العرب في لواء (محافظة) كركوك ١٠٩٦٢٠ شخصا، وعدد التركمان ٨٣٣٧١ شخصا، وعدد الاكراد ١٨٧٥٩٣ شخصا(٢١٥). وبموجب الارقام التفصيلية للاحصاء نفسه فقد بلغ مجموع الذين كانوا بالاصل من مواليد الموصل وبادية الجزيرة ٥٤٩٤ شخصا، ومن مواليد لواء بغداد ٤٨٥٥، ومن مواليد ديالى ٣٧٠٨، ومن مواليد لواء العمارة ١٨٤٧، ومن مواليد لواء الناصرية ٩٩٥، ومن مواليد لواء الرمادي (الانبار) والبادية الشمالية ٨٦٤، ومن مواليد لواء البصرة ٣٥٠، ومن مواليد لواء الكوت ٣٤٣، ومن مواليد لواء الحلة ٣١٣، ومن مواليد لواء الديوانية والبادية الجنوبية

---

(٢١٤)"المملكة العراقية. وزارة الشؤون الاجتماعية. مديرية النفوس العامة. احصاء السكان لسنة ١٩٤٧"، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٥٤، ص ١١٥.

(٢١٥)"الجمهورية العراقية. وزارة الداخلية. مديرية النفوس العامة. المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧. لوائي السليمانية وكركوك"، بغداد - مطبعة العاني، دون سنة الطبع، ص ٢٤٣.

٢٢٤، ومن مواليد لواء كربلاء ٧٥، ومن مواليد الاقطار العربية اكثر من ٣٠٠، فيكون المجموع ١٩٣٦٨(٢١٦). واذا استثنينا حالات قليلة (كربلاء والبصرة والحلة) فان ارتفاعا كبيرا يلاحظ في نسبة سكان لواء (محافظة) كركوك المولودين في المحافظات الاخرى، تصل احيانا اكثر من مرتين قياسا بما كان عليه الامر في احصاء العام ١٩٤٧. ومن الجدير بالذكر ان الاحصاء نفسه يشير الى ان ١٣٥٣ من سكان محافظة كركوك كانوا من مواليد تركيا بالأصل(٢١٧). يستحق هذا الموضوع، بدوره، وقفة خاصة.

التركمان في كركوك و توابعها:

تطرقنا ضمن المباحث السابقة الى جوانب مختلفة من هذا الموضوع الذي يحتاج، فضلاً عن ذلك، الى تحديد تأريخي مستقل، ذلك لأن التركمان يؤلفون جزءا أساسياً من كركوك وتوابعها مجتمعاً وثقافة و سياسة في إطار تأريخهما الحديث والمعاصر.

حسب المؤرخ التركماني العراقي شاكر صابر الضابط، وهو يستند في معظم مايقول على مؤلفات العرب والمسلمين القدامى، يرجع تأريخ أول دخول تركماني الى العراق الى العام ٥٤ للهجرة (٦٧٤ للميلاد) حين جاءت نصرة للخليفة مؤلفة من أربعة الاف مقاتل.

---

(٢١٦)المصدر نفسه ،ص٢٤٠ـ٢٤١.

(٢١٧)المصدر نفسه.

دشن هذا، على مايبدو، تدفقاً تركمانياً ذا طابع عسكري الى العراق في عهود إسلامية مختلفة. يقول إبن خرداذبة في "المسالك والممالك" ان "والي خراسان عبدالله بن طاهر كان يرسل الى العراق ألفي تركي سنوياً من مختلف مدن تركستان، وذلك تنفيذاً للاوامر الصادرة اليه من الخليفة". يقول الدكتور مصطفى جواد "وكما إجتذب قواد من بني أمية الأتراك،وجندوهم،كذلك إجتذبهم بنو العباس، فقد كانت دعاياتهم بلغت بلاد الترك في تركستان وآسيا الوسطى، وثاروا على بني أمية، وإستنهضوهم داعين الى عيش رفيع جديد.. فتوافدت اليهم جموع غفيرة من الاتراك من طامع في مالٍ، وراغب في تبديل حال، ومتطوع يظن طاعة لوجه الله". ورد في "العقد الفريد" (٢٠٣/٢) لابن عبد ربه إن هارون الرشيد أدخل التركمان في جيشه وحرسه الخاص. وكان معظم حرس المأمون منهم أيضاً، كما جند المعتصم جيشاً منهم، أسكنهم في سامراء سنة ٢٢١ للهجرة (٨٣٦ للميلاد)، وفي عدد من المواقع الستراتيجية. تعزز هذا النمط من وجود التركمان في العصر البويهي (أواسط القرن العاشر حتى أواسط القرن الحادي عشر للميلاد)، فقد كان "غالب جنود الدولة البويهية من الديلم والترك"(٢١٨).

بالاستناد الى هذه الحقائق، ومجموعة كبيرة غيرها، يستخلص الضابط إستنتاجاً يقول نصه "يظهر مما تقدم ان المواطنين الاتراك في العراق كان قد عهد اليهم واجب الدفاع عن وطنهم ضد الهجمات الخارجية، والمحافظة على الامن

---

(٢١٨)عن ذلك ينظر:

شاكر صابر الضابط، موجز تأريخ التركمان في العراق، الجزء الاول، ص ٢٨، ٣٨_٤٠، ٤٢، ٤٤_٤٥، ٥٠ _٨٧ وغيرها.

الداخلي. ونجدهم لذلك قد أسكنوا في العصر الاموي والعباسي الأول في المدن و الثغور والمواقع العسكرية الستراتيجية في مختلف أنحاء العراق. فقد إستوطنوا في البصرة، واسط، بغداد، سامراء، تكريت، الموصل، تلعفر، أربيل، كرخيني (كركوك)، بندنجين (مندلي) ومناطق ديالى الاخرى، وشهرزور (منطقة حلبجة) وغيرها من المناطق" ، وان "الاتراك الذين نزحوا الى العراق حتى عهد الدولة البويهية كانوا قد إتخذوا أواسط العراق وجنوبه وطناً لسكناهم و إقامتهم، والمدن والمناطق الستراتيجية في الشمال، وخاصة في سامراء والموصل وأربيل وكركوك و تكريت وغيرها"[219].

يستحق رأي اللجنة الخاصة التي الفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل إهتماماً خاصاً في هذا المجال ذلك لان اللجنة رجعت الى عدد كبير من المصادر والمراجع، واستأنست بآراء المستشرق المعروف، أحد مؤلفي "دائرة المعارف الاسلامية" وصاحب مقالة كركوك فيها ج.هـ .كريمرز (J.H.Kramers)، ولانها (اللجنة) لم تتأثر بآراء البريطانيين والكماليين ـ طرفي النزاع على ولاية الموصل. أكدت اللجنة وجود جماعتين رئيسيتين من الترك في ولاية الموصل ـ ترك شرقيين وترك غربيين، تتكلمان لهجتين مختلفتين، وإن أفرادهما منحدرون عن جنود الخلفاء العباسيين المرتزقة، وعن جنود طغرل و حلفائه، وعن جنود الاتابكة، وعن جنود السلاطين العثمانيين وضباطهم و موظفيهم في العصور المتأخرة[220]. وأغلب الظن ان

---

(٢١٩)المصدر نفسه، ص٤٧،٥٣.

(220)"League of Nations.Question of the frontier between Turkey and Iraq",P.47.

هذا الواقع هو الذي دفع أدموندس الى ان يستخدم في كتابه "كرد وترك وعرب" مصطلح التركمان للدلالة على أهل القرى، أو المدن الذين هم من سواد المجتمع فيها، ويتكلمون التركمانية عموماً، والترك للدلالة على أفراد الاسر الارستقراطية من بقايا الموظفين والعسكريين العثمانيين من ترك وغيرهم ممن إستتركوا، ولاسيما في مدينة كركوك نفسها، ممن يتكلمون التركية العثمانية.

تنهب المصادر العلمية العراقية الى الراي نفسه حول اصل التركمان، ومناطق وجودهم في العراق(٢٢١)، كما ورد في الدليل الرسمي العراقي عنهم، إنهم:

"أنزلوا في العهد السلجوقي والعهد العثماني في مراكز على خط عسكري عند ملتقى المنطقتين العربية والكردية ثم نمت هذه المراكز فاصبحت مدناً كبيرة مثل تلعفر و الكوير ومخمور والتون كوبري وداقوق و طوز خورماتو وخانقين ومندلي والجيزاني، وكانت لغتها التركمانية تمثل السلطة الحاكمة لعهد قريب"(٢٢٢).

في ظل العثمانيين تعزز وجود التركمان ونفوذهم في كركوك وتوابعها، ولاسيما بعد أن دخلتا ضمن الاملاك العثمانية دخولاً رسمياً ثابتاً وفق

من المفيد أن نشير الى ان شاكر صابر الضابط لم يعترض على هذا الراي، بل اورد مضمونه العام في الص ٣٣- ٣٤ من كتابه المذكور "موجز تأريخ التركمان في العراق".

(٢٢١)ينظر على سبيل المثال في:

الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي. دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية. بغداد، ١٩٧٣، ص ٢١١-٢١٢، طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص ١٠٠. ١٠١، فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص١٠٦-١٠٧.

(٢٢٢)"دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ "، ص ٤٢١.

معاهدات الحدود الاولى بين الدولتين العثمانية و الصفوية، بدءا بمعاهدة أماسييه الموقعة بين الطرفين يوم التاسع والعشرين من أيار سنة ١٥٥٥(٢٢٣).

ومما له مغزاه ان إشارات صريحة وردت في الوثائق العثمانية الرسمية بخصوص النزاع حول الحدود مع إيران، الى سناجق "شهرزور و كركوك و رواندوز و عمادية و حكاري (هەكاري)و وان و بايزيد" بوصفها مناطق كردية حتى في وقت متأخر مثل العام ١٩٠٨(٢٢٤).

منذ وقت مبكر من إحتلالهم إحتفظ العثمانيون بحامية من الجنود الانكشاريين في كركوك، لتستعيد بذلك الاهمية التي كانت تتمتع بها في عهد ماقبل الاسلام، وذلك "باعتبارها حصنا بوجه عدو آت من الشرق - من إيران"(٢٢٥). وقد تعزز الوجود العسكري العثماني هذا بمرور الزمن بسبب إزدياد الحاجة للحفاظ على الطريق التجاري الممتد من الاناضول الى العمق العراقي، ولردع العشائر الكردية، ولاسيما الهموند التي كانت تمثل خطرا حقيقيا في كركوك و توابعها. إحتفظت كركوك بموقعها هذا حتى أواخر العهد العثماني حين كان الجند يخرجون منها لقمع الخارجين على الباب

---

(223) J.H Kramers,Kirkuk,-" The Encyclopedia of Islam ", VOL.II, P.1028; C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.265.

(٢٢٤)عن ذلك ينظر،

M.S.Lazarev,Kurdistan i Kurdskaya Problema (90-e godi XIX Veka. 1917g.),Moskva,1964,PP.134-135;M.S.Lazarev,Kurdskii Vopros1891-1917,Moskva,1972,P.141.

(225)"The Encyclopedia of Islam ", Vol.II,P.1028

العالي في أقاصي كردستان(٢٢٦). و قبل الحرب العالمية الاولى بمدة فتح العثمـانيون رشـدية عسكرية في كركوك الـتي تحولـت قبـل ذلـك التـأريخ الى "موطـن يمـد الحكومة العثمانية بالموظفين المدنيين والجندرمـة موضع الإعتماد "فظهر بـين التركمان من تقلد "منـاصب مهمـة في الجيـش والادارة" في ذلـك العـهد .وإرتبـط قطـاع مؤثـر مـن التركمـان بـالارض والزراعـة، إذ أغـدق البـاب العـالي علـى بعضهم "إقطاعيات زراعية كبيرة"(٢٢٧).

بحكم هذه العوامل، وغيرها، ظهرت أرستقراطية تركمانية خصوصاً داخـل كركوك نفسها، تمتعت بنفوذ سياسي و إقتصادي و ثقافي كبـير تعـزز الى حـد كبـير مـع إنتقـال السـلطة الى الاتحـاديين إثـر ثورتـهم في العـام ١٩٠٨. يقـول متخصص بهذا الصدد مانصه:

"ونـهج الا تحـاديون السياسـة العثمانيـة السـابقة، وزادوا عليـها بـإذكـاء الـروح القومية عند التركمان (في العراق) وفتحوا العديد من فروع جمعية الا تحاد والـترقي

(٢٢٦) عن ذلك تنظر في:

"لغة العرب" (مجلة)، بغداد، الجزء العاشر من السنة الثالثة، عن جمادي الاولى ١٣٣٢/نيسان ١٩١٤، ص٥٥٧.

(٢٢٧) للتفصيل عن هذه الأمور ينظر في :

S.H.Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq ,P.43;C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs,pp.265-266; " Iraq.An Introduction to the Past and Present of the Kingdom of Iraq", by a Commitee of Officials,Baltimore, 1946,P.30;

فيصل محمـد الارحيـم، تطور العـراق تحت حكـم الاتحـاديين، ص ١٠٦-١٠٨ ؛ طه الهاشمي، مفصـل جغرافيـة العراق، ص١٠٠ـ ١٠١.

في مناطقهم، وإنتسب اليها الكثير منهم، وقبلوا الطلاب التركمان في مدارس إستانبول، وشجعوهم على السفر اليها.."(٢٢٨).

تركت هذه الامور بصماتها القوية على مختلف جوانب الحياة في كركوك و توابعها في العهد العثماني، حتى ان أسرا كردية معروفة، أو اجزاء منها غيرت هويتها القومية، منها الاسرة اليعقوبية (آل يعقوب زاده) المعروفة التي تنتمي الى عشيرة زمنكنه الكردية(٢٢٩)، مع العلم ان يعقوبيي أربيل حافظوا على هويتهم القومية الاصلية. وكان يعقوبيو كركوك من ملاكي المنطقة البارزين، مما منحهم نفوذا كبيرا. لم تقتصر هذه الظاهرة على كركوك، فإن الضابط البريطاني في الجيش العثماني الميجر مللنجن لاحظ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كيف أن العديد من كرد أرضروم و وان غيروا هويتهم القومية "من اجل التقرب من الدولة، ونيل الامتيازات".

تجاوزت الافرازات الثقافية التركية ذلك، فان التركية بوصفها لغة السلطة و التعليم إنتشرت على نطاق واسع في كركوك وتوابعها، خصوصاً وان العثمانيين أولوا التعليم في كركوك إهتماماً أكبر مما اولوه في معظم المدن العراقية الاخرى، انهم أسسوا فيها، على سبيل المثال، مدرسة للصنائع في وقت مبكر مثل العام ١٨٧١، وهي كانت واحدة من ثلاث مثلها في كل العراق،

---

(٢٢٨) فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٧-١٠٨.

(229)C.J.Edmonds,Kurds, Turks and Arabs, P.266.

كما إنهم أسسوا اول مدرسة سلطانية(٢٣٠) عراقية في كركوك عام ١٩١٠، وافتتحوا الثانية في بغداد بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات (في كانون الاول ١٩١٣)، في حين "لم تنجح مساعي والي الموصل مطلع العام ١٩١٤ في تحويل المدرسة الاعدادية هناك الى مدرسة سلطانية". وكانت التركية هي لغة التدريس في جميع المدارس وغيرها، حتى أن اللغة العربية كانت تدرس في المدارس العراقية باللغة التركية، ومن قبل معلمين أتراك، وكان مجموع الساعات الاسبوعية المخصصة للغة التركية في المدارس الرشدية والاعدادية إثنتين وعشرين ساعة، أي ضعف الساعات المخصصة للعربية بوصفها لغة الدين والقرآن (٢٣١).

أدت الصحافة والمؤلفات الادبية التركية دورها الملموس في هذا المضمار. فكما هو معلوم ان العديد من الصحف العراقية كانت تصدر إما باللغة التركية، أو بالتركية والعربية، او بالتركية والكردية معاً، كما ان صحافة إستانبول لقيت رواجاً واضحاً بين مثقفي الكرد والتركمان سواء في كركوك، أو في مدن المنطقة الاخرى. وينطبق القول نفسه على نتاجات أشهر المثقفين الترك المحدثين من أمثال نامق كمال (١٨٤٠-١٨٨٨) الذي تأثر به أبرز شعراء الكرد، منهم الشيخ رضا الطالباني الذي كان على إتصال شخصي

---

(٢٣٠)اعدادية متطورة، كانت تدرس اللغة الفرنسية بوصفها مادة إضافية.

(٢٣١)للتفصيل عن هذه الموضوعات ينظر في:

الدكتور إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩–١٩٣٢)، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٢، ص٣٩، ٥٨ –٦٠؛ الدكتور جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير ١٨٦٩–١٩١٨، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٤١–١٦٠، ١٨٢–١٩٠ وغيرها.

به، وقد أبدع هو، وغيره من أدباء الكرد المعروفين، باللغتين الكردية والتركية كما نبين ذلك بشيء من التفصيل في مبحث اخر من هذه الدراسة.

لاغرو إذن ان تحولت التركية الى لغة الثقافة والتخاطب على نطاق واسع لابين تركمان كركوك وتوابعها وحدهم، بل ايضاً بين الكرد و العرب وغيرهم هناك دون أن يؤثر ذلك على واقعهم القومي. فحسبما يؤكد كريمرز ان اليهود وحدهم كانوا يتكلمون بالعربية في كركوك قبل الحرب العالمية الاولى، فيما كان مسيحيو كركوك، الذين قدر عددهم بثلاثمئة وخمسين أسرة يتكلمون "بالتركية، ويكتبون بالاحرف السريانية"(٢٣٢).

إمتدت هذه الظاهرة الى توابع كركوك أيضاً، فقد لاحظ الرحالة ان "لغة أهل دوزخورماتو هي الكردية والتركية"(٢٣٣). سجلت مجلة علمية عراقية معاصرة الملاحظة الآتية عن عرب زين العابدين:

"مزار الامام زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي، وهو بناء ذو ثلاث قباب مشيد على تل أثري عال يقع الى الشمال الشرقي من قصبة داقوق، وعلى بعد ٧كم، يتوسط قرية تعرف باسمه، سكانها معظمهم من العرب، ولكن اللغة السائدة بينهم هي اللغة التركية"(٢٣٤).

تأثر التركمان بدورهم بعرب المنطقة وكردها في إطار تاثر و تأثير غير قسري. نورد بهذا الخصوص ماذكره طه الهاشمي:

(232)J.H.Kramers, Kirkuk,-"TheEncyclopediaof Islam",VOL,P.1028.

(٢٣٣)"رحلة المنشئ البغدادي"، ص٣٩.

(٢٣٤)"السومر"، المجلد الثاني عشر، الجزء الاول والثاني، ١٩٥٦، ص ٣٩.

"ولاشك في ان هؤلاء (التركمان) لم يحتفظوا بسجاياهم التركية الاصلية، لانهم إختلطوا بالاكراد والعرب، وإمتازوا عن أتراك الاناضول"(٢٣٥). كما يقول فيصل محمد الارحيم عن لغتهم إنها "إبتعدت كثيرا عن الاصل، وتخللتها مفردات عربية وكردية"(٢٣٦).

تختلف المصادر في تقدير عدد التركمان في العراق قبل إحصاء العام ١٩٥٧ الذي أشرنا الى تفصيلاته بالنسبة لهم في المبحث السابق. فإن المثقفين التركمان كانوا يبالغون في تقديراتهم، ربما بتأثير شيوع لغتهم على نطاق واسع، فيما كان غيرهم يذكرون أرقاماً أقل من الواقع بكثير، إذ أعادوا بعد مرور عقود من الزمن نفس الرقم (٦٠ ألفاً) الذي قدمته الحكومة البريطانية سنة ١٩٣١ الى عصبة الأمم في آخر تقرير لها عن سير الادارة في العراق(٢٣٧)، وهو الرقم الذي ذكره طه الهاشمي أيضاً في العام ١٩٣٠(٢٣٨)، بل ان بعضهم ذكر في العام ١٩٧٥ رقماً أدنى حتى من ذلك (٣٨٨٥٢ فقط) بالاستناد الى مرجع يعود تأريخ طبعه الى العام ١٩٣٦(٢٣٩)، الخطأ الذي وقعت فيه أيضاً

---

(٢٣٥)طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص١٠١.

(٢٣٦)فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٧.

(237)" Special Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the progeess of Iraq during the period 1920-1931", London, 1931,P.279.

(٢٣٨)طه الهاشمي، مفصل جغرافية العراق، ص١٠٠-١٠١. أكد المؤلف ذلك مرتين، الاولى في الص ١٠٠ والثانية في الص ١٠١.

(٢٣٩)ينظر على سبيل المثال،

فيصل محمد الارحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين، ص ١٠٦، ٢٨٦-٢٨٧.

فيه أيضاً مصادر غربية، منها كتاب عن العراق وضعته لجنة خاصة في الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية، فقد قدر نفوس التركمان باقل من ثلاثين ألفاً(٢٤٠).

يحدد الدكتور عبدالرحمن الجليلي منطقة سكن التركمان في العراق المعاصر على النحو الآتي:

"وهناك شقة من الارض طويلة، ضيقة تسكنها الاقلية التركية في أماكن متقاربة، وإن لم تكن متلاصقة، وتمتد من غربي الموصل الى أربيل، الى كركوك جنوباً، وتستمر حتى تصل قريباً من بغداد، وهي في معظمها من مخلفات الجيوش التركية التي غزت العراق، فتركت فيه حاميات في أماكن مختلفة إختلطت بالمحيط، فاحتفظت ببعض مقوماتها، وإكتسبت في نفس الوقت عادات وتقاليد البيئة (الجديدة)، كما ان في المدن الكبيرة عدداً لايستهان به ممن يمتون بالصلة في الاصل الى الاتراك"(٢٤١).

قبل أن نختتم هذا المبحث نرى من الضروري أن نشير الى أن أفضل العلاقات كانت تربط مابين الكرد والتركمان، سواء في كركوك وتوابعها، أو في المناطق الاخرى (٢٤٢)، الأمر الذي لاحظه مراقبون أجانب أشاروا إليه في مؤلفاتهم بصورة خاصة. يقول المقدم الشيخ عبدالوحيد عن ذلك:

---

(240)"Iraq. An Introduction to the Past and Present of the Kingdom of Iraq ", P.30.

(٢٤١)الدكتور عبدالرحمن الجليلي، محاضرات في إقتصاديات العراق، القاهرة، ١٩٥٥، ص١٤.

(٢٤٢)يحتفظ المؤلف بصورة وثيقة مهمة محفوظة في دار الكتب والوثائق عبارة عن برقية إحتجاج شديدة اللهجة رفعها المقدم (فيما بعد الفريق) عمر علي إحتجاجاً على تجاوز عدد من الجنود على قرية برزانية في العام ١٩٤٧.

" وقامت أمتن العلاقات بين الشعبين الكردي والتركي بسبب كثرة الاختلاط بينهما، والسياسة الحكيمة التي اتبعها السلاطين بمنحهم الولايات الكردية الحكم الذاتي التام. كان من أهم نتائج منح الاكراد الاستقلال التام داخل اطار الامبراطورية العثمانية انهم اشتركوا مشاركة فعالة مع الحكومة التركية، وتعاونوا معها تعاوناً وثيقاً.."(٢٤٣).

لكن شرخاً ما بدأ يعتري تلك العلاقات بحكم عوامل مصطنعة يتحمل الجميع بدرجات متفاوتة وزر خلقها وإثارتها بصورة، أو بأخرى، يأتي البريطانيون في مقدمتهم من حيث التسلسل الزمني في سياق التأريخ المعاصر.

كركوك وتوابعها في ظل الاحتلال البريطاني

احتلت كردستان عموماً موقعاً مهماً في وقائع الحرب العالمية الاولى على صعيد الشرق الاوسط، وحظيت بإهتمام الاطراف المتحاربة، ولا سيما بريطانيا في جبهة الحلفاء (٢٤٤). ومما يهمنا في مجال بحثنا بهذا الخصوص هو ان البريطانيين، على الرغم من تجاهلهم لطموحات الشعب الكردي المشروعة في اتفاقياتهم، ومراسلاتهم السرية في سنوات الحرب بخصوص مستقبل الاصقاع غير التركية من الامبراطورية العثمانية، الا أنهم أشاروا

---

(٢٤٣)المقدم الشيخ عبدالوحيد، الاكراد وبلادهم، ص١٣٢،١٣٦.

(٢٤٤)للتفصيل عن ذلك ينظر:

الدكتور كمال مظهر أحمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الثانية، ترجمة محمد الملاعبدالكريم المدرس، منشورات المجمع العلمي الكردي، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٤، ٤١٦ صفحة.

فيها صراحة الى مصطلح كردستان واطارها الجغرافي. ففي المذكرة المفصلة السرية التي اصدرتها وزارة الخارجية البريطانية (تقع المذكرة في ثلاث وعشرين صفحة من الحجم الكبير) بتأريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩١٨ ورد نص صريح يبين أن كردستان العراق تمتد الى الشرق من نهر دجلة والى ماوراء جبل حمرين(٢٤٥).

ومن المهم ان نلاحظ أيضاً ان الشريف حسين أشار صراحة في مراسلاته السرية مع البريطانيين في سنوات الحرب العالمية الاولى الى أنه يقصد بالعراق "ولايتي بغداد والبصرة التركيتين السابقتين"(٢٤٦) (في النص الانكليزي:" – the former Turkish Vilayets of Basra and Baghdad together Iraq". كما تؤكد الوثائق نفسها أن أقصى ما كان يطمح اليه الشريف حسين بالنسبة للدولة العراقية التي تقرر أنشاؤها هناك هو أن تمتد حدودها بحيث تشمل "أثار بلاد ما بين النهرين" التي كان يقصد بها نينوى (٢٤٧).

بعد مرور يوم واحد على اعلان لندن الحرب ضد الدولة العثمانية في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩١٤ باشرت القوات البريطانية من الجنوب بإحتلال العراق. لكن تلك القوات لم تبلغ المناطق الكردية الا في السنة

(245)Public Record Office,C.O., 733/424/75981-3303,Political Intelligence Department, Foreign Office ,Special I, Memorandum about Settelment of Turkey and the Arabian Peninsula, Secret,PP.5,7.
(246)Ibid, P.6.
(247)Ibid,P.6.

الاخيرة من الحرب، وقبيل ذلك فقط بدأت الاتصالات المباشرة بين البريطانيين وزعماء الكرد. فبعد احتلال بغداد في الحادي عشر من اذار ١٩١٧ اتصل البريطانيون لاول مرة بهؤلاء في كركوك والسليمانية. يقول لونگريگ عن ذلك:

"لم يجر الضباط السياسيون، الذين كانوا يتقدمون الجيش البريطاني الزاحف، أي اتصال مع الاكراد قبل سقوط بغداد، ولذلك كانت العلاقات التي أقامها البريطانيون مع الاكراد بعد سقوط بغداد في شهر اذار ١٩١٧ مخيبة للآمال. ولم تعقب الرسائل التي تبودلت مع الكرد الساكنين في كركوك والسليمانية أي رسائل اخرى. وكانت خانقين هي المنطقة الكردية الوحيدة التي فتحت أبوابها أمام التغلغل البريطاني.. " (٢٤٨).

بعد سقوط خانقين تعززت اتصالات البريطانيين بالزعماء الكرد، فقد عين الخبير بشؤون الكرد، العليم بلغتهم الميجر سون ضابطاً سياسياً هناك إعتبارا من السادس من كانون الاول سنة ١٩١٧، وهو نفسه الذي زار المنطقة، بما فيها كركوك، متنكرا قبل نشوب الحرب العالمية الاولى بسنوات. اتصل سون من خانقين بزعماء الكرد، بمن فيهم رؤساء الطالبانية. وما ان احتل البريطانيون كفري في ايار سنة ١٩١٨ حتى أقاموا صلات أوثق بعدد من الشخصيات الكردية في كركوك وتوابعها، منهم الشيخ حميد الطالباني ونجله

---

(248)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950.A Political, Social and Economic History, Lonoon, 1955,P.96.

في الترجمة العربية لسليم طه التكريتي بعنوان "العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠"، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٦٢.

الشيخ وهاب الطالباني (٢٤٩). وقد أخبرت السلطات البريطانية زعماء الكرد هؤلاء، وغيرهم في أكثر من مناسبة، أثناء الحرب وبعدها مباشرة، أخبرتهم "بصورة رسمية أنها لاتنوي ان تفرض عليهم إدارة غريبة على تقاليدهم، ورغباتهم"(٢٥٠). ولم تأت مثل تلك التاكيدات اعتباطاً، فان رؤساء العشائر الكردية الذين إتصل بهم البريطانيون ، بمن فيهم رؤساء عشائر كركوك وتوابعها، أكدوا منذ البداية تمسكهم بحقوق شعبهم القومية. ورد في مذكرة بعثها الحاكم المدني من بغداد يوم السابع من كانون الاول سنة ١٩١٧ الى شخص الوزير البريطاني لشؤون الهند مايلي:

"واعتقدت العشائر الكردية بصورة عامة أن الفرصة الان اصبحت مواتية للمطالبة بحقوقها القومية، وقد تم إحياء فكرة الحكم الذاتي التي ظهرت بذورها في ظل الحكم الدستوري (التركي). ومما زاد الفكرة عمقاً الشروط المعلنة للعرب في البيان الذي اعدتم إعلانه من قبلنا يوم فتح بغداد(٢٥١)، والتي أظهرت وجهة نظر مغايرة تماماً نحو الطموحات، والامال القومية مقارنة بتلك (الشروط) التي كانت مطبقة من قبل الترك"(٢٥٢).

---

(٢٤٩)دار الكتب والوثائق، الملف رقم ١٢/٨، موضوع الملف، تقارير شهرية عن خانقين، "تيگەیشتنی راستی" (فهم الحقيقة)، جريدة باللغة الكردية، بغداد، ٢٦ آب ١٩١٨، C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, P.29 (في الترجمة العربية ص٣٣).

(250)Elie Kedouri, The Kingdom of Iraq: A Retrospect,- " The Chatam House. Version and other Middle Eastern Studies ", London 1970,P.256.

(٢٥١)يقصد البيان الذي أذاعه الجنرال مود على أهالي بغداد يوم إحتلالها من قبل القوات البريطانية في الحادي عشر من اذار سنة ١٩١٧.

(252) Public Recerd Office, F.O., 371/3407,X/M 7739,B.12950, No.101150.

في خضم حرب الدعاية الواسعة التي رافقت الحرب العالمية الاولى اصدر البريطانيون منذ اليوم الاول من كانون الثاني عام ١٩١٨، اي قبل احتلال كركوك بمدة، جريدة كردية في بغداد تحمل اسم "تيْگەيشتنى راستى" "فهم الحقيقة"، استهدفوا منها كسب الكرد الى جانبهم، وابعادهم عن العثمانيين. زينت "تيْگەيشتنى راستى" صدر عددها الاول بهذا الشعار "صحيفة سياسية اجتماعية تخدم إتحاد الكرد وحريتهم" الموضوعة التي تكررت مراراً في مواد أعدادها التالية، ومقالاتها الافتتاحية (٢٥٣).

وجهت "تيْگەيشتنى راستى" نداءاتها الى رؤساء الكرد في كركوك والسليمانية وتوابعهما اكثر من أي منطقة كردية أخرى، فقد حثت مرارا العشائر الكردية في كركوك-الطالباني والجاف والهموند و زنگنه وشوان وشيخ بزيني وغيرها، على إثارة "حركة واسعة" من أجل انقاذ المنطقة الكردية "من براثن العثمانيين المتخلفين". وتغنت الصحيفة بين الجميع بمآثر الهموند بوصفها دليلاً على شجاعة الكرد لتحريضهم على حمل السلاح، فقالت "لاداعي لكي نبتعد كثيرا، فقبل سنوات مضت اذلت عشيرة الهموند الكردية عساكر الترك والعجم مرارا"(٢٥٤). أولت "تيْگەيشتنى

---

(٢٥٣)للتفصيل عن ذلك ينظر:

الدكتور كمال مظهراحمد، "تيكەيشتنى راستى" و موقعها في الصحافة الكردية، من منشورات المجمع العلمي الكردي، بغداد، ١٩٧٨.

(٢٥٤)تنظر على سبيل المثال:

"تيگەيشتنى راستى"، العددان ١٧و ١٩، ٢٣ شباط و ٥ آذار ١٩١٨.

راستى"، في الوقت نفسه، وقائع الحرب في دوزخورماتو وكفري وداقوق و كركوك وغيرها إهتماماً خاصاً، ونشرت أخبارها باللغة الكردية بصورة مثيرة[٢٥٥]. وكانت أعداد الصحيفة تنقل الى كركوك وتوابعها، مثلما تنقل الى المناطق الكردية الاخرى التي كان يتزود بعضها بنسخها عن طريق كركوك تحديداً. ولايخلو مثل هذه الحقائق، بالتأكيد، من مغزى سياسي وثقافي محدد.

اتخذ البريطانيون إجراءات اخرى تجسد المغزى نفسه بوضوح أكبر. فبعد احتلالهم كفري في ايار ١٩١٨ قاموا بإحصاء تقديري لسكانها، ولسكان دوزخورماتو وقرمتپه اللتين كانتا تابعتين لها ادارياً يومذاك، مما يعد عملياً أول إحصاء يجري لسكان المنطقة بأسلوب حديث. حسب الاحصاء المذكور بلغ مجموع سكان المنطقة سبعين الفاً ونيفاً، قدر المستقرون منهم بثمان وعشرين الفاً. اما التوزيع الاثني والديني لهؤلاء فكان على النحو الآتي:

1. **٤٢٨٣ من التركمان موزعين على كفري ودوزخورماتو و قرمتپه.**
2. **٤٥٨ يهودياً.**
3. **٢٧٦ إيرانياً.**
4. **٣٧ عربياً موزعين على دوزخورماتو وقرمتپه.**
5. **١ مسيحي في كفري.**
6. **اكثر من ٦٠ الف كردي موزعين على كفري و دوزخورماتو و قرمتپه [٢٥٦].**

---

(٢٥٥)تنظر على سبيل المثال:

"تيكهيشتنى راستى"، الاعداد ٢٧و ٢٨و ٤٠، ٦و ١٣ ايار و ٥آب ١٩١٨.

(256)"Administration Repcrt for the Gadha of Kifri since its occupation (May 1918) to December 3lst 1918", in" Reports of Administration for1918 of

وحسب تقريـر البريطانيين الاداري الـذي وضعوه بعـد إحتـلال المنطقـة مباشرة، كان جميل بيك بابان، ومن بعده كريم بيك الجاف أهم شخصيتين متنفذتـين في كفـري ودوزخورمـاتو وقرمتپـه، كمـا حـددوا فيـه أسمــاء أهــم العشـائر الكرديـة هنـاك وهـي الجاف والطالبـاني والـداوده ودهلـو و زهنــد و زهنگنهو پالانى(٢٥٧). ورد في وثيقـة اخـرى، يعـود تأريخها الى الحقبـة نفسها "أن القرى العديدة في تلول قرمتپه كردية صرفة"(٢٥٨).

احتل البريطانيون مدينـة كركـوك لاول مـرة يـوم السابع مـن ايـار سـنة ١٩١٨. كان ذلك حدثاً مهماً بالنسبة لهم، لذا فإن وكيل الحاكم المدنـي المرافـق للجيش البريطاني ارنولد ولسن انتقـل إليـها عـن طريـق الجو بعـد إحتلالها مباشرة. عن ذلك يقول ولسن نفسه مايلي:

"وبعد أيام قليلة طرت إليها (الى كركوك) للبحث في الوسـائل الـتي نسـتطيع أن نعالج بها، على الوجـه الافضل، كثـيراً مـن المشكلات العاجلة الناجمـة عـن زحـف (القوات البريطانية)، وأن نجند عطف العشائر الكردية، وحسن نيتها"(٢٥٩).

اتخذ البريطانيون، بعد إحتلالهـم كركـوك مباشـرة، سلسـلة إجـراءات مـن اجـل تنظيـم شـؤونها الاداريـة، فتـم تعيـين النقيـب بـولارد حاكمـاً سياسـياً

Division and Districts of Occupied Territories in Mesopotamia ", Vol.I,PP.414-415.

(257)Ibid,P417.

(258)Public Record Office,F.O., 371/5069-4342,P.3.

(259)A.T.Wilson, Mesepetamia 1917-1920. A clash of loyalities. A personal and historical record, London, 1930,P.86.

في الترجمة العربية لفؤاد جميل بعنوان "بلاد مابين النهرين بين ولاءين"، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٧١،ص٢٨٧.

للمدينة وتوابعها. تعرف بولارد، حسبما يذكر التقرير الاداري عن كركوك، على "ابرز شيوخها ومتنفذيها من الكرد والتركمان"، وطلب منهم مساعدته في ادارة المنطقة. وكان أهم إجراء اداري إتخذه بولارد هو تأليف ماعرف بـ"محكمة السلم" على غرار المناطق المحتلة الاخرى التي تشكلت فيها محاكم بهذا الاسم من اجل "ضمان النظام والهدوء" وعين على رأسها احمد حمدي افندي، وهو من الشخصيات الكردية المعروفة في المدينة، كان قاضياً في العهد العثماني، قدر له أن يؤدي دورا واضحاً في ادارة كركوك وتوابعها، وفي الحياة الثقافية الكردية فيها كما نبين ذلك فيما بعد (٢٦٠). هكذا اعاد التأريخ نفسه على أرض الواقع تماماً كما حدث عند احتلال العثمانيين لكركوك لاول مرة قبل ذلك التأريخ بحوالي أربعة قرون.

رحب الشيخ محمود، كذلك زعماء الهموند، بإبعاد العثمانيين من كركوك، وبعثوا رسائل خاصة الى ولسن بهذا الخصوص. قال الشيخ محمود في رسالته "إن أهالي كردستان قد سرهم هذا النجاح" وهم يتطلعون الى الازدهار بمساعدة البريطانيين "على ما ازدهر العراق سواء بسواء"، واختتم رسالته "راجياً أن يعطى الضمان الكافي بألا يسمح، في اي ظرف كان، للسلطة التركية بأن تعود الى كردستان مرة اخرى" (٢٦١).

---

(260)"Administration Report,Kirkuk District, period October 26th –December 31st, in : " Report of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia ", Vol I, P.430.
(261) A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.86.

في الترجمةالعربية: الجزء الثاني، ص ٢٨٨.

لظروف سوقية خاصة اضطر البريطانيون الى الانسحاب من كركوك يوم الرابع والعشرين من ايار ١٩١٨، فرجع اليها العثمانيون في الحال، مما ترك اثرا كبيرا على وضع البريطانيين في كل كردستان الجنوبية. يقول ولسن بهذا الصدد: لو أبقى قائد القوات البريطانية الجنرال مارشال "قطعاته في دوز (طوز)، او لو لبث في كركوك، لاختلف الوضع في كردستان الجنوبية كلها خلال السنتين المقبلتين"(٢٦٢).

يتفق لونگريگ مع ولسن تماماً حين يذكر بصدد الموضوع نفسه: "كان تقدم القوات البريطانية بإتجاه كركوك في ربيع سنة ١٩١٨ قد قوى آمال الانكليز في اجراء اتصال مع جنوبي كردستان، وقوبل وصول القوات الانكليزية الى كركوك من دون مقاومة تذكر من الاهالي، ومن عشيرة هموند (الكردية)، غير أن تخلي البريطانيين عن كركوك قد ادى الى حدوث مآس.."(٢٦٣).

قبل الانسحاب من كركوك مباشرة كتب ولسن رسالة الى الشيخ محمود مبيناً له الوضع، وطالباً منه أن يأخذ حكم المنطقة على عاتقه، كما اعد منشورا خاصاً حول هذا الموضوع، حالت عودة العثمانيين السريع دون

---

(262)Ibid, P.9.

في الترجمة العربية: الجزء الثاني، ص ١٥٨.

(263)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,PP.96-97.

في الترجمة العربية: الجزء الاول، ص ١٦٣.

نشره كما يؤكد ذلك بنفسه. وما أن اعاد هؤلاء احتلال كركوك حتى أرسلوا مفرزة الى السليمانية ألقت القبض على الشيخ محمود (٢٦٤).

أعاد البريطانيون احتلال كركوك يوم السادس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩١٨، وتم هذه المرة تعيين الكابتن (فيما بعد الميجر) نوئيل (E.W.C.Noel) حاكماً سياسياً على كركوك وتوابعها، وقد باشر مهام عمله يوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٩١٨. ومما له مغزاه أن نوئيل بالتحديد كان أكثر البريطانيين تحمساً للكرد، ولقضيتهم القومية، بل يكاد أن يكون "لورانس الكرد" تماماً، الامر الذي يبدو جلياً من تقاريره السرية التي كان يرفعها الى الجهات البريطانية العليا في تلك المرحلة(٢٦٥). يقول ولسن في تعليق له على تعيين نوئيل : "وكانت تعليماتي التي وجهتها اليه مايلي: عينت حاكماً سياسياً لمنطقة كركوك إعتباراً من أول تشرين الثاني (١٩١٨)، وهذه المنطقة تمتد من الزاب الصغير الى ديالى، وفي الشمال الشرقي الى الحدود التركية الايرانية"(٢٦٦)، وهذا يعني بالتحديد إعتبار كركوك والسليمانية وقسم كبير من اربيل وجميع توابعها وحدة ادارية واحدة، ولا نرى داعياً للتأكيد على أن البريطانيين لم يتخذوا مثل هذا القرار اعتباطاً.

---

(264)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.87.

في الترجمة العربية: الجزء الثاني، ص٢٨٩.

(٢٦٥)عن ذلك تنظر مثلاً في:

"Documents on British Foreign Policy,1919-1939",First Series,Vol.IV,London, 1952,PP.678,693,742,782.

(266)A.T.Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.128.

حول الموضوع نفسه تنظر كذلك: "العالم العربي" (جريدة) بغداد، العدد ٢٣٠١، ١٢أيلول ١٩٣١.

مع إنتهاء الحرب العالمية الاولى أولت الخارجية البريطانية موضوع ادارة "كردستان الجنوبية" ومستقبلها إهتماماً مباشرا. ففي الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الخميس الموافق للسابع عشر من نيسان ١٩١٩ عقد في مقر وزارة الخارجية بلندن مؤتمر مصغر خاص برئاسة شخص وزير الخارجية اللورد كيرزن، حضره عدد من كبار المسؤولين المعنيين بقضايا الشرق الاوسط في وزارات الخارجية والحربية والمالية والهند، فضلاً عن وكيل الحاكم المدني البريطاني ارنولد ولسن. وردت في التقرير السري الذي أعدت عن أعمال المؤتمر، والذي يقع في سبع صفحات من الحجم الكبير، معلومات مهمة عن "سكان ولاية الموصل" ننقل ادناه أهمها:

"ان سكان ولاية الموصل القديمة، التي لم تقترح حالياً أي أجراءات ادارية بحق من يقطنون خارجها (يقصد كرد تركيا)، يتالفون طبيعياً من ثلاثة أقسام: القسم الاول عبارة عن شق كردي نقي مواز لحدود بلاد فارس، يقدر عددهم بحوالي ١٥٠ ألف نسمة. ان كرد هذه المنطقة لا يختلفون عن كرد بلاد فارس فيما وراء الحدود. والقسم الثاني عبارة عن شق يمر عبر كفري وكركوك والتون كوبري واربيل، يتراوح عددهم مابين ٢٥٠ و ٣٠٠ ألفاً .إن معظم السكان هنا كرد مستقرون لايشبهون جيرانهم كثيراً (في عاداتهم وتقاليدهم) سوى في لغتهم.. أما القسم الثالث فهو السكان المتبقون من ولاية الموصل الذين لايزيد عددهم عن ١٠٠ ألف نسمة، جلهم من العرب، والقسم الاكبر من هؤلاء (العرب) من المستعربين . جرى تجاهل النسبة الضئيلة من بدو العرب من وجهة نظر سياسية ان ثلثي سكان مدينة الموصل نفسها من العرب، والثلث المتبقي خليط من الكرد والمسيحيين وآخرين، ولاتوجد في المدينة طبقة سائدة، فيما يوجد هناك عدد قليل من الاسر الكردية المتنفذة. كان بالامكان اقامة حكم ذاتي في

كردستان تكون مدينة الموصل عاصمته. ان هذا يرضي الرأي الكردي، وربما يؤدي الى تكوين دولة شبه مستقلة وقوية، يفوق الكرد على العرب فيها عدداً. لكن من جهة أخرى ان ذلك لايناسب سكان مدينة الموصل نفسها الذين كانوا يتوقعون إقامة ادارة عربية لاكردية حين طالبوا أن تكون الموصل ولاية مستقلة" (٢٦٧).

في الاجتماع نفسه عرض تقرير الميجر نوئيل الذي اقترح فيه جعل السليمانية مركزا لولاية "تضم نهري ورواندوز، وربما كلا من عقرة وأربيل وكركوك وكفري و خانقين"(٢٦٨).

خلف الكابتن لونگريگ (٢٦٩) نوئيل وكيلاً للحاكم السياسي في كركوك و توابعها، فوقعت على عاتقه مهمة إقامة المؤسسات الإدارية الجديدة فيهما .فرض الواقع القومي لكركوك نفسه على كل خطوة خطاها لونگريگ في الميدان الاداري في تلك المرحلة الحرجة، وكانت اولى تلك الخطوات، واهمها قاطبة تأسيسه لمجلس ادارة مهمته "مساعدة الحاكم السياسي البريطاني هناك". تألف المجلس من أثني عشر عضوا كانوا موزعين على النحو الآتي:

١. عضو مسيحي.

٢. عضو يهودي.

---

(267)Public Record Office, F.O., 371/4149/4325,Inter-Departmental Conference on Middle East Affairs, Minutes of a Conference held at the Foreign Office on Thursday, April 17,1919,at 4.30 P.M., Secret, P.2.

(268)Ibid,P.7.

(٢٦٩)S.H.Longrigg، وهو نفسه الذي الف فيما بعد مجموعة كتب قيمة عن تأريخ العراق الحديث والمعاصر، اهمها قاطبة كتابه "اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث" الذي ينطوي على معلومات في غاية الاهمية بالنسبة لموضوعنا، ولقد أعيد طبع ترجمته العربية حوالي عشر مرات، ليحتل بذلك المقام الاول في تأريخ المطبوعات العراقية.

٣. عضو عربي.

٤. ثلاثة أعضاء يمثلون التركمان.

٥. ستة أعضاء يمثلون الكرد.

سجلت التقاريرالبريطانية التفصيلات المتعلقة بكل واحد من أعضاء مجلس ادارة كركوك المذكورين، وكرست لهم وثيقة ، ندون فيما يلي ترجمتها:

العدد	الاسم	محل الاقامة	المصالح ممن يمثل وغير ذلك(المهنة)	الهوية الشخصية	
				الجنس	الدين
١	أحمد خانقاه	كركوك وقرية علي غاير	رجل دين ومزارع كبير	كردي	سني
٢	احمد حمدي أفندي	كركوك	رجل دين، موظف قاض	كردي	سني
٣	مجيد أفندي(٢٧٠)	كركوك	رئيس بلدية (في العهد العثماني) ملاك و موظف	تركماني	سني
٤	حسين بيك نفطجي	كركوك وقرية طوبزاوا	مصالح محلية (خصوصاً آبار النفط)، ملاك تاجر ومزارع يمثل المثقفين	تركماني	سني
٥	حاجي جميل بيك	كركوك	تاجر ومزارع يمثل المثقفين	تركماني	سني
٦	حسقيل أفندي	كركوك	يمثل الطائفة اليهودية . تاجر	يهودي	يهودي

(٢٧٠) هو نفسه مجيد اليعقوبي، وكما اسلفنا ينتمي يعقوبيو كركوك الى عشيرة زمنگنه الكرديه.

٧	قسطنطين افندي	كركوك	يمثل الطائفة المسيحية، تاجر و مزارع	كلداني	مسيحي
٨	جميل بيك بابان	كنگربان قرب كفري	ارستقراطي محلي	كردي	سني
٩	عمر اغا	كفري	ملاك ـ مزارع	كردي	سني
١٠	الشيخ حميد الطالباني	گيل	عشيرة الطالبانية، ملاك عشائري	كردي	سني
١١	حسين العلي	الصحراء	عربي، شبه بدوي، غير مزارع	عربي	سني
١٢	رضا بيك	كلار، على نهر ديالى	مزارع مستقر من الجاف	كردي	سني(٢٧١)

ومما يجدر ذكره أن حسين العلي هو من زعماء عشيرة العبيد المعروفين، وكان هو واولاده الذين خلفوه في زعامة العشيرة، على علاقات طيبة مع كرد المنطقة، ومع الزعماء الكرد، خصوصاً مع الشيخ محمود الذي كانوا على اتصال مباشر به (٢٧٢).

فضلاً عن المجلس اشغل الكرد والتركمان تقريباً جميع الوظائف الادارية في كركوك وتوابعها في مرحلة الاحتلال البريطاني، كما كان عليه الامر في العهد العثماني، وقد وردت اشارات صريحة الى ذلك في العديد من التقارير والوثائق البريطانية الخاصة التي يعود تاريخها الى تلك الحقبة. ففي دوائر

(271)Public Record Office, F.O., 371/4152-3717.

(٢٧٢) نورد حقائق محددة عن ذلك في المبحث الخاص بعلاقة حركات الشيخ محمود بكركوك وتوابعها، فضلاً عن المبحث الخاص بمشكلة الموصل.

البلدية، مثلاً، استخدم البريطانيون العديد من موظفي العهد العثماني من كرد و تركمان، و أسسوا دوائر خاصة بالواردات في كركوك و توابعها "كان يشرف عليها الحاكم السياسي في كركوك، ومساعده في بقية المقاطعات (٢٧٣)، يعاونهم عدد من الموظفين الكرد" كما ورد أيضاً في تقرير اداري بريطاني يحمل تأريخ العشرين من آب سنة ١٩١٩ (٢٧٤).

ويبدو واضحاً من الوثائق البريطانية الخاصة ان اقامة بعض المؤسسات الادارية في كركوك و توابعها كانت تعتمد على موقف الكرد تحديداً، فباعترافهم لم يتمكن البريطانيون في البداية من تأليف قوة خاصة للشرطة في كركوك "بسبب امتناع الاكراد عن الالتحاق بها"، مما أجبرهم على استقدام ثلاثين شرطياً من خارج كركوك(٢٧٥).

الى جانب احتفاظه بمعظم الموظفين السابقين لم يمس لونگريگ أيضاً سلطة زعماء العشائر الكردية في كركوك و توابعها. في تعليق له على ذلك يقول المتخصص في تأريخ العراق المعاصر، المستشرق ل.ن .كاتلوف مانصه:

(٢٧٣) في سنوات الاحتلال البريطاني كان الاقليم الذي يشرف عليه الحاكم السياسي يدعى منطقة (District)، والجزء التابع له الذي يشرف عليه معاون الحاكم السياسي يدعى مقاطعة (Division) إدارياً، وكانت المنطقة تعادل اللواء او المحافظة، والمقاطعة تعادل القضاء. عن ذلك ينظر:
C.J.Edmonds, Kurds, Turks and Arabs, p.9.

(274)Public Record Office, F.O, 371/4149,H325,Administration Record during British Occupation by Political Department,India Office,20 th August,1919.

(275)"Administration Report.Kirkuk District,Period October 26 th – December 31st 1918", in :"Report of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Mesopotamia ", Vol.I, P.435.

"وبقيت النواحي المرتبطة بمنطقة كركوك يديرها موظفوهـا القدامـى، وزعمـاء القبائل من الاقطاعيين و الاغوات لان سلطات الاحتلال البريطـاني لم تتبـع سياسـة مركزية قاسية في منطقة كردستان خوفاً من إثارة زعماء القبائل فيها الذيـن كـانوا يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي خلال العهد العثماني"(٢٧٦).

اتخذ البريطانيون في سنوات الاحتلال سلسلة من الاجراءات الاخرى التي لها مغزاها السياسي والاداري والثقافي بالنسبة لموضوعنـا، مـن ذلـك، علـى سبيل المثال، أنهم أصدروا اعتبـارا مـن يـوم الخامس عشـر مـن كانون الاول سنة ١٩١٨ جريـدة بأسـم "النجمة" في كركـوك، ووردت تحـت اسمـها عبـارة "موقعـها في دائـرة الحكومـة- كركـوك". صـدرت "النجمـة" في البدايـة بالعربية، لكنهم سرعان ماغيروا لغتها الى التركمانية ـ لغة الثقافة والكتابـة السائدة يومـذاك بـين مثقفـي كركـوك مـن كـرد وتركمـان. ورد في التقريـر البريطاني عن ادارة كركوك سنة ١٩١٨ ان تغيير لغة الجريـدة جرى "بسـبب الرغبة العامة" التي سادت المدينة(٢٧٧). ومن المفيد أن نشير الى أن "النجمـة" وجدت طريقها الى الكرد في مدن كردستان الاخرى علـى نطـاق واسـع. ومـن المفيد أن نشير أيضاً الى أن أول اتصال تلغرافي أنشأه البريطانيون بعد احتلال مدينة كركوك مباشرة كان مد خط مباشر بين كركوك و السليمانية، ومن ثم بين كركوك والمناطق الكردية الاخرى فيما بعد (٢٧٨).

---

(٢٧٦)ل.ن. كوتلوف، حركة التحرر الوطني في العراق قبل ثورة العشرين، ترجمة الدكتور نوري السـامرائي، في "مجلة كلية الاداب"، البصرة ، العدد السابع لسنة ١٩٧١، ص ١٥٧.

(277)"Administration Report, Kirkuk District...", Vol.I,P.436.

(٢٧٨)عن ذلك تنظر في:

بقيت كركوك تؤلف مركز الادارة الرئيس لمعظم مناطق كردستان الجنوبية طوال سنوات الاحتلال البريطاني (١٩١٨-١٩٢٠)، بل لم يجر فصل كركوك عن "جنوب كردستان" في المراسلات، والوثائق البريطانية التي تعود الى تلك الحقبة. ففي حديثه عن الصعوبات التي تعترض عملياً تأليف لجنة خاصة للنظر في مستقبل العراق الاداري فصل وكيل الحاكم المدني البريطاني ارنولد ولسن مدينة الموصل وحدها عن "جنوب كردستان" ضمن ولاية الموصل، اذ يقول في تقرير له يحمل تأريخ الثالث والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٨ ما نصه:

".. الى جانب هذا فإن جميع طاقاتي، وطاقات الموظفين الرئيسيين معي ستتطلبها المهمة الدقيقة الخاصة بالتعرف على إتجاه الرأي المحلي المسؤول في الموصل وجنوب كردستان و ولايتي بغداد والبصرة...".(٢٧٩)

في ضوء ذلك جرى البت في موضوع ادارة العراق بعد إنتهاء الحرب. في برقيته الى وزارة الهند بتأريخ العشرين من شباط عام ١٩١٩ اقترح ولسن "أن يحكم العراق من قبل مندوب سام، يكون في امرته أربعة وكلاء يديرون المناطق الآتية: ١- البصرة، ٢- بغداد، ٣-الفرات، ٤- الموصل". ثم أضاف: ولكن اذا "منح شيء من الحكم الذاتي لكردستان" و "اذا منحت كردستان مركزا

" النجمة " (جريدة)، كركوك، العدد الثاني، ١٦كانون الاول ١٩١٨.

(279)Public Record Office,F.O. 371/3387/194885,from Political Officer,Baghdad,November 23,1918;Ghassan R. Atiyyah, Iraq 1908-1921.A Political Study,Beirut,1973-P.169;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢٠،ترجمة عطا عبدالوهاب، دار اللام، لندن، ١٩٨٨،ص٢٢٥.

قانونياً منفصلاً فسيكون هناك خمسة الوية"(٢٨٠)، مما يعني اضافة لواء جديد الى الالوية الاربعة الاخرى باسم كردستان، يضم جميع ولاية الموصل ماعدا مدينة الموصل نفسها، ليصبح العراق بذلك مؤلفاً من الناحية الادارية من البصرة و بغداد والفرات والموصل وكردستان.

في التاسع من ايار سنة ١٩١٩ أبلغ وزير الدولة البريطاني موافقة حكومته الى ارنولد ولسن بالصيغة الآتية:

"نخولكم المباشرة بإنشاء خمسة الوية في العراق بحدوده المعلومة.. كذلك انشاء لواء عربي في الموصل يحده شريط من دولة كردية ذات حكم ذاتي برئاسة شيوخ أكراد، مع مستشارين سياسيين بريطانيين"(٢٨١).

ولئن لم تطبق هذه التوصيات بحذافيرها لاسباب نتطرق الى تفصيلات بعضها لاحقاً، الا ان شيئاً مماثلاً لها هو الذي طبق، والذي أبقى كركوك و توابعها مرتبطة، في كل الاحوال، ببقية المناطق الكردية، اذ قسم البريطانيون العراق على ست عشرة وحدة ادارية، تسمى الوحدة منها منطقة (District)، هي بغداد والبصرة و القرنة و العمارة والناصرية و الكوت و السماوة و الحلة (بضمنها كربلاء) و بعقوبة و سامراء و الدليم و

(280)Public Record Office,F.O., 371/4184/60942, Secret,Mesopotamia: Future Constitution, Draft Reply to Seretary of States Telegram of February 14,1919;Gh.R.Atiyyah, Iraq 1908-1921,P.181;

غسان العطية، العراق . نشأة الدولة، ص ٢٣٩.

(281)Public Record Office,F.O.371/4149/72964,from Secretary of State to Civil Commissioner, Baghdad,May 19th, 1919;A.T. Wilson,Mesopotamia 1917-1920,P.123;Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921,PP.184-185;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص ٢٤٣.

الشامية (بضمنها النجف) وديـر الـزور و الموصـل و خـانقين و اخـيرا كركوك(٢٨٢).وهذا يعني أن جميع المناطق الكردية الممتدة الى الشرق والجنوب من خانقين ، والى الشرق مـن الموصل، أي اكثر مـن ثلاثـة أخماس كردستان الجنوبية كانت ترتبط بكركوك اداريا، بما فيها أربيل والسليمانية و كفري ورواندوز و كويسـنجق والتـون كوبـري و داقـوق ودوزخورمـاتو وغيرهـا، واختير فتاح باشا متصرفا لهذه المنطقة المهمة، وكـان يتقاضى راتبـا شـهريا قدره ١٣٠ روبيه، وراتبه هذا كان، مثل راتب متصرف البصرة، يفوق راتب جميـع متصـرفي المنـاطق الاخـرى، بمـا في ذلك متصـرف بغـداد نـاجي شوكت(٢٨٣)، مما يؤشر، دون ريب ، خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه.

ومن المهم أن نشير الى ان فتاح باشا كـان بـرأي البريطـانيين تركمانيـا (*)، وجاء إختياره من قبلهم كأول متصرف لكركوك وتوابعها علـى أسـاس كونـه "يحظى باحترام الكرد" كما ورد نصا على لسان المنـدوب السامي البريطـاني في العراق بيرسي كوكس أثناء المداولة في المسألة الكردية أمام مؤتمـر القـاهرة في اذار ١٩٢١، وهذا هو النص الانكليزي لكلامه:

---

(282)"Reports of Administration for 1918 of Divisions and Districts of the Occupied Territories in Meseopotamia ", Vol.I;S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950, P.13

في الترجمة العربية؛ الجزء الاول، ص ١٨٣.

(٢٨٣)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية، ملفات البـلاط الملكي، التسلسل ٥٤٢-و ع، رقم الملف١١/٢، موضوع الملف : ملاك وزارة الداخلية لسنة ١٩٢١، ص ٣٨-٤٠؛ " العراق" (جريدة)، بغداد، ٢٩كانون الثاني ١٩٢١.

(*)مع العلم انه كردي. ينظر:مير بصري ، أعلام الكرد،ص ١٦١-١٦٢.

"Fatah Pasha, a Turk whom the Kards regarded with favour,had been appointed Mutassarrif of Kirkuk "[284].

في البداية فصلت أربيل و رواندوز ،ومن ثم فصلت كويسنجق عن كركوك ،وتم تأليف شبه لواء جديد مركزه أربيل ،ويديره نائب متصرف، بقي مرتبطاً بكركوك اداريا لغاية نيسان ١٩٢٣، فيما بقيت السليمانية وتوابعها، وبواقع مساحة ٦٥٠٠-٧٠٠٠ ميل مربع ضمن كركوك، اذ استمرت الاولى تمثل مقاطعة (Division) تتبع كركوك بوصفها منطقة (District)(٢٨٥)، وبقيت السليمانية تتبع كركوك اداريا حتى اواسط العام ١٩٢٥ حيث تم تعيين أول متصرف عراقي لها(٢٨٦)، ولكن حتى حينذاك كانت كركوك تشمل اداريا منطقتي بازيان و قرهداغ، اللتين ضمتا الى السليمانية بتدخل من الوزير الكردي المعروف محمد امين زكي في العام ١٩٢٧(٢٨٧).

---

(284) Public Record Office, F.O., 371/6343,4372,Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem, March 12 to 30,1921,P.5.

(285)Public Record Office, 371/5069,4342,Administration Report of Sulaimanyah Division for the year 1919,P.4; " Special Report by His Majestys Government to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931", PP.50,252-254;S.H. Lorigrigg,Iraq 1900 to 1950,P.131 .

في الترجمة العربية، الجزء الاول، ص ٢٢٤.

(286)C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,PP.413,435.

في الترجمة العربية : ص ٣٦٩، ٣٨٧.

(٢٨٧)محمد امين زكي محاسبەی نیابەت، بغداد، ١٩٢٨، ص٧.

وبعد الحرب ايضاً تم تأليف قوة خاصة بأسم "قوة كردستان الجنوبية" مقرها كركوك، وهي نفسها التي قامت بقمع إنتفاضة الشيخ محمود في حزيران سنة ١٩١٩[٢٨٨].

تبلورت أبعاد الاجراءات الادارية هذه اكثر بعد وضع العراق تحت الانتداب البريطاني، وبإتجاه يبين بإستمرار روابط كركوك بكردستان على جميع الصعد.

كركوك و توابعها في بداية عهد الانتداب

في المؤتمر الذي عقده المجلس الاعلى للحلفاء (بريطانيا و فرنسا و إيطاليا واليابان و الولايات المتحدة الامريكية بصفة مراقب) في سان ريمو بايطاليا، والذي إستغرقت اعماله اسبوعاً كاملاً (من ١٩ حتى ٢٦ نيسان ١٩٢٠) تقرر منح بريطانيا الانتداب "على العراق و ولاية الموصل"[٢٨٩]. وفي ضوء مواد معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا الموقع عليها في اليوم العاشر من آب من العام نفسه في سيفر قرب باريس تم وضع لائحة خاصة من قبل عصبة الامم تضمنت شروط الانتداب، والتزامات بريطانيا بوصفها الدولة المنتدبة على العراق.

---

(288)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.137; "العالم العربي" ١٧ايلول ١٩٣١

(289)"People without a Country>The Kurds and Kurdistan ", Zed Press, London, 1976,P.160.

تألفت اللائحة المودعة لدى عصبة الامم، والموزعة نسخها بصورة رسمية على الدول الموقعة على معاهدة سيفر، بما في ذلك تركيا، من عشرين مادة، ورد في المادة الثامنة منها ".. ولا تميز فئة على اخرى في العراق بسبب جنسية أو دين أو لغة . ويشجع المنتدب التعليم بلغات العراق الوطنية".و نصت المادة السادسة عشر منها على أن:

"لاشيء في هذا الانتداب يمنع المنتدب في تاسيس حكومة مستقلة ادارياً في المقاطعات الكردية كما يلوح له"(٢٩٠).

أورد العديد من الكتاب القوميين العرب نص هذا البند في مؤلفاتهم، كما فعل ذلك، مثلاً، السياسي والمحامي القومي المعروف، رئيس الوزراء الاسبق عبدالرحمن البزاز في محاضراته التي القاها عام ١٩٥٤ على طلبة معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، وكان مقرها في القاهرة يومذاك(٢٩١)، وكما فعل ذلك أيضاً غيره(٢٩٢). وحسب معلوماتنا جاءت

---

(٢٩٠)ينظر نص لائحة الانتداب في:

عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الطبعة السابعة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨، الملحق رقم ٢، ص ٣٠١-٣٠٤.

(٢٩١)عبدالرحمن البزاز، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٥٤، ص١٣٠. وفي الطبعة الثالثة من الكتاب بعنوان "العراق من الاحتلال حتى الاستقلال"، بغداد، ١٩٦٧، ص٣٢٥.

(٢٩٢)ينظر على سبيل المثال:

محمود الدرة، القضية الكردية والقومية العربية في معركة العراق، بيروت، ١٩٦٣، ص٧٦.

جاءت آخر اشارة عراقية الى نص هذا البند في صحيفة "الجمهورية" في اواسط أيلول من العام ١٩٩٢[٢٩٣].

دشن الانتداب عهدا جديدا في العراق يعرف تأريخيا بعهد الانتداب الذي استمر بصورة رسمية حتى اليوم الثالث من تشرين الاول سنة ١٩٣٢-تأريخ دخول العراق في عصبة الامم.

شهدت المرحلة الاولى من عهد الانتداب تطورات في غاية الاهمية، امتدت آثارها بقوة الى المناطق الكردية، وهي مثبتة في سلسلة من المواثيق والتقارير الدولية، والوثائق الرسمية البريطانية والعراقية وغيرها، تبين جميعها الطابع القومي لكركوك و توابعها بوضوح.

في الخامس من تشرين الاول سنة ١٩٢٠ عينت لندن الدبلوماسي العليم بشؤون الشرق الاوسط، سفيرها لدى طهران يومذاك السير بيرسي كوكس اول مندوب سام للحكومة البريطانية في العراق. وصل كوكس بغداد بعد ستة أيام، وباشر في الحال بإتخاذ سلسلة من الاجراءات الادارية لتنظيم شؤون العراق، كان أهمها تأليف "مجلس الدولة" (Council of State) برئاسة عبدالرحمن النقيب في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٠، والذي دخل التأريخ بإسم الحكومة المؤقتة. ان مايهمنا من هذا الموضوع هو ان الشخصية التركمانية، الجنرال في الجيش العثماني السابق، عزت باشا الكركوكي، وهو كما يبدو من لقبه من أهالي مدينة كركوك،

---

(٢٩٣)"الجمهورية" (جريدة)، بغداد، العدد ٨٢٩٦، ١٩أيلول ١٩٩٢، ص٢.

أختير لاشغال حقيبة وزارة المعارف والصحة في الحكومة المؤقتة، وسبق أن اختير عزت باشا نفسه ممثلاً عن الكرد في "لجنة الانتخابات العراقية" التي تم تأليفها قبل تشكيل الحكومة المؤقتة باشهر قليلة، وقد أشارت الى ذلك الوثائق البريطانية التي تخص الموضوع(٢٩٤). وكما يبدو واضحاً من رسائل المس بيل(٢٩٥) أن عزت باشا الكركوكي كان يؤدي، فعلاً، دور الوسيط بين الرؤساء الكرد والسلطة، وهذا ماجعله يتمتع بوزن كبير(٢٩٦).

وطيلة مدة وجود الحكومة المؤقتة التي استمرت حتى الثالث والعشرين من آب ١٩٢١، يوم تتويج فيصل الاول ملكاً على العراق، لم ترتبط كركوك و توابعها، حالها في ذلك حال جميع المناطق الكردية الاخرى، بالحكومة المؤقتة ادارياً، بل بقيت مرتبطة بالمندوب السامي البريطاني مباشرة، وذلك بموجب قرار أبلغ كوكس الحكومة المؤقتة به بصورة رسمية، على أن تكون ضمن المنطقة الكردية عموماً، بما فيها كردستان تركيا، تابعة لقسم الشرق المستحدث في وزارة المستعمرات. وقد جاءت صياغة الموضوع هكذا:

---

(٢٩٤)عن ذلك ينظر في:

محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي. دراسة تأريخية سياسية، الطبعة الاولى، بغداد، ١٩٧٦، ص١١٣.

(٢٩٥)من المفيد ان نشير الى أن الجهات المسؤولة جمعت نسخ الترجمة العربية لرسائل المس بيل التي أنجزها المترجم المعروف جعفر خياط، ونشرتها وزارة الاعلام سنة ١٩٧٧، وذلك بعد أن احست تلك الجهات ان مضمون العديد من تلك الرسائل لايخدم سياسة الدولة، بما في ذلك موقفها من القضية الكردية وعمليات التعريب التي كانت تنفذها في المناطق الكردية.

(٢٩٦)"العراق في رسائل المس بيل"، ترجمه وعلق عليه جعفر الخياط، قدم له وزاده تعليقاً عبدالحميد العلوجي، منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٧، ص٣١٥.

"نصت المادة الرابعة والستون من معاهدة سيفر على انه اذا طالبت غالبية أكراد المناطق الواقعة بين حدود أرمينيا وبلاد مابين النهرين خلال سنة من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ بالاستقلال، واذا اقتنع مجلس العصبة بانهم مؤهلون لذلك، فعلى تركيا أن تتخلى عن حقوقها في تلك المناطق. في تلك الحالة لن تعارض الدول المتحالفة الرئيسة (بريطانيا العظمى، فرنسا، ايطاليا، اليابان) على الانضمام الطوعي للكرد القاطنين في المقاطعات المعروفة باسم كردستان الجنوبية، والتي ضمت الى ولاية الموصل، الى هذه الدولة المستقلة . وبإنتظار حدوث هذا، فان اللجنة التي ضمت ممثلين عن أقسام وزارة المستعمرات المعنية، أوصت بان تناط مسؤولية كردستان بقسم الشرق الاوسط الجديد في وزارة المستعمرات البريطانية.. وقد أبلغ كوكس مجلس الدولة العراقي (الحكومة الموءقتة) بانه سيكون مسؤولاً عن الجزء الكردي العراقي، أي مقاطعتي كركوك والسليمانية وبعض أجزاء البلاد شمال الموصل (٢٩٧).

في النص الانكليزي:

"Cox had already informed the Iraqi Council of State that he would be responsible for the Kurdish part of Iraq, i.e. the Kirkuk and Suleimannieh divisions and some country north of Mosul.

استمر هذا الوضع الاداري لكركوك و توابعها حتى بعد تتويج فيصل ردحاً اخر من الزمن كما نلاحظ ذلك ضمن المباحث اللاحقة من هذه الدراسة.

ان أهم حدث سياسي تزامن مع وجود الحكومة المؤقتة العراقية كان مؤتمرا خاصا في القاهرة عالج ، ضمن قضايا اخرى، أبعاد القضية الكردية

---

(297)Ph.Graves, The life of Sir Percy Cox, Second Impression, London and Melbourne, P.283.

في العراق، ومستقبل كردستان الجنوبية من مختلف جوانبهما، وعلى نطاق واسع مس كركوك وتوابعها بصورة مباشرة.

كركوك و توابعها امام مؤتمر القاهرة

توسعت شؤون المستعمرات البريطانية و تشعبت كثيرا مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، مما تطلب من لندن عناية فائقة تعتمد الدبلوماسية، والدراية. جرى ذلك التوسع بالاساس على حساب مناطق في الشرق الاوسط دخلت ادارتها لاول مرة في حوزة البريطانيين، وكان العراق يؤلف، دون ريب، أهم تلك المناطق.

كان نقل السياسي المحنك ونستن تشرشل (چرچل) من وزارتي الحربية والطيران الى وزارة المستعمرات واحدا من الاجراءات التي لجأت اليها لندن لمعالجة الموقف الجديد. أول مافكر فيه وزير المستعمرات البريطاني الجديد، كان تأسيس قسم خاص لشؤون الشرق الاوسط، مهمته تخطيط السياسة البريطانية تجاه هذه المنطقة الحساسة. وكان تقليص نفقات الحكومة البريطانية في هذه المنطقة يمثل المهمة الاولى التي تنتظر حلاً عاجلاً نظرا لاستياء دافع الضريبة البريطاني الذي وقع على كاهله جزء كبير من مصاريف الحرب العالمية الاولى الباهظة التكاليف.

من هـذا المنطلق ارتـأى جرجـل عقـد مؤتمـر خـاص، يحضـره المسؤولون البريطانيون في أقطار الشرق الاوسط، بما في ذلك العراق الذي طرح موضوع مستقبل حكمه على بساط البحث أمام المؤتمر.

تـألف الوفـد العراقـي الى المؤتمـر مـن المنـدوب السـامي البريطـاني السـير بيرسـى كوكـس والسكرتيرة الشـرقية لـدار الانتـداب المس بيـل، ومستشـاري وزارات الماليـة والدفـاع والاشـغال والمواصـلات في الحكومـة المؤقتـة، وكـان جميعهم من البريطانيين، كما ضم الوفد أيضاً وزيرين عراقيين هما وزيـر الدفاع جعفر العسكري، ووزيـر الماليـة ساسـون حسقيل بوصفهما عضويـن استشاريين. كان على المؤتمر أن يبت بالنسبة للعراق في الموضوعات الآتية:

- علاقة الدولة العراقية الجديدة ببريطانيا من حيث النفقات.
- تحديد من سيتولى حكم العراق.
- تحديد نوع وشكل الجيش العراقي.
- " وضع المناطق الكردية، وعلاقاتها بالعراق "(٢٩٨).

تـرأس جرجـل المؤتمـر بنفسـه، كمـا اشـترك في اعمالـه، إضافـة الى كبـار المسؤولين البريطـانيين في الشـرق الاوسـط، عـدد مـن كبـار مسـؤولي وزارات الحربية و المالية والطيران.

---

(298)"The Letters of Gertrude Bell", Selected and Edited by Lady Bell,D.B.E, London,Eleventh Printing, April 1930,PP.431-432;

عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٣٦.

عقد المؤتمر، الذي دخل التأريخ بإسم "مؤتمر القاهرة"، على مرحلتين؛ الاولى في القاهرة حيث إفتتح يوم الثاني عشر من اذار واستمرت أعماله هناك لغاية الرابع والعشرين من اذار ١٩٢١، لتبدأ بعد ذلك مرحلته الثانية في القدس والتي استمرت لغاية الثلاثين منه، وهذا بحد ذاته يؤشر أهمية المؤتمر الذي قومته المس بيل هكذا:

"لقد كان مؤتمراً مدهشاً، أنجز فيه من الاعمال خلال أسبوعين أكثر مما كان قد أنجز من قبل خلال سنة بكاملها"(٢٩٩).

أثير موضوع القضية الكردية، ومعها كركوك، في أول اجتماع عقده المؤتمر للبت في مستقبل بلاد مابين النهرين . فقد ورد في ذلك الاجتماع أن المصلحة تقتضي "ان تدار كردستان بصورة مباشرة من قبل المندوب السامي، وتبقى منفصلة عن العراق نفسه" الى أن يتم ظهور "رأي عام كردي معتبر يؤثر الانضمام الى العراق"، ولاحظ المجتمعون أن بذل أي محاولة لاجبار المناطق الكردية على أن "تحكم من قبل حكومة عربية سوف يؤدي الى حدوث مقاومة". وأثير بالمناسبة موضوع سحب الحامية البريطانية التي نقلت الى كركوك، والتي ادت الدور الاساس في القضاء على الانتفاضة الكردية التي انفجرت بقيادة الشيخ محمود ضد البريطانيين في العام ١٩١٩(٣٠٠).

---

(٢٩٩) "العراق في رسائل المس بيل"، ص ٢٧٤.

(300)Public Record Office, F.O., 371/6343/9372,Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem, March 12 to 30, 1921,II, Mesopotamia, P.5.

وفي اليوم الرابع من المؤتمر، وهذا لا يخلو من مغزى، الموافق للخامس عشر من آذار ١٩٢١، كرست اللجنة السياسية، وكانت اهم لجان المؤتمر، جلستها الرابعة لمناقشة القضية الكردية بصورة مستقلة. ترأس الجلسة شخص وزير المستعمرات ونستن جرچل، أما الاعضاء المشاركون فيها فكانوا السير بيرسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق، والمس بيل، والكولونيل لورانس الذي كان يشغل يومذاك منصب مستشار وزير المستعمرات للشؤون الشرقية، والميجر يونگ الخبير بالشؤون المالية، والميجر نوئيل الخبير بالقضايا الكردية، والميجر بادكوك المشرف على تنظيم أعمال المؤتمر سكرتيرا للجلسة. خصص الملحق العاشر من التقرير الذي أعد عن اعمال المؤتمر وقراراته، لما دار في تلك الجلسة(٣٠١).

ان ما أثير في تلك الجلسة بخصوص "كردستان الجنوبية" وأحيانا "جنوب كردستان"، وفيما يخص كركوك و توابعها بالتحديد، أمر ذو أهمية خاصة محليا، وكذا دوليا، ويلقي ضوءا ساطعا على العديد من الابعاد الخفية لواقع القضية الكردية في العراق. نحاول فيما يلي أن نلخص ماجاء في مؤتمر القاهرة بخصوص القضية الكردية، مع كل مايخص كركوك وتوابعها، في جملة نقاط أساسية، هي:

١- ان اللجنة السياسية تعاملت مع القضية الكردية "في ضوء دراسة معاهدة سيڤر" التي منحت كرد الامبراطورية العثمانية في موادها ٦٢-٦٤ حق تقرير المصير،

---

(301)Ibid, Apendix 10, PP.59-61.

وعلى هذا الاساس "تم الاقتراح بان لايدخل كرد الجنوب تحت سيطرة حكومة العراق"(٣٠٢).

٢- في ضوء ماتقدم اكد السير بيرسي كوكس "أنه سبق له أن أبلغ مجلس الدولة (يقصد الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبدالرحمن النقيب) بانه في غضون السنة التي تتمتع كردستان فيها بحق إختيار الاستقلال بموجب معاهدة سيفر(٣٠٣)سيقوم شخصياً بإدارة المناطق الكردية بما في ذلك كركوك (٣٠٤). وهنا يحدد كوكس مايقصده بالمناطق الكردية التي يقول عنها إنها عبارة "عن المنطقة التي يؤلف الكرد أكثرية سكانها، وهي مقاطعتا كركوك و السليمانية، مع أصقاع معينة تمتد الى الشمال من الموصل ". بعد ذلك يذكر كوكس حقيقة جديرة بالملاحظة، مفادها "أن كركوك والموصل يداران حالياً من قبل متصرفين بإستشارة ضابطين سياسيين بريطانيين، مع ملاك من الموظفين الكرد الذين يوجد عدد كاف منهم". ثم يقتصر كوكس حديثه على كركوك وحدها، فيقول "لقد تم تعيين فتاح باشا متصرفاً لكركوك، وهو تركماني يحظى باحترام الكرد"(٣٠٥).

---

(302)Ibid,P.59.

(٣٠٣)يقول نص المادة ٦٤ من معاهدة سيفر: "إذا راجع الكرد القاطنون في المناطق الواردة ضمن المادة ٦٢ مجلس الامم في غضون سنة من نفاذ منطوق هذه المعاهدة، مبينين ان اكثرية سكان هذه المناطق يرغبون في الاستقلال، وإذا اوصى المجلس بمنحهم أياه، فإن تركيا تتعهد من الان أن تراعي تلك التوصية، فتتخلى عن كل ما لها شيء آخر من حقوق و حجج في هذه المناطق، وتصبح تفاصيل هذا التنازل موضوع إتفاق خاص بين الدول الحليفة الرئيسة وتركيا. وإذا وقع مثل هذا التخلي، وفي الوقت الذي يحدث فيه، فان الدول الحليفة الرئيسة لن تضع أي عراقيل بوجه الانضمام الاختياري للكرد القاطنين في ذلك الجزء من كردستان الذي مايزال حتى الان ضمن ولاية الموصل، الى هذه الدولة الكردية المستقلة". تنظر:

* Sevres and Lausanne ", Moskva,1927,PP.24-25.

(304)"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem..",Appendix 10,P.59.

(305) Ibid,PP.59-60

٣-اثير امام المجتمعين موضوع شكل الحكم الذي كان يجب أن يتمتع به "كرد الجنوب"، فاعتقد الميجر يونگ ضرورة "اقامة دولة كردية تكون مرتبطة بالمندوب السامي بصورة مباشرة، على أن لاتكون جزءا من الحكومة العراقية، ولاتابعة لها". وحول الموضوع نفسه، وردا على سؤال وجهه اليه جرچل، قال الميجر نوئيل ، بوصفه متخصصاً في القضايا الكردية، إن الكرد يرون "أنهم منحوا ما كانوا يأملونه بموجب معاهدة سيفر" وأضاف "أن الكرد يفضلون Home Rule (٣٠٦)، ويعترضون على قبول أي مسؤولية من طرف الحكومة العراقية"(٣٠٧).

هنا توجه جرچل الى الكولونيل لورانس، بوصفه متخصصاً في القضايا العربية، متحمساً لها، ولكونه أقرب البريطانيين من الامير فيصل الذي تقرر في مؤتمر القاهرة ترشيحه لعرش العراق، يستفسر عن رأيه، فكان رد لورانس "أن من رأيه يجب أن لايودع الكرد تحت اشراف حكومة عربية". بل أكثر من ذلك أنه اعترض حتى على وجود متصرفيتين في المنطقة، واحدة في الموصل والاخرى في كركوك، واقترح "أن يكون هناك متصرف واحد ليس بالضرورة أن يعطى موقع أمير كردي" على غرار الامير العربي المقترح لعرش العراق (٣٠٨).

(٣٠٦) Home Rule™ شكل من الحكم يتجاوز الحكم الذاتي كثيرا، وهو اقرب الى الكونفيدرالية، كان الايرلنديون يتمتعون به.

(307)"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerosalem ...", Appendix 10,P.60.
(308)Ibid,P.60.

بعد أن اعترضت المس بيل على توحيد المتصرفيتين في متصرفية واحدة عاد الميجر يونگ الى الكلام، فبين أنه يرى أن الوقت مناسب لإجراء انتخابات محلية في كردستان الجنوبية "لاختيار مجلس محلي" على غرار الحكومة المؤقتة العراقية، على أن تكون بمعزل عن الانتخابات التي تقرر اجراؤها بخصوص عرش العراق. وأضاف " انه يعتقد بأنه ليس ضرورياً أن يرسل الى المنطقة (الكردية) ليفى عربي(٣٠٩)، او قوات بريطانية، وان بالامكان ضمان الامن عن طريق تأليف قوة كردية خاصة"(٣١٠).

هنا تدخل چرچل وقال "انه يميل الى الاتفاق مع هذا المقترح (مقترح الميجر يونگ)، وان بالامكان تقديم عون مالي الى رئيس كردي مع اعوانه الاكثر تأثيرا، وان يمنح (ذلك الرئيس) تسهيلات تجارية محلية في اطار اتفاق يتعهدون بموجبه منع الاتراك (الكماليين) من تنفيذ سياسة في تلك المنطقة تضر بالمصالح البريطانية في العراق "(٣١١).استرسل چرچل في تعقيبه، فأضاف:

"حتى لو رغب الكرد في الاشتراك في الانتخابات (يقصد انتخابات الامير فيصل لعرش العراق) فإنه شخصياً يعتقد ان من الصعب ضمهم الى العراق. فان شريفاً (مثل فيصل) قد يقوده نسبه، وتاريخ اسرته الى التمسك بنظرية الحق الالهي للملك،

---

(٣٠٩)الليفى (Levy)أي المجندون، قوة عسكرية شكلتها السلطات البريطانية لتحل محل قواتها العاملة في العراق ، وذلك بهدف تقليص مصروفاتها العسكرية في البلاد. كان من المقرر ان يكون ضباطها من الإنكليز وجنودها من السكان المحليين.

(310)"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem..., Appendix 10,P.60.

(311) Ibid,P.60.

ربما في الوقت الذي يقبل ظاهرياً الاجراءات الدستورية، ويوافق على تأليف برلمان، الا انه يزدري ،في الوقت نفسه، بالاساليب الديمقراطية والدستورية. واذا كان الامر هكذا فإنه يكون بوسعه، وهو يستند الى قوة جيش عربي، ان يتجاهل الشعور الكردي(٣١٢)، وأن يضطهد الاقليةالكردية"(٣١٣).

هنا يبرز اسم كركوك مرة اخرى بالنسبة للنظام الكردي الذي كان المجتمعون يناقشونه، فقد أكد پيرسى كوكس "ان واردات مقاطعتي كركوك والسليمانية لاتكفي لتمويل ادارة تلك المناطق، مما يقتضي، حسب رأي يونگ، ان تبقى المنطقة مرتبطة ببلاد مابين النهرين اقتصاديا"(٣١٤).

٤ـ ورد في التقرير النص الآتي بخصوص المنطقة الكردية:

"في رده على سؤال وجهه اليه رئيس الجلسة (چرچل)قال الميجر نوئيل اذا طلب منه رسم حدود بين المنطقة الكردية والعراق فانها يجب أن تمر تقريباً بمحاذاة خط التلول الممتدة من سفوح الجبال" التي كان يقصد بها جبل حمرين (٣١٥).

٥ـ في الختام أشار جرچل الى أن "هناك تشابهاً كبيراً بين مهمات الحاكم العام في جنوب أفريقيا بخصوص إتحاد جنوب افريقيا وروديسيا والمهمات المقترحة بالنسبة للمندوب السامي فيما يخص بلاد مابين النهرين وكردستان. وهو يشعر بان السياسة البريطانية منحت القضية العربية مساندة كبيرة للغاية، وليس بالوسع تجاهل حقوق الاقلية الكردية. واقترح تأسيس فوجين كرديين من الممكن، كما يبدو ،

(٣١٢)للاسف هذا هو الذي حدث فعلاً بالنسبة للكرد في عهد الملك فيصل الأول، مع العلم ان عهده كان افضل حقبة بالنسبة للكرد في العهد الملكي .

(313)"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerusalem..", Appendix10,P.60.

(314) Ibid,P.61

(315)Ibid,P.61

تطويرهما بسهولة من اجل السيطرة على السليمانية وكركوك. وعبر عن ثقته بانه بتاثير المندوب السامي، الذي عليه أن يشرف على شؤون البلدين (كردستان والعراق) من خلال قنوات منفصلة، ومتحدة بدقة، يكون بالإمكان تقريب كردستان والعراق من بعضهما، وربما أنهما سوف تؤلفان دولة واحدة في المستقبل. وعبر (چرچل) عن اعتقاده بأن من الممكن أن تتوصل الجلسة الى قرار محدد على هذا الاساس دون الحاجة الى رفع الموضوع الى وزارة الخارجية، او الى أي جهة أخرى، سوى انه من الممكن اشعار عصبة الامم بالامر في النهاية".

وبالنسبة للنظام الكردي المقترح فان المس بيل أكدت ضرورة فصل مدينة الموصل وحدها عن المنطقة الكردية "وضمها الى العراق دون ريب" وذلك في معرض ردها على سؤال وجهه چرچل إليها (٣١٦).

٦- خصص الملحق الحادي عشر لموضوع "الجيش والليفي العربيين"، وهو عبارة عن محضر لما دار في الجلسة السادسة المشتركة للجنتين السياسية والعسكرية، التي عقدت يوم التاسع عشر من اذار ١٩٢١. خصصت النقطة الثالثة من المحضر لموضوع كردستان، وقد جاء فيها: "٣-كردستان: ان على اللجنة أن تأخذ على عاتقها وضع الترتيبات التي تخص كردستان، والتي يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الخطة الآتية:

ان كردستان المنتدبة يجب أن تدار بصورة مباشرة من قبل المندوب السامي على الارجح عن طريق مجلس محلي مؤلف من رؤساء كرد يديرون شؤونهم الداخلية، ويتمتعون بمنحة مالية، ومساعدات اخرى من أجل حماية حدود بلاد مابين النهرين من دخلاء غير مرغوب فيهم (كان يقصد بهم الكماليين في تركيا)، على ان يفتح

---

(316)Ibid,P.61.

(هؤلاء الرؤساء) البلاد امام التجارة، ويشجعوا التجنيد من اجل أهداف الامبراطورية (البريطانية). يجب أن تؤلف قوة من الليفي الكردي باشراف الضباط البريطانيين، وضباط آخرين يرافقونهم من دون أن يتمتعوا بالسلطات. ويجب ان تكون هذه القوات مهيأة لغاية الاول من تشرين الاول سنة ١٩٢١ لتحل محل الحاميات (البريطانية) الموجودة حالياً في كل من كركوك الموصل" (٣١٧).

وفي الجلسة نفسها جرى التأكيد مرة أخرى على أن "الترتيبات المتعلقة بكردستان يجب ان تكون شبيهة بتلك التي تسود جنوب أفريقيا، حيث ان المندوب السامي مسؤول من جهة عن حكومة الاتحاد، وفي الوقت نفسه يتمتع بسلطة تنفيذية مباشرة على روديسيا ومناطق أخرى. ولاينوى مس مشاعر الكرد بوضعهم تحت (حكم) العرب سواء من حيث المبدأ، أو من حيث الموقع (أو الموضع)، ولكن من جهة أخرى (نهدف) الى ضمان قوات كردية يكون بوسعها في غضون ستة أشهر ان تخفف عنا في ادارة شؤون المنطقة"(٣١٨).

بقيت هذه الحقائق، للاسف، في الكتمان الى حد كبير، كما شوهت جوانب منها عن جهل أو عن قصد(٣١٩). فان المؤرخ المعروف الاستاذ عبدالرزاق الحسني، مثلاً، لم يشر سوى الى فقرة واحدة اقتبسها من احدى رسائل المس بيل، والتي عرض نصها هكذا: واما فيما يتعلق بالفقرة الرابعة (أي وضع المناطق الكردية وعلاقاتها بالعراق) فقد "استمر رأي أعضاء المؤتمر على

---

(317)Ibid,Appendix11,P.69
(318)Ibid,P.69.

(٣١٩)ينطبق ذلك حرفياً على مانشر في العراق عن مؤتمر القاهرة في المدة الأخيرة.

القيام بمحاولة للتوثق من مدى رغبة الكرد في الاندماج في المملكة العراقية، او الانفصال عنها"(٣٢٠).

لم ينفذ من توصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لكردستان شيء يذكر، وذلك بسبب مجموعة من العوامل، يأتي في مقدمتها موقف الحركة القومية الكردية من الوجود البريطاني في العراق، الموضوع الذي نتطرق الى أهم أبعاده بقدر من التفصيل لاحقاً. كما لم يؤد الخلاف في وجهات النظر الكردية الدور الاخير في ذلك، الموضوع الذي أشارت اليه المس بيل فيما بعد باستهزاء بليغ حين تحدثت في رسالتها المؤرخة في الثاني عشر من نيسان سنة ١٩٢٣ عن الزعماء الكرد الذين قالت عنهم "ويكره كل فرد منهم الاخر كما يكره الشيطان"، لتضع سوءالأ منطقياً بعد ذلك مباشرة يقول: "فكيف سيكون بوسعنا أن ننشئ دولة كردية؟"(٣٢١). وضمن جواب سكرتير المندوب السامي پيرسي كوكس على إستفسار ورده في الثامن من تموز ١٩٢١ من الحكومة المؤقتة عن "السبب الذي أدى الى تأخير اكمال النظام المؤقت لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي" ورد النص الآتي الذي يوضح مدى عمق الخلافات التي كانت تنخر في صفوف الحركة الكردية يومذاك:

"أجيب على كتابكم ١-٥٣٥، والمؤرخ في ٨ تموز ١٩٢١ بان فخامة المندوب السامي يأسف للتاخير الذي حصل في امر الموافقة على قانون الانتخاب، والناشئ-كما بين فخامته سابقاً- عن الاشكال الحادث في ايجاد حل موافق للمصالح الكردية في

---

(٣٢٠)عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٥٤-٥٥.

(٣٢١)" العراق في رسائل المس بيل " ، ص٤٨٥.

مناطق مختلفة بحسب معاهدة سيفر. لقد زاد في الامر اشكالاً تباين آراء الطوائف الكردية في موقفهم ازاء الحكومة الكردية..."(٣٢٢).

وينبغي ان نشير ايضاً الى ان بيرسى كوكس نفسه لم يكن لديه موقف ودي تجاه القضية الكردية في العراق عموماً، الامر الذي اثر سلباً على تطبيق توصيات مؤتمر القاهرة بشأنها. ورد في دراسة عن مؤتمر القاهرة بهذا الخصوص مايأتي:

"استذكر كل من يونگ و لورانس أن التساوق (أو الإتساق) في الرأي(٣٢٣) في مؤتمر القاهرة قد حبذ اتباع سياسة منفصلة في كردستان، لكن طريقة كوكس، وأسلوبه جعلا مواصلة تلك السياسة أمراً صعباً جداً. وقد اختلف چرچل مع كوكس حول هذا الامر، اذ حبذ چرچل سياسة تقوم على اقامة حاجز كردي بين العرب والترك، كما تقرر ذلك أصلاً في مؤتمر القاهرة"(٣٢٤). يقر صاحب كتاب "تأريخ حياة السير بيرسى كوكس" الحقيقة ذاتها (٣٢٥).

لم يكن تأثير بعض العوامل الخارجية في فرض سياسة كوكس في نهاية المطاف قليلاً، ومن أهم تلك العوامل مخاوف البريطانيين من "الخطر البلشفي"، وانتصار الحركة الكمالية في تركيا في وقت اقامت الحركة الكردية

---

(٣٢٢)مقتبس في:

عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٥٤-٥٥.

(٣٢٣)في النص: Balance of Opinion.

(324) A.S.Klieman, Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921,London,1970,P.168.

(325) Ph.Graves,The Life of Sir Percy Cox,P.283.

العراقية نفسها علاقات مباشرة مع الكماليين، وهي موضوعات تلقي قدرا من الضوء على بعض جوانبها لاحقاً.

رغم ذلك اتخذ البريطانيون بعض الخطوات في ضوء توصيات مؤتمر القاهرة بالنسبة لمستقبل كردستان الجنوبية. فبعد عودة السير پيرسي كوكس من القاهرة نشر سكرتيره بياناً بتأريخ السادس من ايار ١٩٢١ استهله بالقول" ينظر المندوب السامي نظرا فعلياً في التدابير الواجب اتخاذها بحق ادارة المناطق الكردية في العراق. وقد بلغه أن هناك مخاوف تساور القلوب من احتمال الحاقهم بحكومة بغداد، الامر الذي الجأ البعض الى المطالبة بنظام استقلالي. وبلغه في الوقت نفسه أن قادة الرأي الكردي العام يشعرون بالروابط الاقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق، ففي هذه الحالة يرغب فخامة المندوب أن يحصل، ان أمكن ،على ما يشير الى أماني الكرد الحقيقية". وقد نشر المستشارون البريطانيون نص البيان في كل من الموصل وكركوك، التي كانت أربيل مرتبطة بها، والسليمانية(٣٢٦).

على أثر ذلك تبودلت مجموعة من البرقيات الرسمية السرية، واتخذت بعض الاجراءات نشير الى مايتعلق منها بكركوك من دون تعليق. ففي برقيته المرقمة ١٠٩، و المؤرخة في الخامس والعشرين من أيار سنة ١٩٢١ استفسر وزير المستعمرات ونستن جرچل من المندوب السامي البريطاني في

---

(326)"Iraq.Report on Iraq administration: October 1920-March 1922",London, Published by His Majesty's Stationery Office,1922,PP.11,126.

يمكن الرجوع حول الموضوع نفسه الى: عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٢٨؛ محمد مظفر الادهمي، المجلس التأسيسي العراقي، ص١٨٧-١٨٨.

العراق بيرسي كوكس "عن رايه فيما إذا كان يفضل أن تعامل كركوك كجزء من كردستان، او كجزء من بلاد مابين النهرين"، فكان "من وجهة نظر" كوكس "أن المصالح الكامنة تقتضي فصل كركوك عن العراق"(٣٢٧).

وفي برقية أخرى بعثها جرجل الى كوكس في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والعشرين من بعد ظهر يوم الرابع والعشرين من حزيران سنة ١٩٢١، وهي تحمل الرقم ١٩٦، ذكر جرجل ما نصه:

"انني أقترح أن تكون المنطقة غير العربية (في العراق) محددة بخط يمتد من مشوره داغ (Mushora Dagh) خلال تيغانا (Tegana) ليلتف حول الموصل، ويتبع الحدود الاثنية (لمنطقة) السكان العرب الخلص الى حد زاوية حدود بلاد فارس المجاورة لقلاي نفط (Kala Naft). يجب توزيع هذه المنطقة على ثلاث مقاطعات مستقلة، تشمل احداها المنطقة الواقعة في الشمال الغربي من الزاب الكبير، واخرى تشمل على منطقة كركوك، والثالثة على منطقة السليمانية. وبالامكان توسيع مقاطعة السليمانية الحالية بحيث تشتمل علىالعناصر الكردية في ديالى الاوسط، الى الشمال من قزلرباط. اما العناصر العربية في مقاطعة كركوك الحالية فيجب أن تقسم على سامراء والموصل. وينبغي تعيين متصرف في كل من السليمانية و كركوك، على أن يعين لكل واحد منهما مستشار يكون مرتبطاً بك بصورة مباشرة"(٣٢٨).

---

(327)Public Record Office,F.O.,371/6346/2262,Paraphrase Telegram from the Secretary of State for the Colonies to the High Commissioner of Mesopotamia,No.196.

(328)Ibid.

وفي الساعة الخامسة وعشرين دقيقة من بعد ظهر اليوم نفسه، أي بعد خمس وخمسين دقيقة بالتحديد، تم إرسال الجزء الثاني من البرقية نفسها من چرچل الى كوكس، وقد ورد في هذا الجزء من البرقية:

"أنني اميل بقوة، في ضوء المعلومات المتوفرة لدي، أن أعتبر هذا حلاً صحيحاً. وفي كل الاحوال يجب ترك الحرية للمقاطعات الثلاث أن تبقى مستقلة عن بعضها البعض ،أو ان تتحد في كردستان الجنوبية. وبإمكانك أن تحتفظ بمسؤول ضمن الملاك التابع لك تقع على عاتقه مهمة الاتصال بالمقاطعات غير العربية، أو اذا تحسنت المواصلات فيما بعد، أن تعتمد على مسؤول يكون مقره في كركوك، أو أي مكان اخر في المنطقة غير العربية"(٣٢٩).

في ختام برقيته الاخيرة طلب وزير المستعمرات من المندوب السامي البريطاني في العراق پيرسى كوكس ان يدرس الموضوعالمطروح بامعان، وأن يتشاور بصدده "اذا ارتأى" مع الامير فيصل، الذي وصل بغداد لتوه بوصفه مرشحاً لعرش العراق(٣٣٠).

تعامل كوكس في ضوء هذه التوجيهات مع الامير (فيما بعد الملك) فيصل، لانه رأى فيها وسيلة لضمان ظهور دولة عراقية مستقرة تضم القوميتين العربية والكردية. وللاستدلال نختار غيضاً من فيض المعلومات الوثائقية المتوفرة بهذا الخصوص. ففي الاجتماع الذي عقده كوكس مع فيصل في أواخر تشرين الاول سنة ١٩٢١ للتداول في أبعاد القضية الكردية وافرازاتها المتوقعة، وحضره كل من الميجر يونگ، أحد المشتركين في مؤتمر القاهرة،

---

(329) Ibid.
(330)Ibid.

و كورونواليس مستشار وزارة الداخلية والسفير البريطاني في العراق لاحقاً، جرى تحديد لا لبس فيه لما يقصد بكردستان العراق بوصفها المنطقة التي تمتد "الى الشمال من تلول حمرين" التي "تفصل بين السكان العرب وغير العرب"، والتي "اذا استثنيت الاقلية التركمانية الصغيرة منها فهي منطقة كردية" صرفة(٣٣١).

وفي الاجتماع نفسه "اخبر يونگ الملك فيصل صراحة بأن السياسة البريطانية تستهدف تشجيع القومية العربية لا الاستعمار العربي" وذلك في معرض مناقشتهما للقضية الكردية(٣٣٢).

سار خلف كوكس، هنري دوبس على النهج نفسه كما نبين ذلك بعد عرض بعض مما يتعلق بموقف كرد كركوك و تركمانها من ترشيح فيصل لعرش العراق، وهو الموضوع الذي يعزز بدوره المنطلقات والحقائق المطروحة حتى الان بين دفتي هذه الدراسة.

---

(331)Public Record Office,F.O.,371/6347/2262,Paraphrase Telegram.The High Commissioner of Iraq to the Secretary of State for the Colonies,No.616,dated 25 th October 1921.

(332)Ibid;A.S.Klieman,Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921,P.168.

موقف كركوك و توابعهامن ترشيح الامير فيصل لعـــرش العـــــــراق مع نبذة عن موقف فيصل من القضـــية الكـــــردية

تقـرر في مؤتمـر القـاهرة اقامـة نظـام ملكـي في العـراق يعــهد عرشــه الى الامير فيصل بدلاً من أخيه الامير عبدالله، بعـد ان فقـد الاول منـهما عـرش سوريا. فقد رأى المؤتمرون أن "الامير فيصل هو افضل من يمكن له أن يحكم بلاد مـابين النـهرين" ، وبمـا أنـه "كـان واضحــا جـدا ان حكومــة صـاحب الجلالة لايمكن لها أن ترشح فيصل، بل يجب اختياره من قبـل شـعب مـابين النهرين"، لذا "تم وضع برنامج مفصل" مـن اجل "تـأمين افضل الفـرص لضمان اختيار الشعب لفيصـل حاكمـاً لـه مـن دون تدخـل فعـال مـن جانب حكومة صاحب الجلالة لمصلحته"(٣٣٣).

في ضوء ذلك بذل المسؤولون البريطانيون في العراق كل ما في وسعهم مـن اجل حشد أكبر تأييد ممكن للامير فيصل، الا أن ذلـك لم يحـل دون أن يعـبر أهـل كركـوك وتوابعـها عـن آرائـهم بالاتجـاه الــذي يبــين بوضــوح هويتــهما القومية. فقبل كل شيء أن "القضيــة الكرديـة غـير المحسومة" و "ضمانـات المستقبل السياسـي للمنـاطق الكرديــة" كانتـا مـن المشكلات الاساسـية الـتي اعـترضت طريـق تنفيـذ قـرار مؤتمـر القـاهرة بصـدد اجـراء اسـتفتاء حـول

(333)"Report on Middle East Conference held in Cairo and Jerosalem...",P.4 and Appendix 9.

ترشيح فيصل لعرش العراق(٣٣٤). في تعليق له على ذلك يقول مؤلف كتاب "الملك فيصل الاول والانكليز والاستقلال" بالإستناد الى الوثائق البريطانية:

"لكن حملة فيصل تراخت، فلم يتبد في اعين الناس بانه مرشحهم. فكانت هناك حركة معارضة في البصرة، كما أن الاكراد قد أعربوا عن رغبتهم، من خلال استطلاع محلي للرأي، في التمتع بادارة مستقلة"(٣٣٥).

باستثناء بعض الحالات النادرة فان ابناء جميع الطوائف والاديان والاتجاهات، ممن جرى استفتاؤهم في الوسط والجنوب، كما في مدينة الموصل وقفوا ، في نهاية المطاف، بحماس الى جانب ترشيح فيصل لعرش العراق، فيما اختلف الوضع عن ذلك كلياً في كردستان، خصوصاً في كركوك والسليمانية. فان الاخيرة لم تشترك في الاستفتاء اصلاً. أما كركوك فقد صوتت ضد فيصل. تصف لنا المس بيل، التي كانت متحمسة لترشيح فيصل الى أقصى حد، الموضوع هكذا:

"أن سكان منطقة السليمانية في كردستان الجنوبية قرروا، كما كان لهم الحرية في ذلك، الامتناع عن الاشتراك في أي انتخاب يجري لاختيار ملك للعراق. عدا هذا فان نتائج الانتخاب الذي جرى في بقية أجزاء البلاد اتت بـ٩٦٪ لصالح الأمير. أما الـ ٤٪ المتبقية المعترضة فقد جاءت من التركمان والكرد في كركوك"(٣٣٦). ورد الكلام نفسه تقريباً في أول تقرير عن سير الادارة في العراق قدمته الحكومة

---

(٣٣٤)الدكتور كاظم نعمة، الملك فيصل الأول والإنكليز والإستقلال،من منشورات الدار العربية للموسوعات ، بيروت، ١٩٨٨، ص٦٩،٧٣.

(٣٣٥)المصدر نفسه ، ص٧٢.

(336)"The Letters of Gertrude Bell ", P.432.

البريطانية الى "عصبة الامم" في العام ١٩٢٢، وذلك بوصفها الدولة المنتدبة على العراق من قبل العصبة(٣٣٧).

في تعقيب له على موقف أهالي كركوك من ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق يقول المستشرق البرت م.مينتيشا شفيللى في كتابه "العراق في سنوات الانتداب البريطاني" ان لواء كركوك اتخذ مثل ذلك الموقف على الرغم من أنه "كان تحكمه الحكومة العراقية والمستشارون الانكليز الخاضعون لسلطات الانتداب في بغداد"(٣٣٨). ومن المفيد أن نشير الى أن الشاعر التركماني محمد صادق افندي نظم قصيدة بالمناسبة يقول في مطلعها "انتخاب أيتمم سني فيصل عراقك ملكنه"، ومعناها "لا انتخبك يا فيصل ملكاً على العراق"(٣٣٩).

في تقرير للاستخبارات عن نتائج الاستفتاء وضعته وزارة المستعمرات البريطانية وردت بالنسبة لكركوك الملاحظة الآتية:

"المضابط المعارضة تعلن في الاكثر أن الاهالي ليسوا من العرب، و أنهم يفضلون الانتظار حتى يروا ماذا سيكون عليه أمر استقلال كردستان، و طالب بعضهم بامير تركي. جميع المضابط المؤيدة هي من أربيل" التي كانت تتبع كركوك ادارياً حين

---

(337)"Iraq.Report on Iraq administration: October 1920-March 1922",P.15.

(338)A.M.Menteshashvili,Iraq v godi Angliskovo Mandata, Moskva,1969,P.198.

في الترجمة العربية للدكتور هاشم صالح التكريتي بعنوان " العراق في سنوات الانتداب البريطاني "، بغداد، ١٩٧٨، ص٣١٦.

(٣٣٩)مقتبس في،

شاكر صابر الضابط، موجز تأريخ التركمان في العراق، ص١٤٥-١٤٦.

اجراء الاستفتاء (٣٤٠). ومن المفيد أن نشير الى ان الحسني سجل نص هذا الاعتراف الرسمي الخطير مراراً في كتابه المصدر "تاريخ الوزارات العراقية"، كان اخره في طبعته السابعة التي نشرتها "دار الشؤون الثقافية العامة" التابعة لوزارة الثقافة والاعلام في العام ١٩٨٨(٣٤١)".

ورد في فقرة أخرى في التقرير نفسه عن كركوك: "بعد قراءة رسالة المستشار في مجلس كركوك (انظر رقم ١٨، الفقرة ١٦) قرروا بالاجماع أن يصوتوا لفيصل، ويكونوا قدوة للنواحي، غير ان الاجتماعات غير الرسمية التي عقدت في منازل خاصة مختلفة عارضت هذا القرار. ففي اجتماع عقد في ٢٣ تموز في دار المفتي تقرر اصدار فتوى ضد فيصل "بوصفه ليس مسلماً صحيحاً، بل يزيدياً" وانه اذا اصبح ملكاً فسيطالبون بالاتحاد مع كردستان. وأعقب هذا في اليوم التالي الاعلان المشار اليه في التقرير رقم ١٨، الفقرة ١٦ المذكور في الملحق. وقد صرح زعماء الكرد والعرب في محادثاتهم الخاصة مع المستشار انهم سيصوتون على وفق رغبة الحكومة البريطانية، لكنهم لايريدون فيصلاً، ولايريدون حكومة عربية. بيد أنه كان هناك ثمة عنصر معين يميل الى خلق المشاكل، ومن المحتمل ان العناصر التركمانية كانت تفضل تأييد الاتراك، بل انه حين أعيدت أوراق البيعة بعد التوقيع تبين أن محلتين في مدينة كركوك قد طلبتا حاكماً تركياً.

اما نتائج الاستفتاء في اللواء فهي كما يلي:

---

(340)Quoted in: Gh.R.Atiyyah, Iraq 1908-1921.A Political Study , P.329;
غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ .

(٣٤١)عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول ، ص ٥٩.

١. مدينة كركوك ٦٤ مع فيصل، ٢٧٨٦ ضده.
٢. ناحية كركوك ١٩٧ مع فيصل، ٧٢٠ ضده.
٣. التون كوبري لايوجد احد مع فيصل، ١٥٠٠ ضده.
٤. داقوق لايوجد احد مع فيصل، ١٠٠٠٠ ضده.
٥. ملحة لايوجد احد مع فيصل، ١٥٠٠٠ ضده.
٦. شوان لايوجد أحد مع فيصل، ١٣٦٣ ضده.
٧. يبدو أن الاعداد الواردة في ٤و٥ (أي عن داقوق وملحة) قد جرى تضخيمها، ويجري التحقيق بذلك.
٨. ان جميع المناطق الكردية تطالب بحكومة كردية(٣٤٢)، لكن فكرة الوحدة الكردية بعيدة عنهم ذلك لانهم ينفرون من ضمهم الى الاقليم الكردي الحالي في السليمانية"(٣٤٣). وللموقف الاخير تفسيره الذي نتطرق اليه ضمن المبحث الخاص بالشيخ محمود و كركوك. أما موقف العبيد في ملحة فيعكس، من بين مايعكس، مدى توافق الراي بينهم وبين جيرانهم الكرد، وطبيعة روابطهما فيما بينهما.

أما الكرد في اربيل، وكانوا يتبعون كركوك إدارياً كما قلنا، والموصل فقد صوتوا لصالح فيصل شرط ضمان حقوقهم القومية، بل أن قسماً منهم صوتوا له شرط استمرار الانتداب البريطاني (٣٤٤). ورد في تقرير وزارة

---

(٣٤٢)ورد في الطبعة العربية من كتاب الدكتور غسان العطية بعض الاخطاء، مما إقتضى التنويه.
(343)Quoted in: Gh.R.Atiyyah ,Iraq 1920-1921.A Polifical Studay,P.394;
غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص٥٠٤.
(344)"Iraq. Report on Iraq administration: October 1920-March 1922", PP.14-15.

المستعمرات الانف الذكر عن نتائج الاستفتاء بالنسبة للموصل الملاحظات الآتية:

"شددت ست مضابط منها على صيانة حقوق الكرد والاقليات الاخرى، وشددت سبع منها على إستمرار الإنتداب البريطاني بالإضافة الى حماية حقوق الكرد، وعشر منها وضعت الشروط التالية:

١- استمرار الانتداب البريطاني، واتباع مشورة الضباط البريطانيين في الامور المدنية والعسكرية.

٢- الاعتراف باللغة الكردية في دوائر الحكومة والمدارس الابتدائية.

٣- حماية الحقوق القانونية والمدنية والسياسية للسكان الكرد.

٤- يحتفظ كرد العراق بحق الانضمام الى كردستان تركيا، او يكون لهم ذلك حين ينظر في مسألة منح الاستقلال لكردستان تركيا"(٣٤٥). وكما لايخفى ان هذه المضابط كانت تمثل آراء كرد المناطق المرتبطة اداريا بالموصل (دهوك و العمادية و عقرة و زاخو و غيرها) الذين أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم بموقفهم هذا، مع موقف كرد أربيل الذين ،كما قالت، حين صوتوا الى جانب فيصل أعلنوا صراحة أنهم يتراجعون عن قرارهم "إذا ماظهرت الظروف الواردة في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر "(٣٤٦) التي منحتهم حق الانضمام الى الدولة الكردية المقترحة كما أسلفنا.

---

(345)Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A Political Study,P.32;

غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص٥٠٠.

(346)"Special Report..to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931", P.254.

اما بالنسبة لخانقين فقد ورد في التقرير: "وفي خانقين، حيث يوجد عدد كبير من الكرد، كان هناك ثمة توق للانضمام الى دولة كردية، غير انهم لم يجمعوا على رأي، وبعد نقاش حامي الوطيس افلح ولي اغا من باجلان في كسب باقي أعضاء اللجنة المؤلفة من الاشراف، والتي كانت قد إستدعيت الى بعقوبة، الى جانب الانضمام الى دولة عربية. عندئذ عادت اللجنة الى خانقين للحصول على تواقيع الاخرين من الاشراف ورؤساء العشائر"(٣٤٧).

في اليوم الثالث والعشرين من آب سنة ١٩٢١ جرى في بغداد تتويج الامير فيصل ملكاً على العراق، وقد حضرت الحفل المهيب الذي اقيم بهذه المناسبة في ساحة القشلة ببغداد، وفود جميع الالوية فيما عدا كركوك و السليمانية (٣٤٨).

عد البريطانيون موقف كركوك نذير شؤم ات من المنطقة الكردية بأسرها. تقول المس بيل في رسالة لها بتأريخ الرابع عشر من آب ١٩٢١: ".. وكلا الفريقين (التركمان والكرد في كركوك و توابعها) لايريدان الحكم العربي، ولذلك طلبت محلتان بدولة كردية مستقلة تخضع لحمايتنا .. كما انهم يرفضون الارتباط باي طريقة كانت بمنطقة السليمانية، وقد سبق أن صوتت على الانفصال عن الدولة العراقية قبل مجيء فيصل. ولا أذكر اكثر

(347)Quoted in: Gh.R.Atiyyah,Iraq 1908-1921.A political Study , P.394
غسان العطية، العراق. نشأة الدولة، ص٥٠٢.

(348)"The Letters of Gertude Bell ", P.432.

من هذا عن القومية الكردية، التي يمكن أن تسمع كثيرا من الهراء عنها في الأشهر القادمة، مالم ينجح السير پيرسي في إقناع كركوك بالانصياع للعقل و المنطق"(٣٤٩).

مهما يكن من أمر، فلا مراء في ان إختيار الامير فيصل ملكاً كان يعني تحولاً ما في تأريخ العراق السياسي المعاصر، وظهور عنصر جديد مؤثر بالنسبة للقضية الكردية انعكست نتائجه على كركوك و توابعها ايضاً. وكما سبق أن ذكرنا كان البريطانيون يرغبون في أن يتبنى الملك فيصل سياسة واقعية مرنة تجاه الكرد وكردستان، الامر الذي توضحت أبعاده أكثر بعد تتويج فيصل، ونشير هنا الى بعض مظاهره التي كانت كركوك وتوابعها متمثلة فيها أكثر من معظم المناطق الكردية الاخرى.

أولى البريطانيون هذا الموضوع إهتماماً خاصاً بعد تتويج فيصل، ذلك لانهم كانوا يعرفون أن مصير ولاية الموصل الذي أثير لتوه من قبل قوة ثورية طموحة متمثلة بتركيا الكمالية، إنما يعتمد على موقف الكرد الى حد بعيد. كما أنهم، على العكس تماماً مما ذهب اليه عدد كبير من المؤلفين العراقيين على اساس تحليل مبسط، كانوا يرغبون في إيجاد عراق مستقر يهيء لهم ظروفاً أمثل لإستغلال ثرواته، ولاسيما نفطه، الأمر الذي كان يعتمد بدوره على موقف الكرد كثيرا. ومن أجل توضيح هذه النقطة المهمة، والمشوهة الى حد بعيد في تأريخ العراق المعاصر المدون في الداخل،

(٣٤٩)" العراق في رسائل المس بيل "، ص٣٢٥.

نورد فيما يلي مقطعاً من مذكرة سرية بعثها الى الملك فيصل السير هنري دوبس المندوب السامي البريطاني الجديد الذي خلف السير پيرسي كوكس، والتي ورد فيها اسم كركوك ضمن مقترحات دوبس(٣٥٠) أكثر من مرة:

"سري/دار الاعتماد، بغداد

يا صاحب الجلالة: يظهر من التقارير الواردة حديثاً من الاقضية الكردية أن حركة الاستقلال الكردي قد عادت الى الوجود، وقد حدث في بعض الجهات في طي الخفاء تحريض ضد الحكومة العراقية على أنها حكومة عربية. ان التباين في العاطفة بين الشعبين الكردي والعربي- ذلك التباين الذي لابد بالطبع من أن يظل موجوداً بينهما كما هي الحال بين الانكليز والاسكتلنديين لان الله خلقهما شعبين مختلفين- قد إزداد حدة، ويخشى أن يؤدي الى تنافر خطير. ان التقارير المذكورة قد اقلقتني، وأني متأكد من ان جلالتكم ستوافقني على أنه لمن المفجع للعراق أن ينصرف عن تاييده أشد عناصره حيوية. أن موقف الاكراد على الحدود لامر على جانب عظيم جداً من الاهمية للعراق، إذ أنه بولائهم الصميمي، دون غيره، يستطيع العراق حماية نفسه مما يهدده من تجاوز الاتراك ودسائسهم، ويتمكن من تأمين خطوط مواصلاته الممتدة من بغداد الى الموصل وسط كركوك وأربيل. فان العراق إذا لم يكن محتفظاً إحتفاظاً متيناً بالروابي الكردية الممتدة من خانقين الى رواندوز، فانه لن يستطيع الاحتفاظ إحتفاظاً محكماً بالسهول الغنية التي في أسفل تلك الروابي، وبسكة حديد الموصل العتيدة التي ستخترق تلك السهول، ولن يقوى على حماية أعمال شركة النفط التركية المنتظر أن تعود على العراق بالكثير من الارباح. لدى التامل في هذه الحالة طرأ على خاطري انه قد يكون في إستطاعة جلالتكم القيام بدور نشيط للغاية في سبيل إستمالة قلوب الاكراد، وإصلاح ذات البين إصلاحاً

---

(٣٥٠)نتطرق الى قسم من تلك المقترحات، في حدود علاقتها بصلب الموضوع، فيما بعد.

حقيقياً ما بين الشعبين الكبيرين اللذين يؤلفان الدولة العراقية، كما فعلت صاحبة الجلالة الملكة فكتوريا (٣٥١) **التي كانت العامل الرئيسي في توطيد دعائم الاتحاد بين الشعبين الانكليزي والاسكتلندي اللذين بقيا عدوين عدة قرون. وقد تكون جلالتكم عالمين بالغيرة التي كانت الملكة فكتوريا تبديها في كل مناسبة نحو الشعب الاسكتلندي، وكيف كانت تصرف قسماً عظيماً من وقتها في أسكتلندا، وكيف كان زوجها واولادها يرتدون كثيراً الثياب الاسكتلندية. وقد حافظ أخلافها على هذه التقاليد، وكان من نتيجة ذلك أن الاسكتلنديين الان هم تقريباً أشد أنصار العرش البريطاني والامبراطورية البريطانية"**(٣٥٢).

بعد ذلك يطرح هنري دوبس على الملك فيصل جملة من المقترحات، منها "ان تعلن جلالتكم أن النجمتين اللتين في العلم العراقي، بقطع النظر عن أصلهما التأريخي، تعتبر الان رسمياً أنهما ترمزان الى اتحاد الشعبين الشقيقين العربي والكردي" و "أن توجه جلالتكم إهتماماً خاصاً الى الضباط الاكراد الذين في خدمة الجيش العراقي.." وان "ينظر جلالتكم في

---

(٣٥١)من أشهر ملوك بريطانيا في تأريخها الحديث، تمتعت بقوة الشخصية، شهد عهدها الذي بدأ عام ١٨٣٧ و إنتهى عام ١٩٠١ (حوالي ٦٤ عاماً)، إصلاحات سياسية و إقتصادية داخلية ازالت جزءا من أسوأ المفاسد التي كان المجتمع يعاني منها ،الأمر الذي إمتدت آثاره الإيجابية الى الأسكتلنديين الذين إتحدت بلادهم مع انكلترا منذ العام ١٧٠٧، فضمنت بذلك ولاءهم للتاج البريطاني. يعرف عهدها المديد عادة بالعهد الفيكتوري.

(٣٥٢)دار الكتب والوثائق،

No.R.O.285,The Residency,Baghdad, to His Majesty King Faisal, October 18,1926,P.3,Secret.

دار الاعتماد، بغداد في ١٨ تشرين أول سنة ١٩٢٦، الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم أيدالله ملكه، رقم الحفظ في ملفات البلاط الملكي ١٤٢٠ بتأريخ ١٩٢٦/١١/٢٠، س/١٥،ص٣، سري.

ملاحظة، وردت نصوص هذه المذكرات باللغتين الانكليزية والعربية، لذا آثرنا تسجيل أرقامها وتواريخها ، وبقية تفصيلاتها المكتبية كما هي، وباللغتين ايضاً.

تشكيل ثلة حرس ملكي خاص صغيرة من الاكراد ترتدي الثياب الوطنية الكردية لتتناوب الحراسة في البلاط، والاماكن الاخرى مع الحرس الخاص العربي"، وان "يتوسل جلالتكم بوسيلة ما لاجل إظهار العطف نحو الشبان الاكراد الذين يداومون في دار المعلمين، أو المدرسة الثانوية ببغداد.."، وان "يتشبث جلالتكم بتعليم اللغة الكردية"، وأن "يقضي جلالتكم عادة أشد اشهر السنة حرارة في إحدى البلدان الكردية الجبلية(٣٥٣) كشقلاوة مثلاً.."(٣٥٤).

إختتم هنري دوبس مذكرته التي دونها باللغتين الانكليزية والعربية، والتي تقع في ست صفحات من الحجم الكبير، بالقول: "وإذا حولتم، ياصاحب الجلالة، أفكاركم في الجهة التي بينت، فلاشك عندي في انه تخطر لكم عدة مشاريع أخرى أفضل من الذي تجرأت على إقتراحها. ولي الثقة بأن جلالتكم لاتظنون أن قيامي بكتابة ماكتبت هو في غير محله، فالذي بعثني على كتابة هذا الكتاب هو ماأشعر به من القلق الحقيقي بشأن الحالة الراهنة، ثم أملي بأن ترى جلالتكم من

---

(٣٥٣)يعتقد صاحب هذه الدراسة ان الرئيس العراقي السابق صدام حسين كان مطلعاً على محتويات هذه الوثائق المحفوظة في دار الكتب والوثائق ببغداد، وأخذ بها من منطلق نقيض لمنطلقات الملكة فكتوريا، فارتدى فعلا الملابس الكردية، واعلن عن نيته في تعلم اللغة الكردية، ويقال انه إستعان برجل المخابرات الكردي هوشنگ سيد احمد وبأستاذ جامعي كردي لهذا الغرض، واعلن عن نيته في تحويل اربيل الى ماسماه بالعاصمة الصيفية للحكومة العراقية، لكن هدفه من ذلك كله كان تخدير الجماهير الكردية، وتغطية سياسة النظام العنصرية تجاه الكرد، والتي إستهدفت وجودهم القومي على ارض الواقع، وبأسلوب لم يسبقه مثيل في التأريخ.

(٣٥٤)دار الكتب والوثائق، رسالة المندوب السامي البريطاني السير هنري دوبس نفسها الموجهة الى الملك فيصل الاول بتأريخ ١٨تشرين اول ١٩٢٦.

المناسب إستعمال تلك المآثر الملكية السامية، مآثر العطف والجود والنجابة التي إشتهرتهم بها في سبيل تامين ولاء هذا الشعب، والقيام بخدمة فائقة للدولة العراقية. صديق جلالتكم المخلص. التوقيع" (٢٥٥).

في لقاء سابق له بفيصل يوم الثامن والعشرين من شباط سنة ١٩٢٣ تباحث دوبس معه حول أفضل السبل التي من شانها أن تساعد على كسب الكرد و زعمائهم الى جانب الحكومةالعراقية، فعرض عليه مقترحات أخرى بلغت الى حد أن يطلب منه "تشجيع صاحب السمو الامير زيد (الأخ غيرالشقيق للملك فيصل) على التقرب من زعماء الاكراد الذين في لوائي الموصل وكركوك، وان يستعمل نفوذ العائلة الملوكية في سبيل تأمين إنضمامهم الى الحكومة العراقية، وتعلقهم بها"(٢٥٦).

يبدو أن المندوب السامي إقتنع بأن الظروف بالنسبة لكركوك تحديدا لم تنضج بعد للاقدام على مثل تلك الخطوة، لذا نراه يوجه بعد مرور أربعة أيام فقط على لقائهما رسالة الى الملك فيصل يقول فيها:

"وإذا قرّ الرأي على تحبيذ خطة العمل هذه للامير زيد ليعمل بها، فلابد من ان جلالتكم ستنظرون في امر وجوب قيامه في العمل بالاستشارة الى أقصى مايمكن مع متصرفي الموصل وأربيل، على أنه ليس من المستحب في الاونة الحاضرة ان يدخل الامير زيد في علاقات مع أكراد كركوك والسليمانية، واني أعتقد بداهة أن جلالتكم

---

(٢٥٥)المصدر نفسه.

(٢٥٦)دار الكتب والوثائق،

No.R.O.285,The Residency,Baghdad,4 th March,1923,To His Majesty King Faisal.

رقم: ار.او، دار الاعتماد، بغداد في ٤آذار ١٩٢٣، الى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم.

ستبينون هـذا الامـر بوضـوح للامـير زيـد في أي رسـالة قـد توجهونـها اليـه في هـذا الموضوع"(٢٥٧).

إنتقل الامير زيد الى الموصل، واقام إتصالاً مباشرا مع زعمـاء الكـرد، ويبـدو أنه حقق قدرا من النجاح، فلقد كان يجيـد اللغـة التركيـة، وكـان علـى إطلاع كاف على الحياة في تـركيـا(٢٥٨). تقـول المـس بيـل بـهذا الخصـوص في رسـالتها المؤرخة في الاول من آذار سنة ١٩٢٣: "أعتقد اننا لو تركنا زيـدا وحـده فانـه بوسعه أن يتوصل الى تسوية مشجعة مع الكرد الشماليين"(٢٥٩).

في الثـامن عشـر مـن تشـرين اول سـنة ١٩٢٦ إقـترح المنـدوب السـامي البريطاني على الملك فيصل تأسيس "جمعية في بغـداد لتنميـة الاتحـاد بـين الشعبين العربي والكردي" "ربمـا يفتـح لها فـرع في كركـوك"، ويكـون أحـد أهدافها "تنشيط درس اللغة الكردية، والادب الكردي من قبل العـرب، وعلـى الاخص الموظفين العرب"(٣٦٠).

---

(٢٥٧)المصدر نفسه.

(٢٥٨)اصغر ابناء الملك حسين، ولد سنة ١٩٠٠ من زوجتـه التركيـة، كان مـن صفوة الهاشميين، مثقفاً، لطيـف المعشر، حسن التصرف، اجاد التركية والانكليزية بطلاقة.

(359)E.Burgone, Gertrude Bell from Her Personal Papers,Ernest Benn Limited ,London,1961,P.310.

(٣٦٠)دار الكتب والوثائق،

No.R.O,285,The Residency,Baghdad,To His Majesty King Faisal, October 18,1926,P.3,Secret.

كانت إستجابة الملك فيصل لنصائح البريطانيين جيدة عموماً(٣٦١) .
وردت في التقرير الرسمي الذي بعثه السير بيرسى كوكس، المندوب السامي البريطاني في العراق، الى وزارة المستعمرات بلندن عن الوضع المالي والاداري للعراق من نيسان ١٩٢٢ حتى ٣١ آذار ١٩٢٣ الملاحظة الآتية عن "وجهة نظر الملك فيصل فيما يتعلق بالمسألة الكردية في العراق أواخر العام ١٩٢٢"، وذلك في معرض تعليقه على قبول بعض المناطق الكردية بعرشه:

"لم يبق ، لذلك، سوى إيجاد نوع من تصالح مؤقت (في النص modus vivendi وهو مصطلح يعني إتفاق، أو صلح مؤقت يعقد بين طرفين متنازعين او متناحرين) من شانه أن يمكن عرب العراق و كرده من العيش معاً بسلام في ظل تاج موحد مع إحترام ملزم للمشاعر القومية للعنصرين. إن موقف الملك فيصل مفيد، فانه شخصياً قومي، ذو نظرة بعيدة جداً، ليس مستعداً ان يحترم إحساس الاخرين، ويعترف به حسب، بل إنه مستعد أيضاً أن يمنح المناطق الكردية داخل العراق درجة تامة من الحكم الذاتي، وعلى الكرد أنفسهم أن يقرروا بأي اسلوب يمارسونه"(٣٦٢).

سجلت الحكومة البريطانية في تقريرها الرسمي الذي قدمته الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق في غضون المدة الممتدة بين نيسان ١٩٢٢ واذار

---

(٣٦١)عن سياسة الملك فيصل الاول تجاه القضية الكردية في العراق عموماً يمكن الرجوع الى البحث الذي قدمه صاحب هذه الدراسة الى ندوة " بناء الدولة العربية الحديثة: تجربة فيصل بن الحسين في سوريا والعراق " التي عقدتها جامعة آل البيت في الاردن يومي ٢٥و٢٦نيسان سنة ١٩٩٨، كان البحث بعنوان " موقف الملك فيصل الاول من المسألة الكردية في العراق ". ينظر نص البحث في: " بناء الدولة العربية الحديثة. تجربة فيصل بن الحسين في سورية والعراق "، منشورات جامعة آل البيت، عمان، ١٩٩٩، ص ٥٤١-٥٥٦.

(362)"Colonial Office. Report by His Majesty's High Commissioner on the Finance,Administration and Condition of Iraq for the period from 1st April,1922-31st March,1924,Colonial4", London , 1924,P.38.

١٩٢٣ الملاحظة نفسها نصاً في القسم المخصص من التقرير للقضية الكردية(٣٦٣). وعلى العموم كان الملك فيصل الاول مقتنعاً تماماً بضرورة إقامة "حكومة كردية ذات حكم ذاتي داخل حدود العراق طالما ان ذلك لايؤدي الى إنفصال سياسي، أو إقتصادي للمقاطعات الكردية" كما أخبر بنفسه حاكم كركوك السياسي أدموندس بذلك أثناء نقاش لهما بصدد القضية الكردية(٣٦٤).

في ضوء قناعاته اقام الملك فيصل الاول طوال سنوات حكمه الاثنتي عشرة العلاقات مع العديد من الزعماء الكرد، بمن فيهم زعماء كركوك، يلتقيهم ويتبادل معهم الرسائل(٣٦٥)، نتطرق الى نماذج منها في مبحث آخر من هذه الدراسة. كما إتخذت في عهده سلسلة من الاجراءات الدستورية والقانونية لصالح حل القضية الكردية، منها تأسيس مديرية خاصة للمعارف الكردية كان مقرها في مدينة كركوك. الا ان أجرأ قرار إتخذ في عهده كان الاعتراف بحق الكرد في إقامة حكومة خاصة بهم تدخل كركوك وتوابعها ضمنها. ففي الحادي والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٢٢ أصدرت الحكومتان العراقية والبريطانية البيان الآتي:

---

(363)" Iraq. Report on Iraq Administration, April, 1922- March, 1923", London, 1924, p.38.

(364) Quoted in: E.Burgeyne, Gertrude Bell from Her Personal Papers,P.306.

(٣٦٥)ملفات البلاط الملكي التي تعود الى عهد الملك فيصل الاول، والمحفوظة في دار الكتب والوثائق ببغداد مليئة بنماذج معبرة عن تلك الرسائل التي تتوفر نسخ منها في عدد من المكتبات الخاصة أيضاً.

"تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية، والحكومة العراقية بحق الكرد القاطنين ضمن حدود العراق في تاسيس حكومة كردية داخل هذه الحدود، وتاملان في ان تتفق مختلف العناصر الكردية باسرع ما يمكن على الشكل الذي يودون أن تتخذه تلك الحكومة، وعلى الحدود التي يرغبون أن تمتد اليها، وان يرسلوا مندوبين مسؤولين (مفوضين) الى بغداد لبحث علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية، وحكومة العراق"(٣٦٦).

أبلغت بريطانيا، بوصفها الدولة المنتدبة على العراق، عصبة الامم بنص هذا البيان مرتين، المرة الاولى ضمن تقريرها عن سير الادارة في العراق من نيسان ١٩٢٢ حتى اذار ١٩٢٣، والمرة الثانية ضمن تقريرها الشامل عن سير الادارة في العراق من بداية الانتداب حتى سنته الاخيرة (١٩٢٠-١٩٣١)، والذي على أساسه قبل العراق في عصبة الامم(٣٦٧). ونشرت صحافة العراق في حينه البيان، كما نشره المؤرخ عبدالرزاق الحسني في أشهر مؤلفاته مرارا(٣٦٨).

هنا ينبغي أن نشير أيضاً الى ان تغييرا ما لم يطرأ على واقع إدارة كركوك وتوابعها بوصفهما جزءا من المنطقة الكردية في ذلك العهد. ننقل أدناه ما ورد في اول تقرير عن سير الادارة في العراق رفعته الحكومة

---

(366)"Report on Iraq Administration,April,1922-March,1923", P.38;Special Report by His Majesty's Government...to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931 ", P.256.
(367)Ibid.

(٣٦٨)نشر عبدالرزاق الحسني هذا النص للمرة الأخيرة ضمن الطبعة السابعة من تأريخ وزاراته الشهير الذي اصدرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٩٨٨، ينظر: عبدالرزاق الحسني ، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الاول، ص٢٨٢.

البريطانية الى عصبة الامم بعد تتويج فيصل، والذي جاء ضمن مبحث مستقل بعنوان رئيس هو "القضية الكردية" (The Kurdish Question) وعنوان فرعي هو "الادارة المؤقتة في المناطق الكردية " Provisional Administration in the Kurdish Districts":

كان لي الشرف أن أشير في آخر تقرير سنوي لي عبرت المقاطعات الكردية في الموصل وأربيل مرتين عن نيتها للانضمام الى العراق، المرة الاولى في حزيران ١٩٢١ قبل وصول الامير فيصل، ومرة أخرى في آب (١٩٢١) حين أدت يمين الولاء له ملكاً بإستثناء قضاء رواندوز، ولكن في الحالتين كانت هنالك ثمة تحفظات مؤكدة تستهدف ضمان قدر من اللامركزية توافق عليها الحكومة العراقية، على ان يكون السكان غير ملزمين بالانصياع الى قرارات سابقة من هذا القبيل إذا ماستجدت ظروف في ضوء ماورد في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر . من جهة اخرى رفض (لواء) السليمانية كلياً فكرة الانضمام للعراق في حزيران ١٩٢١، في حين طلبت أغلبية سكان (لواء) كركوك بأن يؤجل ذلك القرار (قرار الانضمام الى العراق) لمدة سنة، وفي الوقت نفسه لم يؤدوا يمين الولاء للملك. وبإنتظار حل كان لواء كركوك يدار، كما كان في السابق، من قبل الحكومة العراقية ومستشارين بريطانيين"(٣٦٩). ويبدو من هذا واضحاً أن إنضمام كركوك الى العراق تاخر عن إنضمام أربيل والمقاطعات الكردية التابعة للواء الموصل اليه.

آخر إجراء مهم اتخذ في عهد الملك فيصل الاول تجاه تعزيز الوحدة الوطنية كان إعتراف الحكومة بصورة رسمية، في تموز سنة ١٩٣٠، بأن النجمتين الموجودتين داخل العلم العراقي "هما رمزان للشعبين العربي

(369)"Report by His Britannic Majesty's Government to the Council of the League of Nations on the Administration of Iraq for the Year 1921-1922", London, 1923,P.32.

والكردي- الشعبين الرئيسيين في العراق"، القرار الذي عده المندوب السامي البريطاني"تطورا عظيماً في الموقف الذي تبنته حكومة العراق حتى الان بشأن القضية الكردية"(٣٧٠).

أشارت مصادر حكومية لاحقاً الى هذه الحقيقة التي حاول الكثيرون طمسها، أو يحاولون إنكارها وكأن في عدم وجودها مثقال ذرة من الخير للوحدة الوطنية. وردت في الدليل الرسمي للعام ١٩٣٦ الذي صدر، كما قلنا، في عهد ياسن الهاشمي، العبارة الآتية في مبحث "شعار الدولة العراقية": "تحوي الوان العلم العراقي رمزا الى العنصرين العربي والكردي"(٣٧١). وردت تفصيلات أدق حول الموضوع نفسه في مصدر رسمي آخر هو "دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ المالية"، هذا نصها:

"للدولة العراقية شعار خاص صدر به قانون باسم قانون شعار الدولة العراقية رقم ٢٥ لسنة ١٩٣١، ويتألف شعار الدولة من رقعة ملونة بالوان العلم العراقي، الاحمر فوق، فالاسود، فالأبيض فالأخضر، تضمها حاشية مذهبة، وفي طرفيها العلويين ضمتان يتكون منهما زهرتان مربوط كل منهما بشريط مذهب متشابك على شكل ذوابة، ويعلو الرقعة التاج العراقي مستنداً الى كوكبين ذوي سبع شعب مزخرفة تحوي ألوان العلم العراقي رمزاً الى العنصرين العربي و الكردي"(٣٧٢).

---

(370) Public Record Office,AIR,23/417,XM-O4583,No.15,July 21,1930.

(٣٧١)" الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ " ، ص١٢٢.

(٣٧٢)" دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥-١٩٣٦ المالية. يصدر باللغتين العربية والانكليزية... بإجازة من وزارة داخلية العراق رقم ٢٤٢ تأريخ ١٣/١٠/١٩٣٤ "، بغداد، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ص١٥٣.

بقيت كركوك، مع ذلك كله، أقل المدن العراقية ولاء لفيصل الاول بوصفه ملكاً للعراق، الامر الذي لايخلو من مغزى بالنسبة لموضوعنا. ورد في تقرير ضابط الاستخبارات البريطاني في كركوك عن زيارة فيصل للمدينة في كانون الاول ١٩٢٤:

"زيارة الملك فيصل الى كركوك: على الرغم من الاستقبال الحافل الذي جرى للملك فيصل لدى وصوله كركوك فان زيارته أدت الى تفجير شعور الكراهية تجاه الحكومة العراقية. ان الشتائم الموجهة للملك كانت تسمع من جميع الاطراف.. أن مبعث الاساءة للملك هو منصبه لا شخصيته التي كشفت بمهارة بأنها متحسسة، ودية، وعميقة التفكير، ولدت إنطباعاً حسناً بالنسبة للاشخاص كافة الذين قابلوه"(٣٧٣).

رافق الملك فيصل في زيارته تلك، التي شملت اربيل والموصل أيضاً، الشخصية الكردية المعروفة إبراهيم الحيدري الذي كان يشغل يومذاك منصب وزير الاوقاف في وزارة ياسين الهاشمي. يتذكر شهود عيان أن الوجود العربي داخل مدينة كركوك أثناء تلك الزيارة كان يقتصر على محلة صغيرة تعرف بـ(عربلر) يقطنها القصابون و اصحاب الجواميس، فضلاً عن أكواخ عدد من الحديديين على الطريق بين محطة القطار والمدينة، أمر الملك فيصل بازالتها بسبب منظرها، ونقل أصحابها الى مكان آخر(٣٧٤).

---

(373)Public Record Office, AIR,23/184,Part I, XM 4583,Intelligence Report No.2 for the period ending 28th December 1924.

(٣٧٤)مقابلة مع محمد جميل الروژبياني بتأريخ ٢٠كانون الاول ١٩٩٢، مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتأريخ ٧كانون الثاني ١٩٩٣.

على الرغم من مواقفهم الانفة الذكر حاول البريطانيون، لاسباب تخص مصالحهم، إبعاد كركوك و توابعها عن الحركة القومية الكردية، ولا سيما عن حركات الشيخ محمود التي كانت كركوك وتوابعها تمثل دائماً أحد اهم أهدافها المركزية، ومنطقة اساسية من حيث التأثر بأحداثها، والتأثير فيها.

كركوك وتوابعها وحركات الشيخ محمود

للشيخ محمود البرزنجي (٣٧٥) واسرته روابط تأريخية مع كركوك وتوابعها وعشائرها و تكاياها وحركاتها السياسية والاجتماعية على مختلف الصعد يعود تأريخها الى مرحلة سبقت قيادته للحركة القومية الكردية. فان أجداده كانوا يحظون بإحترام عميق بين أهالي كركوك وتوابعها بوصفهم رجال دين كبارا، وكانوا على إتصال وثيق بوجوه المدينة نفسها، بمن فيهم المشرفون على التكية الطالبانية، والشاعر الشهير الشيخ رضا الطالباني. وتحول مرقد كاك أحمد الشيخ الى مزار للكركوكيين، مثل غيرهم من كرد المنطقة. وحين سافر الشيخ سعيد، والد الشيخ محمود الى إستانبول تلبية لدعوة من السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٣١١ للهجرة (١٨٩٣ للميلاد) استقبل في كركوك بحفاوة بالغة في طريقه الى هناك، وكان الشيخ محمود

(٣٧٥)يلقب بالحفيد ايضاً كونه حفيدا لكاك احمد الشيخ. يذكره العديد من المؤرخين، منهم لونگريگ ، بلقبه البرزنجي.

يرافق والده في سفرته تلك. وجدير بالذكر أن عزت كاكائي، احد مثقفي كركوك يومذاك، كان سكرتيرا شخصياً للشيخ سعيد(٣٧٦).

عندما أغتيل الشيخ سعيد في كانون الأول سنة ١٩٠٨ في الموصل، الى حيث نفاه الاتحاديون(٣٧٧)، وقف الى جانب أتباعه "عدد من أفراد الجندرمة الخيالة المسلحين بالبنادق، جميعهم من اهالي كركوك و السليمانية"(٣٧٨). تؤكد مختلف المصادر أن إغتيال الشيخ سعيد اثار أهالي أربيل وكركوك والسليمانية بشدة. يقول المترجم والمؤرخ جعفر الخياط في تعقيب له على ما تذكره المس بيل عن مقتل الشيخ سعيد:

"فكان للحادث دوي كبير في منطقتي كركوك والسليمانية بين السكان"(٣٧٩).

وحسبما يبدو من مذكرات سكرتير الشيخ سعيد، عزت كاكائي، أن تدخل عدد من أعوان الشيخ سعيد و اقاربه قد حال دون وقوع أعمال عنف "في كل من اربيل و كركوك" بانتظار نتائج التحقيق الذي وعد الاتحاديون إجراءه في الحادث(٣٨٠). وفي العام ١٩١٣ طلب الشيخ محمود باسم

---

(٣٧٦)للتفصيل عن ذلك ينظر في:

M.R.Hawar , The Leader Shaikh Mahmood and Southerm State of Kurdistan, in Kurdish,London,Jaf Press,1990,PP.136-137,147,209.

(٣٧٧)عن إغتيال الشيخ سعيد، وأسبابه ونتائجه ينظر في:

Ibid,PP.143-147 ؛عبدالمنعم الغلامي، الضحايا الثلاث، الموصل، ١٩٥٢، ص١٢- ٣٦.

(٣٧٨)عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق ١٣٣٧-١٣٣٨هـ ١٩١٩-١٩٢٠م، الجزء الاول، بغداد، ١٩٦٦، ص١٣٣.

(٣٧٩)" فصول من تأريخ العراق القريب "، كتاب يبحث عن العراق في عهد الاحتلال البريطاني بين سنتي ١٩١٤ و ١٩٢٠ كتبته بالانكليزية المس بيل، نقله الى العربية وكتب حواشيه جعفر الخياط، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٧١، ص١٣٧.

(380)M.R.Hawar,The Leader Shaikh Mahmud…,P.148.

كـرد السـليمانية وكركـوك واربيــل وغيرهــا مســاعدة الــروس لحركتــه الاستقلالية(٣٨١). وعندما ذهب الشيخ محمود على رأس حوالي ثلاثة الاف من الفرسان الكرد حسب تقدير وزارة الحربية البريطانية(٣٨٢) لصد القوات البريطانية جنباً الى جنب أبناء العشائر العربيـة في وسط العراق وجنوبه، واشترك فعلاً في موقعة الشعيبة قرب البصرة في نيسان ١٩١٥، فان عدة مئات مـن متطوعي كركوك وتوابعها مـن الكـرد اشـتركوا في تلـك المعركـة تحـت قيادته التي رافقه فيها ثلاثة من زعماء الكرد في كركوك هم كل من رفعت إسماعيل بيك داوده وابن عمه علي نامق آغا وسيد احمد خانقاه الذي مثل كركوك في البرلمان العراقي لاحقاً. وكان علي نامق آغا احد شهداء الكـرد في معركة الشعيبة الـتي جلبت سمعة رفيعـة للشـيخ محمـود بـين الاوسـاط الشعبية العربيـة إنعكست في اهزوجة تقـول "ثلثين الجنـة لهادينـا وثلثـها للشيخ محمود واكرده"(٣٨٣). وكان لكـرد مـاوراء العمـارة والكوت، خصوصـاً كرد بدرة و إمتداداتها دورهم في خطط الشعيبة، فقد إتصل بهم باسم قادة المجاهدين والقيادة العثمانيـة الشيخ محمد رضـا الشـبيبي خصيصـاً لهـذا الغرض(٣٨٤). ورد في مصدر موثوق بهذا الخصوص مانصه:

---

(381)M.S.Lazarev,Kurdistan I Kurdskaya Problema,P.230.

(382)Public Record Office, War Office , 32/5806/2205,The Potential Enemies in Mesopotamia,No.162/428,Dated April 15,1920.

(٣٨٣) للتفصيل عن الموضوع ينظر في: كمال مظهر، الكرد ومعركة الشعيبة، في مجلة " روشنبيرى نوى " (المثقف الجديد)، بغداد، العدد ١٢٥، ١٩٩٠ ، ص٣٦-٤٠.

(٣٨٤)حسن الأمين، الشيخ محمد رضا الشبيبي علامة العراق وشاعر العرب، - " العربي " (مجلة)، الكويت، العدد ١٥٩، فبراير ١٩٧٢، ص٧٦-٧٧.

"التحق الشبيبي نفسه ببعثة عسكرية مرسلة الى عشائر الاكراد في الجنوب الشرقي من العراق لمنع الانكليز وأعدائهم من التغلغل والتسلل الى تلك الجهة من منطقة البصرة (يقصد الشعيبة)، او من ناحية الاهواز، وتطويق الجيش التركي المحارب في مواقع الكوت والفلاحية. وبعد أن مكث الشيخ الشبيبي في تلك الجهات بعض الوقت تلقى برقية تدعوه للالتحاق بهيئة القيادة العامة للحملة العسكرية المجهزة لاسترداد البصرة"(٣٨٥).

يجدر بالذكر ان تركمان كركوك وتوابعها كان لهم ايضاً حضورهم في معركة الشعيبة، ويرد إسمهم جنباً الى جنب إسم الكرد في المصادر التي تطرقت الى هذا الموضوع. يقول العميد الركن شكري محمود بهذا الخصوص:

" تحشد القسم الكبير من المجاهدين في منطقة الناصرية. فبلغ عددهم في أواخر كانون الثاني (١٩١٥) زهاء ١٢ ألف مجاهد عربي وألفي مجاهد كردي وتركماني"(٣٨٦).

تطرقنا الى جانب من إتصالات البريطانيين بالشيخ محمود في السنة الاخيرة من سنوات الحرب العالمية الاولى عن طريق خانقين وكركوك، وتحولت الاخيرة مع إنتهاء الحرب الى مركز تلك الاتصالات، والى مكان إلتقاء ممثلي الشيخ محمود بالمسؤولين البريطانيين، ومن ثم الى تحشيد القوات البريطانية لضرب حركاته. وكما بينا أن أول حاكم سياسي عين في كركوك بعد إحتلالها للمرة الثانية كان نوئيل الذي جاء إختياره على أساس إطلاعه

---

(٣٨٥)عبدالرزاق الهلالي، دراسات وتراجم عراقية، بغداد-بيروت، ١٩٧٢، ص١٩.

(٣٨٦)العميد الركن شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨. دراسة علمية، الطبعة الثامنة، بغداد، ١٩٧٤، ص٢٩-٣٠.

الواسع على الشؤون الكردية، وليكون حلقة وصل مع الشيخ محمود الذي دخل الانكليز في مساومة صريحة معه بسبب النزعة الاستقلالية التي كانت تسود المنطقة، ولصعوبة الاحتفاظ بقوات كبيرة هناك، مما كان يتنافى كلياً مع التوجهات السياسية التي كانت تسود بريطانيا نتيجة إستياء دافع الضريبة من التكاليف الباهظة التي كان يتطلبها وجود القوات البريطانية في الخارج. يقول الضابط السياسي الانكليزي السابق في كركوك لونگريگ،

" كانت مشكلة كردستان الجنوبية في تشرين الثاني عام ١٩١٨ تتلخص في أن إقامة نظام أفضل من الفوضى، وأن لاتؤذي جاراتها بلاد فارس(٣٨٧) والعراق، من غير الحاجة الى إستخدام قوات لم تكن متوفرة أصلاً"(٣٨٨).

على هذا الاساس إعترف البريطانيون بالشيخ محمود حكمدارا على كردستان الجنوبية لان "الشعور القومي الكردي في ذلك الوقت كان متجسدا في شخصه" باعتراف أهم وثيقة قدمتها الحكومة البريطانية الى عصبة الامم في سنوات الانتداب(٣٨٩).

---

(٣٨٧)كانت العلاقات بين لندن وطهران جيدة يومذاك، وكان البريطانيون يهمهم إستقرار الاوضاع في إيران كثيرا بهدف تحويلها الى سد أمام الخطر الجديد المتمثل بالبلاشفة الجاثمين على حدودها الشمالية بصورة مباشرة، لذا فإنهم كانوا منهمكين يومذاك بالتخطيط من اجل توقيع معاهدة ثنائية معها تحقق لهم هذا الهدف السوقي المهم.

(388)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,P.103.

لم ترد ترجمة هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب بسبب حذفها من الرقيب أغلب الظن، وإلا فإن مترجم الكتاب نفسه المرحوم سليم طه التكريتي لم يكن يعاني من اي حساسية تجاه الكرد وقضيتهم، بل كان معروفاً بحبه الجم لهم بحكم جذور فكره التقدمي.

(389)" Special Report by His Majesty's Government..to the Council of the League of Nations on the progress of Iraq during the period 1920-1931",P.255.

تبين جميع الوثائق البريطانية المبكرة المعنية بالموضوع أنه كان من المقرر أن تدخل كركوك و توابعها ضمن "حكمدارية كردستان الجنوبية" التي غدت، مع "حكمدار كردستان الجنوبية" مصطلحاً متداولاً في الوثائق البريطانية التي تطرقت الى ما يخص الموضوع في ذلك الحين(٣٩٠).

يتحدث الحاكم المدني العام في العراق وكالة أرنولد ولسن، الذي كان مسؤولاً عن تطبيق سياسة حكومته في كردستان الجنوبية في ذلك الوقت، عن زيارته للسليمانية.

يوم الأول من كانون الأول سنة ١٩١٨ اي بعد ايام من تأسيس الحكمدارية، وعن إجتماعه بالشيخ محمود وعدد من زعماء الكرد، وفي خضم حديثه سجل لنا الملاحظة الآتية:

"وقد أعطيت الشيخ محمود مقابل مضبطة الزعماء الكرد (٣٩١) مذكرة بينت فيها أن جميع العشائر الكردية القاطنة بين الزاب الكبير و ديالى ، فيما عدا العشائر القاطنة داخل الحدود الايرانية، الراغبة في قبول زعامة الشيخ محمود يسمح لها بذلك، ونحن نساعده مساعدة أدبية غير مادية لادارة هذه البلاد نيابة عن الحكومة البريطانية التي يتعهد الشيخ بإطاعة أوامرها"(٣٩٢).

---

(٣٩٠)ينظر على سبيل المثال في:

Public Record Office, F.O, 371/5069/4342.

(٣٩١)في النص : مقابل هذه.

(392)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.129.

ورد النص نفسه في كتاب **لونگريگ** المذكور آنفاً(٣٩٣)، وكذلك في كتابات بيل التي تقول إن ولسن "وقع وثيقة" بهذا المضمون(٣٩٤)، كما سجلته الصحافة العراقية أيضاً(٣٩٥).

كما بينا مراراً، وبالاستناد الى مجموعة من الوثائق الرسمية، كانت كركوك وتوابعها ترغب في الانضمام الى نظام كردي، لكنها، مع ذلك، لم تكن مستعدة في أكثريتها يومذاك للإنضواء تحت حكم الشيخ محمود بالتحديد. يقول ولسن بهذا الخصوص:

"إلا أن العشائر والاهلين القاطنين في منطقتي كفري وكركوك لم يرغبوا في الانضواء تحت راية الشيخ محمود، وإتفق الاخيرون الا يطلبوا إدخالهم تحت سلطته"(٣٩٦).

أما عبدالمنعم الغلامي، وهو ممن راقبوا الاحداث عن كثب، فيقدم تفصيلات اكثر من ولسن بصدد الموضوع نفسه، إذ يقول: "وقد أخذ الشيخ محمود يعمل الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى، من بينها منطقتا كفري و كركوك، إلا أن عشائر هاتين المنطقتين رفضوا الخضوع الى زعامته، مرجحين عليها البقاء تحت الحكم البريطاني المباشر عدا سادة عشيرة الجباري، وقبيلة شيخ بزيني

---

(393) S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,P.103.

لم ترد، للاسف ، هذه الفقرة في الترجمة العربية للكتاب للسبب نفسه الذي نوهنا اليه سابقاً.

(٣٩٤)" فصول من تأريخ العراق.. كتبته بالانكليزية المس بيل "، ص١٩٠-١٩١.

(٣٩٥)" العالم العربي "، العدد ٢٣٠٢، ١٣أيلول ١٩٣١.

(396)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.129.

على شاطئ الزاب الصغير، وكذلك جماعة عبدالكريم بيك من رؤساء قبيلة الهموند في منطقة چمچمال"(٣٩٧).

تكمن أسباب ذلك في مجموعة من العوامل. فقبل كل شيء ان عددا من العشائر الكردية المتنفذة في كركوك و توابعها لم تكن على وفاق منذ مدة مع البرزنجيين المعروفين بالشيخان-أسرة الشيخ محمود. تأتي الطالبانية على رأس تلك العشائر التي بلغت خلافاتها مع البرزنجيين منذ اواخر القرن التاسع عشر الى الحد الذي وجدت لها إنعكاساً بليغاً في الادب الكردي(٣٩٨)، بل ان قطاعاً من أبناء تلك العشيرة لم يتردد في الانضمام الى صفوف القوات المعادية للشيخ محمود. إستمر الخلاف البرزنجي-الطالباني ردحاً طويلاً من الزمن على الرغم من المحاولات المخلصة التي بذلت بين الحين والاخر من أجل تسويته(٣٩٩)، ويبدو أن زواج بابا علي، نجل الشيخ محمود، من سيدة طالبانية معروفة(٤٠٠) إنصب في مجرى تلك المحاولات التي أثمرت في وقت لاحق حين حل الوعي القومي الاوسع افقاً محل الوعي العشائري الاضيق افقاً. لكن موقف الطالبانيين من البرزنجيين لاينفي قطعاً تمسك الاولين بقضية قومهم. فقد برز بينهم من دافع عن القضية الكردية في وقت

---

(٣٩٧)عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ٩٢.

(٣٩٨)الشيخ محمد الخال، ديوان الشيخ رضا الطالباني، من مطبوعات المجمع العلمي العراقي باللغة الكردية، بغداد، بلا، ص٧.

(399)M.A.Hawar,The Leader Shaikh Mahmood,PP.208-212.

(٤٠٠)هي السيدة رشادت، كريمة عميد الاسرة الطالبانية الشيخ حميد الذي مثل كركوك في المجلس التأسيسي والبرلمان العراقي أكثر من مرة.

مبكر، منهم الشيخ محمد علي الطالباني الذي إتصل في كانون الاول سنة ١٩١١ بقنصل روسيا العام في بغداد بإسم عشائر الطالبانية والداودة والزنگنه مبدياً إستعداده للتعاون معهم ضد الاتحاديين(٤٠١). كما ان عددا من شعراء الكرد القوميين البارزين كانوا من الطالبانيين، منهم الشيخ رضا الطالباني والشيخ علي الطالباني الذي كتب قصيدة يرثي فيها الشيخ سعيد، والد الشيخ محمود بعد إغتياله في الموصل تكون نتيجة أبياته حسب الحروف الابجدية ١٣٢٦، أي سنة إغتيال الشيخ سعيد، ومنهم أيضاً الشيخ محمد الطالباني (خالص) الذي كتب قصيدة طويلة جدا للشيخ محمود تمثل قمة الادب الكلاسيكي الكردي، وعمقاً في التفكير والتقويم، تنطوي على نقد لاذع، مخلص لبعض تصرفاته، ولمن حوله(٤٠٢).

إتخذ بابانيو كركوك من الشيخ محمود موقفا مشابها تماما لموقف الطالبانيين . ورد في تقرير فريد كتبه احد أعوان الملك فيصل الاول ما نصه بهذا الخصوص:

"لما قابلت جميل بيك بابان (عميد الاسرة البابانية) في الصلاحية (كفري)، واستمزجت رأيه أجاب بان السلطة الكردية من حقوقه، وحقوق أجداده، ورغماً عن

(401) M.S.Lazarev,Kurdistan I Kurdskaya Problema,P.201;M.S.Lazarev, Kurdskii Vopros 1891-1917.P.202.

(٤٠٢)مقابلة مع الدكتور مكرم الطالباني بتأريخ ٢٤ كانون الأول ١٩٩٤ ،د.مكرم تالَەبانى، شێخ ڕەزای تالَەبانى . ژيانى ،پەروەردەى ،بيروباوەڕى و شيعرى ،ئاراس ،هەولێر ،٢٠٠١،ل ٢٠-٢٣.

وعد الحكومة البريطانية بمنحها إياهم، قد أعطتها للشيخ محمود.. وبعد المذاكرة وافق على بذل كل جهد لمقاومة بروباغندا الشيخ محمود"(٤٠٣).

لكن بابانيي كركوك كانوا ، مع ذلك، من أشد المتحمسين لطموحات الكرد القومية. ورد في التقرير نفسه ، وعن جميل بيك بن مجيد باشا بابان نفسه أنه من "ناشري فكرة الاستقلال بين الاكراد" وله "بعض النفوذ، لكنه منحصر في عشائر كركوك و الصلاحية وبشدر"(٤٠٤).

وفي الوقت نفسه لم يكن جانب كبير من القطاع المؤثر من أهالي كركوك يميلون الى الشيخ محمود بسبب تخلف بعض أساليبه في التعامل، ونتيجة موقف التجار الذين وقفوا، مثل تجار السليمانية، ضد الشيخ خوفاً من آثار حركاته المتوقعة على روابطهم التجارية الوثيقة ببغداد. لم يختلف عن ذلك الموقف المؤثر للتركمان الذين كانوا "يرنون يومذاك الى عودة الاتراك"(٤٠٥).

ومن أجل وضع الصورة في إطارها الطبيعي نقول إن كرد أربيل وتوابعها إتخذوا ، بدورهم، موقفاً مشابهاً لموقف كرد كركوك وتوابعها من حكمدارية الشيخ محمود، وذلك بغض النظر من حماسهم الكبير لتأسيس نظام كردي كما لاحظنا ذلك جلياً في اكثر من مناسبة. يلخص أحد المستشرقين الموضوع هكذا:

---

(٤٠٣)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف: إدارة كردستان ، الوثيقة رقم ٦، ص١٨.

(٤٠٤)المصدر نفسه، الوثيقة رقم ٦، ص١٥.

(405)Public Record Office, F.O., 371/12255/2542, Secret, Reference No1/407,P.6

"لقد وقف سكان كركوك وأربيل والاقضية الكردية في لواء الموصل مواقف مختلفة من مجيء الشيخ محمود الى السلطة، فالبورجوازية الكردية الفتية في أربيل و كركوك كانت تخشى من أن تتحول هاتان المدينتان بعد إنتصاره الى تابعتين للسليمانية المتاخرة. لكن السند الرئيس للشيخ محمود كان الفلاحون والرحل في لواء السليمانية، وساندته بقوة أيضاً القبائل القاطنة في منطقة كفري بلواء كركوك. وعلى العموم كانت فكرة إستقلال كردستان تلقى مساندة حارة من جانب الاغلبية الساحقة من الشعب الكردي"(٤٠٦).

مهما يكن من أمر فإن هذا الواقع قد تحول بسرعة الى أحد الاسباب الاساسية لتحريك الشيخ محمود ضد البريطانيين الذين كان الشيخ يحملهم وزر موقف كركوك واربيل وتوابعهما من حكمداريته، الاتهام الذي لم يخل من قدر كبير من الحقيقة في الواقع، الامر الذي يقره البريطانيون صراحة. ورد في "التقرير الاداري عن منطقة السليمانية للعام ١٩١٩" مايأتي نصه بهذا الصدد:

"كان الشيخ محمود ينظر بإنزعاج الى فصل كفري وكركوك (عن حكمداريته)، وارتداد الجاف عليه، وفشله في التاثير شخصياً بقوة على كوي (كويسنجق) ورواندوز، وبدأ الان يتخذ خطوات نشطة ضد الحكومة البريطانية.. ولهذا دعا في هذا المنعطف الى جانبه شخصية سيئة السمعة من الحدود الفارسية(٤٠٧)،

---

(406)A.M.Menteshashvili, Iraq v godi Angliskovo Mandata,P.202.

في الترجمة العربية: ص٣٢٢.

(٤٠٧)يقصد التقرير محمود خان دزلي، من زعماء هورامان المعروفين، وأخلص أعوان الشيخ محمود، قضى بمواقفه مضاجع البريطانيين الذين لم يكفوا عن مطاردته.

وبمساعدته، ومساعدة عدد من أنصاره و أقاربه إستحوذ على ما يمكن وصفه عملياً بالسيطرة على كركوك من أجل كردستان حرة"(٤٠٨).

في النص الانكليزي:

..took possession of the practically detention of capturing Kirkuk for a free Kurdistan.

هكذا وقع الصدام المباشر بين الشيخ محمود والبريطانيين من اجل كركوك في سياق نضاله التحرري، فإن الشيخ إستمر " في خطته" الرامية "الى توسيع دائرة نفوذه لتشمل أماكن أخرى من بينها منطقتا كفري وكركوك" من "دون الالتفات الى اي إعتبار آخر (مما) لم يكن مقبولاً من نائب الحاكم الملكي العام في العراق، فقرر الحد من سلطة الشيخ محمود، وتقليص نفوذه، وإيقافه عند حدود السياسة التي تنتهجها حكومة الاحتلال في هذه المنطقة من العراق"(٤٠٩).

حين علمت سلطات الاحتلال بنيات الشيخ محمود وجهت قواتها صوب السليمانية، فوقع اول صدام بين الطرفين في طاسلوجة يوم الخامس والعشرين من ايار سنة ١٩١٩، إنتهى بإندحار البريطانيين الذين خلفوا في ساحة المعركة أربع مدرعات و تسع عشرة شاحنة من نوع فورد، فضلا عن قتلاهم (٤١٠).

---

(408)Public Record Office,F.O.,371/5069/4342,Adniinistration Report of Sulaimaniyah Division for the year 1919,P.3.

(٤٠٩)عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص٩٣.

(410)A.T.Wilson, Mesopotamia 1917-1920,P.137.

مع تفاقم الوضع، وإقتراب الخطر من كركوك حشد البريطانيون قوات كبيرة بقيادة الجنرال فريزر. وقع الصدام الجديد في مضيق بازيان على الطريق بين كركوك و السليمانية يوم السابع عشر من حزيران ١٩١٩. في معركة غير متكافئة إنتصر البريطانيون، وجرح الشيخ محمود نفسه، فوقع في أسرهم. قدم الشيخ في بغداد الى محكمة عسكرية بريطانية أصدرت حكم الاعدام بحقه على أساس أن "موت الشيخ محمود هو أهم ضمانة للاستقرار في كردستان الجنوبية" حسب تعبير الحاكم الملكي العام وكالة في العراق ارنولد ولسن(٤١١).

غير البريطانيون حكم الاعدام الصادر بحق الشيخ محمود الى السجن المؤبد، ومن ثم نفوه الى الهند. لكن ذلك لم يجلب لهم الاستقرار المنشود، ولاسيما أن عنصرا جديدا ظهر على الساحة، تمثل في تعاون القوى الثورية الكردية مع الكماليين في تركيا، وقد تحولت كركوك تحديدا الى أحد أهم مراكز التوجه الجديد الذي أقلق البريطانيين الى حد كبير. في خضم ذلك حققت القوى الكردية المعادية للوجود البريطاني نجاحاً كبيرا كان أحد أسبابه الجوهرية يكمن في تعاون قادتها مع الكماليين. وقد ادت كركوك و توابعها دورا ملموساً في نضال الكرد في مرحلته الجديدة. ففي ايار ١٩٢٢ إنتفض ابناء عشيرة زەنگەنە، كما لم يهدأ الهمونديون الذين إغتالوا ضابطين بريطانيين هما الكابتن ماكانت (R.K.Makant) والكابتن بوند

(411) Ibid,P.139.

(S.S.Bond). إنعكست احداث كركوك هذه على بقية المناطق الكردية. يقول الضابط السياسي لكركوك حينئذ لونگريگ إن ما حدث هناك "وطد مركز الترك في رواندوز"(٤١٢)، ويقصد بالترك القوة العسكرية الصغيرة التي بعثها الكماليون الى رواندوز للتعاون مع الكرد ضد البريطانيين. أما في السليمانية فان البريطانيين إضطروا الى نقل موظفيهم المدنيين والعسكريين جوا من هناك الى كركوك يوم الخامس من أيلول ١٩٢٢، ليتم بذلك إنسحاب البريطانيين الى خط أربيل-كركوك-كفري بإعتراف وثائقهم التي قدموها الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق(٤١٣). تقول وثيقة رسمية عراقية عن تأثير الانسحاب من السليمانية على كركوك ما نصه:

"وقد أخليت السليمانية، إلا ان الامن في كركوك إضطرب ثانية، فحصلت ضرورة لاحتلالها ثانية"(٤١٤).

تزامنت مع هذه الاحداث حملة عامة تطالب بعودة الشيخ محمود من منفاه في الهند، شملت معظم المناطق الكردية، بما فيها كركوك و توابعها(٤١٥). إستجاب البريطانيون لهذه الدعوة بامل أن يتعاون معهم الشيخ لاعادة الاستقرار الى كردستان الجنوبية، ولردع الكماليين. مارس الشيخ محمود مناورة ذكية أقنع بها البريطانيين للسماح له بالعودة، لكنه أقام سرا

---

(412)S.H.Longrigg, Iraq 1900 to 1950,P.144.
(413)"Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 " , P.35.
(٤١٤)دار الكتب والوثائق ، الوحدة الوثائقية، ملفات البلاط الملكي، التسلسل العام ١١٣٢-وع، رقم الملف د/٧، موضوع الملف: القضايا الكردية، ص٧، الوثيقة رقم١.
(415) M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakscom Kurdistane, P.101;C.J.Edmonds,Kurds, Turks and Arabs ,PP.122-123.

إتصالاً مباشرا مع الكماليين قبل شهر كامل من عودته الى كردستان في الثلاثين من أيلول سنة ١٩٢٢، وذلك بإعتراف الوثائق البريطانية الخاصة(٤١٦). جدير بالذكر أن البريطانيين لم يقفوا مباشرة على إتصالات الشيخ محمود السرية بالكماليين، بل إنهم إطلعوا عليها بعد الإستيلاء على مراسلات القائد التركي أوزدمير على أثر إعادة إحتلالهم لرواندوز. وردت في المراسلات تلك معلومات مفصلة عن إتصالات الشيخ محمود بالكماليين تجاوزت الى حد كبير المعلومات الاستخبارية التي كانت متوفرة لدى البريطانيين أنفسهم، بل يذهب كورد أوغلو في مبحثه المفصل المعنون (الكرد والامبريالية) الى التأكيد على وجود إتفاق سري ثنائي وقع بين الشيخ محمود والكماليين، يورد تفصيلات عدد من بنوده ضمن بحثه(٤١٧).

مهما يكن من أمر فان علاقات الشيخ محمود السرية بالكماليين سببت، مع إجراءاته الاخرى، خيبة كبيرة للبريطانيين جاء وصفها على لسان صحيفة (تايمس) اللندنية على النحو الآتي:

"كان الخطأ الوحيد الذي إرتكبه السير پيرسي كوكس(٤١٨) على مدى مدة عمله الطويلة في الشرق الاوسط هو قراره بصدد إرجاع الشيخ محمود من الهند"(٤١٩).

---

(416)"Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 ", P.35.

(417)Kurd Oglu,Kurdi I Imperialism, " Bulletin Srednevo Vostoka ", Moskva ,No.13-14,1932,P115.

(٤١٨)بقي السير پيرسي كوكس مندوباً سامياً بريطانياً في العراق حتى الاول من ايار ١٩٢٣، ليخلفه السير هنري دوبس وكالة، ومن ثم أصالة منذ الخامس عشر من أيلول من العام نفسه.

(419) Quoted in: " Zaria Vostoka ",May 28,1931.

منح البريطانيون الشيخ محمود لقب حكمدار كردستان في تشرين الاول سنة ١٩٢٢، إلا انه أعلن نفسه ملكاً لكردستان الجنوبية في الشهر التالي. مايهمنا من الموضوع هنا أنه يبدو واضحاً من المصادر المعنية التي عالجت هذا الامر أن كركوك وتوابعها كانت ضمن التنظيم الاداري الجديد الذي خطط البريطانيون لاقامته بالتعاون مع الشيخ محمود في ظل الظروف التي إستجدت مع بروز خطر الكماليين. جاء في العدد الثالث عشر من جريدة "بانگى كردستان" (نداء كردستان) الناطقة بإسم حكومة الشيخ محمود مايأتي نصاً:

"عندما يوافق جناب المندوب السامي لحكومة بريطانيا المعظمة، حسبما وعد في بغداد(٤٢٠)، على إلحاق جميع ألوية واقضية كردستان بموجب الخارطة، حينذاك تصدر إرادة حضرة الحكمدار، دامت شوكته، بدعوة الرجال المرموقين، واقامة التشكيلات الدائمية في كركوك وأربيل وزاخو وعقره وعمادية و دهوك و صلاحية (كفري) و خانقين وغيرها من بلاد كردستان"(٤٢١).

ورد في التقرير البريطاني الى عصبة الامم عن سير الادارة في العراق من نيسان ١٩٢٢ الى آذار ١٩٢٣ مايشير الى الحقيقة نفسها دون لبس. وبغض النظر عن أسلوب التقرير فإن ماجاء فيه يبين بوضوح موقع كركوك و توابعها في الاحداث الجديدة، ولكن من وجهة نظر بريطانية تعبر عن خيبة مريرة من موقف الشيخ محمود الاخير من الكماليين، والذي راوا فيه نكوصاً صريحاً منه لتعهداته لهم حين سمحوا له بالعودة من منفاه. يقول التقرير:

---

(٤٢٠)التقى السير بيرسى كوكس الشيخ محمود ببغداد في طريق عودته من المنفى الى كردستان.

(٤٢١)" بانگى كردستان "، العدد الثالث عشر، ١٢ربيع الاول ١٣٤١/٣تشرين الثاني ١٩٢٢ص٢.

"في تشرين الاول (١٩٢٢) إنتحل الشيخ محمود لقب حكمدار كردستان، وفي تشرين الثاني أعلن نفسه ملكا. ان كردستان التي ادعى السلطة عليها لم تكن اقل من جميع المناطق الكردية داخل العراق بصرف النظر عن حقيقة ان لا أربيل، و لا كركوك، و لا الأقضية الكردية في منطقة الموصل لم تعبر عن أي رغبة في حكمه". و يفسر التقرير ذلك بعدم ميل "مواطني اربيل و كركوك المثقفين و المتعلمين جيدا" الى ان يكونوا تابعين "لقرية نائية، متخلفة مثل السليمانية"(٤٢٢).

ليس هناك مجال دحض الاتهامات والادعاءات التي ينطوي عليها هذا التعليق، ولكن يكفي أن نشير الى ان الميجر نوئيل كان واقفاً الى جانب الشيخ محمود ممثلاً عن المندوب السامي البريطاني حين أعلن الشيخ نفسه حكمدارا، وبقي في السليمانية مدة من الزمن زار بغداد وكركوك مرارا في أثنائها، وخلفه چاپمن في مهمته، وكان الاخير أيضا موجودا حين أعلن الشيخ نفسه ملكاً على كردستان الجنوبية كما وردت تفصيلاته في مذكرات شاهد عيان(٤٢٣).

تبدو الحقائق نفسها واضحة من خلال مواد صحافة الشيخ محمود. فحين أعلن أسماء أعضاء وزارته في العدد العاشر من صحيفة (بانگی كردستان)(٤٢٤) كان نوئيل لايزال موجودا في السليمانية بوصفه ممثلاً عن

---

(422)"Report on Iraq Administration April,1922-March,1923 ",PP.36-37.

(٤٢٣)رفيق حلمي، يادداشت (مذكرات)، الجزء الخامس، بغداد، ١٩٥٧، ص٩٨-١١٠، الجزء السادس، بغداد، ١٩٥٨، ص٤٣-٤٤.

(٤٢٤)" بانگ كردستان "، العدد الحادي عشر، ٢٨صفر ١٣٤١/ ٢٠تشرين الأول ١٩٢٢، ص١-٢.

المندوب السامي البريطاني. كما نشرت الصحيفة نفسها في عددها التالي الخبر الآتي تحت عنوان "جناب الميجر نوئيل".

"قبل يومين سافر وكيل المندوب السامي جناب الميجر نوئيل مرة أخرى الى كركوك جواً، وقد وصل السليمانية الكابتن چاپمن وكيلاً عنه"(٤٢٥).

أما أدموندس، الذي خلف لونگريگ في كركوك، فيؤكد، بالاستناد الى صحافة ذلك العهد، أن الشيخ محمود كان ينظر الى الميجر نوئيل بوصفه ضابط إرتباط (Liasion Officer)، فيما أنه، كما يؤكد "لم يكن في الواقع سوى قنصل من نوع ما ليكون حلقة إتصال مع المندوب السامي"(٤٢٦). وكل ذلك يعني أن ماحدث في السليمانية تم بحضور البريطانيين، وبموافقتهم التي تراجعوا عنها بعد وقوفهم على علاقات الشيخ محمود بالكماليين في تركيا، ولعوامل أخرى نأتي على تفصيلاتها بعد قليل.

وفضلاً عن كل ما سبق نشير الى أن الحقائق الواردة في التقارير والوثائق البريطانية والعراقية الخاصة تبين أن كرد كركوك وتركمانها وقفوا هذه المرة، وبدوافع شتى، الى جانب الشيخ محمود بحماس على العكس تماماً مما ذكره التقرير البريطاني المذكور آنفاً. فقد ورد في التقرير نفسه إعتراف صريح حول ذلك بالنسبة لاهالي كفري والمناطق المجاورة لها(٤٢٧). ولم يقتصر الامر على الكرد وحدهم، فان زعماء عشيرة بيات إستقبلوا الشيخ محمود في

(٤٢٥)" بانگ كردستان "، العدد الحادي عشر، ٢٨صفر ١٣٤١/٢٠تشرين الأول ١٩٢٢ص٦.

(426)C.J,Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,P.301.

في الترجمة العربية: ص٣٧٢.

(427)"Report on Iraq Administration April,1922-March,1923,P.36.

محمود في طريق عودته من الهند الى السليمانية، بل رافقوه الى هناك(٤٢٨).
والاهم من ذلك بكثير هو أن الاجتماع المهم الذي عقده الشيخ محمود يوم الخامس عشر من كانون الثاني ١٩٢٣ مع ٤٣ رئيساً عشائرياً لوضع خطة عمل لنظامه، كان توزيعهم الجغرافي علىالنحو الآتي؛

١. **١٠ من رؤساء العشائر الكردية في إيران.**
٢. **١٣ من رؤساء عشائر السليمانية وحلبجة.**
٣. **٤٠من رؤساء عشائر أربيل و كويسنجق.**
٤. **١٦ من رؤساء عشائر كركوك.**

يهمنا بصورة خاصة تحليل الرقم الاخير، أي مايتعلق برؤساء عشائر كركوك الذين كانوا يحتلون المقام الاول من حيث الكم، أما من حيث النوع فإنهم كانوا يمثلون الجاف والهموند و زنگنه وداوده وجباري و دهلو، والاهم من ذلك قطعاً هو أن إثنين منهم كانا من رؤساء العشائر العربية في الحويجة، الاول رئيس فخذ البوعلي فرحان الروحان، والثاني هو سيد عبدالقادر آغا من ملحة. وبقي أن نضيف أن قائمة أسماء هؤلاء الرؤساء وردت ضمن تقرير سري خاص أعد للملك فيصل الاول من قبل مندوب له بعثه الى الشيخ محمود "وصل السليمانية في الخامس من كانون الثاني ١٩٢٣ متمثلاً لاوامر جلالته" و قابل "الحكمدار في الثامن عشر من الشهر المذكور" والذي "بعد تسليم الكتاب

---

(428)M.A.Kamal,Ntsionalno-Osvobcditelone Dvijenie v Irakskom Kurdistane,P.102;C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.272.

في الترجمة العربية : ص٢٠١.

(له) اظهر إمتنانه من صاحب الجلالة"(٤٢٩)، مما يؤشر إعترافاً صريحاً بحكمدارية الشيخ محمود من قبل الملك فيصل وحكومته.

تعاون مع الشيخ في تلك المرحلة ايضاً اعرق تركمان كركوك، واكثرهم نفوذا، منهم ، كما يؤكد هنري فوستر مؤلف كتاب "نشأة العراق الحديث"، ناظم بيك نفطجي عميد اسرة النفطجي في المدينة(٤٣٠)، وهو شخصية سياسية و إجتماعية معروفة مثل كركوك في مجلس المبعوثان قبل الحرب العالمية الاولى، وكان على إتصال وثيق بجمعية العلم في الموصل التي عرفت بمواقفها المعادية لبريطانيا(٤٣١). أثار موقف ناظم بيك هذا حفيظة البريطانيين، والملك فيصل الاول الذي راقبه بوساطة أعوانه عن كثب(٤٣٢). ومن المفيد أن نشير الى أن ناظم بيك نفسه أولى حركات بارزان فيما بعد إهتماماً خاصاً(٤٣٣).

أولى الشيخ محمود بدوره التركمان إهتماماً أكبر من السابق. فإن إحدى جرائده، وهي "بانگ كردستان" كانت تنشر قسماً من موادها الاساسية

---

(٤٢٩)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف، إدارة كردستان، الوثيقة رقم ٦، ص١١و١٧، الملحق، قائمة اسماء العشائر المجتمعة في السليمانية يوم ١٥كانون الثاني ١٩٢٣.

(٤٣٠)هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة وتعليق، سليم طه التكريتي، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٩، ص٢٥٥.

(٤٣١)عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق، ص ٢٩-٣٠.

(٤٣٢)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف، إدارة كردستان، الوثيقة رقم ٦، ص١٨.

(433)Public Record Office, Air, 23/187,Part 17,XMO/1583,from Special Service Officer Royal Air Force Sulaimani to Air Staff Intrlligence Air Headquarters, Hinaidi, Secret.

باللغة التركية بإشراف رفيق حلمي- احد أبرز أعوان الشيخ محمود، و أحد أبرز مثقفي الكرد يومذاك. في عددها الاول، مثلاً، نشرت الصحيفة ثلاثاً من موادها الرئيسة باللغة التركية. وفي حالات غير قليلة كانت "بانگ كردستان" تنشر قرارات حكومة الشيخ محمود أيضاً باللغة التركية. كما اقام الشيخ إتصالاً مباشرا مع أبرز زعماء التركمان في كركوك. يصف لنا لونگريگ ذلك هكذا:

"إنه بدأ بتآمر مع الجمعية التركية النشطة التي ألفها في كركوك أسرة آل النفطجي، وعدد من أنصار تركيا العنيدين"(٤٣٤).

لكن الذي اثار البريطانيين أكثر من اي شيء آخر، ودفعهم الى بذل كل شيء من أجل إبعاد كركوك عن الحركة القومية الكردية، وعن الشيخ محمود بالذات، كان مطالبة الاخير بنفط كركوك، وبولاية الموصل باسرها، فضلاً عما اقامه من إتصال مباشر بالسوفيت، وجميعها كانت من الامور غير المسموح بها مطلقاً في نظر البريطانيين. كان الشيخ محمود يردد في محافله الخاصة باستمرار عبارة "النفط نفطي فما شأن الاخرين به"(٤٣٥).

وقد شاع الاتجاه نفسه بين صفوف أبرز مثقفي الكرد يومذاك، منهم الشخصية الدينية السياسية والاجتماعية المرموقة، عضو المجلس التأسيسي الملا محمد الكويي المعروف، لغزارة علمه، بالملا الكبير، فلقدكتب قصيدة في عشرينيات

---

(434)S.H.Longrigg,Iraq 1900 to 1950, P.272.

في الترجمة العربية: ص ٣٠١.

(٤٣٥)هذا ماروا‌ه لي المرحومان مصطفى رسول، والد الدكتور عزالدين، و محمد جميل الروژبياني.

القرن الماضي بعنوان "هەناسەی نەوتاوی" (الانفاس المنفوطة)(٤٣٦). و ينقل المهندس البريطاني هاملتن، الذي أشرف على تشييد طريق أربيل-رواندوز-رايات ماذكره له بهذا الخصوص اسماعيل بيك رواندوزي الذي مثل أربيل في أول مجلس نيابي عراقي:

"تذكر أن حقول النفط تقع في كردستان، لذا لدينا بعض الحق في أن نطالب بحقنا من الارباح التي تجنى من وارداته. لكننا لم نجن حتى الان من نفطنا سوى الرصاص والقنابل"(٤٣٧).

كما كتبت مجلة "زاري كرمانجي" (لسان الكرد) "تقع الثروة المعدنية كافة في الارض الكردية، مع هذا فان الكرد يجدون الابواب موصدة بوجوههم" القول الذي نقله تقرير إستخباري بريطاني في الحال (٤٣٨).

لاداعي للتأكيد أن نفط كركوك كان أول، واهم مايغري البريطانيين في كل ما إصطلحوا هم على تسميته بجنوب كردستان أحياناً، و كردستان

---

(٤٣٦)يقول مطلع القصيدة:

" هەر نەیسە کە ئینگلیزو ئەفرەنج

پاش حەربەکی زۆر بە میحنەت و رەنج

بەم فیکری عەمیق و حەدس و حیسە

گەر ببنە شەریکی نفع و حیسسە

ئەمما (خەڵکی تری) کەپو فیچ

هیچ حەقێی نییە بەحەققی خوا هیچ ".

(437)A.M.Hamiltion,Road through Kurdistan,The Narrative of an Engineer in Iraq, London,1937,P.302.

(438)Public Record Office,Air,23/417,XM/04583,
" Zari Krmanji ", No.23,January 1930.

الجنوبية غالباً. يبرز ذلك واضحاً في سجلات مفاوضاتهم السرية بشأن مستقبل المنطقة قبل إنهيار الامبراطورية العثمانية. فإنهم تنازلوا عن كل ولاية الموصل لفرنسا بإستثناء كركوك و إمتداداتها بموجب "إتفاقية سايكس-بيكو" المعروفة، إذ إقتطعوا منطقة شهرزور التأريخية، أي كركوك الى حد السليمانية ومن ثم الحدود الايرانية، من ولاية الموصل، وجعلوها ضمن المنطقة (ب) المقررة لهم، في حين تركوا البقية الباقية من ولاية الموصل ضمن المنطقة (أ) لتصبح مع القسم الشرقي من سوريا ضمن المنطقة المخصصة لفرنسا(٤٣٩).

كان موقف الشيخ محمود من هذا الموضوع الحساس يستوجب ضربه دون رحمة من وجهة نظر بريطانية براغماتية، والبراغماتية فلسفة إستعمارية، إستغلالية لا تعير الحق أي إهتمام بنظر من يعدون أنفسهم ثوريين حقيقيين. في معرض حديثه عن كركوك والنفط ورد في تقرير إداري خاص وضعه ادموندس النص الآتي الذي له مغزاه بالنسبة للموضوع الذي نحن بصدد معالجته هنا:

"من الخطر أن نقبل أي ضعف إداري في محل يكون فيه هذا المنبع المهم لثروة العراق"(٤٤٠).

---

(439)M.S.Lazarev, Krushenie Turetskovo Gospodstva na ArabskomVostoke, Moskva, 1960,P.130.

(٤٤٠)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية ؛ ملفات البلاط الملكي، التسلسل العام ١١٣٢-وع، رقم الملف د/٧، موضوع الملف: القضايا الكردية، ص١٥، الوثيقة رقم ١.

نرى من الضروري ان نسجل هنا حقيقة مهمة أخرى بالنسبة لدراستنا هذه، وهي ان الدول الكبرى نفسها كانت تعترف في وثائقها الخاصة أن نفط كركوك يقع ضمن حدود كردستان، وأن ذلك كان يدخل ضمن اهم أسباب إهتمامها بكردستان. فحين تنازلت فرنسا عن ولاية الموصل الى بريطانيا ارادت أن تضمن لها حصة في نفط العراق ككل مقابل ذلك التنازل. ففي الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٩١٩ قدم رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو مذكرة رسمية سرية الى رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج حول هذا الموضوع ورد فيها مانصه:

"بما أن التنازل عن (ولاية) الموصل يخص فرنسا، فإنه يجعل من المفترض ضمان مساواة كاملة (للمصالح الفرنسية مع المصالح البريطانية) في إستغلال منابع النفط في ميسوبوتاميا (بلاد مابين النهرين) وكردستان بإعتبار ذلك تعويضاً مقبولاً (عن ذلك التنازل)، وهو أمر تصر عليه الصناعة الفرنسية والبرلمان الفرنسي على حد سواء. ان لهذه المسألة أهمية كبيرة بسبب عدم وجود النفط في فرنسا، وحاجة تلك البلاد للنفط"(٤٤١).

ومن المفيد أن نشير الى ان رئيس الوزراء الفرنسي اكد في المذكرة نفسها ضرورة إستمرار فرنسا وبريطانيا في "تبادل وجهات النظر حول قضايا القفقاس وكردستان وبلاد فارس التي لن يظهر اي خلاف بصددها على مايبدو"(٤٤٢).

---

(441) David Lloyd George,The truth about Peace Treaties,Vol,London,1938.
(442) Ibid.

لايمكن فصل نفط كركوك عن ولاية الموصل ومشكلتها. يقول الدكتور فاضل حسين في ختام دراسته الوثائقية عن "مشكلة الموصل" التي قدمها الى جامعة إنديانا الامريكية في العام ١٩٥٢ أن النفط كان "العامل الحاسم في مشكلة الموصل"، وان "النفط في التحليل الاخير عين مواقف تركيا و بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا" إزاء تلك المشكلة(٤٤٣).

في ضوء هذا التقويم الصحيح يمكن فهم دوافع سياسة بريطانيا المتشددة للغاية بالنسبة لمخططات الشيخ محمود. ففي عز أيام نفوذه، بعد إعلان ملوكيته التى تزامنت مع تفاقم الصراع على نفط كركوك، وإنفجار مشكلة الموصل، نشرت صحيفة "رؤژى كوردستان" (شمس كردستان) الناطقة بإسم حكومته في عددها الاول بالتحديد مقالاً إفتتاحياً جاء فيه:

"نشرت جريدة العراق البغدادية في عددها ٧٣٨ مقالاً بعنوان "منشور حزب الحر العراقي" وفي عددها ٧٤٣ مقالاً آخر بعنوان "مجلس إدارة كردستان" وردت فيهما بعض المعلومات عن مطالبة حزب الحر العراقي من حكومتهم العمل من أجل محافظة كل الحقوق والحدود الطبيعية للعراق، وأدخل (الحزب) كردستان بإسم السليمانية ضمن ذلك لان لها روابط تجارية و إقتصادية كثيرة مع بغداد، كما ذكر مجلس رؤساء (وزراء) كردستان بإسم مجلس إدارة كردستان. انه لأمر عجيب ومؤسف، إذ لا يمكن لامرئ له ضمير أن يصدق إبتعاد شخص مثقف عن الحق الى هذا الحد.. ان علوم التأريخ والجغرافيا هي شواهد عدول أن الامة الكردية كانت تعيش وحدة قائمة

---

(٤٤٣)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل. دراسة في الدبلوماسية العراقية-التركية وفي الرأي العام، الطبعة الاولى، بغداد ١٩٥٥، ص٣٠١.

بذاتها.. إن نعمة الحقوق والحدود التي وزعت في عصبة الامم بالعدل لنا فيها نصيبنا، وسوف نضحي من أجل ضمان هذا النصيب بكل موجودنا المادي والمعنوي"(٤٤٤).

تطرقت الصحيفة نفسها الى الموضوع بوضوح أكبر في عددها السادس حين ذكرت في مقال إفتتاحي بعنوان "ولاية الموصل في لوزان":

"ولما كان جميع أهالي ولاية الموصل كرداً.. فلماذا تطالب بها أقوام أخرى.. إن الترك والعرب والآشوريين يدعمون مطاليبهم بها بوجود عدد قليل من أبناء جلدتهم فيها.. إن المطلب الذي وضعناه أمام مؤتمر لوزان ليس حماية أقلية ،وإنما الدفاع عن حق الحياة لشعب عظيم مستقل صاحب وطن.."(٤٤٥).

تبقى النقطة الثالثة الحساسة التي إستوجبت تحجيم الحركة القومية الكردية، وهي ماظهر من بوادر التقرب من السوفيت، وإستحسان الفكر البلشفي. تتوفر في الوثائق والتقارير السرية البريطانية عشرات الشواهد التي تبين بوضوح مدى القلق الذي أثاره ما عده البريطانيون إنتشارا للفكر البلشفي بين الكرد في ذلك الوقت المبكر(٤٤٦). أما الشيخ محمود نفسه فقد إتصل بالحكومة السوفيتية بصورة مباشرة، طالباً منها تأييد القضية الكردية، وتزويده هو بكميات كبيرة من الاسلحة، بما في ذلك الاسلحة

---

(٤٤٤)" رۆژی كردستان "، العدد الأول، ٢٥ربيع الاول ١٥/١٣٤١تشرين الثاني ١٩٢٢، ص١-٢.

(٤٤٥)"رۆژی كردستان"، العدد السادس، ٩جمادي الاول ٢٧/١٣٤١ كانون الأول ١٣٣٨ (١٩٢٢)، ص١-٢.

(٤٤٦)ينظر على سبيل المثال في:

"Documents on British Foreign Policy,1914-1939",First Series , Vol.XIII P.667; Public Record Office,F.O,371/4342,F.O,371/13428;A.T Wilson, Mesopotamia 1917-1920, P.145.

الثقيلة(٤٤٧). وقف البريطانيون على إتصالات الشيخ محمود هذه بصورة مباشرة، كذلك علم بها الملك فيصل في وقت مبكر. ورد في التقرير الخاص الذي أعده مندوب فيصل الى الشيخ محمود في كانون الثاني ١٩٢٣، والذي أمضى عدة أيام في السليمانية، النص الآتي بهذا الصدد:

"٣-جاء الى السليمانية قبل أسبوع نصرالله ملك أفشار، وهو حمو سمكو إسماعيل خان.. وقد قابل الحكمدار، وأخذ التعليمات المقتضية وإصطحب معتمدي حكمدار السليمانية مرزا عارف وقائد الاي الخيالة الرئيس الأول رشيد أفندي (جودت)، وسافروا في ٢١ منه (كانون الثاني ١٩٢٣) على طريق سقز الى جوار تبريز، وبعد تعميق البحث وجد ان التعليمات كانت الاتصال بقوى البلشفيك"(٤٤٨).

وهنا نشير الى أن "عدم إتفاق الامير فيصل مع البلشفية، وكرهه لها" كان "واحدا من الاسباب الرئيسة لاختياره ملكاً على العراق" كما ورد في تقرير سري أعدته وزارة الحربية البريطانية بتأريخ السابع عشر من شباط ١٩٢١(٤٤٩).

---

(447)" Bulletin Pressi Polnomochnovo Predstavitelia RSFSR V Persii ", No.3,March 1928,Prilojenie No.12.

ينظر النص العربي للرسالة في صحيفة " خهبات- النضال " ، بغداد، ١١تشرين الأول ١٩٦٠.

(٤٤٨)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف: ٢٥٧٤، عنوان الملف: إدارة كردستان، الوثيقة رقم ٦، ص١١، الفقرة الثالثة.

(449)Public Record Office,F.O.,371/6349;

الدكتور فاروق صالح عمر، حول السياسة البريطانية في العراق ١٩١٤- ١٩٢١.دراسة وثائقية، بغداد، ١٩٧٨، ص١٠٤-١٠٥.

ظلت إحتمالات التغلغل البلشفي بين كرد العراق تؤلف هاجساً يقلق البريطانيين، وتؤثر في رسم سياستهم بالنسبة للقضية الكردية. وردت في ديباجة الكتاب الذي أرفقه قائد القوة الجوية البريطانية في العراق بالتقرير المطول الذي أعدته قيادة قوته خصيصاً لوزير الطيران البريطاني بعنوان "الحركة الكردية"، العبارة الآتية التي تنطوي على مغزى عميق:

"٢-يبدو واضحاً من المعلومات الواردة في هذا التقرير أن الكرد يؤلفون أداة قوية، ومهيئة لليد التي ترغب في خلق المشكلات للدولة العراقية، ولاسيما للبلاشفة حين يرون ان الوقت قد حان"(٤٥٠).

بقي "الخطر البلشفي" يمثل بعبعاً يؤرق البريطانيين، وعموم الغربيين، ويستوجب في نظرهم إتخاذ كل مايلزم من أجل إبعاده عن نفط المنطقة. إزداد القلق البريطاني بهذا الخصوص أكثر بعد أن وجد الفكر البلشفي طريقه الى صفوف المثقفين الكرد بعد تحجيم حركات الشيخ محمود. كتب ادموندس في الحادي عشر من شباط سنة ١٩٢٧ عن هذا الموضوع يقول:

"أن المنفذ الواضح الثاني (٤٥١) الذي بوسع البلاشفة أن يسيئوا عن طريقه الى العراق هم الاكراد. لقد كان الروس لعدة سنوات جيران الاكراد المباشرين عن طريق مناطق القفقاس واذربيجان الايرانية التي كانت في سنة ١٩١٤ منطقة روسية فعلاً. إن معظم المؤلفات الجغرافية والاثنوغرافية واللغوية عن الكرد كان من إنتاج يراع

(450) Public Record Office,F.O.,3371/12255/2542,Secret,Reference No.1/407,from Air Headquarters,British Forces in Iraq,Baghdad,to the Secretary,Air Ministry, Adastral House,London,W.C.2,Dated 30th March, 1927.

(٤٥١)ذكر المنفذ الاول قبل ذلك، وهو " إثارة إضطرابات العمال ".

الروس، كما أن تذمر الكرد في تركيا وإيران قد إستخدم للتوجه الى روسيا طلباً للتأييد . وقد أسس الروس في قفقاس وما وراء بحر قزوين وغيرهما من المناطق المسلمة من روسيا الاسيوية عدداً من الجمهوريات السوفيتية الصغيرة القانعة بوضعها عموماً، وإن تأليف جمهورية كردية مستقلة هو نقطة إبتدائهم الواضحة حين يكونون مستعدين للعمل من الشمال الشرقي(٤٥٢)، من قواعدهم في أذربيجان الايرانية"(٤٥٣).

وفي الخامس عشر من شباط عام ١٩٤٠ قدم ادموندس نفسه، بوصفه مستشارا لوزارة الداخلية العراقية، مذكرة مطولة حول الموضوع نفسه تحمل عنوان "روسيا والاكراد" كرر فيها الاحتمالات نفسها، مع إضافة معلومات جديدة إستقاها من مصادر إستخبارية مختلفة(٤٥٤).

لم تكن طموحات الشيخ محمود، وإتصالاته الخارجية، بما في ذلك إتصاله بالسوفيت، خافية على البريطانيين. فإن المفتش الاداري، ومن ثم الضابط السياسي البريطاني في كركوك أدموندس، مثلاً، كان يتابع كل تحركات الشيخ محمود وإتصالاته وما تكتبه صحافته بدقة، وقد نشر مقتبسات مفصلة من الصحافة الكردية ضمن كتابه "كرد وترك عرب"، وكان هو أول مسؤول بريطاني إطلع على أعداد جريدة "بانگی حەق" (نداء الحق) التي

---

(٤٥٢)تحققت نبوءة أدموندس على أرض الواقع بعد زهاء عقدين من الزمن حينما اقام كرد إيران بمساعدة السوفيت ماعرف في التأريخ بجمهورية مهاباد.

(453)Public Record Office,F.O., 371/24560,Russia and the Kurds.

(454) Ibid.

أصدرها الشيخ محمود في كهف جاسنة قرب دوكان(٤٥٥) لتمثل بذلك صفحة فريدة في تأريخ الصحافة عموماً.

مارس البريطانيون من جديد ضغوطاً شديدة على الشيخ محمود ونظامه، ولاسيما بعد أن بدأ يخطط، مع ضباط كماليين وصلوا السليمانية خصيصاً، من أجل طرد البريطانيين من كركوك(٤٥٦)، وبعد أن وصلت بغداد تقارير تتوقع بأنه في حال إجراء إنتخابات، أو تصويت فان " اغلبية سكان لواء كركوك الساحقة ستصوت للشيخ محمود"(٤٥٧).

يبدو واضحاً من جميع الوثائق السرية، والتقارير الرسمية البريطانية أن كركوك كانت تمثل السبب الاول للعمليات العسكرية الواسعة التي إتخذتها سلطات الانتداب ضد الشيخ محمود. فقد أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم الموضوع هكذا:

"إن الشيخ محمود الذي نحن أعدناه (من منفاه في الهند) إثر جلائنا من السليمانية، سرعان مابدأ يتآمر مع الاتراك ضدنا بنشاط، وقد أصبح معلوماً في مطلع هذا العام (١٩٢٣) انه وضع خطة للهجوم على كركوك في شهر آذار"(٤٥٨).

---

(455)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arbs,PP.301-302,319 وفي الترجمة العربية: ص ٢٧٢-٢٨٧،٢٧٣M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakskom Kurdistane,P.121.

(456)A.Toynbee, Survey of International Affairs,1925. The Islamic World since the Peace Settelment,London,1927,P.489.

(457)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arbabs,P.304.

في الترجمة العربية: ص٢٧٥.

(458)"Report on Iraq Administration April,1922-March 1923",P.64.

أبلغت الحكومة البريطانية عصبة الامم الرأي نفسه مرة ثانية في تقرير لاحق عن سير الادارة في العراق، ورد فيه مانصه:

"أن الشيخ محمود منشغل الان بإتخاذ الاستعداد للهجوم على كركوك"(٤٥٩).

ويعترف البريطانيون في وثائقهم السرية صراحة بان خطط الشيخ محمود بالنسبة لكركوك هي التي دفعتهم الى إتخاذ إجراءات حاسمة ضده(٤٦٠). ورد في برقية مطولة بعث بها المندوب السامي البريطاني يوم الثالث من اذار ١٩٢٣ من بغداد الى وزير المستعمرات والى السفير البريطاني في طهران ما نصه:

"لقد إضطررت، بالاستشارة مع قائد الطيران، الى إعطاء الامر بقصف السيمانية للحيلولة دون قيام الشيخ محمود بالهجوم على كركوك وكفري"(٤٦١).

وفيما بعد كلما ورد إسم الشيخ محمود في الوثائق البريطانية الخاصة كان لابد من الرجوع الى الحقيقة نفسها، والتأكيد عليها في الغالب. ففي التقرير المهم عن "الشخصيات الرئيسة في العراق في سنة ١٩٣٥"، الذي وضعته السفارة البريطانية في بغداد خصيصاً للخارجية البريطانية بناء على طلبها، ورد عن الشيخ محمود النص الآتي:

"في سنة ١٩٢٣ كان لابد من إتخاذ إجراءت مسلحة ضده للحد من محاولاته لمد نفوذه الى مناطق كركوك وأربيل"(٤٦٢).

---

(459)"Report by His Britannic Majesty's Government on the Administration of Iraq for the period April,1923-December,1924", London,1925,P.32.
(460)Public Record Office,F.O.,371/18948,431/431/93,No.52.

(٤٦١)دار الكتب والوثائق، الوحدة الوثائقية: ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٢٥٧٤، عنوان الملف: إدارة كردستان ، ص٣٩، الوثيقة رقم ١٠، برقية المعتمد السامي العدد ١٤٨/و/٤٨.

وهكذا كان الامر فعلاً، ففي اواسط شباط ١٩٢٣ عقد إجتماع خاص في بغداد بحضور كبار المسؤولين البريطانيين، مثل كركوك فيه أدموندس، لمناقشة الوضع في كردستان. تقرر في الاجتماع دعوة الشيخ محمود الى بغداد لايجاد مخرج سلمي للخلافات القائمة، وإذا رفض الحضور يوجه المندوب السامي إنذارا يطلب منه ان يترك السليمانية ويأتي الى بغداد مع أعضاء حكومته في غضون خمسة أيام فقط(٤٦٣). توجه في الوقت نفسه عدد من كبار المسؤولين البريطانيين الى كركوك و أربيل وغيرهما من اجل حشد العشائر الكردية ضد الشيخ محمود(٤٦٤). وفي كركوك وتوابعها نشط أدموندس بهذا الاتجاه بصورة خاصة، فيقول عن ذلك بنفسه:

"بذلت مافي وسعي لتقوية الروح المعنوية في المتصرف والموظفين (في كركوك) دون ما خوف، أو مصانعة. وقمت بزيارات عديدة (للشيخ) عبدالكريم في قادر كرم، ولزعماء الطالباني والجاف وغيرهم من رؤساء العشائر لتشجيعهم على مقاومة الدعاية المعادية التي تنهال عليهم.. وأنباني (الكابتن) لاين واستخباراتي الخاصة بأن إندلاع الثورة قد وقت في أوائل آذار، وإن كركوك وكويسنجق ستكونان الهدفين الاولين"(٤٦٥).

---

(٤٦٢)"العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦"، إختيار و ترجمة وتحرير نجدة فتحي صفوة، من منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، البصرة، ١٩٨٣، ص٦٨.

(463)C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs,PP.314-315.

في الترجمة العربية، ص٢٨٣-٢٨٤.

(464)"The Near East and India ", London,April,1923,P.368.

(465)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.314.

في الترجمة العربية، ص ٢٨٣.

رفض الشيخ محمود العرض البريطاني، وباشر بإتخاذ الاجراءات الضرورية للتوجه صوب كركوك(٤٦٦). إزاء ذلك باشر البريطانيون بتنفيذ خطتهم التي إعتمدت على الطيران العسكري. سجل لنا أدموندس الذي اشرف من كركوك على تنفيذ الخطة، ملاحظات معبرة تبين مدى إستعداد البريطانيين لضرب الشيخ محمود، فإنه يسمي الطائرات العشرين، وهذا بحد ذاته رقم كبير بالنسبة لامكانات الطيران العسكري عالمياً في ذلك الوقت، يسميها "أرمادا العظيمة" التي "حامت في سماء كركوك"(٤٦٧) تشبيهاً باسطول أرمادا الاسباني الشهير الذي بناه فليب الثاني (١٥٢٧-١٥٩٨)، وكان يوصف عادة بالاسطول الذي لايقهر.

ويتحدث لنا أدموندس ايضاً عن الاجراءات التي إتخذها البريطانيون لنقل الجنود الى كركوك ضمن الخطة المقررة، ويعلق على ذلك بالقول "وهذا كان عملية عسكرية جديدة في ذلك الوقت"(٤٦٨). بمعنى أن واحدة من أولى عمليات النقل الجوي للمشاة في التأريخ جرت فوق أرض كردستان لقمع حركتها القومية. وفي مكان آخر من كتابه، الذي هو سجل حافل لمذكراته عن تلك السنوات، يعترف أدموندس بأن الطائرات البريطانية إستخدمت لتحقيق الهدف نفسه قنابل تزن الواحدة منها ٢٢٠ رطلاً لاول

---

(466)M.A.Kamal,Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakskom Kurdistane 1918-1958,Vol.I,Moskva 1969,p.198.

(467)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.315.

في الترجمة العربية، ص٢٨٤.

(468)Ibid.

مرة في التأريخ(٤٦٩). فلا غرو، إذن، أن منح البريطانيون الشيخ محمود لقب "مدرب القوة الجوية البريطانية"(٤٧٠). وبقي أن نقول حقاً إن "النفط مستعبد الشعوب" كما قال ذلك الكاتب العربي التقدمي يوسف إبراهيم يزبك في أواسط ثلاثينيات القرن الماضي(٤٧١).

إضطر الشيخ محمود تحت هذا الضغط الكبير الى اللجوء الى الجبال إعتبارا من اليوم الرابع من اذار سنة ١٩٢٣ ليصدر من هناك، كما سبقت الاشارة الى ذلك، صحيفة يعبر عنوانها "بانگى حەق" (نداء الحق) عن الكثير الكثير. لكن البريطانيين لم يستجيبوا لنداء الحق بسبب نفط كركوك الذي دفعهم، على العكس من ذلك، الى إتخاذ إجراءات عاجلة لعزل كركوك وتوابعها عن الحركة القومية الكردية الى أقصى حد ممكن. فقبل كل شيء فصلوا أربيل عن كركوك إدارياً كما انبأوا عصبة الامم بذلك في تقريرهم عن سير الادارة في العراق من نيسان ١٩٢٢حتى آذار ١٩٢٣(٤٧٢). ومنذ ذلك الحين بوشر بتعيين متصرفين "معادين للكرد" في كركوك بإعتراف الوثائق البريطانية السرية(٤٧٣)، منهم عبدالمجيد اليعقوبي كما ورد صراحة في

---

(469)Ibid,P.350 في الترجمة العربية، ص ٣١٢

(٤٧٠)القول لمجلة "The Near East and India" اللندنية. عن ذلك ينظر في "روشنبيرى نوى"، العدد ١٣٦، ١٩٩٥، ص١٦-١٧.

(٤٧١)يوسف إبراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت، ١٩٣٤.

(472)"Report on Iraq Administration April, 1922-March,1923 ", P.74.

(473) Public Record,Office, Ari, 23/417/5088, Reference :No.I/Bd/39, Secret,Special Service Officer,Baghdad,to:Air Staff Intelligence,Air Headquarters,Hinaidi,18th August 1930,P.2.

تقرير سري لضابط الخدمة الخاصة في كركوك(٤٧٤)، فقد خلف فتاح باشا في منصبه إعتبارا من ايار ١٩٢٤.

لم يترك ذلك كله سوى اثر محدود على الواقع الاجتماعي والسياسي لكركوك، الامر الذي نتطرق الى ابعاده بقدر من التفصيل في المبحث الخاص بالافرازات السياسية الاخرى للواقع القومي لكركوك وتوابعها. كما لم تدفع الاجراءات الاخيرة الشيخ محمود الى التخلي عن كركوك، فسرعان ما عاد الى التخطيط من أجل الزحف على كركوك بالتعاون مع بعض العشائر الكردية بعد إنسحابه من السليمانية، الخطة التي لم يكتب لها النجاح مرة أخرى بسبب موقف البريطانيين المتشدد(٤٧٥). ولم يكن مجرد صدفة أن رئيس الوزراء ياسين الهاشمي حين قام بزيارة خاصة الى كردستان بدأها بالسليمانية التي وصلها يوم الاول من ايار سنة ١٩٢٥، ثم توجه منها "الى كركوك، وإتخذ (فيها) بعض الاجراءات للحد من نفوذ الشيخ محمود الحفيد، وتشتيت شمل أعوانه" حسب تعبير الحسني (٤٧٦).

بقيت كركوك و توابعها مرتبطة باسم الشيخ محمود بصورة، أو بأخرى حتى اليوم الاخير من حياته، وقد تجسد ذلك بعد القضاء على نظامه مع تفاقم الصراع على ولاية الموصل.

---

(474)Ibid,23/418/5/32,Extract fromS.S.O.Kirkuk Report,No.V/175, Dated for period ending 28th April,1931,P.2.
(475) M.A.Kamal, Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvijenie v Irakckom Kurdistane 1918-1958,Vol.I,P.205.

(٤٧٦)عبدالرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية، الجزء الأول، ص٢٥٢.

كركوك وتوابعها في إطار مشكلة الموصل

من المعروف أن كماليي تركيا كانوا يطالبون بولاية الموصل على أساس أنها لم تحتل عسكرياً من قبل القوات البريطانية قبل التوقيع على هدنة مودروس بين الحلفاء والدولة العثمانية يوم الثلاثين من تشرين الأول سنة ١٩١٨. أدى ذلك الى إثارة مشكلة دولية دخل التأريخ بأسم "مشكلة الموصل" التي مست القضية الكردية من جميع الوجوه بصورة مباشرة، لان كردستان الجنوبية كانت تؤلف اصلاً الجزء الاكبر من ولاية الموصل السابقة. ذكر عضو مجلس العموم البريطاني الميجر گلاين اثناء مناقشة مشكلة الموصل داخل أروقة المجلس:

"ان الذي يقلق في كل هذه القضية لايكمن في رسم الحدود، ولايرتبط بمسائل الاقليات القومية، بل أنه يكمن في المشكلة الكردية الكبرى (great Kurdish Problem) والى أن تحل القضية الكردية فإن ثمة صعوبات تبقى ماثلة باستمرار"(٤٧٧).

أكد المؤرخ البريطاني المعروف أرنولد توينبي الشيء نفسه(٤٧٨)، كما أكدته صحيفة (تايمس) اللندنية التي ذكر مراسلها في تقريره الذي بعث به اليها من إستانبول بتأريخ التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٩٢٥ مايأتي:

---

(477)"The Parliamentary Debates. The House of Commons", Official Report, Fifth Series , Vol.189, 1924-1925 , London ,Col.2102.

(478) A.J. Toynbee , Angora and the British Empire in the East, "The Contemporary Review" , London .Vol. CXXIII, June 1923, PP.686-687.

"كلما تعمق المرء أكثر في النقاش مع الاصدقاء الترك تأكد لديه أكثر أن المشكلة الكردية هي التي تؤلف أساس النزاع كله. إن هذا الجانب من القضية قلما يعالج في الصحافة التركية.. مع العلم أنه يؤلف في الحقيقة النقطة الجوهرية في المسألة برمتها"(٤٧٩) (في النص الانكليزي:

(This is really the crux of the whole matter).

وفعلاً أن جل ما اثير بالنسبة لمشكلة الموصل من البداية حتى النهاية، ومن جميع الاطراف المتصارعة، يظهر دون لبس الواقع الكردي والكردستاني لكركوك وتوابعها، مع العلم ان الكرد كانوا الطرف الوحيد الذي لم يمثلهم احد في ذلك النزاع المصيري، ولم يتبن اي من اطرافه قضيتهم، أويدافع عنها.

اثير موضوع النزاع حول ولاية الموصل لاول مرة أمام مؤتمر لوزان في سويسرا، الذي إفتتحت أعماله يوم العشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ بهدف عقد معاهدة صلح جديدة مع تركيا الكمالية لتحل محل معاهدة سيفر . فبعد أن فشل تبادل وجهات النظر بين اللورد كيرزن وزير الخارجية ورئيس الوفد البريطاني الى المؤتمر، وعصمت أينونو وزير الخارجية و رئيس الوفد التركي اليه، تم عرض النزاع على لجنة خاصة منبثقة من المؤتمر إعتبارا من يوم الثالث والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٢٣.

---

(479)"The Times ", No.44,150,December 21,1925.

إن الحجج التي أثارها الطرفان أمام المؤتمر جاءت لصالح الواقع الكردي لولاية الموصل بإستثناء مدينة الموصل نفسها، وبعض أطراف الولاية. فمن بين الحجج التي شدد عليها عصمت اينونو بصورة خاصة ان النواب الكرد هم الذين مثلوا الولاية في المجلس الوطني الكبير الذي أسسه الكماليون على إثر إنتصار حركتهم. أما بالنسبة لكركوك و توابعها بالتحديد فقد تقدم الطرفان بقائمتين إحصائيتين تثبت كلتاهما طابعهما الكردي الطاغي ، مع العلم أن قائمة عصمت اينونو تحيزت صراحة الى جانب التركمان في تقديراتها، بينما تحيزت قائمة اللورد كيرزن الى جانب العرب بالنسبة للولاية عموماً، وهي كانت غير موضوعية بالنسبة للكرد ايضاً، كما ان الحالتين تتناقضان كلياً مع الارقام البريطانية والعثمانية السابقة الى حد كبير كما يبدو ذلك جلياً في ثنايا هذه الدراسة(٤٨٠)، وفيما ياتي تفصيلات القائمتين بالنسبة لكركوك وتوابعها:

-قائمة عصمت اينونو:

الكرد ٩٧٠٠٠

التركمان ٧٩٠٠٠

العرب ٨٠٠٠ (٤٨١)

٢- قائمة اللورد كيرزن:

الكرد ٤٥٠٠٠

---

(٤٨٠)نعود الى تفصيلات ذلك في مبحث "كركوك وتوابعها في الاحصاءات الرسمية و غيرها".

(481)"British Foreign Office,Turkry No1(1923),Lausanne Conference on Near Eastern Affairs 1922-1923,Record of Proceedings and Draft Terms of Peace, Cmd . 1814 ", P.373.

التركمان ٣٥٠٠٠

العرب ١٠٠٠٠

المسيحيون ٦٠٠

اليهود ١٤٠٠(٤٨٢)

لكن اللورد كيرزن لم ينكر الطابع الكردي للقسم الاعظم من ولاية الموصل، إلا أنه ركز بصورة خاصة على ضرورة الولاية بالنسبة للعراق من وجهتي نظر سوقية (ستراتيجية) و إقتصادية (٤٨٣). بينما إنصب إهتمام الكماليين، وقلقهم على الجانب القومي الكردي للولاية أساسا(٤٨٤)، فإلتقى الطرفان عند هذه النقطة الحيوية- نقطة كردية معظم الولاية، ولكن من منطلقين متناقضين تماماً، ومن أجل هدفين متباينين كلياً.

إنتهى مؤتمر لوزان بتوقيع معاهدة بين الحلفاء وتركيا يوم الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٣ من دون التوصل الى حل لمشكلة الموصل. لكن الفقرة الثانية من المادة الثالثة من معاهدة لوزان نصت على ان يعين خط الحدود "بترتيب ودي بين تركيا وبريطانيا العظمى خلال تسعة اشهر، وإذا لم يتوصلا الى إتفاق بينهما خلال الاشهر التسعة فيرفع النزاع الى مجلس عصبة الامم"(٤٨٥).

---

(482)Ibid,P.366.
(483)Ibid,P.359.
(484)"The Contemporary Review ",Vol.CXXLLL,June 1928,PP.386-387.
(٤٨٥)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل ، الطبعة الاولى، ص٣٨.

حاول الطرفان، بريطانيا وتركيا، إيجاد حل لنزاعهما حول ولاية الموصل في غضون الاشهر التسعة التي حددتها معاهدة لوزان، فعقدتا مؤتمرا في القسطنطينية في ايار ١٩٢٤ أثار فيه الجانب التركي من جديد موضوع النواب الكرد الذين يمثلون ولاية الموصل في المجلس الوطني الكبير، بما فيها كركوك. لم يسفر مؤتمر القسطنطينية بدوره عن نتيجة، وحين إنتهت مدة التسعة أشهر المقررة يوم الخامس من حزيران ١٩٢٤ دون التوصل الى إتفاق باشر الجانب البريطاني بعرض النزاع على عصبة الامم كما كان مقررا في لوزان. على أثر ذلك الفت العصبة لجنة خاصة لدراسة النزاع، وإعداد تقرير مفصل عنه حتى يتسنى للعصبة إتخاذ قرار محدد في ضوئه. روعي في تأليف اللجنة، التي أذيعت أسماء أعضائها يوم الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٩٢٤، التوازن من وجهة نظر دولية، وذلك بأن أختير احد أعضائها من بلجيكا حليفة بريطانيا في الحرب العالمية الاولى، والآخر من المجر حليفة تركيا فيها، والثالث من السويد المحايدة، وقد أختير الاخير رئيساً للجنة.

وصلت اللجنة الى العراق في السادس عشر من كانون الثاني ١٩٢٥، وباشرت أعمالها في ولاية الموصل إعتبارا من السابع والعشرين منه، يوم وصولها مدينة الموصل . و إنتقلت اللجنة الى أربيل و كركوك والسليمانية وبعض توابع هذه المدن، وإستمرت تحقيقاتها داخل الولاية لغاية نهاية آذار ١٩٢٥، ثم رجعت الى جنيف لاعداد تقريرها.

هناك مجموعة من النقاط الجوهرية بالنسبة لموضوع دراستنا ينبغي التوقف عندها بصورة خاصة. فقبل كل شيء أن الجانب البريطاني لم يعر رغبات الكرد وطموحاتهم القومية إهتماماً يذكر، فقد أخبر لجنة التحقيق مقدماً بان الاكثرية الساحقة من الكرد، بين الجميع، "ساذجة لاتستطيع التعبير عن آرائها"(٤٨٦)، مع العلم أن ادموندس، الذي رافق اللجنة الى السليمانية، يؤكد ان اعضاءها إنذهلوا حين سمعوا أجوبة من إستجوبوا هناك على الاسئلة التي وجهت اليهم "إقتصادية كانت أم سياسية"، كما لاحظوا الشيء نفسه بالنسبة لكرد كفري(٤٨٧).

ومن أجل توضيح الموضوع أكثر نحيل القارئ الى المحاورة العميقة التي جرت بين الملا محمد الكويي (الملا الكبير) وبين أعضاء اللجنة في أربيل المنشورة في "مجلة المجمع العلمي العراقي"(٤٨٨) والتي دفعت رئيس اللجنة الى القول "إن هذا الانسان يليق بان يكون عضوا في محكمة العدل بلاهاي وإن لم يكن حائزا على أي شهادة رسمية جامعية".

من المنطلق نفسه بذل البريطانيون كل ما في وسعهم من أجل أن يحولوا دون إتصال أعضاء اللجنة بالممثلين الحقيقيين للكرد، وفي المقدمة منهم الشيخ محمود الذي حرر، مع ذلك، مضبطة أرسل بنسخ منها الى الموصل

---

(486)"League of Nations.Question of the froniter between Turkey and Iraq by the Commission instituted by the Council Resolution of September 30,1924 ", Lausanne,1925,P.16.

(487)C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,PP.420,422.

في الترجمة العربية: ص ٣٧٦،٣٧٤.

(٤٨٨)"مجلة المجمع العلمي العراقي. الهيئة الكردية"، المجلد الثاني عشر، ١٩٨٥ ص ٤٢٠-٤٢٢.

واربيل وكركوك بأمل إيصالها الى اللجنة(٤٨٩). وحين جاء أعضاء اللجنة الى السليمانية تحت حراسة مشددة متألفة من "جنود بريطانيين و شرطة عراقية مع خمس طائرات محلقة فوقهم"(٤٩٠) حاول الشيخ عبثاً إشعارها بوجوده عن طريق اشعال النيران فوق قمم جبل گۆيژه المطلة على المدينة، وبفتح النيران على ضواحي المدينة، مما عرقل وصول اللجنة اليها كما تؤكد ذلك التقارير الاستخبارية البريطانية(٤٩١).

على الرغم من ذلك ان جميع من إستجوبوا من كرد الولاية، وبضمنهم كرد كركوك وتوابعها، أكدوا في ردودهم ضرورة ضمان حقوق شعبهم القومية. وبالنسبة لكركوك تحديدا توصلت اللجنة الى إستنتاجات لها مغزاها الكبير بالنسبة لما نحن بصدد معالجته هنا، فقد إقتنع عضوها البلجيكي پاولس، الذي وقعت على عاتقه مهمة تقصي الحقائق في كركوك وتوابعها، وأمضى فيهما اسبوعين كاملين، بانه "إذا كان الجزء السائد من سكان المدينة تركاً فان الاغلبية الساحقة من سكان اللواء هم كرد"(٤٩٢). وقد أكد تقرير اللجنة، وحجج الطرفين التركي والبريطاني المقدمة لها، الحقيقة نفسها، والتي لاتختلف في الواقع عما قدماها في مؤتمر لوزان، وقد سبق أن أشرنا الى

---

(489)Public Record Office, Air,23/190,Part II,XM/4583,Summary of Intelligence Service Officer Sulaimani for the period ending 21st February 1925,Secret.

(٤٩٠)عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ٢٧٤،٢٧٦.

(491)Public Record Office , Air ,23/190, Part II , X/M/ 4583, to Aviation , Baghdad, 23/2, Y/3335 , Secret.

(492) C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,P.416.

في الترجمة العربية: ص٣٧١.

تفصيلاتها المحددة في مدخل هذا المبحث. لكن تقرير اللجنة أضاف الى ذلك الحقائق الآتية التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار بصورة جدية لانها إعتمدت في إعداد تقريرها على دراسة ميدانية دقيقة شملت السفر بالسيارة، وبالطيارة، بل وسيرا على الاقدام، وعلى خرائط العرب القديمة، والخرائط الاوروبية، وعلى مؤلفات الاقدمين، والسالنامات العثمانية، وكتب الرحالة، وكتب الجغرافيا لمدارس مصر الثانوية وغيرها(٤٩٣).

١- إن الكرد يؤلفون العنصر الغالب في جميع الاراضي المتنازع عليها، ويتركز العرب على ضفاف دجلة، وفي مدينة الموصل(٤٩٤).

٢- إن الجماعات الوحيدة المتماسكة التي تسكن مناطق واسعة من ولاية الموصل هم الكرد والعرب، والخط الذي يفصل بين الجنسين هو نهر دجلة حتى إلتقائه بالزاب الصغير، ثم جنوب طريق كركوك-كفري(٤٩٥).

٣- إذا عدت "الحجة العنصرية عاملاً حاسماً" لحل المشكلة حينئذ "يجب إقامة دولة كردية مستقلة"، الرأي الذي أبدت معظم المناطق الكردية تمسكها به(٤٩٦).

---

(493)"The Near East and India ", Vol,XXVIII,No.745,August 20,1925,PP.217-218.

(494)"League of Nations .Question of the frontier between Turkey and Iraq .. ",PP.54-55.

(495)Ibid,PP.86-87.

(496)Ibid,PP.57,77,89.

من الجدير بالذكر ان الدكتور فاضل حسين ثبت معظم هذه الحقائق نصاً أو مضموناً في اطروحته باللغة الانكليزية، وفي الطبعة العربية الاولى من كتابه المطبوع في بغداد في العهد الملكي، فيما حذف الرقيب مقاطع مهمة من الكتاب في طبعاته اللاحقة.

٤- بينت اللجنة ان الكرد حيثما إلتقت بهم أكدوا ضرورة ضمان حقوقهم القومية في حال ضم الولاية الى العراق، وإلا فإنهم يفضلون الإنضمام الى تركيا ، مع العلم أن اللجنة بينت ان الكرد لايرغبون في العيش في تركيا "كما ثبت ذلك بثوراتهم". وفي ضوء المقارنة بين الحالتين أصرت اللجنة على ضرورة تقديم ضمانات كافية بخصوص حماية حقوق الكرد القومية، وتمديد مدة الانتداب البريطاني على العراق في حال ضم الولاية إليه، وبعكس ذلك إرتأت ضمها الى تركيا لانها "تتمتع بأحوال داخلية، ووضع سياسي أكثر إستقرارا من العراق بكثير"(٤٩٧).

هنالك جوانب أخرى من مشكلة الموصل، وإفرازاتها تستحق التوقف عندها في إطار علاقتها بكركوك وتوابعها. فقبل كل شيء ان المشكلة أثارت نقاشاً مطولاً داخل أروقة المجلس التأسيسي العراقي بوصفه أول سلطة تشريعية في البلاد، والذي كان ممثلو كركوك فيه من الكرد قاطبة باستثناء إسحق أفرايم الذي كان يمثل جميع يهود ولاية الموصل فيه. في الجلسة العشرين للمجلس، المنعقدة يوم الثلاثاء الموافق للثالث من حزيران عام ١٩٢٤، عبر ممثل بغداد الشيخ أحمد الدواد، الذي أبدى نشاطاً كبيرا للدفاع عن حق العراق في ولاية الموصل، عبر عن رغبته في:

(497)Ibid,PP.88-89.

"أن يشاركنا بقرارنا نواب أربيل وكركوك، ولا يتخلوا عنا في هذا اليوم العصيب" في "الدفاع السياسي عن الموصل"(٤٩٨).

تجاوزت مداخلات اعضاء المجلس التأسيسي هذا الاقرار الضمني من قومي عربي بكردية كركوك وتوابعها الى حد كبير، ففي الجلسة نفسها ذكر ممثل الموصل امجد العمري انه حين يتحدث عن الموصل لايقصد بها فقط مدينة الموصل، بل أيضاً "كركوك واربيل والسليمانية وسائر الاقضية الكردية"(٤٩٩). وفي الجلسة الثالثة والعشرين المنعقدة بتأريخ التاسع من حزيران ١٩٢٤ دعا وزير الداخلية، ممثل الموصل في المجلس ايضاً، علي جودت الايوبي، وهو من كبار ساسة العهد الملكي(٥٠٠)، دعا الى "تقوية المركز العراقي في مفاوضات الحدود، وإن وجود مندوبي (مدينة) الموصل وكردستان مما يتطلب تقوية ذلك المركز"(٥٠١)، وهذا يعني بوضوح أن الوزير لم يفصل سوى الموصل عن كردستان. والاهم من كل ذلك هو ان مندوبي كركوك واربيل وحدهم، من

---

(٤٩٨)"الحكومة العراقية . وزارة الداخلية. مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي العراقي لسنة ١٩٢٤م-١٣٤٣هـ"، بغداد، بلا، ص ٣٥٢.

(٤٩٩)المصدر نفسه ، ص ٣٤٤.

(٥٠٠)علي جودت الايوبي (١٨٨٦-١٩٦٩) من مواليد مدينة الموصل، خريج المدرسة (الكلية) العسكرية باستانبول سنة ١٩٠٦، عروبي النزعة، شارك في الثورة العربية بقيادة الشريف حسين، شارك في حكومة الملك فيصل في سوريا، مثل الموصل في البرلمان العراقي مرارا، منذ العام ١٩٣٠ شارك في تأليف عدد من أهم الوزارات، رئيس للديوان الملكي ١٩٣٣، رئيس وزراء أكثر من مرة، سفير للعراق في فرنسا و الولايات المتحدة الامريكية وغيرهما.

(٥٠١)"مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي العراقي..."، ص ٣٩٢ .

بين جميع مندوبي المناطق الكردية، قدموا مذكرة خاصة الى المجلس أثناء مناقشته لمشكلة الموصل طالبوه فيها بضمان حقوق الكرد(٥٠٢).

واثناء البت في مشكلة الموصل أثير موضوع التعليم باللغة الكردية أمام المجلس التأسيسي بروح إتسمت بقدر واضح من الديمقراطية(٥٠٣)، لم يفصل المجلس أثناءه كركوك وتوابعها عن كردستان، بل أكد حقائق مهمة تعد إقرارا تأريخيا صريحاً من لدن أول سلطة تشريعية عراقية. ففي جلسة المجلس السادسة والعشرين المنعقدة يوم الاثنين الموافق للسادس عشر من حزيران ١٩٢٤ تحدث احد ابرز مؤسسي الدولة العراقية الحديثة، رئيس المجلس التأسيسي وممثل البصرة فيه عبدالمحسن السعدون عن هذا الموضوع المهم، وقال بالحرف الواحد:

"لايخفى على رفقائي أعضاء المجلس أن السبب الاكبر الذي أدى الى سقوط الحكومة العثمانية هو غمط منافع الامم وحقوق الطوائف التي كانت تستظل بالراية العثمانية، فنحن إذا إتبعنا الطريقة التركية التي كانت تغمط حقوق الاقوام فنكون قد أخطانا كما أخطئوا، فلذا أرى من اللازم والضروري أن نكون أحراراً ونعطي الحرية الى جميع العناصر- تصفيق- ولانكون حريصين أو بخلاء في إعطاء هذا الحق الى أهله، ولا يخفى أن في العراق عنصراً عظيماً، وهو العنصر الكردي، فإذا لم نعط العنصر الكردي حقه، وندع مدارسه تدرس باللغة الكردية فقد تكون النتيجة غير

---

(٥٠٢)المصدر نفسه، ص ٣٤٢-٣٤٤.

(٥٠٣)يستثنى من ذلك موقف عدد قليل من أعضاء المجلس من أمثال حبيب خيزران ممثل ديالى، و عمر الحاج علوان ممثل كربلاء، و داود الجلبي ممثل الموصل.

حسنة.. فـا تمنى من المجلس أن لايبخل في إعطـاء هـذا الحق حتـى تكـون القلـوب متحدة.."(٥٠٤).

وفي تعقيبه علـى اقـوال عبدالمحسن السعدون، الـتي إسـتقبلت بـالتصفيق من أعضاء المجلس، أوضح نائب الموصل امجد العمري حقـائق مهمـة في ضـوء تجاربه العملية، وإحتكاكه المباشر بالمنطقة واهلها، إذ قال:

" إن الطوائف المختلفة، سـواء كـانت مـن العنصـر الكـردي او مـن الطوائـف غـير المسلمة علينا أن نظاهرها، ونحبب العنصر العربي إليها لتكون دولة العراق مرتبطة العناصر عن حب حميم لا كما كانت عليه الدولة التركية، وإذا أردنا أن نكسب مـؤازرة إخواننا سكنة أربيل وكركوك و السليمانية فعلينـا أن نسـاعدهم في هـذه المسـألة لان الطالب إذا أردنا أن ندرسه بلغة غير لغتـه الاصليـة نجعلـه يتعـب مرتـين، مـرة للغـة وأخرى للدرس. وحينما كنت مدرساً في زمن الحكومة التركية بدار المعلمـين كنـت أدرس الحكمة الطبيعية (الفيزيك) وكنت أضطر الى أن أقرأ بـاللغة الكردية بوساطة طـالب أنتخبه من بين الذين يجيدون اللغتين التركية (لغــة التدريـس) والكرديـة لان العلـم الذي كنت أدرسه علم دقيق، وقد إطلعت بنتيجـة تجـارب عديـدة بـان أسـهل طريقـة لتعليم المرء العلم تـدريسه بلغته، فيجب أن لا نسير علـى منـهج الحكومـة العثمانيـة، ويجب علينا أن نجلب قلوب الاكراد". واضاف "كما أنني أعتقد أنـهم سـوف يتعلمـون اللغة العربية لانهم يحبونها، ويعرفون مزاياها، وكذلك لا يمكن أن ندرس في كركوك الهندسة باللغة العربية لان هذه البلاد العراقيـة لابـد لهـا مـن أن تتمسـك بـالمحبة والالفة لا بـالقوة والضغط والحجر على اللغات"(٥٠٥).

---

(٥٠٤)"مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي العراقي .."، ص ٥١٧-٥١٨.

(٥٠٥)المصدر نفسه، ص ٥١٨-٥١٩.

أما نائب بغداد المتنـور يوسـف غنيمـة فقـد عـد الاعـتراف بالكرديـة لغـة رسمية بصورة قانونية شرطاً من شروط ضمان "الحرية العامـة" خصوصـا "ونحن نريد أن نؤسس حكومة ديمقراطية"(٥٠٦).

ردا على ماقيل في تلك الجلسة مـن جلسات المجلس التأسيسي العراقي، وتعبيرا عـن مشاعر الكـرد وخواطرهـم، القـى ممثـل أربيـل في المجلـس المـلا محمد كويي كلمة قصيرة إستقبلت بتصفيـق الحضـور، ننقـل في أدنـاه نصـها لاهميتها:

"لقد علمنا قيمة الموصل بملحقاتها، وقد وضعت في كفـة والمعـاهدة(٥٠٧) في كفـة أخـرى، ومعلـوم لـديكـم ان العنصـر الكـردي لايعـد مـن الاقليـات، وقـد شـاهدتم أن الأعضاء الاكراد إشتكوا عنـد الرئيـس، وعنـد حضراتكـم بسـبب عـدم فهمهم اللغـة العربية جيداً، وكثير من المطاليب التي دارت في خلد الكردي بقيت غير مفهومـة لانـه لم يستطع التصريح بها، فنلتمس مـن العـرب إخواننـا ان يحترمونـا كمـا نحترمهم- تصفيق- وهذه الفكرة هي أن بقاء القومية ببقاء لسانها. يعلم الكردي أكـثر مـن كـل الشعوب بـان اللغة العربية من الاهمية بمكان، عظيم لانها تتعلق بأسـاس الديانـة، وهي لغة شريفة، ولايمكن أن تعدد مزاياها، ولكن للغة الكردية قيمة أيضـاً، وإنمـا (سبب) عدم إشتهارها هو عدم تقدم الكردي، وكما قال الحاج قادر(٥٠٨) ان البلاغة والفصاحة في الكردية تشبه ما في العربية، ولكن عدم تقدم الاكراد هو الذي جعلـها

---

(٥٠٦)المصدر نفسه، ص ٥١٧.

(٥٠٧)يقصد اول معاهدة عقدت بين العراق وبريطانيا في العام ١٩٢٢، والتي إرتبط موضوع التصديق عليها وإبرامها بمشكلة الموصل، وبإفرازات القضية الكردية بصورة مباشرة.

(٥٠٨)من أبرز شعراء الكرد المجددين، ولد بكويسنجق وتوفي بأستانبول سنة ١٨٩٧، عرف بروحه القومية الجياشة، وبعنايته الفائقة بلغة قومه، يشبهه الباحثون بالشاعر التركي المعروف نامق كمال.

الذي جعلها بغير أساس، فنرجو منكم أن تساعدونا في هذه المادة الروحية، إذ لا يمكن أن يضمحل قوم إلا بإضمحلال لسانه، وإن رابطتنا القديمة ستبقى الى يوم يبعثون"(٥٠٩).

ومن المفيد أن نشير الى أن السياسي العراقي المعروف حسين جميل نقل خلاصة لما دار في الجلسة السادسة والعشرين للمجلس التأسيسي بوصفه "شهادة سياسية" عن "الحقوق القومية للاكراد وحقهم في التدريس بالكردية في مدارسهم "(٥١٠).

في السياق نفسه تبقى نقطة مهمة اخرى جديرة بالتمعن والتقويم في إطاره التأريخي الصحيح، وهي ان الكرد أدوا دورا حاسماً في تقرير مصير ولاية الموصل لصالح العراق. ينطبق هذا القول على كرد كركوك و توابعها(٥١١)، الامر الذي ينطوي على مغزى عميق، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن اقوى مقاومة لضم الولاية الى العراق جرت في كركوك تحديدا، بل إن اللجنة نفسها فوجئت بان عددا كبيرا من عرب توابع كركوك صوتوا الى جانب الانضمام الى تركيا(٥١٢)، كما أن أسرا عربية عريقة في مدينة الموصل وقفت الى جانب تركيا صراحة في عز أيام الصراع المصيري الدائر على الساحة بصدد المشكلة.

---

(٥٠٩)"مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي العراقي .."، ص ٥١٩.

(٥١٠)حسين جميل، العراق. شهادة سياسية ١٩٠٨-١٩٣٠، دار اللام، لندن، ١٩٨٧، ص ١٤٢-١٤٣.

(٥١١)عن ذلك يروي لنا ادموندس، وهو شاهد عيان مهم، امثلة معبرة . ينظر:
C.J.Edmonds,Kurds,Turks and Arabs,PP.282, 409,416-417,420.

(٥١٢)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ١٢٠.

وفي سياق موقف الكرد نرى من الضروري أن نشير أيضاً الى ان عددا من مثقفي كردستان أسسوا "الجمعية الكردية" التي تمتعت بتأييد الاوساط المستاءة من سياسة الكماليين الشوفينية تجاه الكرد عموماً. رفع المركز العام للجمعية مذكرة مطولة بالرقم ٧١٩ وتأريخ الاول من تشرين الاول ١٩٢٤ "الى مجلس عصبة الامم" وردت فيها معلومات تدحض إدعاءات الجانب التركي وحججه بصدد العلاقات القومية واللغوية بين الكرد والترك، الامر الذي راهنت تركيا عليه كثيرا من أجل إقناع المحافل الدولية وعصبة الامم للموافقة على ضم ولاية الموصل اليها، مما يبدو واضحاً في ثنايا تقرير اللجنة و وثائق العصبة ومؤتمر لوزان. ورد في المذكرة، التي أولتها الاوساط السياسية والصحافة العراقية إهتماماً كبيرا ، مايأتي:

"في الزمن الذي يدعى مجلس عصبة الامم الى البت في مصير ولاية الموصل نهائياً ترى الجمعية الكردية من واجبها ان توصل لكم صوت تلك البلاد النائية، وإن كان هذا الصوت ضعيفاً لايسمع في العالم المتمدن. إن جمعيتنا قامت في وجه الاتراك المطالبين بحاكميتهم على بلاد تحررت أخيراً من مظالمهم، ولم تزل قائمة بوجههم، فهي لكونها تاسست للدفاع عن منافع القوم الكردي تعارض شديداً مطالب حكومة أنقرة في إمتلاكها الموصل، لان أكثرية سكان هذه الولاية أكراد.. إن اقوى مبدأ تتمسك حكومة أنقرة لتبرير مطالبتها في ولاية الموصل هو مشاركة الترك والكرد في الدين والحرث والعرق، والحقيقة ان هذه (الادعاءات) لم تجد قبولاً، وتصديقاً لدى الكرد لان الكرد يعلمون أنه ليس لهم من صلة بالترك من حيث المنشا واللغة، ولانهم مستقلون عن العرق التركي و لغته.. وإعادة الادارة التركية على الموصل تكون جريمة مشهودة على حقوق الامم بوجه عام، ومضرة بحقوق الاكراد بوجه خاص،

أولئك الاكراد الذين لهم حق الحياة المختارة، فارجاع الموصل الى الاتراك يفضي حتماً الى إختلافات مستمرة تجعلها عرضة لاسوأ العواقب. نحن وطيدو الامل بأن عصبة الامم الممثلة بمجلسها لاتذهب مذهب الشطط، وتتباعد عن مبادئ الحق والعدل التي هي قوتها الحقيقية، بل ترفض بصورة قطعية مطالب الاتراك.. وهذا التدبير هو الذي يضع حداً نهائياً الى مطامع الاتراك، فيخلص الموصل ذات الصبغة الكردية الظاهرة من الادارة التركية المشؤومة، فالعصبة الكردية تتشرف بتقديم هذه المذكرة الى أنظار الهيئة العادلة، والقاضية بالحق بين الامم لتبين لها حالة الاكراد المحزنة، والمنبعثة عن رضوخهم الى الادارة التركية، ونأمل ان تتمكن عصبة الامم من إتخاذ التدابير الضامنة لحياة حرة، وإنكشاف سريع لقوم مظلوم كالشعب الكردي، وبهذه الصورة ربما يملأ الفراغ الذي أحدثته معاهدة لوزان عن قصد بتجاهلها المسألة الكردية. فبأسم العدالة، وباسم حقوق الشعوب المقدسة، وبأسم المدنية تطلب الجمعية الكردية مساعدة محكمة العدل الكبرى على تحسين حالة شعب منسي، ومهجور بحكم القوة حتى إذا إكتسب حريته تمكن من أن يكون عنصراً يخدم السلم والرقي في الشرق الادنى..".

أحدثت هذه المذكرة صدى كبيرا في الوسط السياسي العراقي ولاسيما بين الجماعات القومية العربية التي رأت فيها دليلاً دامغاً لدحض جميع إدعاءات الجانب التركي. فقد نشرت صحيفة "الاستقلال" التي كان يديرها عبدالغفور البدري، ويرأس تحريرها قاسم العلوي، نصها في مكان بارز(٥١٣). ونشرت صحيفة "العالم العربي" الواسعة الانتشار نصها ايضاً(٥١٤)، كما إعتمد الدكتور فاضل حسين في دراسته الاكاديمية عن مشكلة الموصل على المضمون العام

---

(٥١٣)"الاستقلال" (جريدة)، بغداد، العدد ٥٥٦، ٨ شباط ١٩٢٥.

(٥١٤)"العالم العربي"، ١٤اذار ١٩٢٥.

للمذكرة لتحديد موقف الكرد في العراق من الموضوع(٥١٥). أما "حزب الامة" فقد إختار المذكرة ملحقاً لتقريره "عن قضية الموصل" الذي رفعته "الهيئة المركزية للحزب الى لجنة الحدود التي إنتدبتها عصبة الامم لحل مشكلة الحدود بين دولتي العراق وتركيا"، ذلك الحزب الذي أسسه عدد من القوميين العرب للدفاع عن "حق العراق في ولاية الموصل" من أمثال ناجي السويدي و المحامي محمد علي محمود و المحامي يوسف الحاج الياس وعبدالغفور البدري وقاسم العلوي والمحامي علي محمود الشيخ علي و المحامي إبراهيم ناجي و غيرهم(٥١٦). وقد أكد الحزب اهمية مذكرة "الجمعية الكردية" بصورة خاصة(٥١٧)، والتي تضمنت إحصاء عن ولاية الموصل يبين بوضوح الطابع الكردي لكركوك و توابعها ، الموضوع الذي نعود الى تفصيلاته في المبحث الخاص بكركوك وتوابعها في الاحصاءات الرسمية وغيرها.

وبالمناسبة نرى من الضروري أن نشير الى أن المحامي يوسف الحاج الياس، وهو من مؤسسي "حزب الامة" كما نوهنا، والذي تحول فيما بعد الى أحد أقطاب "الحزب الوطني الديمقراطي" النشطين، يؤكد أن القوميين العرب لم يكونوا في الواقع في مستوى فهم أبعاد القضية الكردية كما ينبغي حتى في تلك المرحلة الحرجة من تأريخ العراق، إذ لم يتجاوز موقفهم حدود رفع

---

(٥١٥)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٥١٦)"تقرير حزب الامة عن قضية الموصل"، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣٤٣هـ –١٩٢٥م، الملحق رقم ١، ص أ-هـ.

(٥١٧)المصدر نفسه، ص ٢٣.

شعارات عاطفية مرحلية، فيما تبنى العديد من مؤسسي "حزب الامة" فيما بعد مواقف شوفينية متعصبة تجاه الكرد و حقوقهم المشروعة(٥١٨).

وفي خضم الصراع على مصير ولاية الموصل إتخذ الكرد مواقف اخرى غير قليلة إنصبت كلها في صالح العراق، فان كرد كركوك والسليمانية، و "جميع العشائر الكردية القاطنة في ولاية الموصل"، و أهالي "٣٠٠ قرية في الجبال الشاهقة التابعة لرواندوز التي كانت من القديم مركزا لامارة كردية إستولى عليها الاتراك قبل سبعين سنة"، و "معشر اكراد عقرة"، و "مشايخ دهوك والعمادية"، و "علمدار زاده عبدالرحمن عن الكركوكليين"، و "فرع جمعية الدفاع في زاخو"، وفرعه الاخر في دهوك، وأعيان أربيل وغيرهم رفعوا عشرات البرقيات والمضابط الى أعضاء لجنة التحقيق، أو الى عصبة الامم مباشرة يؤكدون فيها رغبتهم في أن يعيشوا ضمن العراق مادام "قانونه الاساسي يضمن حقوقهم القومية"(٥١٩). ومن الجدير بالذكر أن صحف بغداد نشرت صور بعض تلك البرقيات والمضابط أكثر من مرة من اجل جلب النظر اليها بوصفها أدلة معبرة في صالح العراق(٥٢٠).

---

(٥١٨)مقابلة مع المحامي يوسف الحاج الياس بتأريخ ١٥ايار ١٩٩٥.

(٥١٩)"العالم العربي"، ٢٥و٢٦ تشرين الاول و ٤ تشرين الثاني ١٩٢٤ وغيرها، "الاستقلال"، ٣٦ تشرين الاول ١٩٢٤ و ١٩ و ٢٧ شباط و ٣ و ٩ و ٢٤ اذار ١٩٢٥وغيرها.

(٥٢٠)تنظر على سبيل المثال البرقية المطولة من " رواندوز مركز الامارة الكردية " في العددين ٥٧٣ و ٥٨١ من جريدة " الاستقلال " لصاحبها عبدالغفور البدري، الصادرين في ٢٧ شباط و ١٩ اذار ١٩٢٥.

وفي السياق نفسه نشر القاضي والبرلماني والمثقف والوجه الاجتماعي الكردي البارز معروف جياوك، وكان من أشد المتحمسين للاسلام، وللاخوة العربية الكردية، سلسلة مقالات حول الموضوع نفسه على صفحات "المفيد" التي أصدرها ببغداد إبراهيم حلمي العمر، و "إندفعت في مسايرة الحركة الوطنية إندفاعاً مدهشاً"(٥٢١). دحض جياوك في سلسلة مقالاته التي إختار لها عنوان" الاكراد وحدود العراق "حجج الكماليين بقوة، وجلب" انظار أعضاء لجنة التحقيق" الى قضايا إجتماعية و إقتصادية و سياسية تأريخية مهمة(٥٢٢)، مما دفع صاحب "مطبعة الاستقلال" البغدادية الى الاسراع في جمع تلك المقالات في كتاب يحمل عنوان "القضية الكردية"، ونشره على نفقة مطبعته(٥٢٣).

وجد موقف الكرد هذا صدى ملموساً له خارج العراق ايضاً، وبإتجاه من شأنه أن يساعد على إضعاف موقف تركيا، فعلى حد معلوماتنا أولته الصحافة الانكليزية، وكذا العربية غير العراقية قدرا واضحاً من الاهتمام. إن ماورد في صحيفة "المقطم" المصرية في مقالها المعنون "الاكراد والعراق" يوضح المقصود هنا، إذ قالت فيه:

"لم يقع تبدل في مسألة الموصل سوى ما وافتنا به رويتر أخيراً من أن زعماء الكرد ووجهاءهم في هذه الولاية أرسلوا الى جمعية الامم بإسم جميع العشائر الكردية

---

(٥٢١)عبدالرزاق الحسني، تأريخ الصحافة العراقية، ص ٨٦.

(٥٢٢)جياوك الكردي، القضية الكردية، بغداد، ١٩٢٥، ص ٢٦-٦٦.

(٥٢٣) ينظر غلاف المصدر نفسه.

إحتجاجاً شديداً على دعوى الترك قائلين إنه لاحق لهم بولاية الموصل لا من الوجهة الاقتصادية ولامن الوجهة الجنسية .. وكيفما كان الحال فان في هذا الاحتجاج المرسل من جميع القبائل الكردية ما يضعف الحجة التركية القائلة على تمسك الكرد بالترك، ونفورهم من الحكم العراقي، ويؤثر تاثيراً كبيراً في سير هذه القضية، لان الكرد يؤلفون القسم الاكبر من سكان هذه الولاية، فهم معظم أبناء الشمال، كما أن العرب يؤلفون معظم سكان الجنوب والغرب، وما الترك إلا أقلية صغيرة ضئيلة لا يحسب حسابها، ولايقام لها وزن في تقرير المصير، فالأمم تحكم برأي الاكثرية لا الاقلية كما لا يخفى . وعلى كل فإننا نعد الحركة الكردية دليلاً على التفاهم والاتفاق بين عرب العراق وكرده الذين عاشوا السنين الطوال وهم على خير مايكون من الوفاق والوئام"(٥٢٤).

اما أخطر موقف كردي ادى دورا حاسماً في تقرير مصير ولاية الموصل فيكمن في الانتفاضة الواسعة التي إنفجرت في كردستان تركيا بقيادة الشيخ سعيد پيران والمثقفين البدرخانيين والشمزينيين والدكتور فؤاد في شباط ١٩٢٥(٥٢٥)، إن هذه الانتفاضة كانت تعني، بكل بساطة، أن تركيا الكمالية مرفوضة في أعين الكرد بدوافع قومية ودينية، مما ترك تأثيرا واضحا على الرأي العام العالمي، ولاسيما أن الصحافة الغربية أولت أسبابها و وقائعها ونتائجها إهتماما كبيرا(٥٢٦). وكان امرا طبيعيا أن ينعكس ذلك بقوة على

---

(٥٢٤)مقتبس في: "العالم العربي"، العدد ١٩٤، ٨تشرين الثاني ١٩٢٤، ص٢.

(٥٢٥)للتفصيل عن الانتفاضة ينظر: كمال مظهر ، إنتفاضة عام ١٩٢٥ الكردية في تركيا. دراسة تحليلية، الطبعة الثانية، كاوا للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١.

(٥٢٦)تنظر على سبيل المثال:

آراء لجنة التحقيق وداخل اروقة عصبة الامم، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار حقيقة أن اللجنة باشرت توا باعداد تقريرها لمجلس العصبة. وللاستدلال أكثر على ما نقول نورد أقوال ليوبولد ايمري، وزير المستعمرات ومندوب بريطانيا لدى مجلس العصبة، بهذا الخصوص، فقد قال أمام المجلس، وفي ذروة النقاش الدائر حول مصير الولاية مانصه:

"أن البيان التركي أكد بصورة خاصة، من أوله الى آخره، على الفرضية القائلة انه مادام هناك عدد كبير من الاكراد في تركيا، فيجب إعتبار أكراد العراق راغبين بالعودة الى تركيا، ورجا المجلس أن يقدر ما إذا كانت الثورة الكردية في تركيا تشجع الاكراد خارج تركيا على الرغبة في الخضوع للحكم التركي، وعلى إبداء عواطفهم مع الحكومة التركية ضد شعب من جنسهم الخاص"(٥٢٧).

من هنا فإن الدكتور فاضل حسين، المتخصص الاول في تأريخ مشكلة الموصل، يبدو على حق تماماً حين يحدد تأثير الانتفاضة في كردستان تركيا على تقرير مصير ولاية الموصل هكذا:

"وقد إعتبرت (الثورة) الكردية حادثة مشؤومة لتركيا في الوقت الذي كان يقرر فيه مصير ولاية الموصل ذات الاكثرية الكردية"(٥٢٨).

إهتمت الصحافة العراقية باحداث الانتفاضة في كردستان تركيا، فنشرت تفصيلات أخبارها أولاً باول، وفي صدر صفحاتها الاولى، أو في اماكن بارزة من

"The Times ", February 28,March5,April1,7,9,13,16,28,May 29, August 25,November 26,1925;"Survey of International Affairs 1925", Vol.I,PP.508-510;" The Near East and India ", August 13,27,1925.

(٥٢٧)مقتبس في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ١٥٥.

(٥٢٨)المصدر نفسه، ص ٣١٣.

صفحاتها الاخرى(٥٢٩)، فقد إتخذتها حجة إضافية لتأكيد ضرورة إعطاء ولاية الموصل للعراق(٥٣٠). إستغلت الصحافة الغربية بدورها الانتفاضة لترويج فكرة ضم الولاية الى العراق(٥٣١).

دفع كرد تركيا ثمن موقفهم هذا غالياً، فقد عد مصطفى كمال إنتفاضة الشيخ سعيد طعنة نجلاء وجهت اليه من الخلف في واحدة من أحرج لحظات تأريخ نظامه، مما دفعه أن يصب جام غضبه عليهم بعد أن كان اول زعيم ثوري يعترف بحق الكرد في الحكم الذاتي في كانون الثاني ١٩٢٣، ورد نصه في وثيقة رسمية نشرت مجلة "نحو العام الفين" التركية صورتها في العام ١٩٨٨(٥٣٢). لكن من سخرية القدر ان تحور هذه الحقيقة الى شماتة ساذجة متداولة على الالسن يوصم بها كرد العراق اليوم من اناس يقارنون "فردوسهم" هنا بجحيم إخوتهم هناك مع إصرار عجيب على جهل مطبق بالتأريخ. ومن المفيد ان نشير بهذه المناسبة ايضاً الى أن مصطلح "اتراك الجبال" بدأ يظهر بين الاوساط الشوفينية التركية بعد إنتفاضة الكرد بقيادة الشيخ سعيد في العام ١٩٢٥، هذا المصطلح الغريب عن روح العصر،

---

(٥٢٩)أعداد "العالم العربي " و "الاستقلال"و "العراق" و" المفيد "وغيرها طافحة بالاخبار والتعليقات والمقالات عن إنتفاضة العام ١٩٢٥ في كردستان تركيا.

(٥٣٠)ينظر على سبيل المثال في: "العراق" ، ١١ آب ١٩٢٥.

(٥٣١)عن ذلك ينظر في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ٢٩٦.

(532)"2000 Dogru Dergisi", Sayi 46,6.XI.1988;

الدكتور إبراهيم داقوقي، أكراد الدولة العثمانية، "المجلة التأريخية العربية للدراسات العثمانية"، تونس، العدد الخامس والسادس ، فيفري ١٩٩٢، ص ١٩٤.

والذي عير العديد من المؤلفين والمثقفين العرب الكرد به مرارا وتكرارا حتى الان، ولايستبعد أن يستمروا على ذلك حتى يوم الدين.

ولابد أن نشير أيضاً، ونحن بصدد معالجة هذا الموضوع ، إن إنتفاضة الشيخ سعيد أثارت حفيظة تركمان كركوك وتوابعها بقوة بحكم أعجابهم الشديد بمصطفى كمال اتاتورك بوصفه زعيماً وطنياً، كما اثار اسلوب قمعها حفيظة كرد العراق بقوة، فتحول الامران الى أول عامل مؤثر سلباً على العلاقات الطيبة التي كانت تسود الطرفين الى ذلك الحين.

كان بوسع الشيخ محمود وأنصاره أن يثيروا في كردستان العراق إنتفاضة مشابهة لتلك التي شهدتها كردستان تركيا في أحرج أيام البت في مشكلة الموصل، إلا أن جهود الشيخ محمود إقتصرت على محاولات سلمية إستهدفت ضمان الحقوق القومية للكرد في ظل الظرف الذي إستجد نتيجة تدويل النزاع حول مصير ولاية الموصل، وقد سبق أن أشرنا الى مواقف الشيخ في هذا المضمار، ونضيف الى ماذكرناه بهذا الصدد ان الشيخ قادر، أخ الشيخ محمود، وعددا من أبرز أعوان الشيخ كانوا من بين من إستجوبتهم لجنة التحقيق في السليمانية، فكانوا، حسب رواية شاهد عيان، "ممتلئين بروح النضال، فالامر بالنسبة لهم لم يكن قبولاً ذليلاً لاستجواب مفروض، ولا أجوبة سرية عن سؤال ثانوي (petite question)، بل كان الأمر أخطر من هذا، فعقدوا العزم بجهرهم بسوء الحكم العثماني ورفضهم له في جلسة عامة للجنة.. أعلنوا فيها

إصرارهم الا يخضعوا ثانية الى الاسياد الذين قاسوا منهم الامرين"(٥٣٣). يقوم أدموندس موقف الشيخ محمود من تحقيقات اللجنة هكذا:

"كان الشيخ محمود أذكى، وأبعد نظراً من أن يظهر نفسه أثناء زيارة أعضاء اللجنة، فبقى بعيداً، وقرر هؤلاء من تلقاء أنفسهم أنه ليس من حسن اللياقة إستقدام ثائر علني ليقدم شهادة. هكذا إنتظر الشيخ حتى عادوا فواصل تكتيكه الحربي"(٥٣٤).

ومن الضروري ان نشير هنا الى أن الشيخ محمود تبنى موقفه هذا في وقت أثارت فيه مشكلة الموصل موضوع بنود معاهدة سيفر بالنسبة للقضية القومية الكردية. فقد أعاد مؤتمر نقابات العمال واللجنة الاستشارية في الشؤون الدولية لحزب العمال البريطاني الى الأذهان "إن بريطانيا وافقت على تأسيس دولة كردية بمعاهدة سيفر"(٥٣٥). كما ان لجنة عصبة الامم نفسها لم تستطع ان تتجاهل بنود سيفر بهذا الخصوص، مما يضفي بعدا خاصاً على موقف القوى القومية الكردية من مشكلة الموصل. أضف الى ذلك ان الدعاية التركية كانت قوية، ومؤثرة هي الاخرى منذ بداية إثارة المشكلة(٥٣٦)، لكنها عجزت، مع ذلك، في التأثير على موقف الراي العام الكردي إلا في حدود.

---

(533) C.J.Edmonds, Kurds,Turks and Arabs, P.413.

في الترجمة العربية: ص ٣٦٩.

(534)Ibid,P.422.

في الترجمة العربية: ص ٣٧٦.

(٥٣٥)مقتبس في: الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى ص ٢٤٦-٢٤٧.

(536)"The Near East and India ", Vol.XXII,No.604, December 7,1922,P.723.

هكذا ادى الكرد، بمن فيهم كرد كركوك و توابعها، دورا حاسماً من جميع الاوجه من أجل ضمان ضم ولاية الموصل الى العراق بدوافع مختلفة لم تكن مصلحتهم آخرها قطعاً. لكن ذلك لم يقدر حق قدره. يقول ادموندس، الذي كان من اكثر الناس إطلاعاً على دقائق ذلك الموقف، واهميته في حسم الصراع من أجل الموصل:

"ان زيارة اللجنة أعطت زخماً شديداً للشعور الوطني الكردي الذي جرف في طريقه عدداً كبيراً من المستائين الذين كان أكثرنا تفاؤلاً يتوقع وقوفهم الى جانب تركيا، فإذا بهذا الشعور يدفعهم الى المعسكر المعادي للترك. ان الاستجوابات الطويلة كادت كلها، وعلى حد سواء تكون ذات إتجاه قومي غلاب، لكنها لم تتخذ طابع الانفصال بصورة عامة.. وان كرد السليمانية وجهوا ما يمكن وصفه بالضربة القاصمة في المعركة الدائرة للمحافظة على كيان العراق، وإنهم لعلى إدراك تام بما فعلوا، لكن يا ترى هل ترتفع الحكومة العراقية الى مستوى الحدث فتتبنى سياسة كريمة، بعيدة النظر إزاء الكرد؟ ان تقرير اللجنة الخاصة التي عينتها عصبة الامم جاء الان مؤيداً لاماني الكرد الذين.. أنقذوا البلاد من تجزئة قتالة بوقفتهم الخالدة في السليمانية.. ان قادة الرأي العام الكردي غدوا هكذا في خيلاء جيد مع انفسهم ومع الدولة التي شعروا بانهم أثبتوا (لها) أنهم ليسوا مجرد مواطنين أذلاء"(٥٣٧).

حين نقوم موقف الكرد في الصراع التأريخي من أجل الموصل ينبغي أن نعيد الى الاذهان موقف القوى القومية العربية في العراق تجاه حقوقهم المشروعة، الموقف الذي إتسم بروح شوفينية، وتجاهل مقيت حتى في ذلك

---

(537)C.J.Edmonds , Kurds, Turks and Arabs,P.434.

في الترجمة العربية: ص ٣٨٦.

الظـرف العصيـب. فـان أيـا مـن الاحـزاب و الجمعيـات والهيئـات الـتي ظـهرت يومذاك للدفاع عن حق العـراق في ولايـة الموصل لم تشـر في برامجها، أو في صحافتها ونشاطاتها الى حقوق الكرد وقضيتهم بـأي شـكل كـان علـى الرغـم من إعترافها على مضض منها بان الكـرد يؤلفـون أكثريـة سـكان الولايـة(٥٣٨). ولكـن حتـى بالنسبة للموضـوع الاخير فـان تلـك الاوسـاط لم تتـبن موقفـاً موضوعياً. فعلـى الرغـم مـن الحمـاس الـذي أبدتـه بالنسـبة للمذكـرة الـتي رفعتها "الجمعية الكردية" الى عصبـة الامـم، كمـا سـبق أن نوهنـا بذلـك، إلا انـها أبـدت إعتراضـاً علـى الارقـام الاحصائيـة الـتي وردت في المذكـرة بالنسـبة لعدد الكرد في الولاية، مع العلم ان الجمعية أستقت معلوماتها من السالنامات العثمانية. كما أن الرقم الذي ذكرته بالنسبة للكرد (٤٥٠ الف) كان اقـل مـن الرقـم الـوارد في سـجلات إحصـاء النفـوس العراقيـة لسـنة ١٩٢٢-١٩٢٤ وهـو ٤٩٤٠٠٧، فيما أن الرقم الذي ذكرتـه الجمعيـة بالنسـبة للعـرب (١٨٠الفـاً) كـان أكثر من الرقم الوارد بالنسبة للعرب في الاحصاء نفسه وهـو (١٦٦٩٤١). ومـن الضروري أن نشير بالمناسبة الى أن لجنة عصبة الامم عدت الارقام الواردة في سجلات إحصاء النفـوس العراقيـة لسنة ١٩٢٢-١٩٢٤ الادق، والافضـل مـن بـين جميع الارقام الاحصائية المقدمة لهـا مـن الاطـراف المتنازعـة، أو المذكـورة في المصادر والمراجع المختلفة. مع ذلـك فـان "حـزب الامـة" حـين نشـر مذكـرة

---

(٥٣٨)عـن مناهجها ونشـاطاتها ينظـر في: عبدالـرزاق الحسـني، تـأريخ الاحـزاب السياسـية العراقيـة، ص٧٠-٨٦، الدكتور فاروق صالح العمر، الاحزاب السياسية في العـراق ١٩٢١-١٩٣٢، بغـداد، ١٩٧٨، ص ١٣٤-١٣٥، ١٤١-١٥٥، "تقريـر حزب الامة عن قضية الموصل".

الجمعية الكردية ضمن تقريره عن قضية الموصل سجلت عبارة يقول نصها "وهذا الاحصاء لايعتد به حزب الامة" بعد المعلومات الاحصائية التي سجلتها الجمعية في مذكرتها مباشرة(٥٣٩).

حذت صحيفة "الاستقلال" حذو "حزب الامة" تماماً(٥٤٠)، بل إنها تمادت في موقفها الشوفيني بصورة من الصعب تصديقها نظرا لحراجة الموقف يومذاك، والحاجة الملحة الى جلب عواطف الكرد، وضمان تأييدهم لا إثارة حفيظتهم بصورة فظة، وبأسلوب بعيد عن أبسط قواعد الموضوعية، أو الذوق على أقل تقدير. ففي عددها المرقم ٦٠٤ كتبت تقول:

"وليس سكان كردستان أمة، بل هم مجموعة قبائل فلغتهم غير موحدة، وكل قبيلة منهم تتكلم لهجة مختلفة".

قالت "الاستقلال" ماهو أمر من ذلك وأدهى، فقد تحدثت بلغة الطورانيين ومنطقهم تماماً، وفي ذلك وجه من الغرابة يعجز الباحث عن إيجاد أي تفسير منطقي له حتى فيما لو نظرنا إليه من زاوية التعالي الشوفيني الذي يسيطر على عقلية القوميين المتعصبين. تساءلت "الاستقلال" "هل في كردستان قومية كردية حقيقية؟"، وأجابت : "لانستطيع أن نرد على هذا السوءال بما يقرب من الحقيقة، إذا إقتصرنا على أقوال سكان الاستانة فإن الكرد المقيمين فيها أصبحوا تركاً، ونسوا جنسيتهم الاصلية،وكذلك

---

(٥٣٩)"تقرير حزب الامة عن قضية الموصل"، ملحق الرقم ١، ص،ب.

(٥٤٠)"الاستقلال"، العدد ٥٥٦، ٨شباط ١٩٢٥، ص ٣.

كثير من المشايخ الذين تغلبت العصبية الدينية فيهم على العصبية القومية، لايريدون أن يعرفوا أنفسهم الا تركاً.."(٥٤١).

تبدو أبعاد هذه الصورة القاتمة بصورة اوضح إذا علمنا أن أعضاء المجلس التأسيسي لم يتحملوا المذكرة المعتدلة للغاية التي قدمها ممثلو كركوك و أربيل الى المجلس اثناء مناقشة مشكلة الموصل، والتي سبقت الاشارة اليها ايضاً، بحيث إضطر محمد شريف، وهو أحد الموقعين علىالمذكرة، الى تقديم توضيح هذا نصه الذي تبدو فيه صورة الموقف بشكل جلي وواضح:

"أقول بكل صراحة إننا أبناء العراق الشمالي، أعني الاكراد، لانريد الانفصال عن العراق بوجه من الوجوه لان الاكراد لايعيشون بدون العراق قطعاً، ولكننا مع ذلك لانتنازل عن طلب مايضمن لنا حقوق الاقلية من الميزة الادارية وفق ماجاء في المادة الثالثة من المعاهدة العراقية-البريطانية(٥٤٢)، وهذا الموقف الحرج هو الذي دعانا الى ان نرفع الى الرئيس المحترم تقريراً نذكر فيه موقفنا تجاه المعاهدة مع بيان أسبابه الموجبة، فنرجو من رفقائنا الكرام ان لايداخلهم الريبة في وطنيتنا، وأن لا يحملوا ماتلي عليهم في التقرير على محمل ينافي حسن نيتنا مادمنا لم نخرج في هذا التقرير عن الحدود القانونية"(٥٤٣).

على الرغم من ذلك إضطر مندوب أربيل داود الحيدري أخيرا الى سحب المذكرة باسم الموقعين عليها، مع العلم أنها كانت تدعو بالاساس الى تأجيل

---

(٥٤١)المصدر نفسه، جياوك الكردي، القضية الكردية، ص ٦٧-٨٢.

(٥٤٢)يقول نص المادة الثالثة من المعاهدة بهذا الخصوص: "يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً أساسياً ليعرض على المجلس التأسيسي العراقي، ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب ان .. يأخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق، ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة ...".

(٥٤٣)"مجموعة مذاكرات المجلس التأسيسي العراقي"، ص ٣٤٣-٣٤٤.

البت في المعاهدة العراقية-البريطانية الى أن يتم تحديد مصير ولاية الموصل، الشعار الذي رفعته كل القوى الوطنية العراقية، إلا أنه لم يكن مقبولاً من الكرد لانهم ربطوا معه مطلباً متواضعاً يتعلق بجزء قليل من حقوقهم المشروعة(٥٤٤).

لم يمض سوى وقت قصير على ماحدث داخل المجلس التأسيسي حتى عهد تأليف الوزارة الجديدة الى ياسين الهاشمي في الثاني من اب ١٩٢٤، ليتزامن مع عهده الذي إستمر حتى الحادي والعشرين من حزيران ١٩٢٥، أهم وادق مراحل مشكلة الموصل، مما كان يتطلب، دون ريب، تبني سياسة مرنة تجاه الكرد على الاقل من منظور تكتيكي صرف. وقد اعلنت الوزارة في منهاجها الذي أذاعته يوم الثامن من شهر اب سنة ١٩٢٤ انها تتخذ بصورة خاصة "التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية، وتخفيف ما اصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل". نشرت جميع صحف العاصمة نص هذا الوعد الصريح، بما في ذلك صحيفة "الاستقلال"(٥٤٥). هنا ندع التعليق على ماجرى للمتخصص الاول في تأريخ حياة ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية الدكتور سامي عبدالحافظ القيسي الذي يقول مانصه بهذا الخصوص في "دراسة وثائقية حصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز في تأريخ العراق الحديث من جامعة بغداد":

---

(٥٤٤)المصدر نفسه، ص ٣٤٢-٣٤٤، ٣٥٤، ٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣٣-٤٣٤.

(٥٤٥)" الاستقلال "، العدد ٤١٧، ٨آب ١٩٢٤.

"لما تسلم ياسين الهاشمي الحكم في ٢ آب ١٩٢٤ كان الوضع في كردستان خطيرا جدا، ولاحظ ان هناك إستياءً عاماً لدى الراي العام العربي في العراق جراء تدهور الاوضاع في شمالي العراق تناولته الصحافة من وجهات نظر متعددة، إلا انها كانت متفقة على ضرورة وضع حد له. وقد اراد ياسين الهاشمي الاستفادة من رغبة الراي العام هذه، فبينها في منهاجه الوزاري تعزيزا لمكانة الوزارة في الاوساط الشعبية، إذ وعد الشعب بعد ستة أيام من تبوئه كرسي الوزارة بانه سيتخذ التدابير المناسبة لرفاه وراحة سكان منطقة السليمانية، وتخفيف ما أصابهم من الالام والاضرار بسبب القلاقل، الا انه:

لم يكن مخلصاً في وعده حيث سار على سنة الوزارات التي سبقته بإستخدام العنف والقمع في علاج هذه المشكلة، ولعله كان أشد من غيره في هذا الامر بحكم مسؤوليته كوزير للدفاع، إضافة الى رئاسة الوزارة. فقد شنت وزارته خلال الفترة الواقعة بين ٢٠ و ٣٠ آب ١٩٢٤ سلسلة متواصلة من الحملات العسكرية ضد قوات الثورة الكردية، وأعقبتها عمليات جوية مركزة قام بها سلاح الجو البريطاني خلال النصف الاول من شهر أيلول ١٩٢٤"(٥٤٦).

إن هذا التعقيب يغني عن الخوض في تفصيلات الموضوع، ولكن من المفيد ان نشير الى ان ياسين الهاشمي نفسه لم يكن من أصل عربي رغم إدعاءات أسرته(٥٤٧)،

---

(٥٤٦)سامي عبدالحافظ القيسي، ياسين الهاشمي و دوره في السياسة العراقية بين عامي ١٩٢٢-١٩٣٦، البصرة، ص ٢٧٧-٢٧٩.

أسرته(٥٤٧)، وان وزارته ضمت عنصرا مثقفاً، مخلصاً من الطراز الاول هو محمد رضا الشبيبي الذي عرف بميوله الديموقراطية، ومنطقه الوطني، وجرأته النادرة، إلا أنه سكت، مع ذلك، سكوت من في القبور بالنسبة لما جرى للكرد فقط طوال وجوده في الوزارة الهاشمية الاولى(٥٤٨)، في حين أنه إستقال من منصبه إحتجاجاً على منح الوزارة اول إمتياز للنفط في العراق للشركات الاجنبية، وهو موقف يدل، دون شك، على الاخلاص والجرأة والتضحية أيضاً لانه كان في وضع مالي صعب عندما قدم إستقالته من الوزارة.

مست هذه المواقف عواطف الوطنيين الكرد، ومشاعرهم في الصميم، حتى ان معروف جياوك، الذي قلنا عنه قبل قليل إنه كان من أشد المتحمسين للاسلام، وللاخوة العربية-الكردية، والذي دافع عن حق العراق في ولاية الموصل بحماس منقطع النظير في سلسلة مقالات عدت صحيفة "المفيد" البغدادية ما ورد فيها أمرا "يفيد البلاد، ويوطد دعائم الألفة بين جماعاتها وطوائفها وأفرادها"، قرر "ترك السياسة والكتابة منذ مدة لاشتداد لهجة متطرفي العرب تجاه العناصر، ولاسيما العنصر الكردي"، وقد علقت "المفيد" على ذلك بالقول:

---

(٥٤٧)للتفصيل عن ذلك ينظر في: المصدر نفسه، ص ٣١-٣٣؛ " العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦ "، ص ٧٨-٧٩؛مقابلة مع محمد جميل الروزبياني بتأريخ ١٤ تموز ١٩٩٤؛ مقابلة مع اللواء المتقاعد فؤاد عارف بتأريخ ٢٢ تموز ١٩٩٤.

(٥٤٨)اشرف مؤلف هذه الدراسة على رسالة ماجستير و اطروحة دكتوراه عن محمد رضا الشبيبي، أعدهما الدكتور علي عبد شناوة، وقد طبعت الاولى في لندن سنة ١٩٩٥، والثانية في بغداد سنة ٢٠٠٢.

" نحن نؤكد لجياوك(٥٤٩)، ولكل فضلاء قومه بأن الامة العربية التي رأت كيف تمزقت تركيا من جراء الضغط على عناصرها، وأجناسها لايمكن أن تنسى هاتيك الصبر والدروس البليغة.. ونحن لانسمي الذين إشتدت لهجتهم ضد العناصر، إن صح ذلك، وهو بعيد، بالمتطرفين، بل نوصمهم بالخيانة والمروق عن الوحدة والخروج على الجامعة الوطنية، ومحال أن يكون أولئك، إن كان لهم أثر، عرباً، بل هم أعداء للعرب، يريدون أن يحفروا بدسائسهم لهذه البلاد الناشطة الى إسترداد عزها الغابر، ومجدها الداثر، قبراً يلقونها وإستقلالها وأمانيها فيه"(٥٥٠). ولكن للاسف الشديد قل من كان يفكر بمثل هذا المنطق السليم في صفوف القوميين العرب العراقيين يومذاك، وندر عددهم بعد ذلك ندرة الماء في الصحراء.

إنتهت اللجنة التي ألفتها عصبة الامم للبت في مشكلة الموصل من إعداد تقريرها التأريخي في اواسط تموز سنة ١٩٢٥، فقدمته الى مجلس العصبة، كما وزعته على الصحافة العالمية. ان اللجنة بعد أن درست المشكلة من جميع أوجهها بعمق اكدت في تقريرها ان الحجج الاساسية، ولاسيما الاقتصادية والجغرافية وعواطف أكثرية السكان تميل لتأكيد ضم الولاية الى العراق، ولكن بشرطين أساسيين، الاول منهما أن تبقى "هذه الاراضي" تحت الانتداب البريطاني لمدة خمس وعشرين سنة "لضمان الاستقرار فيها"، والثاني أن تؤخذ رغبات الاكراد بنظر الاعتبار(٥٥١)، الشرطان اللذان اكدهما

---

(٥٤٩)في النص: له.

(٥٥٠)"المفيد"، العدد ١٦٥، ٨آب ١٩٢٥، جياوك الكردي، القضية الكردية، ص٣٦-٣٠.

(551)"League of Nations. Question of the frontier between Turkey and Iraq ", PP.88-89.

مجلس العصبة عندما إتخذ قراره الذي يقضي بضم الولاية الى العراق في السادس عشر من كانون الاول من العام نفسه، ليتحول ذلك الى وثيقة دولية جديدة ملزمة بالنسبة لحقوق الكرد القومية في العراق، بما في ذلك كرد كركوك وتوابعها.

أعلنت الحكومتان البريطانية و العراقية رسمياً عن إلتزامهما بالشرطين المذكورين بصورة مطلقة(٥٥٢). فبالنسبة للشرط المتعلق بحقوق الكرد أعدت السلطات البريطانية في العراق بالتعاون مع السلطات المحلية مذكرة خاصة تضمنت حقائق معينة عن إدارة المناطق الكردية مع نص خطاب رئيس الوزراء أمام مجلس النواب في الحادي والعشرين من كانون الثاني ١٩٢٦، الذي أكد فيه ضرورة منح الكرد حقوقهم القومية، ألحقتها بالمذكرة التي قدمتها للعصبة بخصوص تمديد المعاهدة العراقية- البريطانية(٥٥٣). في ضوء ذلك وافق مجلس العصبة يوم الحادي عشر من آذار ١٩٢٦ على مشروع قرار جديد يعلن فيه "ان قراره المؤرخ في السادس عشر من كانون الاول ١٩٢٥ أصبح نهائيا". أرسل المجلس، في الوقت نفسه، المذكرة البريطانية المتعلقة بإدارة المناطق الكردية الى لجنة الانتداب التابعة للعصبة لمراقبة تنفيذ التعهدات المتعلقة بحقوق الكرد القومية في العراق، الموضوع الذي غدا يؤلف ركنا أساسيا في التقارير اللاحقة التي كانت

---

(552)" Survey of International Affairs, 1925", PP. 520-521.

(553)" League of Nations. Frontier between Turkey and Iraq. Treaty between Great Britain and Iraq signed at Baghdad on January 13 th 1926", Geneva, 1926.

الحكومـة البريطانيـة تقدمـها الى عصبـة الامـم عـن سـير الادارة في العـراق، وبقيت كركوك تحتل نفس موقعها السابق في ذلك الركن المخصص للقضيـة الكردية(٥٥٤).

بينـا ان "عواطف اكثريـة سكان" ولايـة الموصل كانت تؤلـف احـد أهـم العوامل الحاسمة في تقرير مصير الولاية لصالح العراق، وسجلنا ضمن المبحث العديد من الحقائق التي تبين أن تلك الحقيقة تنطبق بالدرجـة الاولى علـى كـرد الولايـة، بضمنـهم كـرد كركـوك و توابعـها. ومـن أجـل أن تبـدو هـذه الحقيقة في إطارها الواقعي المقنع نضيف الى ما ذكرناه حتى الان من شواهد حقيقة مهمة أخرى هي أن لجنة العصبـة "قـد فوجئت إذ وجـدت أن عـدد العرب المؤيدين لتركيا (في الموصل) كبير- فمن بين ١٨٨ شاهدا ايد ٥٣ تركيا و ١٠٢ العراق.."(٥٥٥).

كـان مـن المفـروض أن يتحـول هـذا الموقـف الى دافـع قـوي، وثـابت لحـل المشكلة الكردية في العراق على أسس ديمقراطيـة بإتجاه "يؤثـر علـى بقيـة الكرد" و يفضي الى "ضمـان تحقيـق السلام في هـذا الجـزء مـن العـالم" كمـا تمنى ذلك أحـد أعضاء مجلس العمـوم البريطـاني (٥٥٦). لكـن ذلـك لم يحـدث

(٥٥٤)ينظر على سبيل المثال موضوع الاكراد في،

"Special Report by His Majesty's Government… to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq during the Period 1920-1931"PP.251-266.

(٥٥٥)الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، الطبعة الاولى، ص ١٣٢.

(556)"The Parliamentary Debates.The House of Commons", Official Report, Fifth Series, Vol.189, 1924-1925, Col.2102.

للاسف، الأمر الذي نلاحظ بعض جوانبه من خلال التطرق الى التطورات السياسية في المنطقة الكردية بعد حل مشكلة الموصل، وفي إطار علاقتها الجدلية بكركوك وتوابعها.